

جامعة الأزهر  
كلية أصول الدين



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٠١٢

٧

٨

# الحسن البصري

من عمالقة الفكر والزهد والدعوة في الاسلام

رسالة مقدمة إلى كلية أصول الدين  
لتحليل درجة العالمية (الدكتوراه)  
في قسم الدعوة والارشاد

١٠٠٢٠١١

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور

مصطفى أمين التازي

رئيس قسم الحديث

بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر



١٢

مصالح سبر بيومي

المدرس المساعد

بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

"ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله  
وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين"  
(صدق الله العظيم)

"فهم الحسن البصرى للآية الكريمة"

لما تلا الحسن البصرى تلك الآية الكريمة قال : هذا  
حبيب الله • هذا ولي الله • هذا صفوة الله • هذا  
خيرة الله • هذا أحب أهل الأرض الى الله • أجاب الله  
فى دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا  
فى اجابته ، وقال اننى من المسلمين هذا خليفة الله •

عند سلطان جائر ... لذلك نرى هذه الأمة لم تعد في عصر من عصورها مجددين في الدين ، وأئمة في العلم ، وعالين في الفكر ، وأبطالاً في الجهاد ، ورواداً في الإصلاح ، لا يوجد نظيرهم - لا في الكمية ولا في الكيفية - في أمة من الأمم ... وما هذا إلا ليحقق الله وعده " انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (١) . وكذلك مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " (٢) .

والأمة الإسلامية التي حملت الراية المحمدية في العالم أجمع وللإنسانية كلها مدينة بالفضل والصفاء لرجال " صدقوا ما عاهدوا الله عليه " (٣) ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله " (٤) ، " قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونصم الوكيل " (٥) ، لرجال " كانوا قليلاً من الليل ما يهجمون والأسفار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم " (٦) .

بايمان هؤلاء الرجال الصالحة استحققت الأمة الإسلامية أن تكون كما وصفها الباري تبارك وتعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " (٧) . وخير هؤلاء الرجال من كانوا في القرون الأولى من الرسالة المحمدية " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " (٨) .

مع هذه الرسالة عشت مدة من الزمن ، أفكر في عظمتها وصورها أمام الأحداث . وحول هؤلاء الرجال المخلصين ، تفاعلت مع الكثير منهم .

ولكن واحداً منهم جذبني إليه بعلمه وعمله . فقد جمع بين الكتاب والسنة ، وآثار السلف الصالح رضي الله عنهم ، وكان صاحب خبرات طويلة في عصره الذي عاش فيه ... وكان لخطورته في مجتمعه أن حاولت كل جماعة وفرقة أن يكون سيدياً وأماماً لها . ولا تكاد نجد كتاباً أبحاثاً في الدراسات الإسلامية الأصيلة إلا وله

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام لأبي الحسن الندوي ص ٩ - ١٠ دار الفتح  
بدمشق ط ٢ ، والآية الكريمة من سورة الحجر رقم ٩ .

(٢) هذا الحديث أخرجه أبو داود في الملاحم من سننه والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة به مرفوعاً وسنده صحيح رجالهم كلهم ثقات وكذا صححه الحاكم - تمييز الطيب من الخبيث للشيباني الشافعي .

(٣) الأحزاب آية ٢٣ (٤) النور آية ٣٧ (٥) سورة آل عمران الآية ١٧٣

(٦) سورة الذاريات الآيات ١٧ - ١٩ (٧) سورة آل عمران الآية ١١٠

(٨) سورة آل عمران الآية ١١٠

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة :

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله • وأشهد  
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على  
الدين كله ولو كره الكافرون • وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليفه •  
القُدوة الصالحة لكل زمان ومكان • بلّغ الرسالة وأدى الأمانة • وربي الأمة ولحق  
بالرقيب الأعلى بعد أن أكمل الله على يديه رسالات السماء • وأعطىها مشهدا عليها  
في حجة الوداع : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت وليكم نعمتي ورضيت لكم  
الاسلام ديناً " (١) • صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان  
الى يوم الدين •

أما بعد : فان العالم قبل الاسلام كان في حاجة الى رسالة تنقذه من الهوة  
السحيقة التي تردى فيها • وقد أثبت التاريخ والواقع أن الاسلام هو هذه الرسالة  
وأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو المرسل للبشرية بهذه الدعوة الخالصة التي أخرجت  
العالم من الظلمات الى النور • " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله  
من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط  
مستقيم " (٢) • ولما كانت رسالة الاسلام هي الرسالة الخالدة الباقية الى أن يرث الله  
الأرض ومن عليها • والأمة التي حطت هذه الرسالة هي الأمة الأخيرة التي لا أمة  
بعدها • " انه لا نبي بعدي " (٣) • فكان لابد لهذه الرسالة ولهذه الأمة  
التي تحطها من عقبات تقف في طريقها • شأن كل دعوة الى الإصلاح لخير  
البشرية • واستطاعت الأمة الاسلامية بفضل القوة الذاتية للرسالة نفسها من جهة •  
ومن جهة أخرى " أن الله قد تكفل بأن يضيح هذه الأمة التي قضى ببقائها وخلودها  
رجالا أحياء أقوياء في كل عصر • ينقلون هذه التعاليم الاسلامية الى الحياة ويمعيدون  
الى الأمة الشباب والنشاط • وأن هذا الدين نفسه من أقوى الموالى في وجود  
الأشخاص في كل عصر ومصر • لأنه يثير في أتباعه ودارسيه كوامن القوة • ويحث فيهم  
الشجاعة لمواجهة الأوضاع الفاسدة في المجتمع • ويفرض عليهم انكار المنكر وكلمة حق

(١) المائدة الآية رقم ٣

(٢) المائدة الآية رقم ١٥ ، ١٦ •

(٣) لفظ الحديث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " كانت بنو اسرائيل  
تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وأنه لا نبي بعدي " • رواه البخاري •  
كتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن بني اسرائيل •



وما زاد من همتي في معالجة هذه الشخصية الفذة • حينما التحقت بكلية  
أصل الدين أن أعلن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عدة سنوات عن أبحاث  
في موضوعات شتى • وقد كان لي شرف المشاركة فيها وحصلت على جائزة المجلس  
في سنوات متتالية • وضعا جائزة البحث عن " الحسن البصري " (١) •

ومع ذلك فإن الكتابة عن هذا الملاق ليست بالشيء الهين بخلاف الكثير  
من العلماء الأفاضل الذين تناولهم الباحثون والمفكرون بالبحث والدراسة ، والسر  
في هذا أن الحسن البصري وجد في عصر لم يكن التدوين قد أخذ دوره الكامل  
بعد ، كما أنه من الشخصيات التي تنازع عليها كثير من الجماعات والفرق المختلفة  
كما أشرنا آنفا • كل منها تتصب بأجهااتها إليه • تجعل لمذهبها قيمة بين  
المذاهب المتعددة •

وأيضا الحسن لم يترك مؤلفات مستقلة كغيره من المتأخرين • اللهم الا الآراء  
والأفكار المتناثرة في بطون الكتب والأبحاث والرسائل المختلفة في معظم العلوم  
والفنون المعروفة في عصره •

من كل ما سبق يجمعنا نعتقد تماما بأن الطريق إلى معالجة هذه الشخصية  
النادرة صعب ملوئ بالأشواك • مما أدى إلى نصيحتي من بعض أساتذتي بكلية  
أصل الدين بالعدل عن هذا الموضوع اشفاقا على • وعلى حد تعبير أحدهم :  
ان اختيارك لهذا الموضوع يقتضيك أن تقرأ التراث الاسلامي كله وهذا صعب الضال •

وفي الواقع نظرت إلى نصيحة أساتذتي المخلصين بجد • وكنت أن أعذل  
عن هذا الطريق الذي فكرت فيه • لولا أن الله عز وجل شرح صدرى لهذا  
الموضوع بعد استشارة علما اياها المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فمقدت الصبر  
للسير في هذا الطريق ، ونظرت إلى نصيحة أساتذتي على أنها تصوير لأهمية  
هذه الخطوة التي سأقدم عليها حتى أعد للأمر عذته • خاصة ومن يوم أن كنت طالبا  
في السنوات الأولى بالأزهر الشريف والمولى تبارك وتعالى وفقني للعمل في حقيل  
الدعوة الاسلامية • فكنت دائما أتمثل بالكثير من كلام الحسن البصري الذي كان له  
تأثير في القلوب مما أدى هذا التأثير إلى نتائج طيبة وثمرات مباركة •

ومن كلامه هذا انذى لا ينسى قوله : " الواعظ من وعظ الناس بحمله لا بقوله "  
وقوله : " لولا ثلاثة ما طأطأ ابن آدم رأسه • الموت والمرض والفقر ، وأنسـه

بعد ذلك لوثاب " ، وقوله : " ما رأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيسبه من يقيننا بالموت وعلنا لغيره " ١٠٠ الخ . على هذا فصلتى بالحسن قديمة . لها تأثير في نفس لا يحى على مدى الأيام . حينئذ أخذت أتجول هنا وهناك في بطون المراجع والمصادر المختلفة ما بين قديم وحديث ، ومطبوع ومخطوط بالقدر المستطاع الذى وهبني الله إياه .

وما شجعتنى على ذلك بعض الأضواء التى ألقيت على هذه الشخصية حديثا ومنها : بحث عن الحسن البصرى للدكتور احسان عباس . وقد أفدت منه اذ فتحت لى أبوابا مغلقة فى جوانب هذه الشخصية الفريدة . وشاركت بهذه الافادة فى القاء بعض الضوء عليه ببرنامج ( من قاعة المطالعة ) باذاعة ( مع الشعب ) فى شهر رمضان سنة ١٣٩١ هـ . ومنها ما كتبه الدكتور على سالى النشار عن مدرسة الحسن البصرى فى كتابه ( نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ) ، وما كتبه الداعية الاسلامى أبو الحسن الندوي عن الحسن البصرى فى كتابه ( رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ) وما كتبه فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة فى بحثه عن تاريخ الجدل ، الى غير ذلك من الكتابات المتعددة عن بعض جوانب الحسن البصرى التى لا أنكر فضلها .

ومعد جولات طويلة فى المكتبة الاسلامية تجمع لدى محصول ليس بقليل من آثاره القيمة . هذا المحصول الكبير عن الحسن البصرى وأفكاره . لا نأتى به فى الرسالة لأول وهلة ومدون تحييص ولكن أخذنا نميز الأقوال التى لا شك فى نسبتها للحسن من غيرها - على قدر المستطاع - لأن بعض هذه الأقوال كان يبدو عليها الاضطراب بسبب التيارات المختلفة التى كانت موجودة فى عصره . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الحسن البصرى كان دائرة للمعارف فى عصره وكان دائما يميل الى اصلاح الفرد والمجتمع كما يشارك فى الحفاظ على كيان هذا المجتمع الذى يعيش فيه مما حسب فيه الجميع . هذا التمييز بين أقوال الحسن البصرى واستخلاص الآراء المتعددة من المراجع والمصادر التى كانت تحت أيدينا . لنصل بذلك الى ابراز هذه الشخصية النادرة . كان طريقا الذى سلكناه للتعرف على فقيه عصره الحسن البصرى . ومعد هذا بدأت آرائه المتعددة تتضح وتتجلى فاستمعت الله عز وجل . ورتبت دراستى فيه على مقدمة ، وثلاثة أبواب وخاتمة . الباب الأول منها لدراسة عصره الذى عاش فيه ، والباب الثانى لحياته وتكوين شخصيته ، أما الباب الثالث والأخير فقد جعلته لمعالجة فكره ، وزهده ، ودعوته الى الله تعالى . كما أنها تنتهى بخاتمة تبين النتائج التى انتهت اليها الرسالة مع بيان تأثيره فى عصره والعصور التالية وما كان الانتفاع بأفكاره وآرائه

فالمقدمة تشرح فكرة الرسالة والخطة التي سارت عليها • ثم يهجي بعد ذلك :  
الباب الأول • وهو دراسة لمصره تشتمل على ثلاثة فصول : الفصل الأول : بيان  
للأحوال الاجتماعية في هذا العصر • وتشمل عهد الخلفاء الراشدين • وجزءاً  
كبيراً من الدولة الأموية • وبينت فيه بوضوح أن الاسلام على غاية كبيرة بالفرد • والأسرة  
والمجتمع • ثم ألقيت نظرة على الرقيق في ضوء الاسلام وأنه حالة على الاسلام من  
أول يوم جاء فيه على الحد منها والتضييق عليها • وبعد هذا جاء دور السلوك  
الاجتماعي • • مهينا أن الاسلام أعطى له من الأهمية ما لم ينلها في أي دين من  
الديان الأخرى أو مذهب من المذاهب المختلفة • ثم كان هذا الوضع الاجتماعي  
المثالي أيام الخلفاء الراشدين •

ولكن بعد أن جاء عهد بني أمية • وكثرت الفتوحات الاسلامية ودخل الكثير  
من الموالى في دين الله أفواجا • وأقبلت الدنيا على المسلمين •

بدأ أصحاب الجاه والسلطان والأموال يتطلعون الى المزيد من نعيم الدنيا  
ويخرفها في كل مرافق الحياة • بممكن الوضع في عهد الراشدين القائم على الأخذ  
من الدنيا بقدر الحياة فيها • وقد أدى اقبال بني أمية على الحياة الدنيوية  
بهذا القدر الكبير الى سقوط دولتهم لتقوم على أنقاضها الدولة العباسية •

والفصل الثاني : كان دراسة للحالة السياسية • بينت فيه موضوع الخلافة  
الاسلامية وأنه كان سبباً في خلاف شديد بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عقب  
موته • ومع هذا سرعان ما وصلوا الى الحل الحاسم بتولية أبي بكر الصديق • ثم جاء  
عربين الخطاب وكان مثالا للقيادة الاسلامية الرشيدة مما أعجز غيره أن ينسج  
على منواله • ثم جاء عثمان بن عفان ذو النورين • وسير المجتمع الاسلامي بطريقة  
خاصة أدت في النهاية الى استشهاد بهذه الصورة الأليمة التي لا يرضى عنها  
أي انسان لديه وازع من ضمير فضلا عن المسلم الذي سعد بصحبه المصطفى صلى  
الله عليه وسلم •

وفي ختام الراشدين جاء الامام على كرم الله وجهه • وبينت الظروف المصيبة  
التي قام في وسطها هذا الامام • والتي أدت الى استشهاد به عليه رضوان الله  
تماما •

ثم ألقى الضوء على حكام بني أمية الذين طاصروا الحسن البصري مع توضيح  
للأسباب التي أدت الى ظهورها . ولم أنس أبدا أن أقف طويلا مع خامس الراشدين  
عمر بن عبد العزيز في ادارته للأمة وصلته بالحسن البصري الداعية الى الله تعالى .

والفصل الثالث والأخير ، كان لدراسة الحياة الفكرية في عصر الحسن . بينت  
في هذا الفصل الحياة الفكرية في عهد الراشدين وأنها كانت قائمة على الكتاب والسنة  
ثم وضحت بعد هذا الأسباب التي أدت الى ظهور الأحزاب والفرق الدينية التي  
كانت سببا في ضعف الجهود المبذولة لنشر الدعوة الاسلامية والتي انحصرت في الأمور  
الآتية :

- ١ - سياسة الدولة وحكمها . ونتج عن هذا ظهور الشيعة والخوارج .
- ٢ - كثرة الاسرائيليات التي سرت عداها الى تفسير القرآن ، والسنة والاهتمام  
بالرد عليها .
- ٣ - الشبهات التي تثار حول الاسلام خصوصا بعد الفتوحات ودخول الكثير في  
دين الله أفواجا والرد عليها .

ثم تكلمت بشئ من التفصيل عن هذه الفرق مثل : الشيعة والخوارج والمرجئة  
والمعتزلة .

وبينت أن الصيغة العامة لهذا العصر الفكري هي : الجدل .  
وبعد دراسة عصر الحسن من الناحية الاجتماعية ، والسياسية ، والفكرية  
يجب بعد هذا الباب الثاني ، ويختص بترجمة للحسن ، ويشتمل على تمهيد  
وفصلين . تحدثت في التمهيد عن المدينة المنورة التي نشأ فيها الحسن بايجاز ،  
وكذلك البصرة التي عاش فيها الحسن بقية حياته مع أسرته .

وفي الفصل الأول تحدثت فيه عن حياته . مبينا أشهر الأسماء التي كان يتناهى  
بها ، كما أشرت الى رأى بعض الباحثين وهو أنه من أسرة عربية وحققته . ثم بينت  
بيئته التي تربى فيها في مبدأ حياته وهي البيئة النبوية الكريمة حتى قالوا أن فصاحته  
جاءت من تناول ثدي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في وقت غياب أمه  
لبعض حاجتها فرمى در عليه بعض اللبن . وقد شاهد وهو بالمدينة المحيطة  
الاسلامية الصحيحة الذي يمثلها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والذي قال في حقهم

عليه السلام \* لا تسبوا أحدا من أصحابي فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه \* (١) ، كما شاهد أيضاً في أواخر أيامه فيها الفتن المشيرة التي أعقبت مصرع الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، هذه الفتن المشيرة انطبعت صورتها الدامية في نفس الحسن ما جعله دائماً ينفر من الفتن مدة حياته .

ومن يدري لعل هذه الصورة البشعة هي التي غرزت فيه عاملى الخوف والحزن اللذين لازما وطوال عمره .

ثم بعد ذلك اتجد مع أسرته الى البصرة . وفيها - أى البصرة - وضحت كيف كانت حياة الحسن البصرى ، وكيف كافح الحسن بكل ما يملك فى سبيل إعلاء كلمة الله تعالى . وكانت حياته الى حد كبير تشبه حياة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . سواء كان ذلك بينه وبين أسرته أو بينه وبين مجتمعه . ففى مجال أسرته كان الحسن رحمه الله فى صراع غيف معها لأنه كان يحل أسرته دائماً على الجادة وعلى التأسى بالسلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين . فنراه بسبب ذلك يعيش عيش من ينتظر النعيم الدائم يوم القيامة . وإذا أخذ المطا من الدولة الذى لا يفهم منه معنى الأجر حجز لأسرته ما يسد الرمق الضرورى ، ويستر الصورة ويوزع الباقي على الفقراء والمحتاجين .

وكان منزله وما يحتويه يلقى فقط من برود الشتاء وحر الصيف - غالباً - وفى منتهى البساطة من حيث المبنى وما فيه من الأدوات التى تذكرنا بما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم . ومن أجل هذا كان يختار الزوج لابنته من هو على هذا الطريق . قال حميد الطويل تلميذ الحسن : " خطب رجل الى الحسن ابنته ، وكنت السفير بينهما فرفضه ، وأراد أن يزوجه فأتيت عليه ذات يوم وقلت : وأزيدك يا أبا سعيد . أن له خمسين ألفاً ، قال : أقلت : له خمسون ألفاً . ما اجتمعت من حلال - قلت : يا أبا سعيد ، انه والله ما علمت لورع مسلم ، فقال : ان كان جميعها من حلال لقد ضمن بها على حق . لا يجرى بينى وبينه صهر أبداً .

وكان رحمه الله بعد أن تزوج ابنته ممن يسير على هذا الطريق السوى يقابل عند زيارته فى بيته قاتلاً : " مرجحاً بمن كفى المؤنة وسر المورة - ثم يتنحى لهم عن مكانه تكريماً له .

ومع هذه الحياة القاسية في أسرته فقد أجبر الحسن رحمه الله دولة بني أمية على احترامه ومخاطبة وده .

وفي البصرة التقى الحسن بالكثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك في الفتوحات الشرقية التي ساهم فيها لرفع راية الدين ومينت في هذا المجال موقف الحسن البصري من ولاية الأمر . خاصة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي اشتهر بالقسوة والجبروت ومع هذا فقد عرفنا كذا . أن الحسن لم يخف سطوته وبأسه فقط بل نصحه ووعظه أيضا . ووصل الأمر بالحجاج هذا أن كان يقف على حلقته بالمسجد ليستمع الى مواعظه دون أن يحدد اقامته ، أو يعلن محاكمته .

ثم بينت علاقة الحسن بخاص الراشدين عمر بن عبد العزيز وكيف تعاون معه على بناء دولة الايمان الصادق ، والعلم النافع . كما أوردت بعض الرسائل من الحسن الى عمر الدالة على ذلك .

ولم ننس رحلته الى بيت الله الحرام . وأيضا أشرت الى موقفه من ثورتى يزيد ابن المهلب ، وابن الأشعث حينما رآيه في هاتين الثورتين والثورات عموما . وكيف أن الطريق الحق - في نظره - لاصلاح المجتمع هو تربية القود والأسرة وبالتالي المجتمع على أساس من الدين . وفي نهاية هذا الفصل يحوش الحسن أيامه الأخيرة ، معتمدا على الله تعالى في جميع أحواله حتى لقي ربه .

وقد بينت في هذه النهاية الدليل الواضح على ثقة أفراد الأمة بفقههم وعلمهم . حينما لقي الحسن ربه حزن عليه الناس حزنا شديدا . بلغ من أمره أن صلاة العصر لم تقم يومئذ في جامع البصرة الكبير . لأن الناس كلهم تبعوا جنازته ، وذلك أمر لم يحدث قبل منذ أن جاء الاسلام الى هذا المكان .

أما عن الفصل الثاني والآخر من هذا الباب . فقد عقد لدراسة مؤهلاته وتكوين شخصيته . وتناولت هذه الدراسة الصفات الظاهرية للحسن ، وكذلك الصفات المذهبية التي اتصف بها وكانت سببا من أسباب تكوين شخصيته كالزهد ، والتسامح والعلم ، والشجاعة ، والفصاحة . . الخ . كما ألقيت ضوءا على بعض شيوخ الحسن الذين أخذ عنهم واستفاد بعلمهم ومواعظهم .



مثل : أنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس ، وطاهر بن عبد القيس ، وصلة بن أشيم ،  
وحطان الرقاشي ، أبو العالية ... كذلك لم أنس أقرانه الذين تعامل معهم وعاش  
بجوارهم وذلك كابن سيرين ، وطاهر الشعبي وغيرهما .

وفي نهاية الفصل ذكرت بإيجاز هذه المؤهلات للحسن التي كونت شخصيته  
وجعلت منه الداعية المخلص الصادق في دعوته . ألا وهي :

أ - صفاته الظاهرية .

ب - صفاته المعنوية .

ج - شيوخه الذين أخذ عنهم وانتفع بعلمهم .

د - عصره الذي عاش فيه حيث التقى فيه طعان . علم النبوة الذي حمله أصحاب  
النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعض العلوم الأخرى التي جاءت بسبب الفتوحات  
الإسلامية والذي حملها بعض الداخلين في الإسلام من أهل الملل الأخرى .

هـ - ثقافته الواسعة من الإسلام .

و - مساهمته في الفتوحات الشرقية التي أكسبته الخبرة النافذة .

ز - الظروف الطيبة التي ساعدته بسبب المولد والنشأة مع إخلاصه التام للـ  
رب العالمين .

وفي الباب الثالث والأخير من هذه الرسالة تحدثت عن فكر الحسن البصري

وزهد ، ودعوته إلى الله تعالى . ومقتل هذا الباب على تمهيد وثلاثة فصول .

ذكرت في التمهيد أهمية هذا الباب . ثم ذكرت الفصل الأول وكان يتعرض لفكر

الحسن : بينت فيه : معنى الفكر وأنه شئ أصيل في رسالة المصطفى صلى الله

عليه وسلم ، وبعد هذا تحدثت عن مدرسة الحسن أو تلاميذه الذين حملوا أفكاره إلى

الأمة الإسلامية . وأتيت ببعض التراجم المختلفة التي تمثل اتجاهات تلاميذ هذه المدرسة .

كواصل بن عطاء ، وعمر بن عبيد ، وقتادة ، وقرقة السبخي ، وشعبة بن الحجاج

وغير ذلك من تلاميذه النجباء .

ثم ذكرت بعد هذا أنماطا من الفكر عند الحسن حينما فكره في القراءات وأتيت

أن قراءة الحسن البصري من المسكن بأن تكون من مثيلات السبعة المتفق عليها إذا عني

بدراستها وبحثها ، خاصة وأن هناك من العلماء الأجلاء من هم ساروا في هذا

الطريق مثل ما كتبه الشيخ عبد الفتاح القاضى ، والشيخ عامر السيد عثمان ، والدكتور

عبد المال سالم على والدكتور عبد الصبور شاهين إلى آخر هؤلاء العلماء .



ودعوت بهذه المناسبة الى انشاء دراسات عليا للقراءات القرآنية مع وضع كل الامكانيات التي تكون سببا في نجاح هذه الدراسات . حتى لا ندع فرصة للمستشرقين والبشرين وأعداء الاسلام يهدون فيه باسم المنهج الملقى في نظرهم .

كذلك بينت فكره في تفسير القرآن الكريم وبينت أن الحسن له تفسير برواية عمرو بن عبيد ولكن لم يصل الى أيدينا بعد .

ومع هذا فهناك الكثير من آرائه المتعددة حول آيات القرآن الكريم امتثلت بها كتب التفسير من الممكن أن تكون رسالة مستقلة حول هذا الموضوع مثل : تفسير الطبري ، وابن كثير ، والقرطبي ، والكشاف ، والألوسي ، والتفسير الكبير للفخر الرازي ، والبحر المحیط لأبي حيان . الخ . وذكرت نماذج لتفسير الحسن تبين اتجاهاته ومنهجه في هذا السبيل .

وبينت فكره في السنة النبوية الشريفة مبينا ما أخذ على الحسن من هذه الناحية وهو الارسال ، والتدليس وأدى هذا الى بيان معنى الحديث المرسل وهل يحتاج به والتالى هل يحتاج بمرسلات الحسن . وكذلك المدلس موضحا موقف الحسن منه وهل يحميه ذلك ؟ وخرجت من كل هذا بنتيجة .

هي أن الحسن البصري له ضلع كبير في رواية السنة النبوية الشريفة وما ثبت عنه من الارسال والتدليس لا يؤثر في روايته للأحاديث ، لأن الحسن رحمه الله إنما أرسل في بعض الأحاديث اعتمادا على ثقته في نفسه وثقافته الواسعة بدليل أنه قال : اذا اجتمع لي أربعة من الصحابة على حديث أرسلته (١) .

وبينت فكره في الفقه أو التشريع الاسلامي ذاكرا لبعض الأمثلة تبرز منهجه الدال على عقله النير واتجاهه السليم ، والتي تبين مع غيرها من الأمثلة الأخرى أن الحسن البصري بلا منازع أحد الفقهاء المشهورين الذين تركوا أثرا كبيرا في الفقه الاسلامي حتى أن بعض العلماء روي عن محمد بن مفرج القاضي القرطبي أن له كتابا تحت عنوان " فقه الحسن البصري " في سبع مجلدات . ولكن للأسف لم نعدر عليه . ومع هذا فان آراءه في هذه الناحية امتثلت بها أمهات كتب الفقه الاسلامي مثل : المغني لابن قدامة ، والأم للشافعي ، والمحلى لابن حزم ، واختلاف الفقهاء للطبري وحاشية ابن عابدين . الخ كما أن الشيرازي وضعه بين الفقهاء .

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٢٦٣ - ٢٧٠ ، والطبقات للكثيري لابن سعد ج ٧ .

وأخيراً وضحت فكره في العقيدة • تحدثت في هذا المقام عن أهم الأمور التي كان يكثر فيها الحديث حينئذ وهي القدر ، والايمن ، ومتركب الكبيرة • • ورأى الحسن في كل منها أمام التيارات المختلفة بالبصرة • لا سيما القدر لذا عرضت في هذا الموضع رسالة الحسن كاملة الى عبد الملك بن مروان والتي اتهم بسببها أنه تحدث في القدر • وأثبت نسبة الرسالة اليه مع بعده عن اتهام بعض العلماء والباحثين له بالقدر • وأثبت بأن ما ظله الدكتور أحمد كمال زكي في كتابه " الجاحظ " عن كون الحسن البصري أول من تكلم في القدر ليس بصحيح لأن الذي ثبت عنه ذلك هو معبد الجهني الذي قال قوله المشهورة " لا قدر والأمر أنف " فنبذه الصحابة والتابعون ووصل به الأمر الى أن قتله الحجاج بن يوسف الثقفي لما خرج مع ابن الأشعث • والظاهر لرسالة الحسن البصري الى عبد الملك بن مروان يجدها لا تخرج عن كلام السلف الصالح كما أنها مدعمة بالآيات القرآنية وكمثال على ذلك ما ظله في رسالته : • • وقد أدركنا ، يا أمير المؤمنين السلف الذين عملوا بأمر الله ، ورووا حكمته واستنوا بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا لا ينكرون حقاً ولا يحقون باطلاً ، ولا يلحقون بالرب ، تبارك وتعالى الا ما ألحق بنفسه ولا يحتجبون الا بما احتج الله به على خلقه في كتابه فان الله تبارك وتعالى يقول : ، وقوله الحق : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ) • فأمرهم الله بعبادته التي لها خلقهم ، ولم يكن ليخلقهم لأمور ثم يحول بينهم وبينه ، لأنه تعالى ليس " بظلام للمبديد " •

ولم يكن أحد ممن مضى من السلف ينكر هذا القول ، ولا يحاول عنه ، لأنهم كانوا على أمر واحد متفقين ، ولم يأمروا بشئ " منكر كما قال تبارك وتعالى : " قل ان الله لا يأمر بالفحشاء " ، أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربي بالقسط " • • الى آخر ما قال في رسالته الى عبد الملك •

ومعد تحقيق لهذه الرسالة والتعليق عليها بالتفصيل خرجت بنتائج تتلخص في أن بعض القوم الذين عاش فيهم الحسن البصري أرادوا أن يرتكبوا المعاصي محتجين بالقضاء والقدر معتذرين عن أعمالهم هذه دون أن يعقدوا المعزم على التوبة الصادقة والعمل الصالح مما حدا بالحسن البصري أن يرد عليهم في هذه الرسالة وغيرها من الأفكار والآراء ، الموجودة في أمهات المراجع والمصادر •

والكلام عن العقيدة كما يصورها الحسن ينتهي الحديث عن الفصل الأول —  
ويجئ الحديث عن الفصل الثاني : ليتناول زهد الحسن بشئ " من التفصيل وهو —

الشيء الذي يبرز غالبا حينما يذكر الحسن البصري ، ذكرت في هذا الفصل معنى الزهد ، وعلاماته . ثم عرجت على الزهد عند الحسن ومظاهره ، وبيننا أن الزهد عند الحسن ليس تركا للدنيا وزينتها وإنما يكون في ضوء قوله تعالى : " لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم " . وذكرنا الحديث عن الزهد بالحديث عن التصوف الذي كان كاساس له مظهرا في هذا المعنى التصوفي وعلاقته بالزهد . كل هذا يابحار حتى نصل الى هذا السؤال القائل : هل كان الحسن متصوفا ؟ وكان الجواب بنعم . مثبتا ذلك بالأدلة المختلفة التي توصلت اليها .

وقد جرتنا الحديث بسبب ذلك عن صلة الحسن بالسيدة رابعة المدية وأثبتت عدم وجود هذه الصلة بما استطعت من الدليل وردت على من زعم وجود صلة بينهما .

ثم ختمت هذا الفصل بكلمة عن : التصوف والصوفية في الميزان . وبيننا بأنني لست مع المتفالمين من المؤيدين للصوفية على علاقتها ولست مع المعارضين لها قولا واحدا بدون نظر واستقصاء .

ولكنني اتخذت طريقا وسطا به تعمل على جمع الكلمة وتوحيد الصفوف والأخذ بالمجتمع الى ما فيه النجاح والفلاح وهو ما أخذ به الحسن البصري رحمه الله .

بعد هذا أجدني وجها لوجه أمام الحسن كداعية بالمفهوم المحدد للدعوة في مصطلحنا الحديث لكن قبل أن أتكلم عن هذا المفهوم المحدد أحب أن أوضح أن جهود الحسن كمفسر وكحدث وكفقيه وكفيلسوف . الخ كل هذه الميادين كان يعمل فيها الحسن بفقير وهدف ومفهوم الدعوة في عصره فكلها كانت ميادين للدعوة بيانها وتوضيحها ورد عليه . وهذا المفهوم للدعوة في حينه لا يمنع أن نخصص فصلا للحسن كداعية بالمفهوم الاصطلاحي في عصرنا الحديث تنميما للبحث المنهجي فيه .

لهذا يجيء الفصل الثالث والأخير من الباب الثالث ليعبر لنا جهود الحسن في الدعوة الى الله تعالى . بينت في هذا الفصل معنى الدعوة لفظة واصطلاحا ، وبينت بأن الدعوة في الاصطلاح لمختلف العلماء في تعريفها . وأشعل تعريف فيما ذكر في نظري ما ذكره الشيخ الخضر حسين في قوله : " هي انقاذ الناس من ضلالة أو شر واقبح " وتحذيرهم من أمر يخش عليهم الوقوع في بأسه " وقد أثبت ذلك بالأدلة كما ورد في الرسالة .

ثم ذكرت أهمية الدعوة إلى الله تعالى وأنها أمر ضروري لا غنى عنه للناس جميعاً مهما وصلوا إلى الذروة في التقدم العلمي والحضاري • ووضحت بأن الناس الذين ينكرون فضلها مخطئون في تفكيرهم • وبينت بأن تفكيرهم هذا ليس جديداً بل هناك من قديم من قال بهذا القول البعيد عن الصواب ورددت على كل هذا بالدليل من الكتاب والسنة والواقع •

ثم تحدثت عن أصل الدعوة وقسمت هذه الأصول إلى أربعة : الأصل الأول : موضوع الدعوة وهو الاسلام • وبينت بأن هذا الاسلام يشتمل على ما يحتاج إليه الانسان في حياته من عقائد ، وعبادات ، ومعاملات ، وأخلاق كريمة وغير ذلك •

والأصل الثاني : الداعي إلى الله تعالى وبينت في هذا الأصل الأمور التي يجب أن تتوافر في هذا الداعي حتى يؤدي رسالته كما ينبغي •

والأصل الثالث : اختلاف أسلوب الداعي باختلاف المدعو •

والأصل الرابع : وسائل الدعوة إلى الله تعالى •

ثم بينت بعد ذلك أهداف الدعوة وأنها تنحصر في هدفين :

الأول : دعوة غير المسلمين إلى الدخول في الاسلام •

والثاني : دعوة المسلمين بعضهم بعضاً إلى الخير •

ثم بينت بعد هذا السبب في اهتمام الحسن البصري بالدعوة إلى الله عز وجل

ويطرح هذا في فهمه العميق لقيمة الدعوة ، ومنزلة الداعية وهذا يوافق قول الله تعالى : " ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعلى صالِحاً وقال اني من المسلمين " •

وفي ضوء هذا ذكرت منهج الحسن البصري في الدعوة إلى الله تعالى • وأنه

كان بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، والقُدوة الطيبة والمقارنة بين عهد الرسول والصحابة وما آل إليه أمر المسلمين في عهده ، وتقوية الوازع الديني في الفرد ، والعمل على تجنب الفتن حفظاً لوحدة المسلمين • الخ • وبعد هذا بينت أسلوب الحسن أثناء عرضه لهذه الدعوة المباركة •

ثم أشرت إلى بعض الموضوعات التي تناولها الحسن البصري في دعوته إلى الله

تعالى مثل : عدم الاغترار بالدنيا والتزود للآخرة ، وتربية الوازع الديني للفرد ، ومكارم الأخلاق والحث على تلاوة القرآن الكريم وتدبره والعمل به • الخ غير ذلك من الموضوعات المتعمدة التي يطول مقام عن ذكرها •

وفي نهاية الرسالة تجي \* الخاتمة وتبرز النتائج التي انتهت اليها مع ذكر  
تأثيره في عصره والمصور التالية وامكان الانتفاع بأفكاره وآرائه في نهضتنا الحديثة .  
وذكرت على سبيل المثال ما يلي :

أولا : كثيرا ما نشكو من كثرة الجرائم المختلفة أيا كان نوعها ، وإذا بحثنا عن  
السبب الأصل لحدوثها نجد ، فقدان الوازع الديني أو الضعيف كما يسمونه .  
لهذا نجد الحسن البصري دائما يركز على تربية هذا الوازع الديني ليقسم  
الانسان من نفسه رقيبا يحاسب نفسه بنفسه .

ثانيا : يتردد على كثير من الألسنة أن الناس على دين ملوكهم يصلحون بصلاحيهم  
ويفسدون بفسادهم . لهذا نجد الحسن البصري دائما يوجه النصيحة ، والارشاد الى  
أى مسئلة عن أى أمر من أمور المسلمين .

ثالثا : بسبب زينة الحياة الدنيا وزخرفها ينسون الناس أنفسهم حتى يصل اعتقادهم  
الى انكار اليوم الآخر . لذا نجد الحسن باستمرار يوضح ضرورة التذكير  
بشهر في النفوس ذكرى اليوم الآخر وأنه آت لا ريب فيه .

رابعا : بينما المجتمع يسير لنفايته التي رسمها له المخلصون من عبادة الله تعالى ،  
وإذا بفتنة تملق في الخفاء على انحراف هذا المجتمع عن الطريق السوي ،  
يطلق على هذه الفئة السافقون أو الظاهري الخامس في عصرنا الحاضر .

لذا نرى الحسن البصري يهتم بأمر هؤلاء ويوضح أساليبهم ليفهمها الناس جميعا  
فيكونون على بصيرة من أمرهم .

خامسا : في بعض الأحيان نشكو من عدم تماسك المجتمع بأسباب متعددة منها : وجود  
الطائفية التي تملق على بليلة الأفكار وتخلخل المجتمع ، ومنها : ظهور  
الشائعات المفترضة التي يراود منها لفت أنظار الأمة الى غير مصلحتها ،  
.. الخ . لذا نجد أن الحسن البصري كثيرا ما يدعو الى تماسك الأمة  
ووحدة كلمتها كما بينا في الرسالة ، وبعد هذا تجي \* خاتمة الرسالة التي  
توضح النتائج التي وصلت اليها . والله الموفق لكل خير .

واننى لأرجو أن تكون هذه الرسالة على مستوى ما كابدته فى سبيلها  
من مشقة وعناء ، وأن تكون محققة للهدف الذى نرجوه منها وهو المساهمة الحقيقية  
فى إبراز أعلام الاسلام الذين حملوا رايته ليقضى بهديهم جميع أفراد الأمة المحمدية  
وكشف الفطاء عن حياة داعية من دعاة الاسلام وهو " الحسن البصرى " الذى  
اختلف فى أمره الكثير من الباحثين بسبب تنازع الفرق والأحزاب فى جذبه اليهم  
لخطورته وأهميته فى المجتمع الاسلامى .

وبالطبع لم أصل بهذه الرسالة الى منتهاها وإبرازها على هذه الصـورة  
الا بعد المعونة الصادقة من أساتذتى الفضلاء ، خاصة الذين أشرفوا على هذه  
الرسالة ، لذلك فاننى أتقدم اليهم بجزيل الشكر وخالص الدعاء وهم المرحوم الدكتور  
محمد بن فتح الله بدران ، والمرحوم الدكتور طاهر عبد المجيد .

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى أمين التازى  
الذى فتح لى بيته ومكتبته ، سائلا المولى عز وجل أن يمد فى عمره ويبارك  
فيه .

كما أشكر الاخوة الفضلاء الذين قدموا لى خالص جهدهم وأخص بالذكر  
الأستاذ حسن عيسى عبد الظاهر والأستاذ محمود حبيب .

كما أقدم خالص الشكر الى ادارة البعثات بوزارة التعليم العالى ، وجامعة  
الأزهر ، والادارة الشقفية بسفارة المراق بالقاهرة ، وأسرة مكتبة كلية أصول الدين ،  
ودار الكتب ، ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية والى كل من مدّ الي  
يد المعونة سائلا المولى عز وجل أن يجزيهم عنى أحسن الجزاء .

وصلى الله على سيدنا محمد الداعية الأول وعلى آله وصحبه وسلم .





## الباب الأول

### عصر الحسن البصري

—

- الفصل الأول : الأحوال الاجتماعية ..
- الفصل الثاني : الحالة السياسية ..
- الفصل الثالث : الأحوال الفكرية ..

## الباب الأول

### عصر الحسن البصري

#### تمهيد :

لكي نتعرف على شخصية من الشخصيات يقتضينا ذلك أن نلقى الضوء على عصر هذه الشخصية وخاصة إذا كانت شخصية المفكر والزاهد والداعية الذي نحن بصدده - الحسن البصري - فلا مفر من لقاء الضوء على هذا العصر وإبراز معالمه الأساسية . حتى نصل الى هدفنا وهو أسباب تألق هذا الصالح في سماه المعروفة من أجل أن يعرف الناس جميعا في مشارق الأرض ومغاربها أن الاسلام يرى أتباعه المخلصين على المعلم النافع والايمان الصادق .

كما أنه جعلهم يعيشون للمبدأ الحق . واستحقوا بذلك قول الله تبارك وتعالى : " أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ولذق كلهم " (١) . وهذا فسر كبريين تربية أهل الايمان ، وتربية أهل الكفر . وصدق الله اذ يقول : " ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتمون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم " (٢) . وعصر الحسن هذا يحتاج الى التأنى في النظر ، والتفكير ، والتدبر لأنه عصر تحول حضارى بدا على سطحه كثير من المتناقضات .

فهؤلاء هم الصحابة عليهم رضوان الله تعالى يحاولون التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلًا وطبع المجتمع بهذا الطابع . قال تعالى : " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا " (٣) .

وقد ذاقوا ثمره جهادهم النفسى والمادى مما نتج عنه انتشار راية الاسلام فى جميع بقطاع الأرض .

(١) سورة الأنفال آية ٤

(٢) سورة محمد - صلى الله عليه وسلم - آية ١٢

(٣) سورة الأحزاب آية ٢١

ولو بقي الحال على ذلك لرأينا المدل يأخذ مجراه في كل ناحية من النواحي ،  
والحرية الصحيحة تسير في طريقها ، والسعادة الحققة للبشرية تؤتى أكلها . " وما ريسك  
بظلم للمبيد " (١)

ولكن واجهت الأمة في سيرها عقبات • نتاج هذا التحول ولم يكن ذلك سوى  
خدر المادية الباردة ، والانحطاط الخلقى والروحى الذى بدأ يظهر بسبب رؤسب  
الجاهلية الأولى التى أخذت تطل برأسها مرة أخرى • هذا الى تراث حضارات الأمم  
التي تقوض بوانها تحت قوة الاسلام المؤثرة •

وما أصيبت أمة بمثل هذا الا كانت فريسة للادوا" الخلقية والاجتماعية ، وتعرضت  
لنهب الأعداء ، وخواء الروح ، وفساد الظاهر ، وافلاس الباطن ، وعبادة الشبهوات  
والتنافس القاتل فى الحياة • وما أصيبت بذلك أمة الا ضاعت ، وانتكست ، وطويت  
مع الأم الفابرة •

وقد أنبا بهذا الخطر المصطفى صلى الله عليه وسلم حينما قال : " فوالله  
ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان  
قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم " (٢) •

ولقد بدا الخطر الذى تخوفه الرسول صلوات الله وسلامه عليه على هذه الأمة  
وبلغ أوجه فى عهد بنى أمية • ولكن الله تعالى لطف بهذه الأمة اذا كانت شجرة الايمان  
قد استوت على سوقها فلم يكن نبتا غربيا • وكانت التربة صالحة لأن تمد المجتمع بنجدة  
من الدعاة المؤمنين المخلصين الذين نظروا فى هذه الأمة بجد ، للأخذ بيدها الى  
ما فيه عزها وسمادتها •

وفى مقدمة هؤلاء الدعاة الداعية المخلص " الحسن البصرى " وللتعرف على هذا

المصير وتقدير الجهود التى بذلها امامنا يقتضى ذلك تقسيمه الى ثلاثة فصول :

الفصل الاول : الاحوال الاجتماعية

الفصل الثانى : الحالة السياسية

الفصل الثالث : الاحوال الفكرية

(١) سورة فصلت آية ٤٦

(٢) رواه مسلم عن عمرو بن عوف •

## الفصل الأول

### الأحوال الاجتماعية

الحديث عن الأحوال الاجتماعية لعصر من عصور التاريخ ولأمة من الأمم ،  
يقصد به عادة التحدث عن حالة الفرد ، والأسرة ، والمعاملات بين الناس ، والعادات  
والتقاليد الأصلية والرحلية ، وما يتصل بالمرأة والجنس واللون ، والطعام والشراب  
والثياب والسكنى الخ ...

فإذا أردنا الحديث عن عصر الحسن من الناحية الاجتماعية فمعنى هذا  
أننا نتحدث عن جزء كبير من الأحوال الاجتماعية في عهد الخلفاء الراشدين . وفي  
عهد بنى أمية لأن الحسن البصري عاش فيما بين ٢١ ١١٠ هـ ، أي أدرك جزءاً  
من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعاش حتى وافته المنية في خلافة هشام بن  
عبد الملك ( ١٠٥ - ١٢٥ هـ ، ٧٢٤ - ٧٤٣ م ) .

#### في عهد الخلفاء الراشدين :

ظل العالم بعمامة ، والمرب بخاصة رديحاً من الزمن قبل رسالة الاسلام في قلق  
واضطراب يتطلع الى من يأخذ بيده الى الرشاد حتى سعدت البشرية برسالة المصطفى  
عليه الصلاة والسلام .

قال عز من قائل : " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به  
الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويسهديهم  
الى صراط مستقيم " (١) .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : " مثل ما يمشي الله به من الهدى والمسلم  
كمثل الفهد الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب  
الكثير وكانت منها أجادب - في رواية اخاذات - أمسكت الماء ، فنفخ الله بها الناس ،  
فشربوا وسقوا وفرغوا - في رواية ورغوا - وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان

لا تمسك ما ولا تنهت كلاً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، وثقعه ما بحثني الله له ،  
فعلمه وعلمه ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت  
به " (١) .

كما قد صور هذا المعنى الأستاذ " ج . هـ . ديسون " اذ يقول : " ففى  
القرنين الخامس والسادس كان العالم المعتمد على شفا جرف هار من الفوضى لأن العقائد  
التي كانت تدين على اقامة الحضارة كانت قد انهارت ، ولم يك ثم ما يعتقد به ممسكاً  
يقوم مقامها ، وكان يبدو أن المدنية الكبرى التي تكلف بناؤها جهود أربعة آلاف سنة  
مشرفة على التفكك والانحلال ، وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية الى ما كانت عليه من  
الهمجية ، اذ القبائل تتحارب وتتناحر ، لا قانون ولا نظام . أما النظم التي  
خلقتها المسيحية فكانت تحمل على الفرقة والانهايار بدلا من الاتحاد والنظام ،  
وكانت المدنية كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها الى العالم كله واقفة تنزج وقد تسرب اليها  
العطب حتى اللباب . . . وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وجد  
العالم جميعه " (٢) .

وقد أثبتت الأدلة القطعية أن محمداً كان صاحب هذه الرسالة ماورا بها من الله  
سبحانه . " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله  
يعصمك من الناس . . . " (٣) .

ولم تكن رسالته عليه الصلاة والسلام محلية وإنما كانت عامة وشاملة . قال تعالى :  
" وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (٤) ، وقال تعالى :  
" وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " (٥) .

كما أن السنة النبوية آيدت ذلك بدليل كتبه صلى الله عليه وسلم الى الملوك يدعوهم  
فيها الى الاسلام . يقول أنس بن مالك رضى الله عنه : " ان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم كتب الى كسرى والى قنصر والى النجاشي يدعوهم الى الله تعالى وليس بالنجاشي

- 
- (١) رواه البخارى في كتاب العلم ومسلم والنسائى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه  
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال . . .  
(٢) " المواطن كاس للحضارة " عن كتاب : الاسلام والنظام العالمى الجديد - تأليف  
مولاي محمد على وترجمة أحمد جوده السحار .  
(٣) سورة المائدة آية ٦٧ (٤) سورة نبا آية ٢٨ (٥) سورة الأنبياء آية ١٠٧

الذى صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم \* (١) .

ولم يلحق الرسول عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى حتى أتم تبليغ الرسالة . قال تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً " (٢) .

غادر الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الحياة والرسالة كاملة حمل أمانتها بعده الرجال الذين آمنوا به وصدقوه وصدقوا الله ما عاهدوه عليه . وهكذا حتى انتشرت دعوته فى الداخل والخارج فسمى هؤلاء الذين استجابوا لله وللرسول وسعدوا ببلقائه بالصحابة . هؤلاء الرجال ظلوا يقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم فى جميع شؤونهم حتى كونوا مجتمعاً مثالياً أصبح أنموذجاً ومثلاً لكل أمة تريد أن تقيم مجتمعاً سعيداً ناجحاً الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

### اهتمام الاسلام بالفرد :

اهتم الاسلام بالفرد كثيراً . ومن أهم مظاهر هذا الاهتمام ما يلى :

أ - قبل أن يوجد فى هذه الحياة أوصى الاسلام باختيار كل من الزوجين على أساس سليم . حتى يخرج الفرد الى الدنيا صحيحاً معافى .

قال صلى الله عليه وسلم : " تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء " (٣) .

ب - وبعد أن يخرج الى الوجود نرى الاسلام قد عنى بتربيته بدنياً : وذلك بالحرص على نظافة جسمه ، وثوبه ، ومكانه . وتحميده على الأكل من الطيبات وعدم الاسراف . . قال تعالى : " وكلوا واشربوا ولا تسرفوا " (٤) . كذلك تشجيعه على ممارسة الألعاب الرياضية أسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم . وتربيته عقليا : وذلك بالقراءة ، والكتابة ، والتعلم ، والتأمل ، والتفكير ، والسياحة فى الأرض قال تعالى : اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم " (٥) ، وقال تعالى : " ان فى خلق السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولى الألباب " (٦) . وروحيا :

- (١) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٦ كتاب الجهاد . باب كتب النبي الى ملوك الكفار يدعوهم الى الاسلام . (٢) سورة المائدة آية رقم ٣ . (٣) رواه ابن ماجه والدارقطنى عن عائشة مرفوعاً به ومداره على أناس ضعفاء . رواه عن هشام وكل طرقه ضعيفة . (تميز الطيب من الخبيث . . للشيبانى الشافعى الأثرى) . (٤) سورة الأعراف آية ٣١ (٥) سورة الملوك الآيات ١ - ٥ . (٦) سورة آل عمران آية ١٩٠ .

وذلك بإبراز الفضائل ، والقذوة الصالحة ، وتلقينه المبادئ الصحيحة ، وتدريبه على العبادات قال صلى الله عليه وسلم : " مرو أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع " (١) والمعاملة الطيبة على أساس الملاطفة وتخفيض الجناح .

كما اهتم الاسلام بالفرد في جميع مراحل حياته ، كذلك اهتم به أيضا بعد مماته . وإذا كان الاسلام اهتم هكذا بالفرد وأعطى له من الحقوق ما بهيئته لأداء رسالته في الحياة فقد ألزمه بواجبات في مقدمتها : طاعة الله ورسوله والتزام حدود الدين وأداء الفرائض " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " (٢)

والجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى ، والحفاظ على الوطن ، والعرض ، والمال ، والتعاون على البر والتقوى ، وترك كل ما يؤدي الى معصية الله ورسوله . ولعظم هذه الواجبات لم يتركه الله سدى " أيمسب الانسان أن يترك سدى " (٣) بل خلق فيه عقلا يرشده الى الطريق السوي وأرسل اليه الرسل والكتب لتزهد من رشاد هذا المقل حتى يحسن خلافة الله في أرضه . وكما ذكرنا هذه الواجبات التي ألزم الله بها الفرد فقد ذكرنا أنه قابليها حقوق متعددة مثل : حق الحياة ، والحرية ، والمساواة ، والتعليم ، والتمتع بشار كفاحه ، وحق الكرامة ، والتملك الى غير ذلك مما هو مسدود في التراث الاسلامي . هذه النظرة للفرد من جانب الاسلام طبقها الصحابة الذين نهلوا من النبع العاشق لهذه الدعوة ، وتربوا على يدى الرسول صلى الله عليه وسلم . وابتدوا بالنفس والمال . وكان الحب والاخاء والتعاون والايثار شعار مجتمعهم حتى أدهشوا العالم أجمع . رضى الله عنهم ورضوا عنه .

#### الأسرة في ضوء الاسلام :

بعد أن تحدثنا عن اهتمام الاسلام بالفرد — وأنه اللبنة الأولى لبناء الأسرة — يجى الحديث عن الأسرة وأنها اللبنة الأولى لبناء المجتمع اذا صلحت صلح المجتمع كله وإذا فسدت فسدت المجتمع . هذه الأسرة اهتم بها الاسلام كما اهتم بالفرد وحدد لها القوانين التي يجب أن تسير عليها من أساس لقيام الزواج على نطق ، وحقوق وواجبات بالنسبة للزوجين ، والنسبة للوالدين . كما بين الاسلام نظام الميراث الذي يكفـبل السعادة للمجتمع .

(١) أخرجه أبو داود والحاكم من حديث عمرو بن شعوب عن أبيه عن جده وهو ضعيف .  
(٢) سورة الذاريات آية رقم ٥٦ (٣) سورة القوامه آية رقم ٣٦



وإذا كانت الأسرة تتعرض لأذى مختلفة فقد وضع الاسلام العلاج الناجح الذى لو استعملته الأسرة لصالح حالها وطاشت فى أمن واستقرار كما رد الاسلام على كل المفترحات التى تتعرض لها الأسرة مثل : تعدد الزوجات ، والطلاق والحضانة ، ونفقات الأولاد .. مما هو مبسوط فى كتب الفقه الاسلامي ..

### نظرة الاسلام الى الرقيق :

جاء الاسلام فوجد نظاما راسخا رأى من الحكمة القدر في علاجه ألا وهو نظام الرق اذ كان من حق السيد الذى يملك رقبة أو أكثر أن يتصرف فيه بما يريد . ولكن الاسلام أخذ يضيئ هذه الدائرة حتى انحصرت فى أسرى الحرب فقط بل عمل على حرمة بشئ الطرق والوسائل . فانتنا نجد كثيرا من الأخطاء والذنوب التى يرتكبها الانسان التكفير عنها لا بد وأن يكون بتحرير رقبة ان وجدت مثل : قتل الخطأ قال تعالى : " وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يعفو قوا فان كان من قوم عدوكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهليهم وتحرير رقبة مؤمنة " فممن لم يجسد فضيلة تحرير الرقيق من قبل الله وكان الله عليهما حكما (١) وكذلك الظهار الوارد فى سورة المجادلة ، قال تعالى : " .. والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يمسوا ذلكم تعظون به والله بما تعملون خبير " (١) ، ومن قال لمملوك " أنت حر أو عبدى حر أو عتق أو ما أشبه ذلك من كل ما يؤدي هذا المعنى " فانه يعتق . يحفز الى ذلك ويرغبه فيه ما ورد من النصوص فى فضل العتق وجزيل الثواب عليه اذ يقول تعالى : " فلا تقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة " (٢) . وعن البراء ابن عازب قال : " جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمنى عملا يدخلني الجنة ، قال : اعتق النسمة وفك الرقة . قال : أوليس واحدا ؟ قال : لا ، اعتق النسمة أن تتفرد بمعتقها . وفك الرقة أن تحمين فى ثمنها .. " (٣) . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا من أعضائه من النار حتى فرجه بفرجه " (٤) . وهناك الكثير من الأخطاء والذنوب التى يتسبب عنها تحرير رقبة بطول ذكرها مثل جريمة الوطء فى نهار رمضان عدا ، والحنس

(١) سورة النساء آية رقم ٩٢

(٢) سورة المجادلة آية رقم ٣

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٧٣ - ١٧٤

(٤) صحيح مسلم للإمام النبوي ، ج ٢ ، ص ٤٦١

(٥) صحيح مسلم ، ج ١ ، ص ١٥١

فى اليمين المنقذة ، وزواج الحرة بالرقيق . . . كما أن هناك ما يدخل ضمن المتيق ولو كان معلقا مثل : التدبير ، والنذر ، والحق على صفة ، والمكاتبة . . .

لم يقتصر الاسلام على ذلك بل شرع للرقيق من الحقوق ما هو باعث لرحمته والحفاظ على كرامته . قال تعالى : " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب السب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا " (١) . فلهم من الطعام ، والشراب ، والثياب والسكنى . . ما للسيد والا كان آثما ولربه عاصيا .

وعن المعسر بن سويد قال : " رأيت أبا ذر الفزارى رضى الله عنه وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك ، فقال : ساءت رجلا فشكاني السى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أعيرته بأمة ، انك امرؤ فيك جاهلية ، ثم قال : ان اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم ما يغلبهم ، فاعينوهم " (٢) . . الى آخر الآيات والأحاديث الدالة على ذلك مما يوضح المقام عن ذكره .

#### تهذيب الاسلام للسلوك الاجتماعى :

اهتم الاسلام بالسلوك الاجتماعى فعدا الى تطهير المجتمع من كل ما يشين الكرامة الانسانية ويضعف على الذين يشجعون على الفاحشة " ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون " (٣) . وأقام أخلاق الناس على أسس انسانية رفيعة صالحة لكل زمان ومكان . قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب " (٤) . وقال أيضا : " وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها " . (٥) . وقال كذلك : " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم

(٢) رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما

(٤) سورة الحجرات آية ١١

(١) سورة النساء آية ٣٦

(٣) سورة النور آية ١٩

(٥) سورة النساء آية ٨٦

حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها .. (١) وقال صلى الله عليه وسلم : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " (٢) .

وفي خطبة الوداع لخص النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الآداب المطلوبة للسلوك الاجتماعي في قوله : " كل المسلم على المسلم حرام . دمه وماله ، وعرضه " (٣) من هذا يتبين لنا أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم التزموا بالاسلام كله ايماناً وعملًا وتطبيقاً . سواء كانوا في مكة أو المدينة أو الشام أو العراق . . وما حدث بين بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما هو من مقتضيات الطبع البشري وما يوههم الميل عن الرسالة الحقة . فهو لا يخفى عن أن يكون هذا ما نسب اليهم يوههم مدسوسا عليهم لأجل أن يشوه تاريخهم أو عدم فهم للأحداث التي كانت موجودة في هذا العصر أو هو كان محاولات للاجتهااد في الرأي مع سلامة الهدف وهو الحفاظ على هذه الرسالة .

وقد نظم أعداء الاسلام حملتهم للقضاء عليه في القديمو الحديث بأسلوب منسق ومنتق هذه الحملة في أسس أربعة أشار اليها الدكتور ابراهيم شعوط وهي :

- ١ — التشكيك في مصدر الاسلام نفسه وهو القرآن الكريم . .
- ٢ — الخط من مقام صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام . .
- ٣ — تشويه سير الأبطال والقواد . .
- ٤ — استغلال الخلافات المذهبية في رضى الفريقين بالكفر . . (٤) .

التحول الحضارى فى المجتمع الاسلامى بعد عصر الراشدين :

كان عصر المجتمع الاسلامى فى عهد الخلفاء الراشدين من أحسن المصهور وأعظمها أثرا فى تاريخ البشرية . وقد رأينا كيف أنهم كانوا يحاولون تطبيق الاسلام تطبيقا كاملا فى أحوالهم الاجتماعية . ولولا الأحداث الأخيرة فى أواخر هذا العهد الزاهر من قتل للخليفين الثالث والرابع وحروب دامية بين المسلمين . . لكان الأثر أعظم والنتيجة أفضل . ومع ذلك لم تتوقف ثقافة الاسلام عن المعنى الى غايتهما . وإذا بحثنا عن السر فى حدوث هذا التغيير فى المجتمع العربى والاسلامى لوجدنا أن من أهم الأسباب هو بعض ما ترتب على الفتوحات الاسلامية فى الشرق والغرب . . لأن الأحوال

(١) سورة النور آية ٢٧

(٢) البخارى كتاب الآداب ، ومسلم كتاب البر والصلة .

(٣) صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٤) أباطيل يجب أن تمنى من التاريخ للدكتور شعوط — الطبعة الثالثة .

الاجتماعية التي كانت سائدة في البلاد المفتوحة كالفرس ، والروم ، والشام ، و مصر لم يسبق للمسلمين العرب أن تأثروا بها لأنهم كانوا في شبه عزلة عن العالم المملوء بالمعادات والتقاليد التي لا تلائم الدين الجديد . حتى أنهم لما فتحوا هذه الأقطار عاشوا أيضا في معسكراتهم بالبصرة والكوفة والفسطاط في شبه عزلة عن المجتمع الجديد الذي فتحوه لاعلاء كلمة الله تعالى . ولكن بمجرد أن جاء المهدي الأموي لم يلبث العرب أن اختلطوا بالمجتمع المفتوح واندمجوا فيه تدريجيا . تارة عن طريق المعاصرة وتارة أخرى عن طريق المشاركة في الأعمال المختلفة مثل : الزراعة والتجارة وبخاصة بمقد أن أقبل أهل الفتح على هذا الدين الجديد وأخذوا ينهلون منه ما حببهم فيه وفي أصحابه .

ونج عن هذا الاختلاط والاندماج تلقى العرب لبعض عادات وتقاليد هذا المجتمع وما ساعدهم على أخذ هذه العادات . . اقتداء بعض خلق بني أمية بحكام الفرس والروم من حيث الأخذ بمظاهر الحضارة الأجنبية والتمتع بمباهج الحياة والاقبال على ألوان اللهو والترف الى غير ذلك من زينة الدنيا . وظهر هذا بجلال ووضوح لكل من يلقى نظرة سريعة على المجتمع العربي قبل أن يتشرف برسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام . وما أحدثه الاسلام فيه من تحول حضاري . ويصور هذا المعنى الأستاذ أحمد حسن الزيات فيقول : " كانت نافذة الحياة أيام الجاهلية خائرة الحزيمة ، والعالم يتأخر في هيكله المنحل عوامل البلى من وثنية وثيق السروج ، وجاهلية توشق العقل ، ومادية ترهق الجسد ، وكانت الولاية على الدنيا في ذلك الحين لأعقاب من الروم سفهمم الفسوق والترف ، وأخلاف من الفرس هدهم الفلول والطمع ، والناس عدا هؤلاء أوزاعهمج " (١) . فبعد أن كانت الطبقة من سادة وعبيد ، وأقبال الكثيرين على أسباب الانهيار من شهوات طاحنة وترفة قاتل في شتى المظاهر . أصبحنا نرى — بعد مجي الاسلام — الأخوة الصادقة ، والتمسك بالعدل ، والتسامح ، والمساواة الحقة ، والعدالة الاجتماعية ، وتحرير الشعوب من ربقة المبودية ، واعطاء المرأة حقوقها كاملة ما رفع من شأنها واسترد كرامتها . . وساد التواضع والبساطة وعم الأمن والسلام بفضل رسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

#### بعض مظاهر الحياة الاجتماعية :

من مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر الحسن البصري ما يتصل بالمسكن واللباس والطعام ، والشراب . . الذي لا يخلو منها — عادة — مجتمع من المجتمعات

(١) وحى الرسالة للأستاذ أحمد حسن الزيات ، ج ١ ، ص ٣٠

ولا أمة من الأمم غاية ما في الأمر نجد لها تختلف باختلاف الاقبال على الدنيا والتقلل منها على قدر الحاجة وكما نسمع دائما " الناس على دين ملوكهم " .

ففي عهد الخلفاء الراشدين كانت هذه المظاهر — من مسكن وثياب وطعام وشراب — على حد البساطة وعدم التسقيف ولم يكن هذا عن فقر وشدة فقط وإنما كان عن زهد وتقشف عملا بكتاب الله تعالى : " .. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور .. " (١) واتقوا " برسول الله صلى الله عليه وسلم " .

ومصور لنا صاحب الفخرى هذه المظاهر بالنسبة لعصر الراشدين فيقول :  
 " اعلم أنها دولة لم تكن من طراز دول الدنيا ، وهي بالأمور النبوية والأحوال الأخروية أشبهه . والحق في هذا أن زعماءها قد كان زى الأنبياء ، وهدى هدى الأولياء ، وفتوحها فتوح الملوك الكبار . فأما زعماء الخشونة في العيش والتقليل في المطعم والملبس . كان أحدهم يمشى في الأسواق راجلا وعليه القميص الخلق المرفوع الى صريف مرفقه . وكان طعامهم من أدنى لطعم فقراهم فقراهم . " ~~ضمير~~ ~~عرب~~  
 أمير المؤمنين المثل بالعدل والخير التقى فقال في بعض كلامه ولو شئت لأهديت الى مصفى هذا الدسل بلباب هذا البر . وأعلم أنهم يتقللوا في أطعمتهم وملبوسهم فقرا ولا عجزا عن أفضل لباس وأشهى مطعم ، ولكنهم كانوا يقدرون ذلك مواساة لفقرا رعيهم وكسرا للنفس عن شهواتها ، ورياسة لها لاعتاد أفضل حالاتها . ولا فكل واحد منهم كان صاحب ثروة ضخمة ونخل وحدائق وغير ذلك من الأسباب (٢) .

ليس هذا فقط بل كانوا يراعون دائما الأمور التي تحفظ عليهم حياتهم عاملين بقوله تعالى " وكلوا واشربوا ولا تسرفوا .. " (٣) ، وقوله عليه الصلاة والسلام :  
 " ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فاعلا فثلك لطعامه وثلك لشربه وثلك لنفسه " (٤) .

- (١) سورة الحديد آية رقم ٢٣  
 (٢) الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن طهطا ص ٢٠ — ٢١  
 (٣) سورة الأعراف آية ٣١  
 (٤) أخرجه الترمذى وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن المقداد بن معد يكرب .

فكان يحوطينهم من وراء هذه المظاهر كلها اطار من الآداب والرقى الحضارى كان شعار سلوكهم فيه طهارة الظاهر والباطن • كما كانوا يستعملون امكانيات عصرهم لا يتخلفون عنه • وذلك ما روى الامام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعمل السكين فى قطع اللحم • وعلى سنته سار المسلمون • وحينما يريدون الطعام ييسطون سباطا على الأرض ثم جلسوا صفيين من حوله • وكان من أفضل أطعمتهم " الشريد " فوqe اللحم وأنواع أخرى من الطعام • (١) •

أما ملابسهم فقد كانت هى الأخرى يحكمها اطار البساطة مخالفة من التأنق ، والتطريز والخيلاء • وكان الشائع فى الاستعمال فى هذا الوقت العصامة ، والجبة ، والعباءة • كما استخدموا قطعة كبيرة من القماش ، تتدلى على الكتفين لحماية الرأس ومؤخرتها من ضربة الشمس • هذا الى خشونة الملابس التى كانت تغزل من صوف الأغنام أو وبر الجمال • وقد انتقلوا نمالا خفيفة ثقى أقدامهم من الرضاء •

وإذا عرجنا على مساكنهم نجد لها منازل تبني من اللبن وتسقف بجذوع النخل وهكذا حتى أن العرب الأوائل حينما فتحوا البلاد وشهدوا البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان كانت هى الأخرى بهذه البساطة الى أن اتخذ الأمويون دمشق عاصمة لهم (٢) •

هذا الأسلوب فى الحياة تأثر به بالنبي عليه الصلاة والسلام • قال الحسن البصرى : " كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بهدى السى السقف " (٣) • وقال عبد الله بن عمر : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا ، فقال : ما هذا ؟ قلنا : خص لنا قد وهى ، فقال : أرى الأمر أعجل من ذلك •• (٤) •

تطور هذه المظاهر فى العهد الأموى :

عرفنا مما سبق كيف كانت حياة الصحابة فى عهد الخلفاء الراشدين • ولآن

- (١) تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى للدكتور حسن ابراهيم ج ١ ، ص ٦٥٠ - ٦٥١ ، وفى هذا الكتاب تفصيل لأنواع الطعام والشراب • فى عصر الحسن • وكتاب زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم ج ٤ ص ٢٠٨
- (٢) تاريخ الاسلام السياسى والثقافى •• للدكتور حسن ابراهيم ج ١ ص ٦٤٨ وما بعدها وكتاب : الشرق الأوسط فى موكب الحضارة للأستاذ محمد منصور أحمد ج ٣ ، ص ١٩٧

(٣) احياء علوم الدين للنفزالى ج ٤ ص ٢٣٦ •

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وصححه •

لنصرف كيف تطورت هذه المظاهر في العهد الأموي حتى شَمَّ الجميع بهج الجاهلية  
الضالة . بدأ التطور كما ذكرنا بسبب الفتوحات الإسلامية ، وتأثر المسلمين بالأجانب  
وأنواع الحضارات الأخرى . . . .

ذلك لأن الفتوحات الإسلامية لم تكن غزوا للشعوب بالقوة ، ولا استعمارا للاستغلال  
الاقتصادي على نسق الاستعمار في القرون الأخيرة . إنما كانت إزالة للقوة المادية  
للدولة التي تحسب دون الشئ ~~محبوب~~ ~~ودون~~ ~~الديني~~  
الجسدي ، الذي أنزل به الله تعالى على قلبه محمد صلى الله عليه وسلم  
وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور . هذا اللون من طهيرة الدعوة الإسلامية التي  
خرجت على المجتمعات لتحل سداحتها وهدفها . جعل حكام المسلمين يقررون كثيرا  
من الموظفين في بلادهم المفتوحة على وظائفهم التي هي دون الولاية ، مطبقا على دينهم  
ولم يمسلموا ، وأخلصوا في العمل للصالح العام . كذلك نجد أن عمر بن الخطاب  
حينما فتحت فارس استبقى الأرض لأهلها وفرض عليها الخراج - ولو أنهم قاتلوا المسلمين  
- لأجل مصلحة أهل البلاد المفتوحة ، والأجيال القادمة من المسلمين . . . . هذا  
إلى المعاملة الإنسانية الكريمة للبلاد المفتوحة دون النظر إلى اختلاف اللون ، أو الجنس  
أو الدين ، أو اللغة . . . . وهذه هي الوحدة الوطنية النظيفة بأجلى معانيها بأدلة  
من التاريخ مشهورة وواضحة بآدنى نظر أو تفكير . ثم أخذت موارد المسلمين تتسع  
باتساع رقعة الاسلام وقوا إلى الفتح ، فأخذ الرخاء يشمل شيئا فشيئا جموع المسلمين  
على السواء لمشاركهم جميعا في موارد بيت المال . . . (١) واستمرت هذه السياسة  
في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقله كان أيضا  
يسوى بين الناس في العطاء . جاء بعض المسلمين فقالوا : يا خليفة رسول الله :  
إنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس ، ومن الناس من لهم فضل ، وسوايق ، وقدم ،  
فلو فضلهم ؟ قال : وأما ذكرت من السوايق والفضل ، فما أمرتني بذلك ، وإنما  
ذلك شيء ثوابه على الله . وهذا معاش فالأسوة فيه خير من الأثرة . فلما جاء عمر قال :  
إن أبا بكر رأى في هذا المال رأيا ، ولما فيه رأى آخر . لا أجمع من قاتل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه . . فضل أهل السوايق والمشاهد في الفرائض (٢) .

(١) المدالة الاجتماعية في الاسلام للأستاذ سعيد قطب ص ١٢٢ - ٢٠٦ .

(٢) الخراج لأبي يوسف ص ٤١ - ٤٣ ، والأحكام السلطانية للماوردي



وعلى كل فلهذين الرأيين - رأى أبى بكر وعمر - أصل فى الاسلام ومع هذا فان رأى أمير المؤمنين أدى الى تضخم الأموال عند بعض المسلمين مما جمعه يقول قولته المشهورة فى آخر أيام حياته : " لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم فرددتها على الفقراء " ، هذا التضخم أدى الى وجود طبقة أرستقراطية يأتونها المال دون تعب أو مشقة • وهذا هو الترف الذى حاربته دعاة الاسلام •

ويصور هذا المعنى الدكتور طه حسين فيقول : " ففريق من كبار الصحابة كانوا يملكون كثيراً من المال السائل والجامد فى الحجاز ، فما أسرع ما أنفقوا ما لهم هذا ، سائله وجامده فى شراء الأرض فى الأقاليم ، لأنهم كانوا يعلمون أن أرض الأقاليم أخصب تربة ، وأكثر ثمرة ، وأيسر استفاداً من أرض الحجاز • فطلحة بن عبد الله كان قد جد واجتهد ودأب حتى اشترى عامة أسهم خيبر من الذين شهدوا فتحها مع النبى - صلى الله عليه وسلم - أو من ورثتهم • فلما فتح عثمان هذا الباب بساع طلحة كل ما كان يملك من أسهم خيبر لأهل الحجاز ممن شهد فتح العراق ، بما كانوا يملكون هناك • ثم كان له مال آخر كثير ، فاشترى به من بعض أهل الخجستان أرضهم فى العراق ، واشترى من عثمان نفسه أرضاً كان يملكها فى العراق بأرض كان هو يملكها فى الحجاز • وفعل الناس فعله فكل من كره الهجرة من الخجستان ليقيم بأرضه فى الأقاليم باع أرضه تلك واشترى مكانها أرضاً فيها يلبه • وشأ عن ذلك أولاً أن ظهرت الملكيات الضخمة فى العراق وغيره من الأقاليم ، فالذين استطاعوا أن ينتفعوا بهذا الانفطاح إنما هم أصحاب الأموال الضخمة الذين كانوا يستطيعون أن يشتروا من أصحاب الملكيات الصغيرة ما يملكون ، فاشترى طلحة ، واشترى الزبير ، واشترى مروان بن الحكم ، وكثر النشاط المالى فى ذلك العام من بيع وشراء واقتراض واستبدال ومضاربة • ثم لم يقتصر ذلك على الحجاز والعراق ، وجدت الاقطاعات الكبيرة الضخمة والضخاع الواسعة المربوطة من جهة ، وقام فيها العاملون من الرقيق والمولى من جهة أخرى وظهروا فى المسلمين طبقة جديدة من الناس هى طبقة " البلوتقراطية " التى تمتاز الى أرستقراطيتها التى تأتونها من المولد بكثرة وضخامة الثراء وكثرة الأتباع أيضا • • • وقال كذلك : " وشأ عن هذا بعد ذلك أن جلبت الحضارة جلباً الى الحجاز وغيره من بلاد العرب ، فكان الترف والتبطل ، وكانت الفنون التى تنشأ عن الترف والتبطل ، فكان الغناء والابطاع والرقص والشعر الذى لا يصور جداً ولا نشاطاً ، وإنما بصور بطالة وفراغاً ونها لك • لالى جانب هذه الطبقة الارستقراطية الفارغة عاش الرقيق الذين كانوا

يملكون سعادتهم وبدون حياظهم ، ثم الى جانب السلطنة الأرقطية ،  
عاش طبة أخرى من العرب البادية المحرومين لم تملك قط أرضا في الحجاز لتبنيها  
بأرض في العراق ، ولم تملك قط أرضا في العراق لتبني بها أرضا في الحجاز (١) .

من هذا نعلم أن العرب المسلمين أصبحوا يقلدون الحضارة البيزنطية وحكام  
الروم تارة والحضارة الفارسية تارة أخرى . وغنوا مثلهم غناية كبيرة بالإنشاء والتمسير  
وأصبحوا يهتمون خاصة - الخلفاء والحكام - بإقامة القصور وتشيد ها واهتموا كذلك  
بفخامة المساجد وتزيينها . وأخذ التخطيط يفصل فعلة لإقامة الحياة الناعمة والسني  
تبعث على البهجة والسرور . وكان من مظاهر هذا الترف احاطة القصور بالحدائق الفناء  
المملوءة بالفواكه والنباتات الجميلة ونافورات المياه التي تلطف الجو في الصيف بجانب مظهرها  
الجمالى . هذا عدا المفروشات الوثيرة والسجاجيد الفاخرة والمصنوعات اليدوية الجميلة .  
وكان التقليد في الثياب أيضا فترى الخلفاء والحكام ومن على شاكلتهم من القادرين يرفلون  
في الثياب المزكفة بينما كان العامة يلبسون الجلباب والسراويل والقطنية والخمعة . اللهم  
الا البد وقد ظلوا على حالتهم داخل شبه الجزيرة يزيهم المعتاد الذي ألفوه وكان عبارة  
عن الثياب الفضفاضة هذا الى تمنطقهم بجزام في الوسط . وإذا ذكرنا أسلوبهم في فن  
اعداد الطعام والشراب فحدث ولا حرج . الى آخر هذا الترف الذي تمكن من النفوس  
الضعيفة وأثر في مظهر الايمان الصادق . ومن الأدلة على ذلك ما حكى عن يزيد بن  
عبد الملك أنه حج في خلافة سليمان بن عبد الملك ، فاشترى جارية - وكان اسمها العالية  
- بأربعة آلاف دينار فقال سليمان : هممت أن أحجز على يزيد ، فرد يزيد " حبابة "  
فاشترها رجل من أهل مصر . فلما ولى يزيد الخلافة قالت له زوجته سعدة : يا أمير المؤمنين :  
هل بقى من الدنيا شيء تنصاه بعد ؟ قال : نعم : حبابة . فأرسلت سعدة رجلا  
فاشترها بأربعة آلاف دينار . فأراحتها حتى ذهب عنها كلال السفر ، ثم أتت  
بها يزيد ، فأجلسها من وراء الستر وقالت : يا أمير المؤمنين : أبقى شيء من الدنيا تنصاه ؟  
قال : ألم تسأليني عن هذا مرة فأعلمتك ؟ فرفضت الستر وقالت : هذه حبابة . فحظيت  
سعدة عند يزيد وأكرمها وجابها (٢) . . . .

ورغم كل ما حدث فان هناك في العصر الأموي ما كان تاجا في جبينه ألا وهو  
عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذي أعاد عهد جده الأعلى عمر بن الخطاب .

(١) الفتنة الكبرى - عثمان للدكتور طه حسين ص ١٠٤ - ١٠٦ ، طبع دار المعارف

بمصر سنة ١٩٦٤ م .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٨ ص ١٧٨ - ١٧٩ .

كذلك وجدنا الفيورين على الهين - أمام هذا التيار الجارف من المادية -  
لم يسكتوا عن هذه الأفعال المشينة للمجتمع الاسلامي • بل تصدوا لهذا التيار  
في قوة وشجاعة لا يخافون في الحق لومة لائم عاملين بقوله تعالى : ادع الى سبيل  
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن .. (١)

## الفصل الثانى

### الحالة السياسية

ذكرنا فى الفصل الأول أن الحسن عاش فى عهدين متباينين (١) . عهد الخلفاء الراشدين المثالى وعهد بنى أمية الذى بدأ يتطور من حالة المثالية التى حالة دونها . وإذا كان هذا فى الحالة الاجتماعية والسياسية فهى هنا فى الحالة السياسية أوضح وقد أدرك الحسن بهذا نوعين من الحكم . نوع الدين فيه قائم والأمر شورى بين المسلمين " وأمرهم شورى بينهم " (١) . والخليفة فيه يعاينها صريحة مدوية : " .. أيتها الناس من رأى منكم فى أعرجا جا فليقومه فنجيبه الرجل من عامة الناس : والله لو وجدنا فىك أعرجا جا لقومناه بسوقنا : فلم تأخذ العزة بالائتم ولم يؤخذ بكلمته . بل أعلنها أمير المؤمنين الحاكم المسلم : الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - من يقوم أعرجا عمر بسيفه (عصر الخلفاء الراشدين لله كتور فاض ص ١٧٦) . كما أدرك الحسن حكم القلب والقوة والملك المضوض وقد اشتد واحتد وخطبهم يعاينها قائلا : " قال تعالى " فاتقوا الله ما استطعتم " فهذه لله وفيها مثوبة (٣) ، وقال : " واسمعوا وأطيعوا " وهذه لعبد الله وخليفة الله ونجيب الله ولعبد الملك ، أما والله لو أمر الناس أن يدخلوا فى هذا الشعب فدخلوا فى غيره لكنت دماؤهم لى حلالا . . (٤) .

وستتاول - باذن الله - فى هذا الفصل الحديث عن معنى السياسة ، والخلافة ، وأسس الحكم فى الاسلام وعصر الخلفاء الراشدين ، وما حدث من الفتن فى آخر عهدهم . كما نتاول جوان نظام الحكم فى عهد خلفاء بنى أمية خاصة المشرة الذين عاصروا الحسن رضى الله عنه . . .

### معنى السياسة :

- المراد بالسياسة لغة (٥) عبارة عن ولاية شئون الرعية ، والتدبير والاضطلاع بأمرها وفى الحديث الشريف : " كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء " (٦) ، أى تتولى (١) يرى الشيخ محمد أبو زهرة فى مذكرته عن الحسن البصرى أن العهدين متماثلان وهذا - فى رأى - بعيد .
- (٢) سورة الشورى آية ٣٨ . (٣) مثوبة : أى استثناء .
- (٤) مرجع الذهب ومعادن البوهر للمسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ - ج ٣ ص ١٥١ ، الطبعة الثانية سنة ١٩٤٨ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .
- (٥) لسان العرب - مادة سوس . ومنها : السوس الرئاسة يقال : ساسهم أى رأسهم . وساس الأمر سياسة قام به والجمع ساسة وسواس .
- (٦) رواه البخارى .

أمورهم ، كما يفعل الأمراء ، والولاية بالرعية . والسياسة القيام على الشئ ، بما يصلحه . ومعناها في صدر الاسلام كما عرفها العالم المسلم الماوردي بقوله : " الامامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا " (١) . .

### سياسة الحكم في الاسلام :

تقوم سياسة الحكم في الاسلام على أسس ثلاثة .

الأساس الأول : العدل من الحكم : وهذا العدل أمر به الباري عز وجل فقال :

" ان الله يأمر بالعدل " (٢) ، وأوصانا بالعدل مهما كان بغضنا للمحكوم عليه قال تعالى : " ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى " (٣) والرسول عليه الصلاة والسلام حملنا جميعا المسؤولية فقال : " كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته . فكلكم راع ومسئول عن رعيته " (٤) وقال أيضا : " ان أحب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا : امام عادل ، وان أبغض الناس الى الله يوم القيامة وأشد هم عذابا : امام جائر " (٥) .

الأساس الثاني : الطاعة بين الحكوميين : قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " (٦) وقال صلى الله عليه وسلم : " على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، الا أن يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة " (٧) . وقال أيضا : " اسمعوا وأطيعوا - وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبية ، ما أقام فيكم كتاب الله تعالى " (٨) .

الأساس الثالث : الشورى : قال تعالى : " وشاورهم في الأمر " (٩) . وقال كذلك : " وأمرهم شورى بينهم " (١٠) .

والمهم في هذه الأسس الثلاثة أنها لم تكن نظريات مجردة . بل أخذت

- |                                    |  |
|------------------------------------|--|
| (١) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٣ | (٢) سورة النحل آية ٩٠                              |
| (٣) سورة المائدة آية ٨             | (٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله بن عمر |
| (٥) رواه البخاري ومسلم والترمذي    | (٦) سورة النساء آية ٥٩                             |
| (٧) رواه البخاري ومسلم             | (٨) رواه البخاري                                   |
| (٩) سورة آل عمران آية ١٥٩          | (١٠) سورة الشورى آية ٣٨                            |

طريقها الى واقع الحياة • فحفظ " الواقع التاريخي " أمثلة متواترة (١) • سيظهر بعضها في الحديث عن الحكم في عهد الخلفاء الراشدين •

### نشأة الخلافة الاسلامية :

استطاع النبي صلى الله عليه وسلم — بتوفيق الله تعالى — أن يكوّن دولة عظيمة في بلاد العرب التي كانت يسيدة عن الأنظار في يوم من الأيام وازدادت هذه الدولة بعده حتى وصلت حدودها الى أطراف آسيا وأوروبا وأفريقية في مدة وجيزة • وكان الأساس لهذه الدولة — كما ذكرنا — العدل من الحكام ، وطاعة المحكومين ، والشورى التي ظهرت جليا في أعقاب غزوة بدر الكبرى في شأن الأسرى • فلما انتقل المصطفى عليه الصلاة والسلام الى الرفيق الأعلى كان لموته صدمة عنيفة علما بأنهم تلاوا قوله تعالى : " انك موت وانهم ميتون " (٢) • ولكنه الحب لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، والحرص على بقائه لزيادة الخير للبشرية وازدادت حيرتهم ودهشتهم خاصة لما أرادوا سياسة الدولة واختيار القائد والزعيم لها وكادت الفتنة تطل رأسها لولا أن الله عز وجل وفق المسلمين في سقفة بني ساعدة لاختار أبي بكر الصديق رضي الله عنه •

واستمر أبو بكر الصديق على النهج الذي سلكه الرسول عليه الصلاة والسلام • ومن هنا سمي أبو بكر " خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم " •

وصل أبو بكر الصديق الى هذه الخلافة بعد خلاف شديد بين المهاجرين والأنصار وجدال عنيف لأن كل فريق يرى نفسه أنه أحق بالخلافة — بالطبع لنفسه أو أمر الله تعالى — حتى وقف أبو بكر وأخذ يحرض عليهم وجهة نظره والخطورة التي تنشا عن هذا الجدل وأنه يخاف عليهم الرجوع الى عهد الجاهلية • وما اقترحه عليهم أن يولوا عمر أو أبا عبيدة (٣) • ولكن عمر رضي الله عنه يقطع بمبقرته وإخلافه لدينه هذا الخلاف الحاد وخاف فوات الفرصة فيقوم الى أبي بكر الصديق ومبايعته فمتابعه الناس وكانت هذه هي البيعة الخاصة حتى كان الغد وفي المسجد تقدم الناس الى مبايعة أبي بكر وكانت هذه هي البيعة الكبرى ومعناها لقبها ابرام عقد البيع بايجاب وقبول محققهما صفق الكفين وانتقل هذا المعنى الى تقديم الطماعة ،

(١) المدالة الاجتماعية في الاسلام ص ٩٦ — ٩٩

(٢) سورة الزمر آية ٣٠

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٤ ، ص ٢٠٨ •

وكتاب الفيروديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج ١ ص ٢٩٤ •

وطريقها أن يمسك الخليفة يده فيضع الناس يدهم فيها علامة الطاعة والخضوع ،  
 أى أنهم جعلوا فى يده " أبى بكر " تأكيداً للعهد كفعل البائع والمشتري كما يذكر  
 ابن خلدون فى مقدمته (١) . معنى هذا أن أبى بكر أصبح خليفة عن رسول الله  
 أى نائبه فى حراسة الدين وسياسة الدنيا . وهكذا نشأت الخلافة .

### الحكم فى عهد الخلفاء الراشدين :

بعد أن استقر الوضع باختيار أبى بكر خليفة عن رسول الله للمسلمين بدأ جهاز  
 الدولة يأتى بأمر الخليفة ويسير على نظامه حتى لقى الخليفة ربه دون أن يورث الحكم  
 لأحد أولاده ولكن كل ما فعله لأجل أن يبقى المسلمون جدالاً غليظاً وشقة خلاف ترشح  
 للمسلمين — حسن وجهة نظره — عمر بن الخطاب وأوصى المسلمين بذلك وما لم يتبع  
 كان هذا بعد استشارة كبار الصحابة وقد تمت لهبيعة كاملة بعد ترشيح أبى بكر له .  
 ولا شك أن أبى بكر فعل هذا الفعل لحريصاً الشديد على بقاء وحدة المسلمين متماسكة  
 خاصة وأنهم فى حرب مع دولتى فارس والروم . هذا علماً بأن أمير المؤمنين عمر  
 يستحق هذه الثقة الفالاية من قادة المسلمين لاعتبارات منها :

أ — فرق الله به بين عهدين فى الاسلام . عهد السرية ، وعهد الجهر بالدعوة  
 والنضال فى سبيلها . يقول الحافظ بن كثير : " ان عبد الله بن مسعود  
 قال : ما عبد الله جهرية حتى أسلم عمر " (٢) .

ب — كان موضع شورى رسول الله صلى الله عليه وسلم كآبى بكر والحوادث فى ذلك  
 كثيرة .

ج — زهده وورعه وتعففه عن أموال الناس وقصة المجاعة دليل على ذلك (٣) .

د — عدالته وشدته فى ذلك (٤) .

هـ — نسبه القرشى .

و — حسن معاملته .

ز — سهره لخدمة الرعية (٥) .

ح — محاسبته للرعية فى ضوء " من أين لك هذا " .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٧ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ١٣٤ والاصابة لابن حجر ج ٤ ص ١٢٩ .

(٣) البداية والنهاية ج ٧ ص ٩٠ ، وسيرة عمر لابن الجوزى ص ٤٤ .

(٤) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٣٤ .

(٥) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٩٢ .

واستمر أمير المؤمنين عمر مؤدياً لرسالته عاملاً في رعيته بمقتضى نظام صاحبه  
الرسول عليه الصلاة والسلام وأبى بكر الصديق • حتى أدهش العالم كله من جسام  
حكيمته في إدارة بلاد وكان عمله مطابقاً لكلامه •

ولكنه رغم كل ذلك لم يسلم من الحاقدين والحاسدين ففي سنة ٢٣ هـ — سنة  
١٩٦٤ م قتل الخليفة العظيم عمر بطعنات من خنجر لسفك أثيم ، هو أبو لؤلؤة المجوسي  
الذي ما لبث أن قتل نفسه فذهب الخليفة نحية مؤامرة حاكمة على الاسلام وأهله (١) •

بعد أن طعن عمر — رضى الله عنه — بهذه اليد الآثمة أخذ يفكر جديداً  
في أمر الخلافة وإلى من ستؤول حفاظاً على وحدة المسلمين ولم يفصل كأبى بكر أن يوصى  
بإنسان معين بل رشح لهذا الأمر ستة من كبار الصحابة الأكفاء • وعلى أمير المؤمنين  
عمر سبب اختياره لهؤلاء الستة وترشيحه لهم بالخلافة فقال : " إن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم مات وهو راض عن هؤلاء الستة من قريش : علي ، وعثمان ، وسعد  
والزبير ، وطلحة ، وعبد الرحمن • وقد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم  
واحداً منهم " وهناك رواية كثيرة لا داعي لذكرها حول هذا المعنى • وقد ذكرنا  
الأهم منها وأقيم الاستفتاء الشرعى حول الخلافة الجديد حتى اتفق الجمع على عثمان  
بن عفان رضى الله عنه (٢) •

جاء سيدنا عثمان رضى الله عنه إلى الحكم بعد أن كبرت سنه وقد جاوز السبعين  
من عمره وكبر السن له حكمه في دنيا الناس • وعثمان هذا من خيار السابقين الأولين  
الذين شهد الرسول لهم بالجنة • هذا علاوة على كونه سيداً من سادات قريش وزعيم  
بنى أمية • وخلاصة القول فيه ما قاله الحافظ بن حجر العسقلاني : " كان عثمان  
كثير الحياء لين المهيبة حتى أنه لم يوقظ نائماً من أهل بيته إلا أن يجده يقظاً  
فيدعوه فيناوله وضوءاً " (٣) • وما قاله ابن قتيبة : " إن عثمان استمر ست سنين  
من ولايته وهو أحب إلى الناس من عمر بن الخطاب الذي كان شديداً قد ضيق على قريش  
أنفاسها لم يزل أحد معه من الدنيا شيئاً عظيماً له واجلالاً وتأسيها به واتقداً فلما

(١) يرى الدكتور نظير حسان سمداوى فى كتابه " الدولة العربية الإسلامية " ص ١٣٩  
طبعة دار النهضة العربية • أن الخليفة عمر بن الخطاب ذهب ضحية تآمر  
شخص بحت • وهذا — فى نظرى — غير صحيح لأنه لم يكن بين أمير  
المؤمنين عمر وبين هذا المجوسى ما يوجب هذا الانتقام ولكنه مخطط للقضاء  
على الاسلام من أعدائه •

(٢) سيرة عمر لابن الجوزى ص ١٧٤ — ١٩٢ ، والخلفاء للمصطفى ص ٩٠ — ٩٨

(٣) الإصابة لابن حجر ج ٤ ص ٢٢٣



وليسهم عثمان ولي رجل لين " (١) .

وأخذ الحكم في عهد عثمان يتأرجح بسبب لئنه تارة وتركه الحرية للصحابية  
يسرون هنا وهناك تارة أخرى ، والدس والوقعة بين صفوف المسلمين من أعداء  
الاسلام الذين أسلموا في الظاهر ولكنهم يكفرون بالله في الباطن ويطلق عليهم  
" المنافقون " تارة ثالثة . وهكذا حتى عم الفساد وبدأ زمام الأمور يفلت من أيدي  
أصحابه وقصارى القول كما قال الدكتور محمود قياض : " ان الخليفة وأعدائه يتحملون  
بعض التبعة لاهمالهم وضعف سياستهم في وقت لم يكن يجدى فيه غير الشدة وعلى  
كتلة الصحابة بقوة التبعية لأنهم كانوا تقريباً مثل عدد الثوار — لأنه قامت  
ثورة على سيدنا عثمان — الذين لا يجاوزون في بعض الروايات تصميمة حاقد مفسد ،  
ولا يبلغون الألفين عند الكثيرين ولو أنهم جمعوا كلمتهم وتناشوا ما بينهم وانضموا  
الى بنى أمية وأنصارهم يوم الدار لما أفلت تأثر واحد من حد سوءهم ولكن هكذا  
أراد الله ، وانتهت الثورة بقتل الخليفة الثالث عثمان (٢) .

وكانت أعظم عظة لسيدنا عثمان قبل مصرعه حينما نظر الى المحاصرين له قائلاً  
كما رواه الطبري : " والله ان قتلتموني فقد وضعت السيف على رقابكم الى يوم القيامة ،  
لا تقتلونى فانكم ان قتلتموني لم تصلوا من بعدى جميعاً أبداً ، ولم تقسموا من بعدى  
فيها أبداً ، ولن يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً " (٣) . وصدق ما قاله سيدنا عثمان  
فقد ظلوا في اختلاف دائم وكانت الفتنة التى تحدث عنها الكثير من الباحثين ، والتى  
أثرت في الحركة الاسلامية الى اليوم . وفي هذا الوقت الذى قتل فيه عثمان رضى الله  
عنه كان شيخنا الحسن البصرى قد كبر وترعرع . حافظاً للكتاب الله تعالى . مقبلاً  
على العلم . ملازماً لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . وكان عمره وصل  
الى أربع عشرة سنة . مما أثرت في نفسه من الأحداث الجارية التى كانت تحوطه (٤) .

انتهت حياة الخليفة الثالث عثمان بن عفان بالصورة الأليمة التى لا يرضى  
عنها مطلقاً أى انسان لديه وازع من ضمير فضلاء المسلم الذى سعد برسالة  
المصطفى صلى الله عليه وسلم . وكان لابد من اختيار خليفة آخر لمثل المجتمع

(١) الامامة واسماسة لابن قتيبة ص ٢٥ — ٢٦ .

(٢) عصر الخلفاء الراشدين للدكتور محمد فياض ص ٣٣٧ — ٣٣٨ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٣ ص ٤٢٥ .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٥٧ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٧١

الاسلام في جميع الامور الدينية والدنيوية + والظروف التي أحاطت بمقتل عثمان  
— رضى الله عنه — جعلت اختيار الخليفة الرابع فيه شي من الحساسية والصعوبة  
يمكن .

ولكن رغم كل هذا وبعد أخذ ورد وقع الاختيار على الامام علي بن أبي طالب .  
والامام علي كرم الله وجهه غنى عن التصريح فكفاه فخرا أنه زيج فاطمة الزهراء وابن عم  
رسول الله ووالد الحسن والحسين والفدائي لرسول الله ليلة الهجرة والمستشار لمن  
سبقه من الخلفاء غاية ما في الأمر أنه بالنسبة لسيدنا عثمان نجد الاستشارة أقل بالنسبة  
لأبي بكر وعمر . بسبب استيلاء عثمان لذوي قرياه (١) .

ولما تولى علي بمن أبي طالب خلافة المسلمين وأراد تنفيذ تعاليم الاسلام  
بحذافيرها وثقت في طريقه عقبات وعقبات . ولظروف ليس هنا مجالها حدثت الحروب  
المتعددة ، التي تمثلت في موقعة الجمل وصفين . . والتي انتهت بعملية التحكيم  
ما تسبب عنه ظهور فرقة الخوارج التي نشأ عنها أيضا فرق أخرى .

ومع هذا فان الامام عليا كرم الله وجهه ظل واقفا كالطود الشامخ يدافع  
عن الحق ، لأن الحق لا بد له من قوة تحميه وتدافع عنه . شجاعا لا يخاف في الله  
لومة لائم حتى وافاه أجله المحتوم في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هجرية على يد أحد  
الخوارج وهو : عبد الرحمن بن ملجم حيث طعنه بسيف مسموم بعد مؤامرة دنيئة  
ضد علي ومعاوية وعمرو بن العاص فنفذت بالنسبة لعلي وانكشف أمرها بالنسبة لمعاوية  
ومقتل هذا الخليفة الرابع انتهى عهد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين (٢) .

#### نماذج من الحكم في عهد الراشدين :

كما نتمنى أن تظل الفترة المثالية في عهد الراشدين الى يومنا هذا والى أن  
يرث الله الأرض ومن عليها . ولكن للأسف الشديد لم تستمر طويلا . لا لعدة كائنة  
في النظام الاسلامي ولكنها المصادقات السيئة التي أحاطت بهذا الحكم .

ورغم كل هذا فاننا نرى في هذه الفترة المثالية الضئيلة نورا يهتدى به  
من يريد السعادة الحقيقية في الدارين الدنيا والآخرة . وحتى يتبين لنا هذا النور

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٣ ص ٢٠٤ ، شرح نهج البلاقة لابن أبي الحديد ،  
ج ٣ ص ١٩٢ .

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٣ ص ٢٠٤ .

الذى نستضى به نلقى الضوء على بعض النماذج الحية ، والأمثلة الطيبة التى كانت فى هذه الفترة بسبب سياسة الحكم فى عهد الراشدين :

أ - لما ولى أبو بكر الخلافة خرج الى الناس بهذا الخطاب الجامع الذى قال فيه : " أيها الناس انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتمنى على حق فأعيننى ، وان رأيتمنى على باطل فسد دوى ، أطعمونى ما أطعمت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم (١) . وهذه بعض الأمثلة من سياسته :

- ١ - وقوفه بمود من حركة الردة والقضاء عليها (٢) .
- ٢ - انتاده جيش أسامة بن زيد تأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) .
- ٣ - استشارته للمصاحبة فى جميع الأحكام التى يصدرها .
- ٤ - خدمته للأمة بمعنى الكلمة .

ب - لما توفى أبو بكر الصديق وولى الخلافة بعده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب خرج الى الناس بخطابات متعددة حسبما يقتضى المقام نختار منها هذا النموذج : قال رضى الله عنه : " ان الله عز وجل قد والى أمركم ، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم ، وان لى أسأل الله أن يعينى عليه ، وأن يحرسنى عنده ، كما حرسنى عند غيره ، وانى امرؤ مسلم وعبد ضعيف ، الا ما أعان الله عز وجل . فلا يقولن أحد منكم ان عمر تغير منذ ولى . أعقل الحق من نفسى وأتقدم وأبين لكم أمرى . فانما أنا رجل منكم (٤) " . وهذه بعض الأمثلة لسياسة الحكم فى عهد عمر بن الخطاب .

١ - حينما يصدر أمر الى الأمة نجده أول من يلتزم به - بخلاف كثير من الحكام تراهم فى واد والرعية فى واد آخر - ولا يكتفى بذلك بل يلزم قرابته وأهله جاء أحد قرابته ( هو صهره ) مرة يسأله شيئا من مال المسلمين ، فأغلظ له القول وطرده ، فتوسط لقرابه بعض المسلمين فغضب وقال : " انه سألنى من مال الله فما معذرتى ان لقيته ملكا خائنا (٥) .

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٠٣  
 (٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ فى حركة الردة .  
 (٣) المصدران السابقان : الطبرى ج ٣ ، وابن الأثير ج ٢ ص ٢٢٦  
 (٤) شيخ نهج البزقة لابن أبى الحديد ج ٣ ص ١٢٤ .  
 (٥) الخلفاء للسيوطى ص ٨٨ ، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ج ٣ ص ٢٢٣ - ٢٢٥ .

٢ — كان يتفقد أحوال الرعية ليلة بالمدينة فأخبره رجل بأمر عياض بن غنم وتنحى من ما ن المسلمين حينئذ أرسل عمر محمد بن مسلمة السى العراق ليتثبت من الخبر فلما وجد صدق الخبر قال عمر لمياعض " بعد أن أمره بخلق ملابس اللينة وأعطاه قطعة من الفتم قال : " اذهب بهذه الفتم وأحسن رعيها فان أباك كان راعيا . " ونفسه عياض الأمر ولما صالح حاله رده الى عمله بعد أن أخذ عليه العهد والمواثيق حتى قال عياض : والله لا ييلفك عني بعد ها ما تكره يا أمير المؤمنين (١) ..

٣ — وكان رضى الله عنه يحمل على وحدة المسلمين بتبيين هذا من منعه لاعلم قريش وغيرهم من عدم الخرج الى الشام أو العراق .. حتى غصوا وتحدثوا به الى الناس فرد عليهم عمر فى خطبة الجمعة ومنها قوله : " .. ألا وان قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عبادة ، ألا .. وأما وابن الخطاب حى فلا . ألا وانسى قائم دون شعب الحرة أخذ بحالقيم قريش أن يتهاقوا فى النار " (٢) .

ج — جاء سيدنا عثمان رضى الله عنه الى الحكم بعد أن كبرت سنه ولا شك أن هذا كان له أثره فى سياسة الحكم . وقد عرفنا فيما سبق بعض الصفات الطيبة التى اشتهر بها . ومن أهمها أنه كان شديد الحياء . يقول الحافظ السيوطى " ان عثمان كان رجلا يهاب الحديث وأنه كان يقوم فى جوف بيته والباب عليه مغلق فيخلع ثيابه للاغتسال ويستحى أن يرفع صلبه " (٣) .

كما كان ذا عاطفة جياشة يقول الدكتور فواض : " ويجمع العلماء على أنه كان رجلا هينا لينا سرح التأثير " بالمواطف والقراية والرحمة ، وأنه لم تكن فيه شدة عمر ولا بطشه وحسن مواجهته لمشاكل الحكم ، كذلك لا يفوتنا أن نذكر أن عثمان كان من بهت نعمة وترقه تسود النعيم منذ نعومة أظفاره بوصفه من أثريا قريش فلما ولي الحكم لم يستطع التخلص مما تعود من جودة فى المطعم ، والملبس ، والمركب . فنظر القوم اليه على أنه متجاوز فاقصدوا به فى التمتع .. كذلك حكمه بعد عمر بن الخطاب القوى الشديد .. (٤) .

(١) الكاش لابن الأثير ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبرى ج ٣ ص ٤٢٦ .

(٣) الخلفاء للسيوطى ص ١٠١ — ١٠٣ .

(٤) عصر الخلفاء الراشدين للدكتور محمد فياض ص ٢٨٩ .

بهذه الأمور وغيرها من الممكن أن نحذر عثمان رضى الله عنه فيها حدث  
والأمر لله وحده . وإلى القارئ الكريم بعض النماذج لسياسته في الحكم :  
١ - عمل رضى الله عنه حركة تغيير في المسؤولين عن الدولة في هذا الوقت  
وكان جلهم من أقاربه مما أثار غضب الكثير من الرعية في المجتمع .  
٢ - إطلاق الحرية للصحابة - بخلاف عمر - في السباحة في الأمصار  
حتى أنه لم تَمْضِ سنة من إمارة عثمان الا وقد اتخذ فيها رجال من قريش  
أموالا في الأمصار واضطربوا في البلاد وانقطع اليهم الناس وثبتوا  
سبع سنين كل قوم يحبون أن يلي صاحبهم (١) .

٣ - وقوع الاضطرابات في كثير من الأمصار بسبب حركة التغيير مثل ما حدث  
في البصرة من تغيير الشيخ الأشعري سنة ٢٩ هـ دون تحقيق وإحلال  
الشاب الطائش عبد الله بن عامر ( ابن خال عثمان ) مكانه مما جعل  
بعض اللصوص كحليم بن جبلة المبدى يقوم بشغب في البصرة نتج  
عنه فقدان الأمن والاستقرار (٢) .

٤ - وليس معنى هذا أن عثمان كان كل عصره اضطرابات ولم يحدث منه  
فائدة تعود على المسلمين بالطبع لا بل هناك من الأعمال الجليلة  
التي خلفها عثمان لا تنسى إلى اليوم مثل : جمع المسلمين على  
مصحف واحد إلى غير ذلك من الأعمال الطيبة . ولكن الاضطرابات  
والفتن كانت أقوى فانتهت بقيام ثورة مسلحة بقيادة بعض الحاقدين  
راج ضحيتها عثمان بن عفان .

د - لقي عثمان ربه وجاء الإمام على كرم الله وجهه فلم يكن من اليسير أن يرد الأمر  
إلى ما كان عليه في عهد أبي بكر وعمر . وكان من الطبيعي أن يتحرك الأفراد  
الذين نالوا ما يشتهون في عهد عثمان . ويعملوا على تعويق الإمام على  
لأنهم اعتدوا تماما أنه لن يسكت عنهم وكان من جراء ذلك أن انحساروا  
إلى معاوية بن أبي سفيان بل وجمعوه على الوقوف في طريقه . . .  
ورغم كل هذا فإن عليا قد مضى في طريقه لإنجاز مهمته مهما كانت الظروف  
وأبرز شئ بالنسبة له في سياسة الحكم ما يلي :

- 
- (١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٩١ ، والخلفاء السعويين ص ١٠٦  
(٢) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٤٩ ، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٣ ص ٣١٩-٣٢١

١ — اتجأه الى عزل جميع أمراء عثمان ومنهم معاوية بن أبي سفيان ورغم النصيح له من بعض العقلاء على عدم الاقبال على هذا الفعل لكنه صمم وعزم عليه مما كان له أثره السيء في سير الأحداث (١) .

٢ — تجمّع المنشقون على الامام على عاملين على سلب الخلافة منه تحت شعار "الطائر لقتلة عثمان" وهكذا طالبوه بنقل مقر الخلافة من المدينة الى العراق ولحقوا عليه في ذلك . ولكن ابن عباس أخذ ينهائهم عن السماع لهم كما دته داعماً دائماً في النصيح والارشاد له حتى قال ابن كثير في ذلك " . . . فأبى عليه ذلك كله وطأوع أمراً ولك الأمراء الخوارج من أهل الأمصار " (٢) . مما فقد المدينة سلطانها الديني الى الأبد .

٣ — نتج عن الاضطرابات التي حدثت بسبب ما سبق حرب الجمل بالبصرة وصفين بشمال الشام الى غير ذلك من الممارك .

٤ — حاول الامام على كما ذكرنا أن يرد الأمر الى ما كان عليه قبل عثمان رضي الله عنه وهذه صورة من صور تعامله في الحكم : وجد — رضي الله عنه — درعه عند رجل نصراني ، فأقبل به الى شريح قاضيه ، يخاضه مخاصمة رجل مسن عامة رعاياء ، وقال : انبها درعي ولم أبع ، ولم أهب . فسأل شريح النصراني : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ قال النصراني : ما لدرع الا درعي ، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب : فالتفت شريح الى علي يسأله : يا أمير المؤمنين هل من بومة ؟ فضحك على وقال : أصاب شريح ما لي بومة . ففرض بالدرع للنصراني ، فأخذها ومشى ، و " أمير المؤمنين " ينظر اليه . . . الا أن النصراني لم يخط خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء . . . أمير المؤمنين يدبني الى قاضيه فيقض عليه : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . الدرع واللسان درعك يا أمير المؤمنين . اتبعت الجيش وأنت منطلق الى صفين فخرجت من يمينك الأورق فقال علي : أما اذا أسلمت فهي لك (٣) . . .

### فترة الفتنة الكبرى :

قبل أن يجرنا الحديث الى سياسة الحكم في عهد بني أمية لننتهي من الجالة السياسية لمصر الحسن البصري نقف قليلاً عند هذه الفترة — الفتنة الكبرى — لنهبط

- (١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٠١ .
- (٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ٢٢٨ .
- (٣) عبقرية الامام للأستاذ العقاد .

المهديين ببعضهما وهذا يتكون المصير السياسي للحسن .  
الظاهر في أمر تولية رثيد من الدولة في عهد الخليفة الراشدة ، أن الذي أسس عليه  
بنها ن هذا التصرف هو سكوت النبي صلى الله عليه وسلم في باب الخلافة وقوله  
تعالى " وأمرهم شورى بينهم " الشامل لجميع شئون المسلمين الجماعية . والذي  
يثبت من هذه السابقة الدستورية ثبوتاً قاطعاً هو أن انتخاب الرئيس في الدولة الإسلامية  
متوقف على رضا عامة المسلمين ولا يحق لأحد أن يسلط نفسه على رؤوسهم بالقسر  
والاكراه ، ولا اختصاص بهذا المنصب لأسرة أو طبقة خاصة . وينبغي أن يجري  
الانتخاب برضا المسلمين من غير ما عنف ولا تدليس (١) . . .

أما عن أهلية المنتخبين لرئاسة الدولة أو الإمارة . . . فمن الممكن أن تنحصر  
في مقاييس أربعة :

- ١ - الاسلام : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر  
منكم " (٧) . وعن عبادة بن الصامت قال : " بايعنا رسول الله على أن لا نتابع  
الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان " (٨) .
- ٢ - الرجولة : " الرجال قوامسون على النساء " (٩) ، وقال صلى الله عليه وسلم :  
" لن يفلح قوم لوا أمرهم امرأة " (١٠) .
- ٣ - العقل والبلوغ : " ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً " (١١) .
- ٤ - سكنى دار الاسلام : " والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم  
من شيء حتى يهاجروا " (١٢) .

ويحل لكثير من الناس أن يسأل ما هو نوع الحكم في الاسلام ؟ والجواب  
ما قاله الدكتور طه حسين : " . . . لم يكن ملكاً ، ولم يكن يؤذى النبي وصاحبه شيء " .  
كما كان يؤذيه أن يظن بهم الملك . وهو لم يكن جمهورياً ، فلم تصرف في نظم  
الجمهورية نظاماً يتيح للرئيس المنتخب أن يرقى الى الحكم فلا ينزله عنه إلا الموت .  
ولم يكن قيصرياً بالمعنى الذي عرفه الرومان ، فلم يكن الجيش هو الذي يختار الخلفاء  
فهو اذن نظام عربي اسلامي خالص لم يسبق العرب اليه ثم لم يقلدوا بعد ذلك  
فيهم .

- (١) تدوين الدستور الاسلامي لأبي الأعلى المودودي ص ٥١ ، ٦٤ ، ٦٦ .
- (٢) سورة النساء آية ٥٩ .
- (٣) رواه البخاري ومسلم .
- (٤) سورة النساء آية ٣٤ .
- (٥) رواه البخاري .
- (٦) سورة النساء آية ٥ .
- (٧) سورة الانفال آية ٧٢ .
- (٨) الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين - عثمان ص ٣٢ .

نستطيع بعد هذا كله أن نخرج من أمر الفتنة الكبرى بالأمور الآتية :

أولاً - أن الخليفة عثمان رضى الله عنه جاء بالطريق المشروع في ضوء الكتاب والسنة  
ثانياً - لا يمكن أبداً أن تتهم سيدنا عثمان في اختياره لفضاله لأنه يعلم تماماً  
قوله تعالى : " ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها " (١) ، وقول  
النبي صلى الله عليه وسلم : " انا والله لا نولى على علمنا هذا أحداً سألناه  
أو حرص عليه " (١) .

ثالثاً - للأسف حينما ننظر في مراجع التاريخ نجد الفترة التي قتل فيها الخليفة  
الثالث فيها الكثير من اضطراب الروايات . وهذا راجع إلى أن تدوين  
العلوم الإسلامية كان - غالباً - في الدولة العباسية . ونحن نعلم  
أن الدولة العباسية قامت على أنقاض دولة بني أمية . خاصة وأن السياسة  
تغلبت في نفوس الناس على الدين . كما كان بعض الأمويين للمباسبين  
والضحا ومن أجل ذلك نجد أن قول ابن تيمية وابن كثير في هذا الصدد  
أقرب إلى النفس . " ان بعض المروى في ذلك ( عن حكم عثمان )  
كذب أو غير يدل من غير وجه " (٢) وعلى هذا فلا يصح لنا أن نأخذ  
ما قيل عن الفتنة دون بحث ودراسة .

رابعاً - التطور العام للمجتمع الإسلامي ، والسماة من الحكم والميل لغيره .  
خامساً - استغل ابن سبأ عوامل الضعف في الدولة وأخذ ينسج خيوط الأكاذيب  
بدون وجه حق . ولا شك أن كل كلام يجده له أنصاراً ما أدى إلى بلبلة  
الأفكار بين المسلمين .

سادساً - هذه الفتنة ساعدت على قيام دولة بني أمية وتقويض الخلافة الراشدة .  
ذلك لأن آل أمية أخذوا يطالبون بدم قريشهم ويثيرون حمية كثير من الصحابة  
حتى أننا نجد طلحة والزبير رغبوا إلى أم المؤمنين عائشة في أن تصحبهم  
إلى البصرة . فقالت لهما : أتأمراني بالقتال ؟ قالا : لا . ولكن  
نظفينا الناموس وتحريضهم على المطلب بدم عثمان . فقبلت في غير تردد .  
وكان القتال مع علي (٣) . واستمر الامام علي في معارك مستمرة سواء  
كانت على سبيل المواجهة أو معارك جانبية حتى انتهت بقتله وخلا الجو  
لهذا الملك المضود لدولة بني أمية .

(١) متفق عليه .

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ج ٢ ص ١٨٦ ، والداية والنهاية لابن كثير ج ٢

ص ١٨٠ - ١٩٦  
(٣) الفتنة الكبرى - علي ونوّه للدكتور طه حسين ص ٢٨ - ٢٩



سابعاً - الأمراء الذين عزلهم الخليفة عثمان كسعد بن أبي وقاص ، والمغيرة ابن شعبة ، وعمر بن العاص وغيرهم كانوا يرسلون الى الخليفة نقدهم للحكم الذى يتولاه الخليفة فينتشر بين الناس ما كان سبباً فى تحريك الرأى العام على الخليفة .

ثامناً - ضعف الوازع الدينى بالنسبة لأيام عمر وما قبله وانهماك كثير من المسلمين فى طلب الدنيا وعرضها الزائل حتى أعطوا فرصة لأهل الحقد والضغينة يعيشون فى الدولة بالفساد (١) .

تاسعاً - فى موضوع الفتنة الكبرى انقسم المسلمون الى عدة فرق :

- ١ - فمنهم المشائى الذى لا يعدل بعثمان أحداً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعد الشيخين .
- ٢ - ومنهم الشيعى الذى لا يفضل أحداً على بن أبى طالب ولو كان أبوبكر أو عمر بن الخطاب .
- ٣ - ومنهم من يتردد بين هذا وذلك فهقف من الطرفين موقف التقدير والاحسان ، ويرى أن جميع من كانوا فى صف عثمان وجميع من كانوا فى صف على قد اجتهدوا ، ونصحوا لله ورسوله وللإسلام والمسلمين ، فأخطأ منهم من أخطأ وأصاب منهم من أصاب ، ولأولئك وهؤلاء أجرهم لأنهم لم يتعمدوا خطيئة ، ولم يقصدوا الى إساءة (٢) .

عاشراً - استغنى أعداء الاسلام الفتنة ورأوا أن فيها مادة دسمة تصلح للتشجيع على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، والتهوين من شأن هذه الرسالة الخالدة . وأظهروا أن ما جاء به رسول الله وما أجهد نفسه فى تبليغه ، قد صار بعد وفاته كلمات على طرف اللسان ، وشعارات يختفى وراءها أصحاب الأطماع فى الجاه والسلطان ، وجمالوا الأخلاق الفاضلة والإيمان بالدعوة المحمدية حطام هذه المعركة وفى ضوء هذا المعنى أخذ كل من الفريقين يصور الآخر بما لا يليق (٣) .

حادى عشر - فى نهاية الحديث عن الفتنة الكبرى التى لا يكفى الحديث عنها فى هذه الاشارات يهيج هذا السؤال : كيف يحدث هذا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

(١) عصر الخلفاء الراشدين للدكتور محمد على فواز ص ٣٢٩ - الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٥ م - مطبعة عطايا . (٢) الفتنة الكبرى - عثمان للدكتور طه حسين (٣) أباطول يجب أن تحى من التاريخ للدكتور إبراهيم شعوط ص ٨٤ .

والجواب على ذلك :

أولا - بالنسبة لسيدنا عثمان فان المصادقات السيئة قد ساقط اليه الخلاف متأخرة فكانت المصيبة الأموية حوله وشوهد لف الى الثانيين ، واهن القوى ضعيف الشيخوخة فكان موقفه كما وصفه صاحبه على بن أبي طالب : " انى ان قعدت فى بينى قال : تركتني وقرايتى وحقى ، وان تكلمت فجاء ماير ، يلصق به مروان ، فسار سوقه له يسوقه حيث شاء ، بعد كبر السن وصحبته لرَسُول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

كذلك بالنسبة لسيدنا على فان الظروف السيئة هى التى جاءت به فى هذه الفترة الجريئة من تاريخ الحكم الاسلامى وجرت به الى أمور ما زلنا نتوجع منها الى اليوم .

ثانيا - بالنسبة لكل من كان فى هذه الفتنة من المسلمين . التى نتج عنها سفك الدماء وباحة الأموال فى غير ما أحل الله . هو أن ظروف الحياة كانت أقوى منسهم جميعا وأن الله قد كتب عليهم أن يفتنهم فى دينهم ودنياهم هذه الفتنة الكبرى التى فسرناها على أهل الكوفة أحسن تفسير حين قلنا : استأثر عثمان فأساء الأثرة ، وجرتهم فأسأتم الجزع (٢) . والله سبحانه قبل وممسد كل هذا بيده الأمر كله واليه المصير .

أسباب قيام دولة بنى أمية :

فيما سبق عرفنا أن الظروف أتاحت لتظهر دولة بنى أمية . ومن الممكن أن نحصرها - غالبا - فى هذه الأمور الآتية :

١ - ظهور المصيوبات العربية : يظهر من الشعر العربى قبل الاسلام - وهو يترجم للحياة العربية - مبلغ التعصب الذى كان بين القبائل واشتعال الحرب بينهم لأدنى الأسباب . وعلى سبيل المثال يقول شاعرهم : لا يسألون أخاهم حين يفتديهم . . فى النائيات على مقال برهانا . . (٣)

(١) المدالة الاجتماعية فى الاسلام ص ١٩٣ .

(٢) الفتنة الكبرى - عثمان للدكتور طه حسين ص ٢٢٢ .

(٣) دهوان الحماسة لأبي تمام حبیب بن أوس الطائي ج ١ ص ٤ .

فلما تشرفوا برحلة المصطفى صلى الله عليه وسلم أخذت هذه المصيبة تنكسر رويدا رويدا لأن تعاليم الاسلام هذبتها . قال تعالى : " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم " (١) وقال أيضا : " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " (٢) .  
ولكن ليس معنى هذا أنها أزيلت تماما فان الفتوحات الاسلامية المتعددة ومصر الداخلين في الاسلام ظاهرا كان من أسباب احيا هذه المصيبة الجاهلية .

٢ - السياسة بين علي ومعاوية : يختلف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسي ساستهم للمجتمع وان كانوا ينهلون من معين واحد .

ذكر بعض المؤرخين بأن معاوية بن أبي سفيان كان مثزن العقل داهية جيد السياسة . . . ويروون عنه قوله : " لا أضح سيفي حيث يكفني سوطي ، ولا أضح سوطي حيث يكفني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس همرة ما انقطعت " .  
وهذه الحكمة استطاع أن يلى أمور المسلمين بعد قتل الامام علي بن أبي طالب كما استطاع أيضا أن يصل الى تنازل الحسن بن علي عن الخلافة (٣) . حتى أصبحت خالصة لمعاوية لا ينازعه فيها منازع الا سرطان ما ينهار أمام حيالته ودهائه وساسته . ولذلك أطلق بعض المؤرخين على العام الذي تولى فيه معاوية وتنازل الحسن بعام الجماعة . . .

- (١) سورة الحجرات آية ١٣ . (٢) سورة آل عمران آية ١٠٣ .  
(٣) عن الامام الحسن البصري قال : استقبل - والله - الحسن بن علي معاوية بكاتب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص : انى لأرى كاتب لا تولى حين تقتل أقرانها . فقال له معاوية : أى عمرو ، ان قتل هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء من لى بأمر الناس ، من لى بنسائهم ، من لى بضميتهم ؟ فبعث اليه رجلين من قرشي من بنى عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة - وعبد الله بن عامر بن كرمز - فقال : " اذهبا الى هذا الرجل (أى الحسن بن علي) فأعرضا عليه (أى ما تريان فيه المصلحة فأنقذا مفضان ) . فأتياه ، فدخلاه عليه ، فتكلما ، وقالاه ، وطلبا اليه ، فقال لهما الحسن بن علي : انا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وان هذه الأمة قد عاشت في دمائها : قال : فانه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب اليك ، ومثالك . قال فمن لى بهذا ؟ قال : نحن لك به . فما سألهما شيئا الا قال : نحن لك به . فصالحه ( صحيح البخارى - كتاب الصلح ج ٣ ص ١٦٩ ) وهذا التنازل من الحسن جاء مصداقا لبشرى الرسول " ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ( رواه البخارى مع الحديث السابق عن الحسن البصري أنه سمعه من أبي بكر . وأن أبا بكر رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو المنبر والحسن بن علي الى جنبه فقال ذلك . والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٧ - ١٩ ) .

### ٣ - أصحاب على ومعاوية :

اختلاف أصحاب على عن أصحاب معاوية • ذلك أن الجيش الذي تألف منه جيش معاوية كان من القبائل اليمنية من قضاة ، وحمير سكان الشام الذين نزحوا إليها قديما من اليمن بسبب انهيار سد مأرب ثم من ربيعة ومضر الذين نزحوا الى الشام كذلك وسكنوها ولكن قليل ما هم • أما جيش على فقد كان مكونا من عناصر مختلفة وهي : سكان العراق الذين نزحوا إليها وإلى البصرة والكوفة في كثرة بعد الفتح ومن الجهات الشمالية والجنوبية التي تجاور العراق •

كذلك كان من أصحابه وفي جيشه من سكان نجد ثم من اليمنيين الذين نزحوا الى العراق بعد الفتح • ومن ربيعة ومضر ، وقريش وقليل ما هم لأن قريشا لو كانت كلها مع على لحدث غير هذا •

وما ساعد أيضا على تصدع جيش على ظهور فرقة السبئية والخسروان مما أدى الى انشغال على بهم واتتهاز معاوية الفرصة لتجميع جيشه •

وهناك عوامل أخرى يذكرها المؤرخون مثل :

- أ - العمل على كسب ود أهل العراق أصحاب على وأخوان الحسن •
- ب - ظهور معاوية لقادة الرأي الذين ناصروا عليا بمظهر التسامح والمبالغة في اكرامهم •
- ج - اكتساب القلوب بالأموال والخطأ •
- د - تحييد الولاة من أصحاب الثقات •
- هـ - استئناف حركة الفتح ••• مما أدى الى قيام دولة بني أمية •• (١)

### الحكم في عهد بني أمية :

عرفتنا فيما سبق الأسباب التي أدت الى قيام دولة بني أمية • ولأن نسلط بعض الأضواء على سياسة الحكم في هذا العهد الأموي •

(١) هذه الأسباب والصوامل لقيام الدولة الأموية خلاصة من كتب التاريخ نقلا عن دولة الأمويين في الشرق - قيامها للدكتور بدوي عبد اللطيف ص ١١٢ ، ١٥٧ ، وكتاب : الخلافة والدولة في العصر الأموي للدكتور محمد حلمي محمد أحمد ص ١٠٧ - ١١٠ ، والدولة الأموية للدكتور محمد زيادة به الطبعة الأولى ، ٢٦ رمضان سنة ١٣٨٥ هـ •

يبدأ العهد الأموي بالخليفة الأول " معاوية بن أبي سفيان " الذي استولى على خلافة المسلمين بالقوة والحيلة . لا عن رضا ومشورة . ذلك أنه سخر أهل الشام لاعتقاده بميلهم إليه لاختطاع المخالفين من أهل العراق والحجاز . وسعى العام الذي تولى فيه الخلافة وتنازل الحسن له عام " الجماعة " وذلك لحقن دماء المسلمين فكانت الطريقة التي جاء بها إلى الحكم تغاير طريقة الراشدين . حتى قيل : أن معاوية أخذ البيعة له ولابنه بعد ذلك بحد السيف . وقابل بنفسه في المدينة بعض الصحابة كالحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر . . . . . لأخذ البيعة فعارضوه وأنكروا أن تكون الخلافة هرقلية " كلما مات هرقل قام هرقل " (١) ولهذا أطلق الكثير من المؤرخين على حكمة بأنه ملك لا خلافة للفرق بين توليته وتولية الخلفاء الراشدين من جهة . ومن جهة أخرى استنادا إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم المشهور " الخلافة ثلاثون سنة ، ثم تعود ملكا " وما ظالما اثباتا لهذا الحديث . فإذا عددنا من ولاية أبي بكر إلى تسليم الحسن كانت ثلاثين سنة لا تزيد ولا تنقص يوما . وإن كان في هذا الحديث مقال (٢) إلا أن السدى لا ننكره هو : اختلاف تولية الخلافة في العهد الأموي عنها في عهد الخلفاء الراشدين . . .

وقد أدخل معاوية — المؤسس للدولة الأموية — على الدولة أموراً لم تكن في عهد سابقه مما جعله — دائما — عرضة للمأخذ والتهمة وذلك مثل :

\* هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن قصي ، مؤسس الدولة الأموية التي عاشت ما بين ٤٠ هـ — ١٣٢ هـ ، ولد معاوية بمكة قبل الهجرة بخمسة عشرة سنة ، وأسلم يوم فتح مكة . هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند — بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن قصي — ، وله من العمر ثلاث وعشرون سنة واستمر معاوية طول حياته مجاهدا حتى مات سنة ٦٠ هـ .

(١) الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ج ٣ ص ٢١ .

(٢) هذا الحديث قال عنه أبو بكر بن الصري صاحب " المعاصم من القواصم " . . . بعد أن أورده قال في ص ٢٠١ : وهذا حديث لا يصح . ولو صح فهو معارض لهذا الصلح المتفق عليه فوجب الرجوع إليه . ثم علق الأستاذ المحقق محب الدين الخطيب على عدم صحة هذا الحديث بقوله : " لأن رواية عن سفينة سمعها ابن جهمان ، وقد اختلفوا فيه : قال بعضهم : لا بأس به ، وثقه بعضهم . وقال فيه الإمام أبو حاتم " شيخ لا يحتج به " وفي سنده حشون بن نباتة الواسطي وثقه بعضهم . وقال فيه النسائي : ليس بالقوي . وعبد الله بن أحمد بن حنبل يروى في الخبر عن سويد الطحان . قال فيه الخافظ بن حجر في تقريب التهذيب الحديث " إلى آخر ما قال في تخريج هذا الحديث .

١ - إقامة الحجاب على بابہ • خوفا من الاغتيالات ، ومنعا للازدحام للتفرغ لمهام الدولة • والحاجب الذى يدخل الناس موظف كبير يشبه كبير الأمناء فى أياضا ••

ولقد ونى عبد الملك بن مروان المسموح لهم بالدخول فرأى وقت شاء وا ثلاثة المؤذن للصلاة فانه داعى الله ، وصاحب البريد فأمر ما جاء به ، وصاحب الطعام لكلا يفسد<sup>(١)</sup> وهذا بخلاف الخلفاء الراشدين فانهم تركوا الحرصة للناس يدخلون عليهم حيثما أرادوا •

٢ - ولاية الأقاليم : معنى هذا أن الخليفة يعين من قبله واليا على كل إقليم وينوب عنه فى حكم الولاية • وهو الرئيس للقضاة والصلابة والخراج والجند والشرطة •• وهذا ما يشبه عندنا تقريبا بالمحافظ • هذه الولاية من قسبل الحاكم لم تكن فقط فى عهد بنى أمية بل كانت من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وأخذ بها الخلفاء الراشدون واستمرت فى عهد بنى أمية • الا أنه فى عهد بنى أمية تطرق الى هذا النظام الادارى النقص لأنهم كانوا يسندون هذه الوظيفة الى أفراد البيت المالک والى كبار رجال البلاط ، فكانوا يبقون فى دمشق ويمينون من قبلهم رجالا يقومون بالحكم نيابة عنهم بخلاف ما قبل العهد الأموى • (٢)

٣ - كان القضاء فى العهد الأموى يشبه الى كبير القضاة فى عهد الراشدين فى بساطته وعدم تعقده وذلك راجع الى الوازع الدينى الذى كان موجودا فى عصر الراشدين حتى يروى المسعودى : " أن أبا بكر لما استخلف ظل له عمر : أنا أكفيك القضاء • فمكث عمر سنة لا يختلف اليه أحد " (٣) • وفى العهد الأموى استحدثوا ما يسمى " قاضى المظالم " لمحاكمة أصحاب

النفوذ فى الدولة وهو يشبه فى بعض الاختصاصات بمجلس الدولة فى أيامنا • كما كانت ترفع اليه الأحكام التى يرى بعض الخصوم أن القاضى لم ينصفه فيها وهو يشبه " محاكم الاستئناف " ولذلك كان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر ، نافذ الأمر عظيم الهبة ، ظاهر الحق ، قليل الطمع • كثير الورع فهى وظيفة ممتازة من سطوة السلطنة ونصفه القضاة (٤) •

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠٦ - ٢٠٧ •

(٢) تاريخ الاسلام السياسى والثقافى ، للدكتور حسن ابراهيم ج ١ ص ٥٧٤ •

(٣) التنبيه والاشراف للمسعودى ص ٢٥٤ •

تاريخ الحضارة الاسلامية للدكتور مصباح ص ١٣٨ - ١٣٩ •

٤ — الكتابة : كانت الكتابة قبل العهد الأموي قليلة جدا لقلّة الكتاب ولا تصلح

الأمور في منتهى البساطة • ولكن حينما جاء العهد الأموي وعظمت الأمور  
اشتدت الحاجة إلى الكتاب وقسموا في هذا العهد إلى خمسة أنواع  
النوع الأول : كتاب الرسائل : وهم الذين يكتبون قواد الأجناس ، وأمراء

الأقاليم وملوك ، وأمراء الدول المجاورة •

النوع الثاني : كتاب الخراج : لضبط الناحية المالية •

النوع الثالث : كتاب الأجناس : وهؤلاء لتقديد أسماء الجنود ومستلزماتهم •

النوع الرابع : كتاب الشرطة : وهؤلاء لكتابة تقرير تتصل بالأمن الداخلي •

النوع الخامس : كتاب القضاة : وهم الذين يدونون الأحكام ويحتفظون

بصورة منها في السجلات • ومن هؤلاء الكتاب الذين تألقوا في العصر  
الأموي " عبد الحميد الكاتب " (١) •

٥ — الشرطة : الشرطة عبارة عن الجند المحافظين على النظام لاستتباب الأمن

والقبض على الجناة • إلى غير ذلك من الأعمال التي تكفل سلامة أفراس  
المجتمع ، وطمانينتهم • وأول من أدخل هذا النظام على المجتمع " عمر  
ابن الخطاب " وكان يتفقد أحوال الرعية بنفسه حتى اتخذ الامام على  
صاحب الشرطة •

وفي عهد بني أمية ازدهات أهميتها وأصبحت قيمتها لا تقل عن أي عمل  
من الأعمال (٢) •

٦ — الحسبة : الحسبة عبارة عن منصب ديني من قبل القضاء وهو ما يشبه فسي

أبانا — تقريباً — مفتش التموين إلا أنه يعتبر مفتشاً عاماً له السلطة في أن  
يفتش على كثير من أمور الدولة التي تهتم الأفراد والجماعات • فله سلطة  
رجل الشرطة من ناحية ، وسلطة مهندس البلدية من ناحية أخرى وسلطة  
القاضي في الجنايات والأمور المستعجلة كذلك • وهي سلطة واسعة جعلت  
لهذه الوظيفة قيمتها وخطرها (٣) •

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية للدكتور مصباح ص ١٠٠ — ١٠٤ ، والدولة الأموية

للدكتور محمود زيادة ، ص ١٣ •

(٢) الدولة الأموية للدكتور محمود زيادة ، ص ١٠٠ •

(٣) الأحكام السلطانية للمأوردى ص ٢٢٢ — ٢٣٣ •

وهذا النظام كان يوجد في عصر المصطفى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ما يشابهه .

## ٧ - بيت المال : لما قامت الدولة الأموية حدثت محاولات لتغيير القواعد التي

كانت تؤخذ بها الضرائب في عصر الراشدين . وكان ذلك بسبب حاجة الدولة إلى الأموال الكثيرة فكتب معاوية بن أبي سفيان إلى " وردان " عامله على مصر أن زد على كل امرئ من القبط قيراطا : فكتب إليه يقول : كيف أزيد عليهم ، وفي عهدهم أن لا أزيد عليهم ؟ .

ولكن لم يلبث المال الأمويون أن نفذوا هذا الاقتراح الذي أشار به معاوية بن أبي سفيان . . . وأشهر من فعل ذلك " عبيد الله بن الحبحاب " متولى الخراج من قبل " هشام بن عبد الملك " .

وكانوا يأخذون الجزية ممن أسلم مع أن القواعد الإسلامية تقضى برفع الجزية عن أسلموا . . . وذلك حتى لا تنقص موارد بيت المال بسبب كثرة الداخلين في الإسلام . وقد أبطل عمر بن عبد العزيز هذه السنة السيئة ونفذ قواعد الإسلام في دقة وأمانة وأرسل إلى الولاة في جميع الأمصار يأمرهم برفع الجزية عن كل من أسلم " فان الله لم يبعث محمدا - صلى الله عليه وسلم - جابيا وإنما بعثه هاديا (١) .

\* هذه بعض الأمور التي تحدثت عنها في سياسة الحكم لدولة بني أمية صدرتها بمعاوية بن أبي سفيان كمؤسس لهذه الدولة .

ولذلك نجد أن كل النظم والخطط التي جاء بها في عصره كانت سمة العصر كله غالبا اللهم إلا اليسير من الزيادة أو النقصان بخلاف عهد خامس الراشدين - كما يسمى - عمر بن عبد العزيز فقد كان أشادا عن عهد بني أمية لأنه - عليه رحمة الله - كان يسير على نمط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهناك من الأعمال الجليلة التي لا ننساها أبدأ العهد بني أمية مثل الفتوحات الإسلامية التي أحدثت دولا في العالم كله في هذا العصر والتي اشترك في بعضها شوخنا الحسن البصري رضي الله عنه .

واتماما للفائدة سأقدم في نهاية هذا الفصل - أمها الطارئ الكريم - تراجم قصيرة لخلفاء بني أمية الذين عاصروا الحسن البصري . والله الموفق لما فيه الخير .



خلفاء بني أمية الذين عاصروا الحسن البصري :

(١) معاوية بن أبي سفيان : مؤسس دولة بني أمية • تقدم ذكره •

(٢) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ( ٦٠ - ٦٣ هـ ٦٨٠ - ٦٨٣ م )  
ولد يزيد من امرأة بدوية ، تزوج بها معاوية قبل توليته الخلافة ، غدير  
أنما لم تحتل المحيضة في دمشق فردها معاوية إلى أهلها ، فقتل يزيد على  
ما عودته عليه أمه من معيشة البدو وحب الله وعدم مراعاة القوانين • وكان  
قصيها كريها وشاعرا مفلط حتى قالوا : " بدئ الشعر بملك وختم بملك " •  
يحنون أمرا القوم ويذهب ••

(٣) معاوية الثاني : ( ٦٣ هـ ٦٨٠ م )

كان معاوية صبيا ضعيفا ، ليس له من الأهمية ما يستحق الذكر إذ لم يسزد  
عهده على أربعين يوما ، فلم يتمتع بالملك لمرضه • ولم يكن يد من انزوائه  
في داره ومن محاسنه أنه ترك الأمر شورى للناس يولون أمرهم ما يشاءون ••

(٤) مروان بن الحكم : ( ٦٤ - ٦٥ هـ ٦٨٣ - ٦٨٥ م )

كان مروان من ذوي الرأي والفصاحة والشجاعة وكان ساعدا عثمان وكاتبه  
ومدبر أمره • وكان كثير التلاوة للقرآن الكريم •

وما يؤخذ عنه اتهامه بالكتاب المكذوب على عثمان وإن لم يقم الدليل  
بعد على ذلك • وقد اعتزل مروان السياسة بعد موقعة الجمل • ثم تولى  
ولاية المدينة لمعاوية مرتين وهكذا أخذ يتقلب في المناصب حتى آلت إليه  
الخلافة •

(٥) عبد الملك بن مروان : ( ٦٥ - ٨٦ هـ ٦٨٥ - ٧٠٥ م )

بعد أن تولى عبد الملك أمر الخلافة وجه عنايته نحو العراق التي بايعت  
ابن الزبير بعد مقتل الحسين وبعد مناشات عدة انتهت بفشله وعياد  
العراق إلى ابن الزبير حتى سنة ٧٢ هـ <sup>(١)</sup> حين قدم الخليفة إليها بنفسه وفي  
أثناء الطريق من الشام إلى العراق حدث لعبد الملك الآتي في وقت واحد •  
جاء إليه البريد ليخبره بمقتل عبد الله بن زياد ، وإنهزام جنده ، ومقتل القائد  
الذي أرسله لحرب ابن الزبير بالمدينة ، ونزول حملة بيزنطية في ثغر المصبة  
بين أنطاكية وحدود الروم في طريقها إلى الشام ، وقهايم عبيد بدمشق وأماشها

(١) تاريخ الاسلام السياسي والثقافي •• للدكتور حسن إبراهيم ج ١ ص ٤٣٥ وما بعده

بثورة ضده ، وأظرة خيل الأعراب على حمص ومعلبك الى غير ذلك مما يكون عادة — سببا في اليأس والقنوط ولكن عبد الملك نظر الى كل هذه المصائب بحكمة وعقل راجح وصبر أكيد <sup>(١)</sup> . وما هي الا فترة قصيرة حتى انكشفت الغمة وانتهت كل هذه العقبات . .

## ٦ — الوليد بن عبد الملك : ( ٨٦ — ٩٦ هـ ، ٧٠٥ — ٧١٥ )

من حظ الوليد بن عبد الملك أن يتولى الخلافة في هذا الوقت بالذات لأن عبد الملك كان قد مهد له الطريق لحياة أفضل من ملوكه وأراح من بعده ويكفى أنه في آخريات حياته تم طرد البيزنطيين نهائيا من افريقية — وهي أكثر الولايات البيزنطية الضريبة — حضارة وتقدم . واختفت الكنيسة الافريقية اللاتينية من مساح التاريخ وهذا موسى بن نصير عامل الخليفة ألوية العرب الى أعمدة هرقل ( مضيق جبل طارق ) باستثناء مدينة ( سبتة ) فاللحظة كانت ملائمة لتقدم الوليد وقواده دون تردد <sup>(٢)</sup> .

وفي عهد الوليد نشطت الفتوحات الاسلامية مرة أخرى فتم فتح مدن فرغانة ، وبلاد الصفد غرة ، ومدينة الفيل سمرقند ، والمنطقة المحروقة بخانات آسيا الوسطى ( تركستان الصينية والروسية ) . وذكر البلاذري أن في صلح قتيبة مع ملك الصفد وملك الشام كانت بيوت الأصنام والنيران ، فأخرجت الأصنام فسلبت حلبيها وأحرقت ، وكانت الأعاجم تقول : ان فيها أصناما من استخف بها هلك . فلما حركها قتيبة بيده أسلم منهم عديد كثير بسبب ما حدث <sup>(٣)</sup> .

## ٧ — سليمان بن عبد الملك ( ٩٦ — ٩٩ هـ ، ٧١٥ — ٧١٧ م )

بعد وفاة الوليد بن عبد الملك تولى الخلافة بعده أخوه سليمان بن عبد الملك وكان شغوقا بالفتوحات فنظر الى من سبقه فوجد أنهم رغم كل ما فعلوه لم يستطيعوا أن يفتحوا القسطنطينية فأراد أن يحقق أمل أسلافه — ففتح القسطنطينية حينئذ أرسل سليمان أخاه مسلمة لتنفيذ هذا المشروع

(١) مرجع الذهب للمسعودي ج ٢ ص ١١٣ وما بعده .

(٢) الدولة العربية الاسلامية للدكتور نظير حسان ص ١٨٢ .

(٣) فتح البلدان للبلاذري ص ٤١١ وما بعده .

الذى أعده الوليد من قبله لفتح هذه المدينة وكانت الفرصة مواتية لهذا العمل الكبير لولا ما حدث للخليفة من انشغاله بأمور تافهة ما كان يصح أن يقع فيها مثل تعنته مع موسى بن بصير وقتيبة بن مسلم وغيرهما مما أدى إلى ضعف الصف العربي والاسلام . ليس هذا فقط بل تراجع الاسطول العربي أمام نيران العدو ومات سليمان دون أن يحقق أمانيه .

وأكثر حسنة له . وصيته بتولية عمر بن عبد العزيز خليفة بعده كمال ذكره الطبري (١) . .

#### ٨ - عمر بن عبد العزيز ( ٩٩ - ١٠١ هـ ٧١٧ - ٧٢٠ م )

وهذا الخليفة غنى عن التصرف فكانت الإصلاحات الداخلية والخارجية التي قام بها في هذه المدة الوجيزة تحتاج وحدها إلى رسالة كاملة وكفاه فضلاً أن الحسن البصري لم ينسجم من أي خليفة من خلفاء بني أمية مثل انسجامه من عمر بن عبد العزيز وحببه له . .

#### ٩ - يزيد ( الثاني ) بن عبد الملك : ( ١٠١ - ١٠٥ هـ ٧٢٠ - ٧٢٤ م )

لم يمهل القدر الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز حتى اختاره مع شدة الحاجة إليه وللأسف لم يرض يزيد هذا في طريق سلفه القريب بل على العكس أخذ يهدم ما بناه عمر رضى الله عنه مثل : أخذ الجزية من أسلم ، وتقريب أهل الخطوة . . مما أدى إلى ظهور الاضطرابات والفتن . . هذا بالإضافة إلى شخصيته الضعيفة التي تتمثل في عاطفته الشديدة التي لا تلائم موقفه كخليفة للمسلمين . وقد عرفنا سابقاً في الحالة الاجتماعية أن يزيد كان مغرماً بحب جارية تدعى " حبابة " لدرجة كبيرة ، حتى أنه تأثر بموتها ما قيل : أنه مات بسبب ذلك (٢) .

#### ١٠ - هشام بن عبد الملك : ( ١٠٥ - ١٢٥ هـ ٧٢٤ - ٧٤٣ م ) : جاء هشام بن

عبد الملك لمجد أخيه يزيد إلى الحكم في وقت عصيب تحتاج فيه الدولة إلى من يأخذ بيدها إلى بر الأمان . ومن محاسن الصدق أن هشاماً بن عبد الملك لم يكن كأخيه في استهتاره . . . ولكن هشاماً كان يقظاً لسماسة الدولة فكان كثير الاشراف على حسابات الدولة محافظاً على مظهره الديني إلا أنه لم يستطع

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ ص ١٢٩ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٨ ص ١٢٩ .

أن يسير بحكمة مع الشيعة مما سبب تقوية المعارضة ضد الأمويين ومهد السبيل  
لانتشار الدعوة السياسية في الشرق ولم يوفق في محاملة الموالى محاملة طيعة  
كعمر بن عبد العزيز ، واشتداد عماله في جباية الأموال أدت الى قيام البربر  
بثورة عظيمة في شمال أفريقيا مما اضطر هشاماً لارسال جيش اليهم لمحاربتهم .

ورغم كل هذا فقد بلغت الدولة العربية في عهده أوسع حدودها ودل  
نشاطه الحرس على أنه لم يرهب الحروب وظهر ذلك من تجهيزه للجيش  
الكبيرة وبناء الحصون الشيعة لمواجهة الروم بعد فشل غزو القسطنطينية  
٩٨ / ٩٩ هـ فكان يقوم في كل صيف بغزوات كبيرة حتى أربب الأعداء وأعطى  
للدولة هيبة (١) . وهذا الخليفة هو الذي مات الحسن البصري في عهده .

---

(١) الدولة العربية الإسلامية للدكتور نظير حسان ص ١٩٦ - ٢٠١ .

## الفصل الثالث

### الحياة الفكرية

تمهيد :

كان العالم قبل الاسلام فى حاجة الى رسالة • وقد أجهت الدلائل كلها بما لا شك فيه أن محمدا صلى الله عليه وسلم صاحب تلك الرسالة • والرسالة التى جاء بها الى العالم لينقذه من الظلمات الى النور هى " الاسلام " •

وصدق الله العظيم اذ يقول : " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهتدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم " (١) •

والاسلام الذى أنار الله به البشرية حمل الى العالم فكرا جديدا • ليس هذا فقط بل حث على التفكير ، والنظر والتدبر " ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب " (٢) • و " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " (٣) • وإذا نظرنا الى أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجدنا قولاً يدعو الى التفكير والقراءة • قال تعالى " اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم " (٤) • كما حث على العلم والتعلم : " وقل رب زدنى علما " (٥) • و " وما أوتيتم من العلم الا قليلا " (٦) • وفوق كل ذى علم علم " (٧) • على هذا أقبل الصحابة عليهم رضوان الله تعالى على العالم النافع والفكر الصحيح من منابعه الأصيلة فتفقهوا وفقهوا وغيرهم • وأصبحت قوة طيبة للأجمال كلها • وعلى نهجهم سار التابعون وغيرهم • • وليس معنى هذا أنهم كانوا آلة صماء تلقى اليهم المعلومات دون مناقشة أو جدل بل كانوا يسألون النبى عليه الصلاة والسلام فى كثير من الأمور التى تهمهم فنرى القرآن نفسه يذكر طرقا من

- |                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| (١) المائدة آية ١٥ ، ١٦ • | (٢) آل عمران آية ١٩٠ •     |
| (٣) النساء آية ٨٢ •       | (٤) الصافات الآيات ١ - ٥ • |
| (٥) طه آية ١١٤ •          | (٦) الاسراء آية ٨٥ •       |
| (٧) يوسف آية ٧٦ •         |                            |

هذه الأسئلة التي كانت توجه الى الرسول والاجابة عليها مثل قوله تعالى : " يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج " (١) و " ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض " (٢) . الى آخر هذه الأسئلة والأجوبة الكثيرة في القرآن والسنة مما لا يتسع ذكره . .

ومن أجل هذا يقول سبحانه جل ذكره : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن " (٣) ، ويقول : " ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن " (٤) . وهذا هو ابن قيم الجوزية يبين لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت توجه اليه الأسئلة في دقائق الأمور فيجب عليها دون حرج منه ما دامت الأسئلة في حدود المعرفة التي يستطيع العقل أن يدركها وعدم تقديم أنموذج منها يقول : وفيه دليل على أنهم كانوا يوردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشكك عليهم من الأسئلة فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم ، وقد أورد عليه صلى الله عليه وسلم الأسئلة أعداؤه وأصحابه . . أعداؤه للتمنت والمغالبة ، وأصحابه للفهم والبيان ، وزيادة الايمان . وهو يجيب كلا من سأله الا ما لا جواب عنه كسؤاله عن وقت الساعة . . . (٥) . . .

من كل هذا ندلم بأن عصر الرسول . . كان يحتوي بذور التفكير في مسائل العقيدة وأن جانباً من الممتحنين عن هذا النوع من التفكير انما كان امتناعهم راجعاً الى رهبة الموقف الذي يجدون أنفسهم فيه .

ويخطئ من يظن أن البيئة الاسلامية كانت في ذلك الوقت — خاصة — بعد أن دانت للرسول صلى الله عليه وسلم أجزاء الجزيرة العربية وأنحازتها المختلفة — لا تزال نشاطاً فكرياً حول العقيدة الاسلامية . . (٦) .

والدليل على هذا الخطأ ما حدث بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من اختلاف حول الخلافة والنص الذي ورد في ذلك

(١) البقرة آية ١٨٩ .

(٢) البقرة آية ٢٢٢ .

(٣) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

(٥) زاد المصاب في هدى خير المصاب لابن قيم الجوزية ج ٣ ص ٥٧ .

(٦) نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية للاستاذ يحيى هاشم فرغل ص ٤٣ .

وهو قوله : " الأئمة من قریش " (١) إلى آخر هذه الأمور الدالة على حرمة الفكر والنشاط العقلي بين الصحابة عليهم رضوان الله .

في ضوء ما ذكرناه نعلم أن الإطار الذي كان يدور حوله التفكير والنظر هو كتاب الله تعالى لأنه المصدر الأصلي لكل قول أو عمل يريدون أن ينفذوه . لدرجة أن المسلمين في بادئ الأمر لم يكتبوا بعد القرآن إلا القليل من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لشدة حاجتهم إليها في ما أشكل عليهم فهمه من القرآن الكريم . وكانوا إذا وقفت في طريقهم مشكلة علمية رجحوا إلى الخلق وفقهاء الصحابة ليتبينوا حقيقة الأمر . والدليل على هذا ما قاله أبو هريرة رضي الله عنه : " لما فتحت مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب فقام رجل من اليمن يظل له أبو شاة ، فقال : يا رسول الله اكتبوا لي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتبوا لأبي شاة . وفي رواية أخرى قال : اكتبوا له (٢) .

هذا التمهيد يمدى لمحة سريعة عن " الحياة الفكرية " كما عاشها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الأبرار . وحتى يتبين لنا بجلاء ووضع عصر الحسن البصري الفكري لا ينفصل عن الحديث بالتفصيل عن الحياة الفكرية من حيث وصفها ومراكزها ، والحديث عن الحركة الدينية مفصلة كذلك من حيث الكلام عن القرآن وعلومه ، والحديث وعلومه ، والتشريع الإسلامي وتطوره ، وبالتالي عن الفرق الدينية المختلفة وما تشعبت عنه .

إذا فعلنا ذلك نجد أن هذا العصر من هذه الناحية يحتاج إلى رسالة كاملة — على الأقل — ولكن نبرز — بإذن الله تعالى — الأفكار الرئيسية في هذا العصر وما عدا ذلك يجرى الحديث عنه ضمنا بما يكون له اتصال بالحسن والله الموفق .

(١) في البخاري ج ٨ ص ١٠٤ — ١٠٥ عن معاوية أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن هذا الأمر في قریش لا يحد بينهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين " ، ورواه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص ١٢٩ ، ص ١٨٢ عن أنس بن مالك . . . وج ٤ ص ٤٢١ عن أبي هريرة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . " الطبعة الأولى ، ومسنند الطيالسي برقم ١٢٦ عن أبي هريرة ويرقم ٢٤٣٣ منه عن أنس . . . (تخريج المحقق محب الدين الخطيب في تعليقه على كتاب " المواسم من القواصم " لابن الصري رمضان ١٣٧١ هـ) .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١٢ ص ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، وفقح البخاري ج ١ ص ٢١٧ ، وجامع بيان العلم ج ١ ص ٧٠ .

## الفتوحات ودخول الموالى فى الاسلام :

فتحت العراق وفارس ومصر ، وغير ذلك فى عصر الخلفاء الراشدين • وظهور دعاة الى الله تعالى يبصرون الناس فى أمور دينهم ودنياهم مما كان له أثر كبير فى البلاد المفتوحة ، فكان طبيعيا أن يتحمس أصحاب تلك الديانات فيدافعون عن مللهم ونحلهم • حينئذ تكثر المناقشات ويلتحم الجدل فيها فى المصر الأموى بين المسلمين وغيرهم • وكان المركز الكبير لهذه التيارات المختلفة من المناقشات والجدل هو " العراق " • ويدخل الموالى فى الاسلام يدخل مع الكثير منهم آراء ونحل مختلفة حتى اضطربت أفكارهم فظهرت منهم المجسمة والمشبهة • • • فأصبح هذا وغيره مزارجدل كما أن الناحية السياسية وانقسام المسلمين الى شيعة وخوارج فممتزلة وغيرهم تبعه هذا اختلاف فكرى شديد والتحام مذهبى عنيف (١) •

ويمكن أن ينجلي هذا بوضوح فى الحديث عن " نشأة الأحزاب والفرق الدينية وتعاليمها " • وقبل الحديث عنها يجدر بنا أن نتحدث عن الأسباب التى دعت اليها •

## أسباب ظهور الأحزاب والفرق الدينية :

تتخصر هذه الأسباب — غالبا — فى الأمور الآتية :

- أولا — سياسة الدولة وحكمها • ونتج عن ذلك ظهور الشيعة والخوارج •
- ثانيا — الاهتمام بالرد على الاسرائيليات التى سرت عدواها الى تفسير القرآن الكريم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم •
- ثالثا — الرد على الشبهات التى تثار حول الاسلام خصوصا بعد الفتوحات ودخول الكثير فى دين الله تعالى • • •

هذه الأسباب نتج عنها ظهور الأحزاب والفرق الدينية وغير ذلك مما تسبب عنه تعطيل الجهود وتوحيدها نحو مجتمع أفضل ، وحياة أسعد وأرغد •

## نشأة الأحزاب والفرق الدينية :

جاء الاسلام الى البشرية ليخرجها من الظلمات الى النور • ولكن أعداء الاسلام وأعداء النور الذين يجب أن يمحشوا فى الظلام كانوا يتحينون الفرصة فى كل وقت وحين لالقاء الشك فى نفوس المسلمين ليخرجوهم من النور الى الظلمات •

(١) من تاريخ الجدل حسن البصرى للشيوخ محمد أبو زهرة ص ٨٦ ٩٦ منشورات معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة •



حدث هذا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقلحوا ، وبعد موته أيضا ولكن الله سلم فقد كان الخليفة الأول والثاني يقضيان على زمام الدولة الاسلامية بحزم وعزم لأجل أن لا تنفر عن الطريق الذي رسمه المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ولكن ما ان جاء عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان عليه رضوان الله وللمعدة اعتبارات ذكرت فيما مضى رأى أعداء الاسلام أن الفرصة أصبحت سانحة لالقاء بسذرة الخلاف بين المسلمين وأخذوا يغذونها حتى كبرت وترعرعت وأصبحت هذه البسذرة فتنة كبيرة كانت سببا في تصدع وحدة المسلمين . وتفرق كلمتهم خاصة بعد عهد الخلفاء الراشدين ووصل الأمر الى تكفير بعض أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى . .

ومن أهم الأمور التي ساهمت في ذلك ما عرف في التاريخ الاسلامي — قد يما وحديثا — بقصة عبد الله بن سبأ اليهودي الذي خرج على علي الأمة بقضية شغلت الرأي العام في عهد عثمان ألا وهي : هل المال مال الله أو مال المسلمين ؟ ، وخلاصة هذا الموضوع كما روي في المصادر الاسلامية أن عبد الله بن سبأ هذا — أصل السبئية — كان يهوديا من صنعا اليمن . أظهر الاسلام في عصر عثمان وانسد من بين المسلمين وأخذ يتنقل في حواضرهم وعواصم بلادهم : الشام ، والكوفة ، والبصرة ، ومصر ، مبشرا بأن للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وآله رجعة كما أن لعيسى بن مريم رجعة . وأن عليا هو وصي محمد صلوات الله وسلامه عليه . كما كان لكل نبي وصي وأن عليا خاتم الأوصياء كما كان محمد عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء . وأن عثمان غاصب حق هذا الوصي وظالمه فيجب مناهضته لارجاع الحق الى أهله .

ولقب عبد الله بن سبأ بابن الأمة السوداء . وأخذ ييث دعايته هذه ففى البلاد الاسلامية عن طريق دعة له . أما اياهم أن يظهرها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والطعن في الأمراء فقال اليه وتبعه على ذلك جماعات من المسلمين منهم الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضى الله عنه (١) . . الذي قابله في الشام فقال له : يا أبا ذر ، ألا تعجب الى معاوية يقول : " المال مال الله ، ألا ان كل

(١) أبو ذر جندب بن جندة الغفاري ، كان رابع أربعة سبقوا الى الاسلام ، وكان من المتألهين في الجاهلية والذين عبدوا الله وتركوا الأصنام . ولما أسلم جهريا في البيت الحرام بمكة فضربه رجال من قريش حتى أوشك على الموت ثم رجع الى بلده بعد أن قال له الرسول : ( ارجع الى أهلك حتى يأتيك خبري ) وأقام بها حتى مضت بذر وأخذ فقدم الى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وبعد وفاة الرسول سار الى الشام . ومكث هناك حتى شركاه معاوية الى الخليفة سويدنا عثمان فأسرعه ففاه الخليفة الى الرينة — بين مكة والمدينة — وتوفي بها سنة ٣٢ هجرية (١٧١ — ١١١) .

شيء لله " كأنه يريد أن يحتججه دون المسلمين ، ويحوا اسم المسلمين .  
 فأتاه أبوذر فقال : ما يدعوك إلى أن تسمى ما المسلمين " ما لله " ؟  
 قال معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه  
 والأمم أممه ؟ قال أبوذر : فلا تقله . قال معاوية . فأتى لا أقول انه ليس لله ، ولكن  
 سأقول " ما المسلمين " وأتى ابن السوداء " عبد الله بن سبأ " أبا الدرداء ،  
 فقال له : أبو الدرداء . من أنت أظنك والله يهوديا . فأتى ( ابن سبأ ) عبد الله  
 بن الصامت ، فتعلق به ابن الصامت فأتى به معاوية فقال : هذا والله السذى  
 يمت عليك أبا ذر .

ليس هذا فقط بل ان السبئيين أخذوا يحرضون الناس على ولايتهم مما أدى إلى  
 قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وحينما تقاربت وجهات النظر بين قادة الجيشين  
 — جيش على وجيش طلحة والزبير (١) — أسرج السبئية بافساد الخطة حتى وقعت  
 الحرب الشهيرة بالجممل التي كانت فيها .

(١) طلحة هو : أبو محمد طلحة بن عبيد الله . القرشي التيمي . . . شهيداً أحداً  
 فشلت أصدقه بها . وقد آخى النبي بينه وبين الزبير . وكان من أشد المؤيدين  
 على عثمان . فلما قتل سبق إلى بومة على بن أبي طالب ثم خرج إلى البصرة  
 مطالباً بدم عثمان وراه مروان بن الحكم فقال : لا أطلب بشاري بعد اليوم فرماه  
 بهم قتل منه في سنة ٣٦ هـ ( طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٦ — ١٥٩ ) ، وأنساب  
 الأشراف للذيل الأندلسي ج ٥ ص ٤٤ — ٩٠ ) .  
 والزبير هو : أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي  
 أسلم بمكة وكان ممن خالفوا عثمان . ولما قتل عثمان بادر إلى بومة على ثم خرج  
 إلى البصرة مطالباً بدم عثمان . ولما تقابل الجيشان ذكره على بقول الرسول :  
 " ستقاتل علياً وأنت ظالم " فرجع حينئذ قتله أحد التميميين غيلة في سنة ٣٦ هـ  
 ( طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٧٧ ) ، ونهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد  
 ج ١ ص ٧٥ — ٨٥ ) .

### ( الشهادة )

الشهادة : لغة الأتباع والأتباع ، يقال : شهادة الرجل أتباعه وأنصاره . وتشهد الرجل أى أدى دعوى " الشهادة " . وفى اصطلاح المتكلمين والفقهاء : أنصار الإمام على كرم الله وجهه ومنه المدافعون عنهم والمعاملون على أسناد الخلافة المهم . . . وحول هذا المعنى يقول الشهرستانى : " الشهادة هم الذين شايحوا علما - رضى الله عنه - على الخصوص . وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية ، أما جليسا ، وأما خفيا ، واعتقدوا أن الإمامة لا يخرج من أولاده ، وإن خرجت فيظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده .

وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصيبهم بل هى قضية أصولية ، وهى ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام اغتاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وأرحاله . بعضهم القول بوجوب التعيين والتخصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبار والصغار . . . (١)

### نشأة الشهادة :

فى صدر الاسلام أظهر جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الحب الخالص لمولى بن أبى طالب . كعمار بن ياسر ، وسلمان الفارسى ، وأبى ذر الغفارى ، وجابر بن عبد الله وغيرهم .

وهذا الحب لمولى - رضى الله عنه - له مبررات متعددة . فهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وأول من أسلم من الشباب ، ونزع فاطمة الزهراء ، والفدائى الذى افتدى الرسول ليلة الهجرة ، والفقهاء الذى يستقى فى مهمهم الأمور . . . الخ .

ومن أجل هذا كانوا يرون أنه - أى على - أحق بالخلافة من غيره . أخذ هذا العدد بزاده شيئا فشيئا خاصة بعد الظروف التى واجهت الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، كما عرفنا فى الحالة السياسية من الفصل الثانى . وكذلك بعد أن تولى الإمام على خلافة المسلمين .

(١) الملل والنحل للشهرستانى - طبعة مصطفى الحلبي - ج ١ ص ١٤٦

وقد أخذت هذه الفكرة الشعبية تطوّر مع الزمن من البساطة الى التعقيد

حتى وصل الأمر الى اعتبار علي نبيا بل وإلى تأليهه .

حدث هذا بسبب تشييع فئة غير مخصصة انضمت الى المتشيعين المخلصين للإمام علي . وساعد على ذلك تركيز النفوذ والسلطان في أيدي العرب . مما أدى الى تشييع الموالى من الفرس الذين تعودوا على تعظيم البيت المالكي في فارس ، فلما دخلوا الاسلام نظروا الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم نظرتهم الى البيت المالكي في فارس معتقدين أن أفراد هذا البيت أحق بالخلافة من غيره .

كما اندس في صفوف الشيعة بعض من ييخى الكيد للإسلام من أصحاب الديانات الأخرى الذين اعتنقوا هذا الدين الحنيف واتخذوا من حب آل البيت ستارا يملكون وراءه .

وشبهه بهذا ما قاله الدكتور أحمد أمين : وقد ذهب الأستاذ " ولنهوسن " الى أن العقيدة الشيعية نبتت من اليهودية أكثر مما نبتت من الفارسية مستدلا بأن مؤسسها " عبد الله ابن سبأ " وهو يهودي . وميل الأستاذ " دوزي " الى أن أساسها فارس ، فالعرب تدعى بالحرية والفرس يدعون بالملك ، والوراثة في البيت المالكي ، ولا يعرفون معنى لانتخاب الخليفة . وقد مات " محمد - صلى الله عليه وسلم - ولم يترك ولدا فأولى الناس بعده ابن عمه " علي بن أبي طالب " فمن أخذ الخلافة منه كأي بكر وعمر والأمويين فقد اغتصبها من مستحقها ، وقد اعتاد الفرس أن ينظروا الى الملك نظرة فيها معنى الهى ، فنظروا هذا النظر نفسه الى " علي " و " ذريته " وقالوا : ان طاعة الامام واجب ، وان اطاعته اطاعة الله (١) .

على هذا فالشيعة من أقدم الأحزاب والفرق الدينية التي ظهرت في صدر الاسلام وبالأخص في أواخر عهد عثمان - رضى الله عنه - وأيام خلافة الامام علي كرم الله وجهه .

ولما كان لعلى من المكانة بين الناس ، والمنزلة الممتازة في الاسلام أخذت الشيعة ينشرون دعوتهم بين الناس حتى اذا كان العصر الأموي وقعت المظالم على الملهين ورأى الناس عليها وأولاده ضحايا هذا الظلم وانتشر المذهب الشيعي وكثر أنصاره .

(١) فجر الاسلام للدكتور أحمد أمين ص ٢٧٧ - الطبعة السابعة سنة ١٩٥٩ م .

## أهم مركز لانتشار المذهب الشيعي وأسباب ذلك :

كان أكبر مركز لانتشار المذهب الشيعي هو العراق وفارس وهذا يرجع إلى عدة اعتبارات أهمها ما يلي :

أ - اعتقادهم بأحقية علي بن أبي طالب بالخلافة من معاوية ، وأعجابهم بعلمه وتقواه وعطفه عليهم .

ب - تزوج الحسين بن علي بشاهدينا واحداً بنات يزجرد آخر أكاسرة الفرس فقالوا بذلك إلى جنسهم .

وكان الفرس يرون في ملوكهم روحاً عالية فاهية فيهم كفسراغة مصر تحل فيهم

روح الاله بنات يزجرد فيهم هذه الصلة الالهية . فلما شجيبها (١) الاسلام

بقوت ظلال منها راسب لهذه العقيدة المنهارة .

ج - أكثر سكان هذه البلاد من أصل فارسي ، أسلموا واندمجوا بالعرب والعقيدة الشيعية ملائمة لعقولهم .

د - وكان شعور الموالي بتخلفهم عن العرب في المكانة الاجتماعية والوضعية السياسي من بواعت تشيعهم .

هـ - المداء القديم بين العراق والشام الذي تمثله الحيرة التي كانت تابعة للفرس ، وغسان التابعة للروم .

و - الصراع القديم بين المدائنيين بالعراق ، والقحطانيين بالشام وإذا كان قد توارى في صدر الاسلام فإنه لم يلبث أن استيقظ في عصر بني أمية (٢) .

## الثورات الشيعية :

بايع أهل الكوفة الحسن بن علي بعد قتل أبيه يوم أحد الخوارج ، ولكن الحسن بعد مدة قصيرة من الخلافة رأى أنه لا طاقة له بحرب معاوية فكسب الصلح بينهما بالتنازل عن الخلافة وبذلك تم حقن الدماء ( ٤٠ هـ - ٦٦٠ م ) لم ينته الأمر عند هذا التنازل - حتى سعى العام سنة ٤٠ هـ بعام الجماعة - بل أخذ التشيع لآل البيت ينمو ويزداد خاصة بعد سب الامام علي على المنابر مما تسبب منه ثورة بعض أفراد الشيعة وقسوة الخليفة الأموي عليهم (٣) .

(١) شجيبها : أي أهلكها ( الطومس المحيطة مادة شجب ) .

(٢) الدعي إلى الاسلام لثوماس أرنولد ص ١٨١ - الطبعة الثانية ، أدب السياسة في العصر الأموي للدكتور أحمد الحوفي ص ٣٤ - ٣٨ - الطبعة الثالثة .

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ ص ١٤١ - ١٦١ .

وفى عهد يزيد بن معاوية ظم مسلم بن عقيل بثورة مع أهل الكوفة ولكن انتهت  
بقتله وصلب — به .

ثم كانت مذبحة كربلاء البشعة التى عومل فيها أهل البيت معاملة غير كريمة  
وعلى رأسهم " الحسين بن على " بعد قيامه بثورة ضد الحكم الأموى . تسبب عن هذا  
انتشار التشيع بين الفرس أصحاب الحسين فحاولوا أن يأخذوا بئار الحسين رضى الله عنه .  
وفى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ظهرت جماعة التوابين الذين ندموا على  
عدم وقوفهم بحزم بجانب الحسين بن على وظاموا بثورة ضد الحكم الأموى ، واشتبكوا مع  
جيش عبد الملك حتى انهزموا فى سنة ٦٥ هـ . (١) .

ثم جاءت ثورة المختار بن أبى عبيد التى انتهت بقتله سنة ٦٧ هـ وثورة زيد بن على  
زين العابدين فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك الى غير ذلك من الثورات المتعددة  
التي انتهت بسقوط الدولة الأموية وقام الدولة العباسية .

### أشهر فرق الشيعة :

لم تقف الشيعة عند فرقة واحدة بل تعددت فرقها . وسأكتفى فى هذا  
النظام بذكر أشهرها مع بيان المؤسس لها .

١ - السبعية : ومؤسسها رجل من يهود صنعاء ينفى فساد عقيدة المسلمين .  
فأعلن إسلامه واتخذ التشيع لآل البيت شعاراً يعمل من خلفه ألا وهـ  
" عبد الله بن سبأ " . . (١)

٢ - الكرسانية : ورئيس هذه الفرقة كيسان مولى أمير المؤمنين على وتلميذ محمد  
ابن الحنفية . . (٢)

٣ - الزيدية : أصحاب زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المعدون  
فى الثقات من المحدثين (٣) .

٤ - الإمامية : وهذه أهم فرق الشيعة على الإطلاق . وقد عرفوا بهذا الاسم  
لقولهم بإمامة على رضى الله عنه بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، نصيباً  
ظاهراً ، وتميمنا صادقاً . وكذلك الإمامة فى بنوه من فاطمة وحدها بطريق  
التعيين من رسول الله واحداً بعد واحد .

- 
- (١) الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٢٨٠ .
  - (٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٣٣ .
  - (٣) تاريخ الأمم والملوك للطبرى ج ٨ ص ٢٦٦ .

واستدلوا على مقالتهم هذه بأدلة كثيرة ليس هنا موضعها •  
والامامية لم يكونوا فرقة واحدة بل انقسموا أيضا الى فرق متعددة أدات السي  
تمزيق الصف الاسلامي ••

هذه لمحة سريعة عن أشهر فرق الشيعة • ولكل فرقة من هذه الفرق آراء  
وأقوال يطول ذكرها • وسنورد فيما يلي أهم هذه الأفكار والآراء التي كانت تشغل  
أذهان الكثير منهم •••

### المبادئ العامة لفرق الشيعة :

تتضمن المبادئ العامة لفرق الشيعة فيما يلي :

١ - الامامة : يرى الشيعة أن الامامة ركن من أركان الدين فلا يجوز للرسول -  
في نظرهم - أن يخفل عنها ويترك أمرها الى الأمة • فالأيد من تعيين امام لها  
يكون معصوما من الكبائر والصغائر • وأول امام تنطبق عليه شروطهم هو الامام  
علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١) •

٢ - عصمة الأئمة : من مبادئ الشيعة أن الأئمة معصومون من الخطأ • ويبدو  
أن هذا المبدأ لم يقل به أئمتهم المتقدمون وإنما صدر عن غلاتهم مما جعل علماء  
التوحيد يتحدثون عن عصمة الأنبياء "باسهاب كما سيجي" بعد (٢) •

٣ - نظرة الشيعة الى الامام علي : يختلف دقة الشيعة في نظرتهم الى  
الامام علي - كرم الله وجهه - فمنهم من فضله على سائر الخلق بعد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، كما اعتقدوا في عدم جواز الصراط لأى انسان الا اذا جسا  
بجواز يدل على أنه من شيعة علي • ومنهم من اعتقد في أن جزءا الهيا  
حل في عيسى واتحد بجسده • وه كان يعلم الغيب ••  
وهكذا أخذ بعضهم يقول فيه ما هو منه براء (٣) •

(١) التبصير في الدين للأصغر ايني ص ٢٤ وما بعدها •

والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٥ •

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٥ •

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٢٠ •

٤ - التقية : التقية معناها : أن يخاف الانسان على نفسه أو عرضه أو ماله عدواً فيظهر له بلسانه ما ليس في قلبه على جهة المداراة والكتمان . ويستأنس بهذا بقول الله تعالى : ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقية ) ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ) فقوله تعالى " تقية " قرأها بعضهم " تقية " . وقد أجازها جماعة من العلماء منهم ابن عباس والضحاك والريوس بن أنس والحسن البصري . . . . واستندوا إلى هذا بقول الله تعالى : " إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان " . . . وهناك تفصيل في أحكامها في غير هذا الموضع . . . (١) .

وقد اهتم الشيعة بهذا المبدأ حتى قالوا : " لا دين لمن لا تقية له " . وبلغ من تفالهم في هذا الأمر أن جعلوا للكلام ظاهراً وباطناً . إلى آخر ما قالوا واعتقدوا بخلاف الخوارج الذين لا يجوزونها بأي حال من الأحوال مهما تعرضوا للأخطار . . . .

٥ - اعتقاد الشيعة في غزارة علم الأئمة : وقد بلغ من اعتقادهم في مكانة علم الأئمة وغزارته أن قال قائلهم في شأن الإمام علي كرم الله وجهه .  
لو كان علمك بالاله مقسماً . . . في الناس ما بحث الاله عن رسولا

٦ - إيمانهم بالمهدي المنتظر : أشاع عبد الله بن سبأ اليهودي أن علياً ابن أبي طالب لم يقتل وأنه هو المهدي المنتظر ، وسينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه . . وسرعان ما انتقلت هذه الفكرة من السبئية إلى الكيسانية الذين جعلوا مهديهم محمد بن الحنفية مع أنه قد مات وصلى عليه وإلى المدينة إبان بن عثمان وقد دفن بالبقيع سنة ٨١ هـ (٧) . إلى آخر ما قالوا في هذا وغيره من المبادئ المتعددة التي لا تتصل برسالة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٥٧ ، وتفسير القرطبي ج ٤ ص ٥٧ .

(٢) تاريخ الفرق الاسلامية للدكتور أحمد مجاهد مصباح ص ٣٠ .



### ( الخواج )

يقول الشهرستاني في تصريفه للخوارج : " ان كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يكون خارجيا " سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين ، أو على الأئمة في كل زمان ومكان (١) .

وهذا التصريف من الشهرستاني للخواج نفهم منه أنه ذم لهم لخروجهم على جماعة المسلمين ومن الممكن أن يوجدوا في كل زمان ومكان .

أما تصريف أبي الحسن الأشعري الظل : " انهم سمو خواج لخروجهم على علي بن أبي طالب " (٢) . فيختص بفتنة محيلة .

وهناك من العلماء المحدثين من يرى أنهم سمو بهذا أخذاً من قوله تعالى : " ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله " وعلى هذا تكون تلك التسمية ( الخواج ) لقب مدح لا ذم وتكون منهم لا من مخاليفهم (٣) .

وعلى كل فان الذي يعنيننا الآن هم الخواج الذين عرفوا باسم " الحرورية " و " السحكة " و " المارقة " الخ . . كما سنحرف .

### نشأة الخواج :

اتفقت كلمة المسلمين في حياة أبي بكر وعمر . ثم جاء عثمان وقامت ثورة في عهده أدت الى استشهاده . بعده هذا بايع الثوار الامام علي بن أبي طالب بالخلافة على المسلمين .

ولكن الأمر لم ينته بقتل عثمان - رضى الله عنه - بل استمرت الأوضاع في قلق مما اضطر الامام عليا أن يدخل مع الخارجيين على الحكم في معركتين شهيرتين موقعة الجمل ، ومعركة صفين التي انتهت بعملية التحكيم . معنى هذا أن أهل

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٥ .

(٢) مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري ج ١ ص ١٢٧ .

(٣) تاريخ الفرق الاسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين للدكتور علي مصطفى الفرابي

الشام رفعوا المصاحف على الرياح ونادوا " ما فيها حكم بيننا وبينكم " . فرضى الكثير من جيش علي بهذا الحكم . ولكن الامام عليا فهم هذه الخديعة وحاول أن يفهمهم اياها فلم يستطع وقبل التحكيم . وكاد الأمر ينتهي عند هذا الحد . لولا أن فئة من أتباع علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - أعلنت رفضها لهذا التحكيم وقالوا كلمتهم المشهورة " لا حكم الا لله " .

ويريدون بهذا أن يرجع الامام علي عن رأيه في هذا التحكيم ولما يثسروا من قبوله لدعوتهم خطب خطيبهم يوما فقال : " أما بعد ، ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينيبون الى حكم القرآن أن تكون هذه آثار عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقول الحق وإن من ضرر ، فانه يضر في هذه الدنيا فان ثوابه يوم القيامة رضوان الله عز وجل ، والخلود في جناته فأخرجوا بنينا اخواننا ، من هذه القرية الظالم أهلها الى بعض كور الجبال أو الى بعض هذه المدائن منكربين لهذه البدع الضالة " (١) . هذه الفتة أطلق عليها " الخواج " لأنها خرجت على الامام علي .

### بين الامام علي والخواج :

نشأت الخواج في أول مهدها بسيطة دون تعقيد شأن أى فرقة من الفرق الاسلامية . ولكن بعض المتغالين انضموا معهم وأخذوا يشعلونها نارا حامية لا تنطفئ أبدا .

فلما انتهت عملية التحكيم بالطريقة التى لم يرض عنه الكثير من جيش علي - كرم الله وجهه - أرسل الامام علي الى الخواج الذين انفصلوا عن جيشه متجهين الى النهروان (٢) حينئذ كتبوا اليه : " أما بعد ، فانك لم تغضب لربك وإنما غضبت لنفسك فان شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ، ولا فقدنا بذناك على سوا ان الله لا يحب الخائنين " . ومن هنا بدأ الخواج يتغالون في أمرهم خاصة وأنهم استباحوا قتل الأبرياء ، واتهام الكثير من عباد الله بالكفر والضلال مما جعل الامام عليا يستعد لحربهم والقضاء على هذه القضية الضالة التى انحرفت عن سوا السبيل . وقبل أن يعرض في طريقه أراد أولا أن يلزمهم الحججة . فخرج اليهم في أربعة آلاف من أصحابه وقابلهم وقال لهم " يا قوم

(١) فجر الاسلام للدكتور أحمد أمين ص ٢٥٦ - ٢٥٧ - الطبعة السابعة .

(٢) النهروان : جنوب شرقى بغداد بالمراق .

ماذا نقسم منى حتى فارقتموني لأجله ؟ ، قالوا : " أول ما نقمنا منك أنما  
 ظلتنا بين يديك يوم الجمل فلما انهزم أصحابه أبحث لنا أموالهم ولم تبح لنا نساءهم  
 وذرياتهم وكيف تحل مال قوم وتحرم نساءهم وذرياتهم ؟ وقد كان ينبغي أن تحرم  
 الأمرين معا أو تبيحهما معا " . فقال على : " انما أبحث لكم أموالهم بدلا عما أغاروا  
 عليه من بيت مال البصرة قبل قدوس اليها والنساء والذرية لم يقاتلونا وكان لهم  
 حكم الاسلام ولم يكن منهم ردة عنه ولا يجوز استرقاق من لم يكفر ، وبعد لو أبحث لكم  
 النساء أيكم يأخذ عائشة في سهمه ؟ فخشجل القوم وانتقلوا الى موضوع آخر .  
 قالوا : نقمنا عليك يوم التحكيم جعلت في كتاب الصلح أن أمير المؤمنين على بن أبي طالب  
 ومعاوية حكما فلانا فلما قال معاوية : " لو تعلم أنك أمير المؤمنين ما خالفناك " .  
 محوت امرة المؤمنين عن اسمك فان كانت امامتك حقا فلم رضيت به ؟ " .

فاعذر أمير المؤمنين وقال : " انما فعلت كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم  
 حين صالح سهيل بن عمرو . فقال له سهيل : " لو علمنا أنك رسول الله ما خالفناك  
 ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ففعل النبي صلى الله عليه وسلم فكانت قصتي في هذا  
 مع الأبناء قصة الرسل مع الآباء .

انتقل الخوارج الى نقطة أخرى وقالوا : " لم قلت للحكيم ان كنت للخلافة  
 أهلا فأثبتاني فان كنت في شك في خلافتك فثبوتك في الشك فيها أولى " فقال على :  
 " انما أردت أن أنصف الخيم وأسكن الثائرة ولو قلت للحكيم احكموا لي لم يرض  
 بذلك معاوية . وقد دعا الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — نصاري نجس —  
 الى العاهلة وقال لهم : " تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا  
 وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين " (١) . وانما قال لهم ذلك على  
 سبيل الانصاف لا على سبيل التشكيك قالوا : فلم حكمت الحكيم في حق كان لك ؟  
 فقال على : حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ في بني قريظة ولو شاء  
 لم يفعل وأقت أنا كذلك حكما لكن حكم رسول الله حكم بالعدل وحكمي خدع حسني  
 كان من الأمر ما كان (٢) .

هذا الحوار بين على والخوارج كان له تأثير كبير ما جعل الكثير من الخوارج

(١) آل عمران آية رقم ٦١ .

(٢) التبصير في الدين للأسفراييني ص ٢٢ ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ٥٨ .

ينضمون الى جيش علي رضي الله عنه • وما بقي من الخوارج دخل في معركة مع جيش أمير المؤمنين علي • وكانت هزيمتهم ساحقة ولم ينج منهم الا القليل (١) .  
أهم فرق الخوارج :

لم ينته أمر الخوارج بهذه الهزيمة التي أوقعهم فيها جيش أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب • بل استمرت الفتنة الباقية في دعواها • وكانوا دائما على اختلاف وانقسام مما كان سببا في كثرة فرقهم •

ويقسم العلماء الأفاضل الذين عتوا بالكتابة عن الفرق الاسلامية فرق الخوارج الى أصول وفروع • وتحدثوا عن هذا كله في بحوث مستفيضة لسنا في حاجة اليها • والذي يعنيننا فقط هو الحديث اجمالا عن الأصول منها لأنها تشتمل ضمنا على الفروع •

وحينما نذكر هذه الفرق نجد أن أبا الحسن الأشعري (٢) يذكر أن أصولها أربعة وهي : الأزارقة ، والنجدية ، والصفيرية ، والاباضية •  
بينما الشهرستاني (٣) يزيد على هذه الأربعة - كأصول - فرقا أخرى مثل : البيهسية ، والمجاردة ، والشمالية ...  
وحتى لا يتشعب البحث فسنجمل القول في الأصول المتفق عليها •

## ١ - الأزارقة :

هذه الفرقة أتباع نافع بن الأزرق المكنى بأبي راشد • لقبوه الخوارج بأمرير المؤمنين • وخرج بهم نافع الى الأهواز أيام عبد الله بن الزبير ، في نهاية شوال سنة ٦٤ هـ •  
وتلخص مقالهم فيما يلي :

- ١ - تكفير بعض الصحابة الأبرار مثل : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وطلحة ، والزبير ، وابن عباس ، وعائشة ، وجميع من خالفهم من المسلمين •
- ٢ - تكفير القعدة عن القتال منهم • وكذلك من لم يهاجر اليها •

(١) التبصير في الدين للأسفراييني ص ٤٧ ، ٤٨ ، والفرق بين الفرق ص ٥٨ - ٦٠  
(٢) مقالات الاسلاميين للأشعري ج ١ ص ١٠١ •  
(٣) المثل والنحل للشهرستاني ج ١

- ٣ — اباحة قتل أطفال المخالفين ونسائهم .
- ٤ — اعتبارهم أن القرآن وحده مصدر للتشريع ولذا يقولون باسقاط الرحيم عن الزاني المحصن حيث أن حده لم يذكر في القرآن . . .
- ٥ — كفر من ارتكب الكبيرة .
- ٦ — عدم جواز التقية مطلق بخلاف الشيعة . . .

والناظر لهذه الآراء الخريبة يجد أنهم لا يقبلون أمراً وسطاً بين الإيمان والكفر . فالانسان إما مؤمن وإما كافر . وأن الإيمان في نظرهم لا بد وأن يجمع بين القول والعمل . ومن عجيب أمرهم أنهم أصحاب حماس ديني ، وتمصب لآرائهم بصورة تجعلهم يخطئون رأي كل من خالفهم (١) .

#### ب — النجدات :

وهذه الفرقة أتباع نجدة بن عامر الحنفي . وصل نجدة باتباعه إلى البحرين حيث استولى عليها ثم إلى بعض الأقاليم في الجزيرة العربية وذلك ما بين سنة ٦٢ هـ و سنة ٧٠ هـ .

أما عن مبادئ هذه الفرقة فتتلخص فيما يلي :

- فهم يرون أن الدين عندهم أمران . :  
 الأول : معرفة الله ، ورسوله ، وتحريم دماء موافقيهم من المسلمين ، والاقارباء جاء من عند الله جملة . وهذا القدر واجب على كل مسلم أن يعرفه ، ولا عذر لجأهله .
- الثاني : هو ما سوى ذلك . والناس في هذا معذورون حتى تقوم الحجة في أصناف الحلال والحرام . فمن اجتهد وأخطأ فهو معذور ولذا عرفوا بالعاذرية .

والخوارج ليسوا على أفكار واحدة ولهذا تعددت فرقهم . والدليل على ذلك مثلاً نجد أن فرقة " النجدات " تخالف فرقة " الأزارقة " السابقة في أمور أهمها :

- ١ — لا يجيز الأزارقة التقية مطلق بخلاف النجدات فانهم يبيحونها في القول والعمل .

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢١٠ — ٢١١  
 وتاريخ الفرق الإسلامية للدكتور الخرايبي ص ٢١١

- ٢ - يكفرو الأزارقة من لم يهاجرو اليهم بخلاف النجدات فلا يرون هذا .  
 ٤ - الاجتهاد عند الأزارقة لا يعترفون به أما عند النجدات فيمتسبون  
 الطريق الموصل الى الدين .  
 ٥ - يستبيح الأزارقة دماء ونساء وأطفال المخالفين من المسلمين بخلاف  
 النجدات فانهم يمنعون هذا ولا يبيحونه .  
 وإذا نظرنا الى هذه الفرقة " النجدات " نجدها تمتاز عن الأزارقة  
 بأمرين : الأول : رفعهم من شأن المعركة في الدين . الثاني :  
 استعمالهم الاجتهاد في كثير من الأحكام الدينية الواجبة (١) .

#### ج - الصفريّة :

وهم أتباع زياد بن الأصفر . وجدوا في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي  
 حدثت بينه وبينهم مناوشات أدت الى قتالهم . واستصال شأقتهم .  
 وهذا استراح الحكم في بني أمية من خطوهم .

#### مبادئ الصفريّة :

- ١ - جعل الصفريّة بصدور تشريحهم الحديث النبوي مع كتاب الله تعالى  
 بينما يقتصر غيرهم على القرآن وحده .  
 ٢ - فرقوا بين من يرتكب المنكر أو يترك المأمورية جاحدا لحكمه ، وبين  
 من يفعل الأول وترك الثاني غير جاحد وقد حكى عن زياد بن  
 الأصفر رئيس هذه الفرقة أنه كان يقول : " نحن مؤمنون عند أنفسنا  
 ولا ندري لعلنا خرجنا من الايمان عند الله وإن الشرك شرك كان شرك  
 هو طاعة الشيطان وشرك هو عبادة الأوثان ، والكفر كفران كفر  
 بالنعمة وكفر بانكار الربوبية ، والبراءة براءتان براءة من أهل الحدود  
 سنة وبراءة من الجحود فريضة " .  
 ٣ - لم يكفروا القعدة كما كفروهم غيرهم من الخوارج اذا وافقوهم في دينهم  
 واعتقادهم .  
 ٤ - لم يحكموا بقتل أطفال المخالفين لهم من المشركين وتكفيرهم .

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٦٨ ، ومقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٠ ،  
 والملل والنحل ج ١ ص ٢٠١٤ .

٥ — أجازوا التقية .

٦ — مرتكب الكبيرة . يختلف باختلاف طوائفهم . .

من هذه المبادئ التي عرضناها للصفرية نجد أنهم أكثر تسامحا من غيرهم ويختلفون كثيرا مع الأزارقة في مثل : جواز التقية ، وجمل الحديث النبوي من مصادر التشريع كالقرآن ، وعدم تكفير القعدة الخ . . (١)

د — الاباضية :

الاباضية هم أتباع عبد الله اباض التميمي . عاش في النصف الثاني من القرن الأول الهجري . وأصحاب هذه الفرقة أكثر الخوارج تسامحا ولهذا نجد زعيم هذه الفرقة أنكر على نافع بن الأزرق أمورا كثيرة مما كان سببا في الاختلاف معه .

وتتلخص مبادئ هذه الفرقة فيما يلي :

١ — قالوا بجواز شهادة مخالفيهم ، وحل مناكرتهم ، والتوارث معهم .

٢ — مرتكب الكبيرة في نظرهم كافر كفر نعمة لا كفر إيمان .

٣ — لا يحل من غنائم المخالفين إلا الخيل والسلاح وما يشبه ذلك .

٤ — دماء مخالفيهم حرام في السر لا في العلانية . ودارهم دار توحيد

إلا معسكر السلطان . . . (٢)

بين الشيعة والخوارج :

بعد هذا العرض الاجمالي لفرقتي " الشيعة والخوارج " يقتضينا المقام

أن ن عقد مقارنة بينهما . وبعد هذه المقارنة نجد أمرين أساسيين يظهر فيهما الخلاف بين " الشيعة والخوارج " :

الأمر الأول : بينما يبالغ أن الشيعة في تقديسهم عليا يكفره هؤلاء — ليس هذا فقط — بل ومجدون قائله . .

الأمر الثاني : بينما يتواصى الشيعة بالتقية ويجعلونها مبدأ أساسيا من مبادئهم يأبى هؤلاء العمل بها . ويقررون الخروج على السلطان الجائر مهما كانت الظروف والمناسبات . .

(١) التبصير في الدين ص ٣١ — ٣٦ ، والمطل والنحل ج ١ ص ٢٥١

(٢) المطل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٣٤ — ١٣٥ ، تاريخ الفرق الإسلامية للدكتور أحمد مجاهد مصباح ص ٨٥ .

## ( المرجئة )

قبل تعريفنا للمرجئة يحسن بنا أن نتعرف على معنى " الأرجاء " في بعض كتب اللغة العربية . قال صاحب القاموس (١) : " أرجأ الأمر أخره . وترك المهمزة لفظة " وآخرون يرجسون لأمر الله " أي يؤخرون حتى ينزل الله ما يريد . ومنه سميت المرجئة لتقدريهم القول وأرجائهم العمل . .

فإذا ما عرجنا على كتب الفرق وجدنا الشهرستاني (٢) يقول : " والأرجاء على معنيين أحدهما التأخير كما في قوله تعالى : " قالوا : أرجه وأخاه (٣) " أي أخره وأمهله ، والثاني إعطاء الرجاء . أما طلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل على النية والمقد . وأما بالمعنى الثاني فظاهر ، فأنهم كانوا يقولون : لا تضرع الايمان معصية كما لا تتفهم مع الكفر طاعة . وقيل : الأرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة الى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما من كونه من أهل الجنة أو أهل النار . فعلى هذا : المرجئة ، والوحيدية - من الخواص - فرقتان متقابلتان . وقيل : الأرجاء تأخير على رضى الله عنه من الدرجة الأولى الى الدرجة الرابعة - أي بعد أبي بكر وعمر وعثمان - فعلى هذا : الشيعة والمرجئة فرقتان متقابلتان .

## نشأة المرجئة :

بعد الفتنة الكبرى التي ذهب ضحيتها عثمان بن عفان رضى الله عنه ظهر فريق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرضوا أبداً أن يسيروا وراءه على أو معاوية . واعتزلوا هذه الفتنة التي تسببت في ازهاق روح الكثير من الأبرياء . ولم يحتفوا أحداً منهم . وفي مقدمة هؤلاء الصحابة : سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وعمران بن الحصين ، وحسان بن ثابت ، وأبو بكر . وتمسكوا بأحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم : منها : " ستكون قنن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها " خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذ به " (٤) .

(١) القاموس المحيط ج ١ ص ١٦ - الطبعة الثانية - مصطفى الحلبي .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٣٩ .

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١١١

(٤) رواه البخاري ومسلم والامام أحمد في مسنده عن أبي هريرة وهو حديث صحيح

وتشرف معناها : تحلى ، تستشرفه : تجره لنفسها ، ملجأ : عاصم ،

معاذا : محلا يحتصم به .



وقوله : " ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا الا من أحياء الله بالحلم " (١) ، وقوله : " ستكون فتنة صبا بكما عيا من أشرف لها استشرفت له وأشراف اللسان فيها كوقوع السيف " (٢) ،

فهذا الفريق من الصحابة لم يخض في الحروب التي وقعت بين الطائفتين ، ولم يشغلوا أنفسهم بالبحث والتنقيب عن المصيب أو الخطي في الطائفتين المتقاتلتين . فأرجئوا الحكم في كل هذا الى عالم الغيوب خاصة وأن الفريق بدأت تجمع أمورها وتعلن عن نفسها وعن مبادئها التي يعمل من أجلها وتمتصب لها . وكما عرفنا سابقا مظلة الشيعة من تمصبهم الشديد لآل البيت حتى أدى ذلك الى تكفير بعض الصحابة . . ومظلة الخوارج التي تظهر في قولهم بتكفير صاحب الذنب .

وكل من الشيعة والخوارج يكفر الأمويين ويلعنهم أعداؤهم من هؤلاء وهؤلاء والأُمويون لا يسكتون بل يقاتلون ويهرون أنهم مبطلون . وفي وسط هذه الشارات المختلفة ظهرت المرجئة كفرقة لها آراؤها وأفكارها . فكان ظهورها كأثر عكسي لآراء كل من الشيعة والخوارج التي عرفناها .

ويؤيد هذا ما قاله الامام النووي في شأنهم : " ان القضايا كانت مشبهة حتى ان جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ، ولم يتيقروا الصواب " (٣) .

#### مبادئ المرجئة :

١ — أرجاء أمر المخطئين الى الله تعالى .  
٢ — أرجاء الامام على عن الدرجة الأولى الى الزائدة . فهم في ذلك على نقيض الشيعة .

٣ — قولهم : " لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة " ، وهذا كلام عجيب وغريب ومن هذا أيضا ما قاله أبو البقاء " المرجئة : هم يحكمون بأن صاحب الكبيرة لا يحدب أصلا ، وإنما العذاب للكفار " (٤) .  
٤ — الايمان في نظرهم قول واعتقاد فقط . ولا يدخل للعمل في مفهوم الايمان . وهذا الرأي مردود بقول الله تعالى : " أم حسب الذين أخرجوا

(١) رواه الطبراني في الكبير وابن ماجه عن أبي امامة . وهو حديث حسن .  
(٢) رواه أبو داود عن أبي هريرة . وهو حديث صحيح . وأشراف اللسان معناه : إطالة الكلام . (٣) صحيح الامام مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ١١  
(٤) الكليات لأبي البقاء ص ٣٥٠ ط بولاق ، الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٤٠

السيئات أن تجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات .. (١) .

كما أن الايمان على هذا الرأي - في نظريهم - لا يزيد ولا ينقص والحق أنه يقبل الزيادة والنقصان من نواح ثلاث :

الأولى : أن الاعتقاد أن كثرة أدلته كان أرسخ في النفس وأكثر عظم ما قلت أدلته وما لا دليل عليه .

الثانية : من ناحية ما يتعلق به من المعلومات ذلك أن التصديق كلما تعلقت به أمور معلومة تفصيلا كان أقوى من تصديق تتعلق به معلومات اجمالية .

الثالثة : من ناحية ثمرته التي هي العمل ذلك أن العقيدة إذا طبقت من الناحية العملية وخرجت الفكرة من حيز القول الى حيز العمل كان ذلك أمكن لها وأرسخ (٢) .

٥ - لا يخلف الله وعده ولكنه من فضله وكرمه قد يخلف وعده ...

#### فرق المرجئة :

المرجئة كأي فرقة من الفرق الاسلمية لو وقف أمرها عند حد النشأة لما تشعب الخلاف طويلا بينهم . ولكن انضم اليها بعض المتغالين الذين يسمون في كثرة الجدل والنقاش ما يكون سببا في انحراف الأفكار والآراء عن وضعها الطبيعي . وتحتصر هذه الفرق فيما يلي مع ذكر أصحابها .

- ١ - اليونسية : أصحاب يونس بن عمرو النيمري .
- ٢ - الصبيديي : أصحاب عبيد المكثب .
- ٣ - الفسانية : أصحاب غسان الكوفي .
- ٤ - الثمانية : أصحاب أبي ثوان .
- ٥ - التومنية : أصحاب أبي معاذ التومني .
- ٦ - الصالحية : أصحاب صالح بن عمر الصالحى ... (٣) .

(١) سورة الباقية آية رقم ٢١

(٢) مقدمة " المختار من صحيح مسلم " شرح وتحقيق الأستاذ الدكتور مصطفى أمين النازي .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٢٢ وما بعدها ، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٥ .

والطبع لا أستطيع أن أذكر مبادئ كل فرقة على حدة لأن هذا يخرجنا عن موضوع الرسالة . ومع هذا فقد أجملت القل في مبادئهم وآرائهم التي تشغل أذهان الكثير منهم . ذلك لأن وجود فرق متعددة في فرقة واحدة دليل على عدم اتفاقهم جميعا على هذه المبادئ والآراء المذكورة .

وقد نسب إلى بعض كبار التابعين الأرحاء مثل : سعيد بن جبير ومقاتل ابن سليمان ، وحمام بن سليمان ، والحسن بن محمد بن الحنفية ، . . . وهؤلاء الأئمة الأعلام لم يكفروا أصحاب الكبائر ولم يحكموا بتخليد هم في النار خلافا للخوارج وغيرهم (١) .

كما نسب الأرحاء - أيضا - إلى مالك بن أنس صاحب المذهب ، وسفيان الثوري ، ومحمد بن أبي ريس الشافعي وغيرهم من الأئمة الأفاضل الذين كانوا يعرفون باعتدال الآراء (٢) .

#### كلمة أخيرة عن المرجئة :

إن الحديث عن المرجئة يطول ويطول . ولذا اختلف الكثير من العلماء في أمرها هل هي حزب من الأحزاب أم فرقة من الفرق أم لا هذا ولا ذاك ؟ .

في الواقع الرد على هذا كله - في نظري - كلمة أعجبتني لفضيلة الإمام الدكتور

عبد الحليم محمود عن المرجئة وهي قوله " . . . إنها نزعة إلى السلامة ، إن المرجئ لا يريد أن يتورط في حزب ، ولا يريد أن يبذل مجهودا في تأييد ، أو في معارضة ما أنه لا يريد أن يمشق السيف مؤيدا أو مناهضا ، أنه يحب السلامة ، وهو منصرف عن كل ما يتطلب منه مجهودا ، سواء أكان هذا المجهود علميا نظريا ، أم كان علميا حريبيا " (٣) . والله الهادي إلى سواء السبيل .

(١) الطل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٤٦ .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٦ وما بعدها .

(٣) التفكير الفلسفي في الاسلام للدكتور عبد الحليم محمود ج ١ ص ١١٤

( المعتزلة )

تمهيد : كلمة " المعتزلة " مشتقة من الاعتزال ، والاعتزال لفظ يدل على  
مضمونه على أكثر من معنى . وبالبحت في كتب اللغة والأدب والتاريخ وجد أن هذه  
الكلمة تدل على تجنب الشيء يقال : عزلته واعتزلته وتعزلته فاعتزل ، قال تعالى :  
" وإن اعتزلتموهما وما يعبدون إلا الله — فإن اعتزلوكم فلم يناهزكم — واعتزلكم —  
وما تدعون من دون الله — فاعتزلوا النساء في المحيض " . والأعزل هو الذي  
لا ربح معه ، ويقال له أيضا : الرمل المنفرد المنقطع (١) .

ويطلق لفظ المعتزلة على قوم اعتزلوا الحرب التي قامت بين علي وأصحاب الجمل  
وبين علي ومعاوية وآثروا البعد عن الفريقين تجنباً لاثارة الفتن واشغالها بين  
المسلمين حرصاً على توحيد كلمتهم وجمع شملهم . ثم لما تنازل الحسن بن علي  
عن الخلافة لمعاوية — حرصاً منه على جمع الكلمة وتوحيد الصفوف — اعتزلوا الناس  
ولزموا مساجدهم ومنازلهم ، وقالوا نشغل بالعلم والمباداة . وهؤلاء سمو  
أنفسهم معتزلة (٢) .

ومن هؤلاء الذين اعتزلوا كثيراً من الفتن والأحداث الشاعر أيمن بن خريم ،  
وصاحبه ابن كوز .

ولما حدث نزاع بين عبد العزيز بن مروان وعمر بن سعيد لم يتدخل أحد  
منهما بين هذين ، حينئذ عاتب المتنازعان الشاعر أيمن فقال أيمن :  
أني للفتنة ميّطاً عاجلاً . . . فريداً لميّط منها معتزلاً (٣)  
فإذا كان عطاءً فأنهم — وإذا كان قتالاً فاعتزل  
وقال أيضاً : فاني تارك لهما جميعاً . . . ومعتزل كما اعتزل ابن كوز (٤)

والطبري في تاريخه أورد كلمة " اعتزل " ، و " معتزلة " كثيراً  
دالة على الحياد في الخصومة الناشبة بين علي وخصومه . وهذه بعض الأمثلة :  
١ — كان زياد بن أبي سفيان ممن اعتزل ولم يشهد معركة الجمل .

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٣٤٣ ، والقاموس المحيط ج ٤ ص ١٥  
(٢) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٢٨ ، والأغني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢ ص ٢١١  
(٣) المعقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ١١٠ — الميّط : الجور والشدّة .  
(٤) الأغني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢ ص ٦٥ .

ب — كتب قيس بن سعد وإلى على على مصر ، يقول له بعدد موقعة الجمل  
ان قبلى رجلا معتزليين قد سألوني أن أكف عنهم ، وأن أدهمهم  
على حالهم حتى يستقيم أمر الناس ، فزى ورى رأيهم ، فقد رأيث أن  
أكف عنهم ولا تعجل حريمهم وأن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله أن  
يقبل بقلوبهم ، ويفرقهم عن ضلالهم إن شاء الله .

ج — وقوله في حوادث سنة ٣٧ هـ ان جماعة المسلمين شكوا في أمر القتال الدائر  
بين على ومعاوية ، فرأوا أن يستأنسوا ويتثبتوا حتى تجتصح الأمسية  
فاعتزلوا . . (١)

وعلى ذلك فتسمية هؤلاء معتزلة لا تخرج عن المعنى اللغوي أما عن  
المعتزلة بالمعنى الاصطلاحي عند علماء العقيدة فلا بد من كلمة بين يدى هذا  
المعنى حتى نمعرف حقيقته .

كان المراق مجعما لعناصر كثيرة من الأمم صاحبة الديانات المختلفة  
وكانت البصرة على وجه الخصوص ميدانا فسيحا لظهور مختلف الآراء وتعدد الملل والنحل .

وكان معبد الجهنى ممن يجالسون الحسن البصرى فسمع معبد أولئك الذين  
يتمللون بالقدر ويحتجون به فقام بالرد عليهم نافيا أن يكون القدر سائبا للاختيار ،  
وتطرق في دفاعه حتى قال قوله المشهورة " لا قدر والأمر أنف " . ولمّا  
بلغ ذلك القول ابن عمر رضى الله عنهما تبرا منه ومن أصحابه . وقد قيل : ان  
أول من تكلم بهذا رجل نصراني أسلم وأخذ عنه معبد الجهنى وغيلان الدمشقي .  
وسمى أصحاب هذا الرأي بالقدرية .

وأساس هذا المذهب هو : انكار قدر الله والمخالفة في اثبات  
القدرة للإنسان وأنه حر الإرادة في أعماله ، كما كان من مبادئهم ، القول  
بخلق القرآن الكريم . . (٢) في مقابل هؤلاء فرقة تسمى " الجبرية " وزعيمهم  
" جهيم ابن صفوان " ومن أقوالهم : أن الإنسان مجبور وليس له اختيار ولا قدرة .

(١) تاريخ الأمم والطوك للطبرى ج ٥ ص ٢٢٤ — ٢٢٥ .

(٢) التبصير في الدين للأسفرايينى ص ١٣ — ١٤ ،  
الفرق بين الفرق للبشادى ص ١٣ وما بعدها .

وجهم بن صفوان هذا من خراسان ، ومن الموالى الذين أقاموا بالكوفة ،  
ولقد تكونت منه ومن أتباعه فرقة الجبرية .  
وتتلخص مبادئ الجبرية فيما يلى :

- ١ — القول بنفى الصفات لله تعالى حتى لا يشبهه الناس .
- ٢ — القول بخلل القرآن الكريم .
- ٣ — انكار رؤية الله تعالى فى الآخرة .
- ٤ — فناء الجنة والنار بعد نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار .

ولقد نهض كثير من العلماء يردون على هؤلاء الجبرية لسببين هما :

أولا : لأن مسألة الجبر تدعو الى التعميط وترك العمل والركون الى القدر .

ثانيا : ولأن مسألة المخالفة فى تأويل الآيات التى تثبت الصفات لله تؤدى الى تحريف الكلم عن مواضعه ، فهذه المخالفة فى التأويل خطر على القرآن الكريم وتفسد معانيه (١) . والذى دعاهم جميعا الى القول بهذه الآراء والمبادئ حينما قرءوا القرآن الكريم وقفوا عند آيات منه تدل — فى نظرهم — على مبادئ خاصة .

فالفريق الذى قرأ قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم " (٢) — " ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون " (٣) — " أفمن حق عليه كلمة المذاب أفأنت تتخذ من فى النار " (٤) — " ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة " (٥) .

فهذه الآيات الكريمة تشير عند قراءتها — فى نظرها — بالجبر لذلك سمو بالجبرية .

والفريق الثانى قرأ هذه الآيات الكريمة مثل : " انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا " (٦) . " وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون " (٧) — " ومن يعمل سوءا أو يظلم

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٩٢ وما بعدها ،  
وتاريخ الفرق الاسلامية للدكتور الغرابى ص ٢٠ — ٢٢  
(٢) سورة البقرة آية ٧  
(٣) سورة هود آية ٣٤  
(٤) سورة الزمر آية ٣  
(٥) سورة النحل آية ٣٦  
(٦) سورة الانعام آية ١٥٣  
(٧) سورة الانعام آية ١٥٣

نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا ومن يكسب اثماً فإنما يكسبه على نفسه  
وكان الله عليماً حكيماً \* (١).

ومعد أن قرأ هذه الآيات الفريق الآخر رأى عند قراءتها — فيبى  
نظره — أنها تشتمر بالاختيار وأن الإنسان مسئول عن عمله . كذلك هناك أيضاً من  
الاحاديث الشريفة التي دارت حول هذه المعاني مثل : حديث جبريل المشهور  
الذي رواه مسلم في صحيحه وفيه " .. قال : فأخبرني عن الإيمان قال : أن  
تؤمن بالله وبلائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال : صدقت " .  
وحديث ابن عباس الذي رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح يقول فيه : " كنت  
خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : يا غلام : انى أعلمك كلمات . أحفظ  
الله يحفظك ، أحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت  
فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا  
بشئ " قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ " .  
قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف " .

وحديث الامام على كرم الله وجهه قال : " كنا في جنازة بيقوم  
الفرقة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمده وقعدنا حوله ويده مخصرة  
فجعل ينكت بها الأرض ثم قال : ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار  
ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله : أفلا نتكل على كتابنا ؟ فقال : اعلموا فكل  
ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فيصير الى عمل السعادة ،  
وأما من كان من أهل الشقاوة فيصير الى عمل الشقاوة ثم قرأ قول الله تعالى :  
" فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى .. (٢) .

حول هذه الأحاديث الشريفة وتلك الآيات القرآنية أخذ كل من  
الفريقين — الجبرية والقدرية — يدلى برأيه وفكره نحو المعاني التي استبطوها  
بثاقب فكرهم وقوة عقيدتهم .. والسؤال الآن : أين الحسن البصرى من هذا  
التفكير ؟ . والجواب على هذا سيأتى بالتفصيل فى مكانه . ولكن سنذكر هنا  
لمحة تزيد المقام وضوحاً ان شاء الله .

كان عطاء بن يسار قاصداً ، ويرى " القدر " وكان لسانه يلحن فكان  
يأتى الحسن البصرى هو ومعه عبد الجهنى فيسألانه ويقولان : يا أبا سعيد ، ان

(١) سورة النساء آية ١١٠ — ١١١ .

(٢) فجر الاسلام للدكتور أحمد أمين ص ٢٨٤ — الطبعة السابعة .

هؤلاء الطواغيت ، يسفكون دماء المسلمين ، ويأخذون الأموال ، وفعلون ويقولون  
انما تجرى أعمالنا على قدر الله . فقال : كذب أعداء الله .

وهكذا يفهم معبد بن كلمة الحسن هذه . ميله الى القدر (١) . وممد  
الأخذ والرد على مر الزمن ذابت القدرية والجبرية في غيرها من المذاهب ، ولم يمد  
لبها وجود مستقل . وفي خضم هذا الجدل ، وتلك المناقشات ظهرت المعادلة على  
سطح المصير الفكري ، وأخذت تلقى بأفكارها وآرائها شأن أى فرقة في هذا  
المصير . على هذا فما هي المعادلة التي نحن بصدد ها ؟

### تسمية المعادلة والسبب فيها :

يكاد المؤرخون للفرق الاسلامية يجمعون على أن المكان الذي ظهر  
فيه هذا الاسم - وهذا الاصطلاح عند علماء الكلام - هو مسجد البصرة ،  
ولكنهم يختلفون في أول من أطلقه ، وفيما يلي نذكر أشهر الروايات في ذلك .

ذكر الشهرستاني أن واحدا دخل على الحسن البصري فقال : يا امام  
الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبارهم وهدية الخوارج ،  
وجماعة يرحثون أصحاب الكبار ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان بل العمل  
على مذهبهم ليس ركنا من الايمان . ولا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع  
مع الكفر طاعة ، وهم مريضة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا ؟

فتفكر الحسن في ذلك ، وقيل أن يجيب قال واصل بن عطاء : أنا أقول : ان  
صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا ، بل هو في منزلة بين المنزلتين  
لا مؤمن ولا كافر . ثم قام واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرأ أجاب  
به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن : اعتزل عنا واصل فسوى هو وأصحابه  
" معادلة " (٢) .

ووافق الشهرستاني في روايته هذه - مع اختلاف بسيط - بعض المؤرخين ،  
والباحثين في الفرق الاسلامية كالأسفراييني ، والبيضاوي ، والمرغني ، وابن قتيبة ،

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٤٤٠ ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٠ م

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٤٨ .



وابن خلكان . . . (١) . ومن هذا الاختلاف - مثلاً - رواية ابن خلكان التي تقول :  
 " ان قتادة دخل مسجد البصرة فاذا بصعويين عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة  
 الحسن البصري ، وحلقوا وارثفت أصواتهم وهو يظن أنها حلقة الحسن فلما  
 صار معهم عرف أنها ليست هي فقال : انما هؤلاء المعتزلة فمئذ يومئذ سمو المعتزلة (٢) .

وهناك من يقول في سبب هذه التسمية أن المعتزلة سميت كذلك " لاعتزالهم  
 كل الأقوال المحدثه " (٣) معنى هذا أنهم يخالفون الأقوال المتعددة في مرتكب  
 الكبيرة . كقول الخوارج والمرجئة ، والحسن البصري . .

كذلك هنا رواية للمسمودي (٤) تقول : سمو بالمعتزلة لقولهم بأن صاحب  
 الكبيرة اعتزل عن الكافرين والمؤمنين . فالمعتزلة على رأيهم هم الظالمون باعتزال  
 صاحب الكبيرة . وعلى كل فان هذه الروايات المتعددة مهما اختلفت نستطيع  
 أن نفهم منها - كما يقول الدكتور أحمد أمين في كتابه فجر الاسلام - حقيقتين :  
الأولى : أن الاعتزال تكون حول الحسن البصري وتلميذه واصل بن عطاء ، وعصروين عبيد .  
والثانية : أن الاعتزال كان يدور حول مسائل عقائدية بحثة .  
أشهر مبادئ المعتزلة :

حينما نشأت المعتزلة - كغيرها من الفرق الاسلامية - لم تتبلور مبادئها  
 وتعاليمها مرة واحدة . بل أخذت تتكون وتتجمع على مر السنين والأعوام ، حتى  
 وجدت حظها في بعض الخلفاء العباسيين الذين وقفوا بجوارها وأرادوا أن يلزموا  
 الناس بأرائها حتى وقعت المحنة لكبار العلماء والمحدثين كالإمام أحمد بن حنبل  
 رحمه الله في محنة خلق القرآن . وهذه المبادئ تتلخص في أصولهم الخمسة الآتية :

- ١ - القول بالتوحيد ، وفيه أن الله وحده لا شريك له في أي ناحية من النواحي .  
 ولهذا نفوا صفات الله تعالى القديمة حتى لا يشبه المخلوقين . دعاهم إلى  
 هذا قيام جماعة تجسم الله وتشبهه بالحوادث .
- ٢ - القول بالعدل ، وفيه أن الله جل وعز لا يحب الشر والفساد .

(١) التبصير في الدين للإسفرابيني ص ٤٠ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢١٢ .  
 وأما المرتضى ج ١ ص ١٤ ، والفرق بين الفرق للبغدادي . . .  
 (٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ص ٢٤٣ ، ولسان العرب لابن منظور مادة " عزل " .  
 (٣) الزنية والأمل للمرتضى .  
 (٤) مرجع الذهب للمسمودي ، والترك اليوناني في الحضارة الاسلامية - ترجمة  
 الدكتور عبد الرحمن بدوي ص ١٨٢ - ١٨٣ .

- ٣ — القول بالوعد والوعيد ، وفيه أن الله جلت حكمته صادق في وعده ووعيده .
- ٤ — القول بالمنزلة بين المنزلتين وفيه أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ولكنه فاسق . وهو مغلد في النار ويطلق عليه اسم المسلم تمييزاً له عن الذي .
- ٥ — الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيه تكليف المؤمنين بإقامة حكم الله تعالى .

وحول هذه الأصول الخمسة يقول أبو الحسين الخياط — أحد زعماء المعتزلة في القرن الثالث الهجري في كتابه الانتصار ما نصه : " وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد ، والمعدل والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فإذا كملت في الإنسان هذه الصفات فهو معتزلي . . (١) وأهم أصل قالت به المعتزلة هو القول بالمنزلة بين المنزلتين لأنه كان سبباً في ظهورها . بل إن كثيراً من العلماء يذهب بأنهم ما سمو بهذه التسمية إلا لقولهم باعتزال مرتكب الكبيرة المؤمنين والكافرين في منزلة وسط يجي أصل التوحيد ويكشف فيه الكلام بقصد تنزيها لله سبحانه وتعالى فيصلوا إلى القول بخلق القرآن ونفي الصفات وغيرها ثم يلن ذلك بقية الأصول .

---

(١) الانتصار لأبي الحسين الخياط — تحقيق الدكتور نبيج — طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٥ ص ٥٠ وما بعدها .

( الصبغة العامة لعصر الحسن الفكري )

من هذا العرض الاجمالي للأحوال الفكرية في عصر الحسن البصري يتبين لنا أن هذا العصر كانت الصبغة العامة التي يشتهر بها من هذه الناحية هي : "الجدل" وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب ، والمثل والنحل ، وغير ذلك بالأخبار الكثيرة السنية تشير إليه وقد كثرت الجدل بحسب ما كان يدور بينهم من حوار شديد سواء كان ذلك بينهم خاصة أو بينهم وبين أعدائهم للدفاع عن العقيدة • وعلى السبيل المثال — بالاضافة الى ما ذكر في هذا الفصل — نذكر نمودجا من هذا الحوار الحاد بين جماعة من السنية وهم قوم من عبدة الأصنام يقولون بتناسخ الأرواح • ومن مبادئهم أن النظر الصحيح لا يفيد العلم مطلقا لا في الالهيات ولا في غيرها •

وهذا هو الحوار بين السنية وبين جهنم بن صفوان زعيم الجبرية قالوا لجهنم :  
تكلم فان ظهرت حججتنا عليك دخلت في ديننا وان ظهرت حججتك علينا دخلنا في دينك •  
فقالوا له : ألسنت تزعم أن لك الهيا ؟

قال : نعم

فقالوا له : فهل رأيت عين الهك ؟

قال : لا •

قالوا : فوجدت له حسا ؟

قال : لا •

قالوا : فوجدت له مجسا ؟

قال : لا •

قالوا فما يدريك أنه اله ؟

فقال لهم جهنم بن صفوان : ألسنت تزعمون أن فيكم روحا ؟

قالوا : نعم

فقال لهم : فهل رأيتم روحكم ؟

قالوا : لا •

فقال لهم : أسمعتم كلامه ؟

قالوا : لا •

قال لهم : فهل وجدتم له حسا أو مجسا ؟

قالوا : لا •

قال : فكذلك الله •

لا يرى له وجه ، ولا يسمع له صوت ، ولا يشم له رائحة ما وهو غائب عن  
الأبصار ولا يكون في مكان دون مكان . (١) هذا الحوار بين السمنية وبين جهنم بن  
صفوان زعيم الجهمية يدل دلالة قاطعة على مدى ما امتاز به جهنم من قوته في  
الجدل وأفعاله لهؤلاء الذين جادلوه . كما يدل على أن الغلبة كانت له حيث  
احتج عليهم بما يسلّمون به ، وهو وجود الروح . فألزمهم بمثل ما احتجوا به  
عليه في الاعتقاد بوجوده . وكذلك يدلنا على اختلاط المسلمين بالأمم الأخرى ،  
وقيام الجدل الديني بين المسلمين وأصحاب الديانات مما كان له الأثر العظيم  
في نشأة علم الكلام كما يقول الدكتور الغرابي .

وهكذا أصبح للمسلمين جيشان . جيش يحارب بالسيوف والرمح ،  
وجيش آخر يحارب بالحجج العقلية والأدلة المنطقية (٢) .

---

(١) شرح مطالب الأنظار لأبي عبد الرحمن الأصفهاني المتوفى سنة ٧٤٩ هـ على  
مئن طوال الأنوار للبيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ الطبعة الأولى بالمطبعة  
الخيرية سنة ١٣٢٣ هـ ص ٣٩ .

وكتاب : الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل ص ١١

(٢) تاريخ الفرق الإسلامية للدكتور علي مصطفى الغرابي ص ١٧

## الباب الثاني

الحسن البصري - حياته .. تكوين شخصيته

---

تصهيد : أضاء على المدينة المنورة .. والبصرة

الفصل الأول : حياته ..

الفصل الثاني : مؤهلات الحسن البصري وتكوين شخصيته

## الباب الثاني

الحسن البصري، حياته، وتكوين شخصيته

بعد أن تعرفنا على عصر الحسن البصري من الناحية الاجتماعية والسياسية ،  
والفكرية ، نجد أنفسنا الآن في شروق التي مسوقة حياة هذا الانسان المتفاني المقتدي  
يرسل الله صلى الله عليه وسلم ، كذا لنا الى التصرف على الأمور التي كانت مسببا  
في تكوين شخصيته وبالطبع اذا كنا نتحدث عن هذه الشخصية الفذة فلا بد  
من القاء الضوء على المكان الذي ولد فيه الحسن وطاش حياته المملوءة بالمعظرة  
والاعتبار .

لذا كان هذا الباب يشتمل على ما يلي :

تمهيد : يعطى فكرة مجملة عن " المدينة المنورة " التي ولد فيها الحسن  
البصري وطاش حتى بلغ من العمر الرابعة عشرة وعن البصرة المكان الذي  
بقى فيه الحسن الى أن لقي ربه بعد هجرته من المدينة اليها  
من أسرته .

ثم بعد هذا نعتقد فصلين :

الفصل الأول : منهما يبين لنا حياة الحسن البصري في جميع شئونه وأحواله  
والفصل الثاني : يبرز مؤهلاته ، ويكشف عن أسباب تكوين شخصيته .

تمهيد :

### أضواء على المدينة المنورة

المدينة المنورة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها كانت تسمى "يثرب" يقال سبخته وسمي إلى "بأن قاله طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا" (١) وهذا الاسم أيضا ورد في التوراة السبعية وعند الجغرافيين القدماء كطولموس (٢).

وتقع هذه المدينة في واحة خصيبة وتبعد عن ساحل البحر الأحمر بحوالى ١٦٠ كيلومترا وعن مكة المكرمة نحو ٣٢٥ كيلومترا • ويحدها شرقا : حرة راقم ، وغربا : حرة البصرة ، وشمالا : جبل أحد ومن وراءه جبل ثور ، وجنوبا : جبل "عير" • كما أنها تقع كذلك على نفوس الطريق التجارى بين اليمن والشام • وتاريخ هذه المدينة - قديما - يصعب تحديده • ولكن من المؤكد أن قبائل عربية قديمة سكنتها • إذ لا يمكن أن تترك القبائل مثل هذه الواحة الخصيبة ذات العيون والوديان دون أن تسكنها وتستقر بها • ويرى الأخباريون أن قبائل "المماليق" وهى قبائل تنتمى الى العرب البائدة " قد أقامت فيها وعمرتها ثم طرأت عليها هجرات يهودية تغلبت على هؤلاء المماليق واحتلت " يثرب " • وكان هذا أيام موسى عليه السلام • ثم توالى الهجرات اليهودية وكثروا قبائل مختلفة أهمها : بنو قينطاع ، ومنو النضير ، ومنو قريظة ، (٣) واستمر وضع اليهود هكذا بالمدينة وضواحيها حتى تصدع سد مأرب فهاجرت بسببه عدة قبائل عربية الى أماكن متفرقة • منها قبيلتا الأوس والخزرج التى اتجهت نحو " يثرب " التى كان يسكنها الكثير من اليهود • ولكن سرعان أن نمت هاتان القبيلتان بهذا المهاجر الجديد • واستطاعوا بفضل جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم أن يتغلبوا على اليهود فملكوا بمساح الأراضى الزراعية ومنوا مساكنهم وأقاموا بعض الحصون تشبها باليهود ، وهكذا أصبح للعرب فى هذا المكان السيادة على اليهود • وليس معنى هذا أن الاستقرار دام فى هذه المنطقة بل ان العداء بين العرب واليهود لم ينته حينئذ • مما تسبب عنه تجدد النزاع بين آونة وأخرى • وهذا يرجع دائما الى طبيعة اليهود فانهم يريدون أن يعيش جيرانهم فى قلق واضطراب •

(١) سورة الأحزاب آية رقم ١٣ •

(٢) تاريخ العرب لفيليب حتى • ترجمة مبروك نافع ص ١٢ ٧ العالم العربى بالقاهرة

(٣) وكان اليهود يشتغلون فى المدينة بالصياغة والمراعاة ، ومعظمهم يشتغل بالزراعة •

وهكذا استمر النزاع - في يثرب - بين العرب واليهود تارة ، وبين العرب أنفسهم - بفعل اليهود - تارة أخرى . بل وبين اليهود أنفسهم تارة فالثالثة مما جعل المدينة في حرب ، وظاحن ، وظاروات (١) .

وأما عن الوضع هكذا إلى أن أكرم الله الهجرة بخاتم الأنبياء ، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

وما إن بعث الله صلى الله عليه وسلم في مكة ، وأسلم على من آمن من الكفار من المسلمين ومنها " يثرب " التي بلغت فيها الدعوة الإسلامية ما لم تبلغ في مكة ، وكانت تفرقها لم تنله من قبل . . . وهذا يرجع إلى أن اليهود في المدينة كانوا قد هربوا الناس لهذه الرسالة المساوية دون أن يقصدوا نجاحها أو إيلام الناس لها . حتى أنهم كانوا يفاخرون الأوس والخزرج بدينهم وكأبهم ، ويحتجونهم بوثقتهم ، ويهددونهم بقرب ظمهم . نبي جديد يحطم الأصنام فيضربون اليدين ويقتلونهم قتل " عاد واهم " من أجل هذا نجد أن الأوس والخزرج حينما دعوا إلى الإسلام كانوا أسرع إلى هذا النبي الذي كثيرا ما كانت تهدد دعوه به يهود وأحرص على ألا يصبقوا إليه (٢) .

وفي مدة قليلة أخذ الإسلام يزحف نحو هذه المدينة الجديدة وأصبح الجسو مهبطا لاستقبال الرسول عليه الصلاة والسلام الذي كون - بعد الهجرة إليها - أول دولة إسلامية نموذجية لم يكن لها مثل من قبل ولا من بعد .

ولأهمية المدينة أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يذكر فضلها في أحاديث متعددة منها : قوله عليه السلام : " المدينة حرام ما بين غير إلى ثور " (٣) ، وقوله : " المدينة حرم آمن " (٤) ، وقوله : " المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومثبأ الحلال والحرام " (٥) . إلى غير ذلك من الأحاديث المتعددة التي حث فيها النبي عليه السلام على سكنى المدينة وعمارتها وسبب تشجيع النبي صلى الله عليه وسلم هذا . أضحت قلب الإسلام النابض ، ومركز الدعوة الإسلامية ،

- 
- (١) الدولة الإسلامية الأولى للدكتور أحمد إبراهيم الشريف ص ٦٢ وما بعدها .  
 طبعة دار القلم ، وبحث الدكتور عبد العزيز كامل تحت عنوان " طريق الهجرة " ، ومعجم البلدان لياقوت مادة " مدينة يثرب " ج ٥ ص ٨٤ - ٨٦ .  
 (٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٨ ، ومتاع الأساطع للمقريزي ج ١ ص ٣١ .  
 (٣) تيسير الوصول للشيباني ج ٣ ص ٢٣٠ طبعة الطبعي .  
 (٤) رواه أبو عوانه عن سهل بن حنيف (صح) (الجامع الصغير للسيوطي) .  
 (٥) عن أبي هريرة (ج) (الجامع الصغير للسيوطي) .



ففيها استقر الرسول بعد الهجرة • والخلفاء الراشدون من بعده • فما أشد الحاجة إلى أن يبقى فيها السابغون الأولون من المهاجرين من قريش التي تدعى لها الصرب كلها • فمن ثم حرص على المهاجرين الأولين الإقامة بمكة بعد الفتح ولو أبيع لهمهم الرجوع لوطاً نزع الكثيرون منهم إلى الرجوع اليها • فان النفوس البشرية مهيبة على حب الوطن والرجوع إليه إذا منحت الفرصة • ولما اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى الحكمة البالغة — أن يحرم ذلك ليرى المهاجرون مع النبي في البلد الطيب " طيبة " الذي أوى للاسلام •

ومنهم المتفردون : دعوا للاسلام وهم ثلث الخلفاء وهو من أسى أنواع الزوا (١) •

ومسرب بطة الكثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة نجده أنه تكونت مدرسة طيبة شهيرة تضارع أي مدرسة أخرى لذلك أن مدرسة المدينة كانت أغزر طلبة وأبعد شهرة • تخرج فيها أكثر علماء ذلك العصر في التفسير والحديث والفقه والتاريخ ولما نرى — مثلاً — أن عبد العزيز بن مروان بعث ابنه " عمر " إلى المدينة للتأديب بها • وكتب إلى صالح بن كيسان أن يتجاهده فأبطأ عمر يوماً عن الصلاة • قال : ما حبسك ؟ فقال : كانت مرجلتى تصلح شعسرى • فكتب إلى أبيه بذلك • فأرسل أبوه رسولا • فلم يزل به حتى حلق شعره •

وليس بمجيب أن يخرج من هذه المدرسة أشهر كتاب السيرة ابن اسحاق الواقدي كما اشتهر في مدرسة المدينة كثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كعمر بن الخطاب • وعلى بن أبي طالب • وزيد بن ثابت • وعبد الله ابن عمر • • • • • وكفى أن رجلاً كسليمان بن يسار يقول عن أحد أساتذة هذه المدرسة وهو زيد بن ثابت رضي الله عنه : " ما كان عمرو ولا عثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحداً في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة " وكان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ بركاب زيد ويقول : " هكذا يفعل بالملأ والكبراء " •

على هؤلاء الملأ — وغيرهم — من الصحابة في المدينة تخرج كثير من علماء التابعين • من أشهرهم سعيد بن المسيب • وعروة بن الزبير وعن هذه الطبقة أخذ ابن شهاب الزهري القرشي الذي حفظ فقه علماء المدينة وحديثهم • وكان من أسبق الملأ إلى تدوين العلم • وكان موضع احترام خلق بني أمية قال عنه عمر بن عبد العزيز : " انكم لا تجدون أظلم بالسنة الماضية منه " وأخيراً أنجبت هذه

(١) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة للدكتور محمد أبو شهبة ص ٢٧ — ٢٨ •  
طبعة دار الأنوار •

مالك بن أنس إمام دار الهجرة (١) .

في هذه البيضة الطاهرة قضى الحسن البصري معظم حياته في حفظ كتاب الله تعالى وتلقى هذا العلم على يد الله عليه وسلم وأقره الطائفة المالكية . رضوان الله عليهم أجمعين ، وذلك قبل أن يبلغ الرابعة عشرة من عمره ، كما أنه عاش فترة قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه المخاض البديل ، ثم في الفترة التي تلت ذلك أمال الأعداء على الفقه ، وأثر ذلك فيه خسرانا كبيرا ذهب إلى البصرة (٢) .

وهناك رواية تشي بأن الحسن البصري سمع وهو صغير بالمدينة المنورة صوتا يقول : " ألا أن يهلككم ديني من فرق دينه واعتزب " . فقل : أنه صوت أم المؤمنين (٣) .

وهكذا أثرت المدينة المنورة في الحسن البصري تأثيرا كبيرا ، ما جعله لا ينسى هذه الأيام بعد ذلك أبدا .

### البصرة :

تضارب الباحثون - قديما وحديثا - في معنى كلمة " البصرة " وما تؤدي إليه . حتى أننا نرى أحد الباحثين المحدثين وهو الدكتور أحمد كمال زكي يقول : " وهنا أسرج فأقول : ان أمانا ثلاث زمر من الروايات التي تلقى الضوء على حركة تأسيس المدينة - يعني البصرة - الأولى ما أورده أصحاب الاخبار القديمة ، والثانية ما رواه أصحاب المعاجم ، والثالثة ما قدمه غير العرب من اشتغل بتخطيط المدن الإسلامية ومن سجل لماضي هذه المدن ان كان لها ماض . . (٤) .

ونحن بالطبع في هذا العرض الاجمالي عن " البصرة " لا يهبط - كثيرا - التعمرض لكل هذه الآراء ومناقشتها والوصول الى الرأي الصحيح منها ، لأن هذا ليس من صلب بحثنا . وانما سنتعمرض - فقط - لأشهر الآراء من المراجع اللغوية والعربية .

- (١) فجر الاسلام للدكتور أحمد أمين ص ١٧٣ وما بعدها - الطبعة السابعة .
- (٢) وفیات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٢٨ ، تاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١٤٩ .
- (٣) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٤ ، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١١٤ .
- (٤) الحياة الأدبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري للدكتور أحمد كمال زكي ص ٢٠ - طبعة دمشق .

وهذه الآراء على قسمين • قسم يقول : أنها سميت البصرة لملاحة حجارتها  
وعظ أرضها • كقول ابن الأنباري : البصرة في كلام العرب " الأرض الغليظة " •

وقيل قلوب : " البصرة الأرض الغليظة التي فيها حجارة تلاح وتقطر مع  
حوافر الدواب " •

وقيل ابن الأعرابي : " البصرة أصلية " قال : وإنما سميت بصرة لغليظتها  
وشدها •

وقاليز : أنها سميت البصرة لأنها فيها حجارة سوداء صلبة ••• (١) •

وقسم يقول : أنها سميت " البصرة " لرخاوة حجارتها •

يقول صاحب المغرب : " والبصرة حجارة رخوة تصع كأنها تيسر أو  
سميت بذلك لأن فيها حجارة تيسر من يسهل " •

وهذا في صاحب القاموس المحيط على الرأي المشهور على أنها سميت البصرة  
لرخاوة حجارتها وكذلك صاحب " مختار الصحاح " يقول : البصرة : حجارة  
رخوة إلى البياض ••• (٢) •

وهكذا نرى أن هذه الآراء متعارضة في معنى البصرة ونستطيع أن نخرج  
من هذا الخلاف بأن كلام القسمين تحدث عما رأه • ففيها العلبة والرخوة •  
" ولكل وجهة هو موليها " •

وأما النسب إليها فالجمهور على أنه " بصرى " — بفتح الباء —  
ولكن بعض أهل اللغة قالوا : " إنما قيل في النسب إليها — أي إلى البصرة —  
بصرى — بكسر الباء — لاسقاطها الباء ، فوجب كسر الباء في البصرى ما غير  
في النسب •

وصلة البصرة بالمسلمين وثيقة • فحينما تحل المسلمون عن المدائن أرادوا  
اختيار مكان آخر يناسب جو صحتهم وأحوال أبلهم • فسار فريق من المسلمين ومعهم  
عتبة بن غزوان يبحثون عن ذلك المكان المشود فنزل في المكان الذي قامت فيه  
" البصرة " فيما بعد ، فأعجب به عتبة فنزل في أخبية وقياب •

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي الروم البغدادى — المجلد الأول بيروت  
سنة ١٩٥٥ م ، ولسان العرب مادة " بصر " •  
(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٥٠ ، والقاموس المحيط ج ١ ص ٣٨٧  
ومختار الصحاح ص ٥٤ •

ورأى عتبة أن يكون هذا المكان " الخريبة " المدينة ، فكتب الى عمر بن الخطاب يحمله بنزوله اياها وأنه لابد للمسلمين من منزل يشتون به اذا شتوا ، ويكفون فيهم اذا انصرفوا عن غزوهم . . .

فكتب اليه عمر أن اجمع أصحابك في موضع واحد ليكون قريباً من المرمى وكتب اليه بصفته فكتب اليه : انى وجدت أرضاً كثيرة القصب في طرف البر الى الريف ودونها منافع ما فيها قصباً . فلما قرأ الكتاب قال : هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعى والمحتطب وكتب اليه أن انزلها الناس فأنزلهم اياها . (١)

وكان الموقع الذى اختاره عتبة على شط العرب على مسيرة من ثغر الابلّة عند دلتا نهري دجلة والفرات ولذا فهي متصلة بالخليج الفارسى . ويرجع حسن موقعها الى أنها " مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين . (٢)

وفي دائرة المعارف الاسلامية تحليل آخر لاختيار هذا المكان وهو أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصد ببناء البصرة في ذلك الموضع أن تكون مركزاً للجيش العربى لأنه وجدها بقعة قريبة من النهر ، تشرف على السهوب والوادي الخصيب وتقرب من المشارف والمرمى . (٣)

وبالبصرة بمجرد أن جاءها العرب المسلمون بدأت الحياة تدب فيها وظلت تتطور وتزدهر حتى وصلت الى حضارة عالية تغطيها عليها مدن العالم الاسلامى الأخرى .

وهذا يرجع الى الهجرات المتعددة من العرب اليها مسج تخطيطها وتقسيمها .

فقد بنى المسلمون سبعة دساكر ، اثنتان بالخريبة . وفيها — أى الخريبة — كان نزول عتبة . فبنى المسجد من قصب . ودارا مارتها دون المسجد في الرحبة التى يقال لها رحبة بنى هاشم . واثنتان بالزابوقة ، وثلاث في موضع دار الأزد . وفرق عتبة المسلمين عليها .

(١) فتح البلدان للبلاذرى ص ٣٥٤ ، ودائرة المعارف للبستاني — المجلد الخامس ص ٤٥٣ .

(٢) أحسن التقاسيم للمقدسى ص ١١٧ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية — هارثمان ، المجلد الثالث ص ٦٦٩ وما بعدها .

وبعد تقسيم المسلمين للبصرة من الناحية القبلية اتجهوا بعد ذلك الى تخطيط الشوارع والأمكنة المتعددة التي يستعملونها • وعلى سبيل المثال فقد جعلوا عرض الشارع عشرين ذراعاً ، والزقاق سبعة أذرع وجعلوا وسط كل خطة رحية فسيحة يربطون فيها خيولهم ويدفنون موتاهم • وجعلوا منازلهم متلاصقة (١) •

وكان أكثر من قدم البصرة من أنصار المدينة وعرب الشمال " مضربون بمسمة " ولما كثر المهاجرون الى البصرة أمر عمر بالاهتمام بها • وعين عليها أبا موسى الأشعري • ولما كثرت بعض القبائل على بعض أراة عمر أن يحفظ التوازن فيها فبعث الى البصرة جماعة من تنوخ مع القبائل التي وصلت اليها مثل قريش وكنانة وخنهم وقيس • • وكان لكل قبيلة حي ومقبرة ومسجد • • (٢)

وكان أعظم بناء في البصرة هو المسجد — كما هي عادة الفتوحات الاسلامية دائما — مما جعل معظم الأمراء على البصرة يحاولون التجديد فيه حسبما تتساح الظروف في ذلك • وعلى سبيل المثال لما عين زياد بن أبي سفيان والياً على البصرة في سنة ٤٥ هـ سنة ٦٦٥ م من قبل أخيه معلوية أمر بهدم الجامع ونائه مجدداً في موضعه وبني في داخله مقصورة وهو أول من عمل المقصورة •

وأحضر سواريه من الرخام من جبل — قيقمان — الواقع بالأحواز • وصرف عليه أموالاً كثيرة • وبعد الانتماء من بنائه أقام حفلة افتتاح كبيرة دعا اليها جمعاً كثيراً من وجوه أهل البصرة ، وعلماؤها وأعيانها وهو أول حفلة افتتاح لمشروع كبير يعرفه العرب بالمعنى الذي نعرفه اليوم وأخذ يطوف بهم الجامع وهم مأخوذون من روعته وسعة بنائه • والمسجد لم يزد فيه أحد شيئاً بعد ابن زياد غير دار أضيفت اليه فيما بعد هي دار نافع بن الحارث سنة ٥٥ هـ سنة ٦٧٤ م عندما كان والياً على البصرة بعد والده عبد الله بن زياد • هذا المسجد يعتبر ثالث مسجد بني في الاسلام وأول مسجد بني في العراق في أول الفتح الاسلامي وما خلده من النهضة العلمية والدينية في التاريخ الاسلامي المشهور اليوم بين العامة بمسجد الامام علي عليه السلام •

- 
- (١) الأحكام السلطانية للماوردي ، ودائرة المعارف للبستاني ج ٥ ص ٤٥٣ وما بعدها •  
 (٢) تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي • • للدكتور علي حسني الخربوطلي ص ٢٩٠ •

ولا زالت بعض أنقاضه المتداعية باقية في أرض البصرة القديمة فالداخل الى  
قضاء الزبير يشاهد على مقربة من ضريح سيدنا طححة رضى الله عنه زاوية المسجد  
الشمالية مائلة للدميان كأنها — جوجو — سفينة بالية ...

والمسجد كان أكبر جامعة اسلامية في مختلف الأديار

وكانت تعقد الدروس والافتاء والتعليم ، بحلقات بعض الصحابة والتابعين  
وأول حلقة اتخذت في المسجد الجامع حلقة " جعفر بن أبي سليمان وتلميذيه  
هي الحلقة الأولى .. وتبعثها فيما بعد حلقات كثيرة وكانت كل — اسطوانة — في  
الجامع يجلس حولها عالم من فحول علماء المسلمين ويستمع حوله الطلاب لأخذ  
الدروس مثل سيدنا " الحسن البصري " وغيره (١) . والبصرة تولى امرتها عدد  
ليس بقليل من الولاة (٢) وكان أولهم : قباية بن قتادة السدوسي ، ثم عتبة بن  
غزوان ووصاه عمر وعمل بالوصية ، ثم المفيرة بن شعبة وبعد سنتين من ولايته  
جاء أبو موسى الأشعري ... وفي سنة ٣٥ هـ في خلافة عثمان بن عفان  
عين على البصرة عبد الله بن كرز وكان في الخامسة والعشرين من عمره وكانت البصرة  
في هذا الوقت في أول غفوان عمرها .. وفي سنة ٣٦ هـ عين عثمان بن حنيف  
من قبل علي بن أبي طالب وفي ايام ولايته وقعت حرب الجمل المشهورة وكانت هذه  
الوقعة في ربيع الآخر سنة ٣٦ هـ .

ولما انتهت هذه الحرب ولي على بن أبي طالب عبد الله بن عباس  
على البصرة . وفي عهد ابن عباس يتأكد لنا مجي " الحسن البصري مع

(١) كتاب مسجد جامع البصرة الكبير — تأليف الشيخ عبد القادر باشرأمان العباسي  
الذي كتب تاريخا للبصرة في اثني عشر مجلدا وهذا التاريخ ما يزال مخطوطا ...  
دار منشورات البصرة سنة ١٩٦٨ م . واستمرت هذا الكتاب من السفارة  
المراقية بالقاهرة .

(٢) يهنا في هذا المقام أن نذكر بإيجاز الولاة الذين عاصروا الحسن البصري  
غاليا .

أسرته الى البصرة ، بعد أن مكث في المدينة مدة صباه . وهذا كان سنة ٣٦ هـ .

وهناك من يذكر أنه جاء في ولاية عثمان بن حنيف من قبل علي بن أبي طالب . وعلى هذا الرأي يكون الحسن قد حضر معركة الجمل . ولكن البيهقي في كتابه " المحاسن والمساوي " يرى أن هذا خطأ لأن الحسن — في رأيه — كان أيام معركة الجمل في المدينة المنورة .

ثم أرسل معاوية من قبله في سنة ٣٨ هـ عبد الله بن الحضرمي . فلم يمكنه الحصول على شيء من أمر الولاية وثاروا عليه فأحرقوه في قصر سيولى هو ومن معه . وفي سنة ٤٠ هـ سعى أبو الأسود الدؤالي بعبد الله بن عباس الى علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكان قاضيا في البصرة فحصلت البهايمسة بينهما فترك ابن عباس البصرة وذهب الى مكة المكرمة وفي سنة ٤١ هـ حصل الاتفاق بين الحسن بن علي وبين معاوية بن أبي سفيان . فلما ترك الحسن أمر الخلافة لمعاوية ثار حران بن ابان فاستولى على البصرة . فلما استقر الأمر لمعاوية أرسل له يسر بن أبي أرطاة بمسكر جرار فانتزعوها منه وتولى ولاية البصرة عن معاوية ثم عزل يسر في أواخر السنة وتولى مكانه عتبة بن أبي سفيان وألحقت ولاية خراسان وسجستان .

وفي سنة ٤٤ هـ تولى الحارث بن عبد الله الأزدي ثم عبد الله بن الأزدي .

وفي سنة ٤٥ هـ تولى زياد بن أبيه .

وفي سنة ٥٠ هـ ألحقت ولاية البصرة في الكوفة فتولى عليها سمرة بن جندب عن زياد . وأما زياد فكان يقيم في الكوفة ستة شهور وفي البصرة كذلك ثم توفى زياد بن أبيه سنة ٥٣ هـ فتولى عليها سمرة بن جندب .

وفى سنة ٥٤ هـ تولى عليها عبد الله بن غيلان •

وفى سنة ٥٥ هـ تولى عليها عميد الله بن زيار •

وفى سنة ٦٤ هـ تولى يزيد بن معاوية • • • ولما بويع لعبد الله بن الزبير

بالخلافة أرسل من قبله عمر بن عبد الله بن عمر التميمي •

وفى سنة ٦٥ هـ أرسل بدله الحارث بن أبي ريحة • وفى عهده خرج

رجل يقال له نافع بن الأزرق فاستولى على البلاد من أصفهان إلى الأهواز • وإلى

هذا تنسب الأزارقة •

وشم يمسد ولى على البصرة المهلب بن أبي صفرة بعد حرب بينهما وعنده ذلك ولى

على البصرة عميد الله بن معمر وفى عهده وقع الطاعون فى البصرة فقتل ٦٥٠٠٠ نسمة

ومنهم الوالى •

وقال بعض المؤرخين امتد الطاعون أربعين يوما وقتل ١٠٠ ٠٠٠ نسمة

وفى سنة ٦٦ هـ ولى البصرة الحارث بن أبي ريحة القبايع •

وفى سنة ٦٨ هـ ولى عليها صعب بن الزبير مرتين •

وفى سنة ٧١ هـ ولى عليها خالد بن عبد الله •

وفى سنة ٧٣ هـ البشر أخو عبد الملك • وفى هذه السنة اشتدت

شوكة الخوارج وعاثوا فى البلاد بالفساد وهجموا على أطراف البصرة وسلبوا وقتلوا

واشتدت الأزمة على الناس من بالتميم •

وفى سنة ٧٥ هـ ولى على البصرة الحجاج بن يوسف الثقفى •



وفى سنة ٩٥ هـ هلك الحجاج بعد حياة حافلة بالأخذ والعطاء والشدة  
فولى بدله ابا ن ثم حجارة البشرى ثم صرف عنها فولى فى سنة ١١٠ هـ بلال بن بكرة  
وأحيل أمر القضاء اليه . وفى هذه السنة حدث بالبصرة مطر شديد لم ير مثله  
هدم قرابة ١٥٠٠ دار . وفيها توفى " الحسن البصرى " . وقبره يزار ويتبرك به  
الآن وهو محل يبعد عن قسبة الزبير قدر نصف ساعة . . (١)

وأهل البصرة غالبا يميلون الى " الثورة " خاصة بعد أن قتل الامام على  
أصبحت الفوضى عامة والفتنة قائمة ، والأمن مفقودا ، واللصوص يسطون على الدور ،  
وموت الفحش قائمة . وليس من أهلها ناصح ينصح بالقضاء على هذه الآفات .

ومصور حالة أهلها ما قاله زياد بن أبيه فى خطبته البترا التى منها :  
" أما بعد : فان الجبال الجبال ، والضلالة الضياء ، والوفى الموفى بأهله  
على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه طماؤكم ، من الأمور العظام ، ينبت  
فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير . . .

أيها الناس . انا أصبحنا لكم سياسة ، ونكم زادة ، نسوسكم بسلطان  
الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بنى الله الذى خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة  
فيما أحببنا ولكم طينا العدل فيما ولينا الى آخر ما قال . . (٢)

ومن أجل هذا كان وجود الحسن فى البصرة ضروريا لينقى هذا المجتمع  
من ما ديته وضلاله الى هداية الله تبارك وتعالى .

كما أن أهل البصرة كانوا معانين بعد ينتهم لدرجة أننا نرى الرجل يقول  
للآخر : غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المفيرة فمزله عن البصرة واستعمله  
على الكوفة . . (٣)

(١) كتاب ولاية البصرة ومتملموها لابن الفلاس ، ١٤ - ٣٣ هـ  
الناشر : دار المنشورات البصرى سنة ١٩٦٢ - واستمرته من السفارة العراقية  
بالتاهرة .

وقد نزل البصرة عدد كبير من الصحابة ٠٠ من أشهرهم في العلم أبو موسى الأشعري ، وأنس بن مالك فأما أبو موسى فيمنى ، قدم مكة وأسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر ، وكان يحد من أعلم الصحابة ، وقد قدم البصرة وطمع بها ، سأل عمر بن الخطاب أنس بن مالك : كيف تركت الأشعري ؟ فقال : تركته يعلم الناس القرآن ، فقال : انه كبير ولا تسممها اياه .

أما أنس بن مالك فكان أنصاريا وكان صبيا لما قدم النبي المدينة ، وخدمه نحو عشر سنين ، وقد نزل البصرة وعمر فيها طويلا ، وكان آخر من توفي بالبصرة من الصحابة ، وتوفي سنة ٩٢ هـ .

ومن أشهر التابعين الذين تخرجوا من مدرسة البصري الحسن البصري وابن سيرين . (١)

هذه لمحة سريعة عن البصرة التي عاش فيها الحسن البصري معظم عمره يتفقه في دينه ويعلم الناس ويدعو الى الله تعالى كما سنحرف فيما بعد  
ان شاء الله .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٨٠ وما بعده .  
وفجر الاسلام للدكتور أحمد أمين ص ٨٤ — ١٨٥ .

## ( الفصل الأول )

### ( حياته )

نسبه ومولده : هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار شيخ الاسلام البصرى .  
ويلاحظ في هذا التصريف أن اسمه كان يلقب بشيخ الاسلام ويكنى بأبي سعيد . هذا  
ما رواه الحافظ الذهبي (١) . أما غيره فمنهم من كان يقصره على اسم " الحسن  
البصرى " (٢) ، ومنهم من يوافق الذهبي على الاسم والكنية ويترك اللقب مثل :  
الحسن بن أبي الحسن أبو سعيد البصرى (٣) . ومنهم من كان يلقبه بامام أهل  
البصرة (٤) .

يل قال بعض العلماء : اذا ذكرت كلمة "الحسن" في كتب التفسير، والحديث ،  
والفقه ، والرقائق . . فانه تنصرف - غالبا - الى " الحسن البصرى " الذى  
نحن بصدده .

والذى اضطررت الى ذكر هذه التصريفات عن " الحسن " ما يحدث من التشابه  
بينه وبين آخرين يشابهونه فى اسمه . ومن الأدلة على ذلك أننى تناولت الحديث  
يوما مع أحد الباحثين حول آثار الحسن البصرى العلمية وأنه لم يترك كتباً كـفـيـره  
من العلماء والمفكرين . . وإذا به يذكر كتباً مطبوعة له : فلما سألته عنها قال : أدب  
الدنيا والدين ، والأحكام السلطانية وغير ذلك . فقيلت له : انما هذه الكتب لأبى  
الحسن البصرى الماورى . ولكنه أصر على أنها لصاحب هذا الشخصية التى نمنى  
بها . علما بأن الأول ولد فى سنة ٢١ هـ أما الثانى وهو الماورى فقد ولد  
فى سنة ٤٥٠ هـ كذلك هناك من يحتقد بأن الحسن البصرى هو المذكور فى  
" ألف ليلة وليلة " وهذا ليس بصحيح فان الموجود فى " ألف ليلة وليلة " هو :  
حسن الصائغ البصرى . وقصته مشهورة فى هذه الحكايات الشعبية (٥) . أما بالنسبة  
لوالده فتكاد كلمة الباحثين تجمع على أن اسمه " يسار " ، وسار هذا - كما  
قال بعضهم - كان ينادى قبل الاسلام بـ " فيروز " (٦) . وكان " يسار

(١) تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ج ١ - الطبعة الثالثة .

(٢) الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية للناوى ج ١ ص ٩٦ .

(٣) كتاب التاريخ الكبير للامام البخارى ج ١ ص ٣٥٤ .

(٤) كذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ج ١ ص ١٣٦ .

(٥) ألف ليلة وليلة - طبعة خاصة بدار الهلال ج ٤ ص ١١٥ - ٢٤٨ .

(٦) فتح البلدان للبلاذرى ص ٣٥٢ .

من سبي " ميسان " (١) . سباه الأمير الحفيرة ابن شعبة مع سوريه أبي محمد بن سوريه حينما افتتحها في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقد صار بعد السبي مولى للصحابي الجليل " زيد بن ثابت " . وأمه كانت تسمى " خيرة " وهي من السبايا أيضا صارت بعد ذلك مولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . ثم تزوج " يسار " من " خيرة " . وفي هذا البيت النبوي الكريم ولد " الحسن " في سنة ٢١ هـ الموافق سنة ٦٤١ م .

هذا ما عليه الكثير من أصحاب التراجم والطبقات . . ولكن يخالف ما سبق فيذكر أن أياه " يسار " كان مولى لبميل بن قطبة أو امرأة من الأنصار أو لرجل من بني النجار . . (٢)

ولأنكاد نجد رأيين متفقين على ذلك . اللهم الا على " زيد بن ثابت " ومجى " الحسن " من أبوين من " ميسان " يدل على أنه كان ينتسب إلى أسرة غير عربية . وهذا واضح من جميع المراجع التي وقعت تحت يدي . ومع هذا نجد أحد الباحثين من المحدثين يذكر أن الحسن البصري - هذا - يتحدّر من أسرة عربية (٣) . ولم يذكر أي دليل على ذلك وبالتالي لم يشر إلى أي مرجع وطى كل فاذا كان هذا الرأي فيه شيء من الصحة نستطيع أن نقول : لعل أسرة " الحسن " التي انحدرت إلى المدينة مع السبي كانت أصلاً موجودة في هذه المنطقة العربية ثم هاجرت إلى العراق مع المهاجرين أيام انهيار " سد مأرب " وغير ذلك خاصة وأن الهجرات العربية عبر التاريخ كانت متعددة إلى أماكن مختلفة .

ويستأنس لهذا أن أبوى الحسن لم يعلماه شيئاً مما كانا عليه قبل الاسلام ومع هذا التعليل فأننا نرجح الرأي القائل بعدم عربية أسرته . وطى كل فان ما يعنى به الاسلام ليس هو اللون أو الجنس وإنما هو : تقوى الله سبحانه وتعالى . والأدلة على ذلك كثيرة . منها : ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن (٤) في يده فما وجد لها مناخاً في المسجد حتى نزل صلى الله عليه وسلم على أيدي الرجال فخرج بها إلى بطن المسيل فأنخست ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم على راحلته

(١) ميسان : بلدة بأقصى البصرة بالعراق وهي : كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان ( ابن خلكان ج ١ ص ١٨٩ ) ، ( معجم البلدان لياقوت ج ٥ ص ٢٤٢ ) . وقال آخرون : يسار من أهل نهر " المرأة " وهو عبارة عن نهر بالبصرة حفرة أردشير الأصغر .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٥٦ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٤٠ . وابن خلكان ج ١ ص ٣٥٤ .

(٣) في التاريخ لابن كثير ج ١ ص ١٥٦ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٤٠ .

فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال : يا أيها الناس ان الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها فالناس رجالان ، رجلا بر شقى كريم على الله • ورجل فاجر شقى هين على الله تعالى ، ان الله عز وجل يقول : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير • ثم قال صلى الله عليه وسلم - أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم • (١) والتالى فان الحسن البصرى رحمه الله أصبح عربيا خالصا بنشأته ، ولسانه ، وعلمه ••

ولد الحسن في بيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم - كما ذكرنا - بالمدينة المنورة سنة إحدى وعشرين للهجرة النبوية لسنتين بقيتا من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٢) • وهذا ما عليه جميع المؤرخين له تقريبا • وهنا رأى لأحد العلماء المحدثين وهو الشيخ محمد الصادق عرجون يقول بأنه ولد سنة إحدى وثلاثين للهجرة (٣) ولم يذكر مرجعا في هذا • والتالى لم أجده في أى مرجع رأيته •

وروى أن الحسن بعد ولادته أتى به الى عمر بن الخطاب فدعا له وحكه (٤).

#### بيئته :

المقصود بالبيئة كما يقول علماء النفس : جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في الشخص من بدء نموه ، كما أن المقصود من الوراثة جميع العوامل الموروثة في الكائن الحي من اللحظة التي تتم فيها عملية اللقاة بين الذكر والأنثى كما يذكر علماء الوراثة •

وبالتجارب السديدة وجد أن البيئة المثالية للفرد هي البيئة التي تهتم للوصول الى أحسن نمو ممكن في الحدود التي وضعتها العوامل الوراثية •• (٥)

- 
- (١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢١٨ •  
 (٢) وفیات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٣٥٤ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٤٤٠ •  
 (٣) مجلة الوعي الاسلامي العدد الثاني والتسعون ص ٧٢ من السنة الثامنة موضوع : نموذج من دعاة الصدر الأول " الحسن البصرى " •  
 (٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٧٤ - مطبعة السعادة بمصر •  
 (٥) أسس الصحة النفسية للذكور عبد العزيز القصي ص ٢٦ - ٢٧ • الطبعة الثالثة •

والحسن البصرى رحمه الله جميع بين هاتين الميزتين بالاضافة الى الفيض  
الالهى الذى اكرمه الله به .

فمن ناحية الوراثه نجد أن الله تعالى خلق الحسن فى أحسن تقويم ولهذا  
يقول ابن سمد فى الطبقات يصف الحسن من الناحية الخلقية " وكان الحسن ..  
فصيحا . جميلا . وسيما " ..

وابن قتيبة فى المعارف يقول : " وحدثنى عبد الرحمن عن الأصمى عن أبيه  
قال : ما رأيت أعرض زيدا من الحسن كان عرضه شيئا " الى آخر ما قيل فى ذلك .

أما عن البيئة فحدث عنها ولا حرج . طفل ينشأ فى أطهر أمكنة —  
أرقى أناس من البشر بين أنظف ثقافة ظهرت وتظهر الى أن يرث الله الأرض ومن  
عليها . لا ريب أن هذه النشأة تكون لها قيمتها وخطورتها فى المجتمع . وهكذا  
نشأ الحسن البصرى — حرا طليقا — فى أطهر أمكنة على الأرض وهى المدينة المنورة  
مشوى المصطفى عليه الصلاة والسلام . وذلك بعد أن مكث مدة من الزمن بعبد  
ولادته فى وادى القرى ينعم بهوائها الطلق ، ومصرييتها الخالصة ، وجوها الهادئ  
النقى . مع أرقى أناس وهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن على شاكلتهم .  
بين أنظف ثقافته وهى المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله .

وبيئة الحسن التى نتحدث عنها لها معنيان . خاص ، عام وسنوضح فيما  
يلى كلا من هذين المعنيين مع ذكر تأثير الحسن ببيئته .

### بيئته الخاصة وتأثيرها فيه :

عاش الحسن البصرى مع والده " يسار " الذى كان يعمل فى الشؤون التجارية .  
وهذا ما يدعو الانسان الى الاعتقاد بأنه قد تربى من مصدر حلال وهو سبب من  
أسباب البركة التى حلت فيه كذلك مع والدته " خيرة " التى كانت مولاة لأم سلمة  
نوح النبى صلى الله عليه وسلم . وتحكى بعض المراجع أن أمه ربما غابت فى حاجة  
فبيكى الحسن الطفل . حينئذ تعطيه أم سلمة رضى الله عنها ثديها تملأ به  
الى أن تجى . أمه وربما در عليه ثديها فشربه فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة  
من بركة ذلك . (١)

(١) وفیات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٣٥٢ والكواكب الدرية ص ٢١١ .

وكان أمه بسبب اتصالها بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم على جانبي من المعرفة وذلك لاتصالها بالبيئة العربية الخالصة في ذلك الوقت وسيلها الى ذكر القصص الوعظي حتى بعد أن رحلت الى البصرة . ولذلك أثرت فيه كثيرا حتى كان يروى الحسن عن أمه عن أم سلمة .. (١)

ولذا كان الحسن رحمه الله يعرف منها الكثير من شئون الدين ولا شك أن الأم لها تأثير كبير في حياة ولدها . خاصة إذا ما أحسنت تنشئته . وهذا من قال :  
الأم مدرسة إذا أعددتها . أعددت شعبا طيب الأعراق

هذه هي البيئة الخاصة للحسن التي تنحصر في والديه . وسببها تأثير الى حد كبير برسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم . لأن الحسن بالطبع حينما فتح عينيه على الحياة وجد والدين يؤديان الصلاة وشعائر الاسلام الأخرى فلا شك أبدا أن هذا الصغير يقلد أبويه في كل ما يفعلانه . ينخرس في قلبه حب الاسلام وتعاليم المصطفى عليه الصلاة والسلام وقد كان . وليس معنى هذا أن الحسن أخذ يتلقى تعاليم الاسلام من والده فقط . بل كان يعرف تعاليم السماء من خارج أسرته أيضا ولذا نتحدث فيما يلي عن بيئته العامة .

#### بيئته العامة وتأثيرها فيه :

وإذا ذكرنا بيئته بالمعنى العام نجد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على قمته ، كيف لا وهم الذين رفعوا راية الاسلام ، وذلوا في سبيلها أعز ما يملكون من نفس ، ومال وأولاد ، وجاء .. والذين قال الله في حقهم " محمد رسول الله " والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا .. (٢)

وقال الرسول عليه السلام فيهم : " لا تسبوا أحدا من أصحابي فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه " (٣) .

فمن الحسن البصري مرحلة الطفولة والصبا في المدينة المنورة بين أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام . وأخذ يتردد على المسجد النبوي وفي كان يرى وسمع بعض الصحابة عليهم رضوان الله تعالى (٤) . ونتيجة لذلك . حفظ القرآن الكريم

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١١٤ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٢٨

(٢) سورة الفتح آية ٢٩ . (٣) رواه مسلم في صحيحه ج ٤ عن أبي سعيد الخدري

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٢٨ .

والكثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض أقوال الصحابة • وكان قد بلغ وهو بالمدينة الرابعة عشرة من عمره ساعده على ذلك المدة التي قضاه في وادي القرى بين العرب الخلس • كما تعلم الكتابة وضبط الحساب مما أهله بعد ذلك أن يكون كاتباً للربيع بن زياد الحارثي وإلى خراسان وأحد فاتحيها لعمر بن الخطاب كما سنعرف ان شاء الله •

ولم يقتصر تردده على بيت الله تعالى لأخذ العلوم والمعارف المختلفة عن أصحاب النبي عليه السلام وهو في شبابه • بل كان يتروّد أيضاً مع أمه في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم • فكان يكتسب من هذا الفقه في الدين كالمسجد ••

وفي المدينة المنورة شهد الحسن البصري ما تواقع فيه المسلمون من فتن مشيرة أدت إلى سفك الدماء • وذلك يتمثل في قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان •

انطبعت هذه الصورة الدامية التي شهدتها الحسن لمصرع الخليفة المقبول مما جعله ينشر دائماً من الفتن مدة حياته • ومن يدري لعل هذه الصورة البشعة هي التي غرزت فيه عاملي الخوف والحزن اللذين لازماه طوال عمره •

ومما يدل على شهوده مصرع الخليفة وهو بالمدينة ما رواه صاحب المنية والأمثل وغيره : قال الحسن : كنت بالمدينة يوم قتل عثمان وكنت ابن أربع عشرة سنة •

كذلك سمع دعوة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه إلى توزيع أموال الأغنياء على الفقراء مما كان له الأثر الكبير في تكوين شخصيته خاصة بعد أن انتقل من المدينة إلى البصرة • (١)

وفي المدينة رأى — الحسن — ومع الكثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل : الخليفة عثمان بن عفان ، وطليحة ، وعطى بن أبي طالب ، وعبد الله ابن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وابن عباس •••

(١) المنية والأمثل للمرتضى •

- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ج ٤ ص ٩٨ — ٩٩ •
- كتاب دول الإسلام ج ١ ص ٥٣ •
- تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧١ للحافظ الذهبي •
- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٥٧ •



يقول الحافظ الذهبي : " وقد سمع من عثمان وهو يخطب وشهد يوم الدار ،  
ورأى طلحة وعلياً ، وروى عن ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر بن عبد الله وخلق كثير  
من الصحابة .. (١) .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما رواه الأشعث عن الحسن قال : ما خطب عثمان  
خطبة إلى أمر يقطي الكلاب وذبح الحمام . وعن الحسن - أيضاً - قال : سمعت  
عثمان بن عفان يقول : " اقتلوا الكلاب وذبحوا الحمام " (٢) .

كما يروى الحسن عن ابن عمر قوله : " لا تقتلوا الخفافش ، فإنه استأذن فسي  
البحر أن يأخذ من مائه فيلقى نار بيت المقدس حيث حرق ، ولا تقتلوا الضفادع فإن  
نقيقتها تسبىح " (٣) .

وهكذا ظل الحسن البصري يتلقى من المعرفة الإسلامية في المدينة على قسيدر  
ما وهبه الله من الفهم في هذه السن المبكرة . كما أنه قد روى ما وقعت عليه عيناه  
من الأحداث الجسام مما أثر في نفسه ، ولم ينسأه قلبه .

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ .  
(٢) الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٢٩٣ .  
(٣) الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٥٣٨ .

( انتقال الحسن وأسرتة الى البصرة )

انتقل الحسن مع أسرتة الى البصرة سنة ٣٦ هـ في ولاية عثمان بن حنيف من قبل  
علي بن أبي طالب كاملة عن الحياة في المدينة . وهذا الانتقال كان لاعتبارات متعددة  
كالخين الى الوطن . لأن أسرتة - كما عرفنا - جاءت من البصرة مع السبي ، وخروج  
الامام علي من المدينة ، والتكسب الى غير ذلك . . . . ومنطقة العراق في هذا الوقت  
كانت مركزا للجدل والمناقشات ، كما كانت موطنًا لمذنبات قديمة . كان الصريان قد  
انتشروا فيها ، وأنشئوا لهم مدارس قبل الاسلام ، وكانوا يدرسون فيها الآداب اليونانية ،  
وكان في العراق قبل الاسلام مذاهب نصرانية تتجادل في كثير من العقائد . . . وكان  
في الحيرة يونان مثقفون ، كما كان العراق في الاسلام ميدانًا للفن والحروب والتناحر  
المذهبي بين الشيعة والخوارج . . . .

في ذلك المزدحم من الأفكار ، والمضطرب الفسيح من الآراء ، وفي ذلك المنهج  
من النحل والأهواء اكتملت للحسن رجولته . والنفس القوية تستخلص غذاها الروحي  
من كل الأفكار ، كالرجل القوي يستخلص من حسك السمندان ومن وسط القيسباد  
غذاها المبادئ ، فلا عجب اذا تغذت نفس الحسن من هذه الأفكار - المتضاربة  
والآراء المتناحرة ، واستخلصت من بينها ما ينميها ويقويها . والنفس القوية تستفيد  
من باطل الآراء كما تستفيد من صحيحها اذا عرفت ما في الباطل من دخل وما في  
ثناياه من خطل ، فيكون ادراكها للحق على بينة و يقين ، وليس قويا في نفسه ذلك الذي  
يتحير في وسط الشبهات ومتنازع الأهواء والأفكار ، ولكن القوي في نفسه هو الذي يتخير  
مذهبه الحق وسط أطماع الأهواء ، فلا يتطرق الشك الى قلبه ، ولا يرد الاضطراب  
الى نفسه بل لا يزيد اضطراب الآراء الا يقينا ولا تمام الأفكار الا تثبيتا .

خصوصا وأن الناهج العلمية في عهده أخذت تتميز ، فكان فقه العراق وعلى  
رأسه عبد الله بن مسعود ، ثم علقمة وإبراهيم النخعي ، وحمار بن أبي سليمان ،  
وعلى مائدة هؤلاء تربي أبو حنيفة النعمان . وفي المدينة كان الفقه الحجازي وعلى  
رأسه عبد الله بن عمر ، وسعيد بن المسيب ، ونافع مولى عبد الله بن عمر وابن شهاب  
الزهري . ومن مائدتهم تغذى الامام مالك رضي الله عنهم جميعا وهكذا أخذت المدارس  
الفقهية تتبين مناهجها في عصر الحسن وكلها يلتصق بنبوته من علم الرسول عليه الصلاة  
والسلام وما نقله صحابته والاختلاف انما هو في المنهج والتخريج .

معنى هذا أن صاحب النفس القوية الحسن كان كالشجر الثابت يأخذ من الريح  
الحاصف غذاءه ولا يصاب بدائه ..

واستطاع الحسن — رحمه الله — في محتجج الآراء ، ومضطرب المذاهب أن يتخذ  
له مذهبا يدين به في الدين آمن به حق الايمان وأذن له حق الانهكان ، وكان  
كالطود الأشم تصطم به الرياح ، فتبدد حوله ، وهو جاثم في مكانه ، يستخلص من  
تلك الفتن ما يدعم حجته وينير مجتده ، ويقوى به دعوته ويثبت ما رآه في الدين  
حقا ، وفي أخلاق الناس منارا (١) . وقد عرفنا فيما سبق الحياة طامة في البصرة  
كما رآها الحسن البصري .

وفيما يلي نتصرف على حياته في البصرة وكيف عاشها حتى نعرف قيمة الرجل ، وأنه  
لم يكن منساقا في تيارات البصرة المختلفة . بل صمد أمامها واستطاع بفضل الله تعالى  
أن يحدث أثرا كبيرا في عصره ويثبته .

---

(١) من تاريخ الجدل حسن البصري للشيخ محمد أبو زهرة .  
وهذا الكتاب عبارة عن محاضرات ألقاها فضيلته بمجمع الدراسات  
الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٩ .

## حياته الأسرية واليومية :

ان أخلاق الانسان دائما تظهر أجلى ما تكون على حدة يقتها في بيته وأهله .  
فكثيرا ما يمثل في مجتمعه ما لا يعتقده ولا يفعله . ومن أجل هذا يوصي المصطفى  
صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمه فيقول : "خياركم خياركم لنسائكم" كما رواه ابن ماجه  
مرفوعا عن عبد الله بن عمرو . والحسن كان من هذا الطراز الرفيع الذي أحسن العشرة  
مع أهله .

تنزه الحسن من أصل غير عربي كما هو متبع في هذا الوقت من عدم تنويع  
العربية من غير العرب . وقد حدث لابن عون تلميذ الحسن البصري أذى من قاضى  
البصرة بال بن أبى بردة حينما أراد أن يشذ عن هذه القاعدة المتفق عليها .

حتى أننا نجد الحسن حينما كان يحدث بينه وبين زوجته عراك يقول لها :  
يا علة . ومعناها نفى كونها عربية . ويظهر من ذلك أن زوجته هذه لم تكن على  
مستوى الزوجية للحسن لأنها كثيرا ما كانت تصطدم به في منهاج حياته . (١)

ورزق الحسن بولدين سعيد وه كان يكنى وعبد الله كما رزق بنتا . وتقول  
بعض المصادر تصف معاملة الحسن لزوج ابنته حينما يفوره قائلا : "مرحبا بمن كفى  
المؤنة وستر الصورة — ثم يتحنى له عن مكانه تكريما له . (٢)

وولد للحسن غلام فقال له بعض جلسائه : بارك الله لك في هبته ، وزادك  
من أحسن نعمته ، فقال الحسن : الحمد لله على كل حسنة ، ونسأل الله الزيادة  
في كل نعمة ، ولا مرحبا بمن ان كنت عائلا أنصبنى ، وان كنت غنيا أذهلنى ، لا أرضا  
بسمى له سحيا ، ولا بكدى له في الحياة كدا ، حتى أشفق له من القافة بمعد  
وفاتى وأنا في حال لا يصل الى من غمه حزن ولا من فرجه سرور . . (٣)

في الرد السابق للحسن على الذين هنسوه بمولسود ، الجديد نلمح ما يأتى :  
أولا : أنه حمد الله سبحانه وتعالى على كل حسنة . ولا شك أن الولد حسنة  
من الحسنات . يقول تعالى : "ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا  
عذاب النار" (٤) . ولو أن الحسن — رحمه الله — فسر حسنة الدنيا هنا

(١) ، (٢) لسان العرب لابن منظور مادة " طبع " ، وتهذيب ابن عساکر  
ج ٣ ص ٣١٩ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٢٥ — ١٢٦ .  
(٣) عمون الأخبار لابن قتيبة الجزء السابع ص ٩٨ . مطبوعات النجاح بالقاهرة ،  
والبيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ١٤٧ . (٤) سورة البقرة آية ٢٠١ .

بالعلم والعبادة • الا أن القرطبي قال : " والذي عليه أكثر أهل العلم أن المراد بالحسنتين نعم الدنيا والآخرة • وهذا هو الصحيح ، فان اللفظ يقتضى هذا كله ، فان " حسنة " نكرة فى سياق الدعاء " ، فهو محتمل لكل حسنة من الحسنات على البدل • وحسنة الآخرة الجنة باجماع • وقيل : لم يريد حسنة واحدة ، بل أراد : أعطانا فى الدنيا عطية حسنة ، فحذف الاسم " (١) .

كذلك سأله الزيادة فى كل نعمة • يقول تعالى : " وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها " (٢) .

وهذا شأن المؤمن الصادق لا يطلب الا من ربه عز وجل • فبيده مقاليد الأمور •

وكان الحسن — أعزه الله — يريد أن يقول لهم : اذا كنتم تهنتوننى على هبة هذا الغلام وتسالون الله البركة فيه فأنا أحمد الله على كل حسنة • لأنها عند الله تعالى فشكرا له على ما أعطى • وقد عرفنا معنى الحسنة سابقا •

واذا كنتم تسألون المزيد من أحسن نعمته فنسأل الله لزيادة فى كل نعمة لا نعمة الولد فقط كما قال تعالى — سابقا — وان تعدوا نعمته الله لا تحصوها •

ثانيا : بين الحسن كيف يرحب بانسان يكون دائما مصدرا لشغاله عن الله تعالى • فى حالة الفقر يجهد نفسه ليهبى له سبل الحياة كما يريد فيتسبب هذا فى تحبه ومشقته وفسى حالة الفنى يكون الذهلى بالمتاع الفانى عن المتاع الباقي الذى لا ينفد أبدا •

كما يبين الحسن — رحمه الله — أن انشغال الانسان بولده يجعل السعى كله وكذلك الكد لهذا الولد لأنه يخشى عليه الفاقة بعد الوفاة • ثم يبين أنه فى حال استراحت فيها نفسه وتفرغت لله تعالى لأنه لا يصل اليه من غمه حزن ولا من فرجه سرور •

(١) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٤٣٢ — ٤٣٣ •

(٢) سورة النحل آية ١٨

ثالثا : لا يصح أن نفهم من كلام الحسن هذا أنه يكره الأولاد والأولاد لما تزوج وأنجب ولكن مركزه في المجتمع الذي عاش فيه ، وهدفه السلام في الكبير وهو تحويل سير مجرى الأمة إلى الله تعالى جعله يريد التفرغ كلية لهذا العمل الضخم . ويرى في الأولاد — أو بمعنى أدق الفلوف في حب الأولاد والانشغال بهم — سببا في إعاقة هذا العمل المطلوب .

وقريب من هذا قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله .. " (١) " يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم .. " إلى قوله : انما أموالكم وأولادكم فتنة .. " (٢) والواقع الذي نعيش فيه يؤكد ما ذكرناه الا من عصم الله تعالى .

وكان الحسن — رحمه الله — في حياته المعيشية كثير الشبه بأصحاب المصطفى صلى الله عليه وسلم . فكان يحيش مع أسرته عيش من ينتظر النعيم الدائم يوم القيامة . وإذا أخذ المطا من الدولة الذي لا يفهم منه معنى الأجر حجز لأسرته ما يسد الرمي الضروري ، ويستر الصورة ويوزع الباقي على الفقراء والمحتاجين (٣) .

وكان منزله وما يحتويه يقي فقط من برد الشتاء وحر الصيف — غالبا — وفي منتهى البساطة من حيث المبنى وما فيه من الأدوات التي تذكر بما كان عليه المصطفى عليه الصلاة والسلام . فقد قال عبد الله بن عمر : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا ، فقال : ما هذا ؟ قلنا خص لنا قد وهى فقال : أرى الأمر أعجل من ذلك . (٤)

حتى نجد الحسن نفسه يقول : كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت يدي إلى السقف . (٥)

ولا عجب في ذلك فقد أجبر الحسن دولة بني أمية على احترامه ومخاطبة وده ، وأصبح إلى يومنا هذا الانسان الذي يتطلع إليه كل من أراد عز الدارين .

(١) سورة المنافقون آية ٩ .

(٢) سورة التغابن آية ١٤ — ١٥ .

(٣) تاريخ الاسلام للذهبي ج ٤ ص ١٠٠ ، وأمالى المرتضى ج ١ ص ١١٠ وما بعدها ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٢٥ .

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وصححه .

(٥) الاحياء للقرظالي ج ٤ ص ٢٣٦ .

وقد بلغ من عظمة الحسن أنه كان يلينهم أسرته بهذا الخلق الرفيع —  
 ويحملهم عليه بحكمة يندر وجودها أسوة بمن سبقه — خاصة عمر بن الخطاب — متمشلا  
 قول الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس  
 والحجارة " (١) . يذكر حميد الطويل عنه قال : خطب رجل الى الحسن ابنته ،  
 وكنت السفير بينهما فرفضه ، وأراد أن يزوجه فأثبت عليه ذات يوم وقلت : وأنتك  
 يا أبا سعيد أن له خمسين ألفا ، قال : أقلت له خمسون ألفا . ما اجتمعت  
 من حلال — قلت : أأبا سعيد ، انه والله ما علمت لورج مسلم ، فقال : ان كان  
 جمعها من حلال ، لقد ضن بها على حق . لا يجرى بيني وبينه صهر أبدا . (٢)

وقضى الحسن — رحمه الله — معظم حياته بين بيته المتواضع — كسبا  
 عرفنا — الذي وصفه تلميذه مطر : " دخلنا على الحسن نعوده فما كان في البيت  
 شئ " لا فراش ولا بساط ولا حصر الا سرير مرموك عليه " (٣) .

وكان كثير القرد على المسجد يؤدي ما عليه نحو الله تعالى من عبادات وتقرب  
 اليه سبحانه ونحو نفسه من تعليم وتهذيب على يدى أصحاب رسول الله ، ونحو  
 الناس الذين كان يمشي بينهم خاصة وأن المنطقة التي كان يمشي فيها ليست  
 بالمستوى العالي كما يحب بعض الناس أن يسكن وانما كانت منطقة الفقراء والمحتاجين  
 وكثيرا ما يطلبون منه الضروريات فلا يتقاعس أبدا ولا يحتقرهم بل كان يعمل على قضاء  
 حوائجهم . كما كان يعلمهم ويهذبهم .

وكان — رضى الله عنه — يفهم معنى الجوار ويحمل به ولو كان هذا الجار  
 على غير الاسلام والفعل كان له جار يهودى كثيرا ما يحسن صلاته . (٤)

ولم يقتصر اشرافه على أسرته بل فى معظم الأحوال نراه مشرفا ومساعدة  
 لأسرة أخيه سعيد الذى مات قبله . (٥)

ومن عاداته فى حياته اليومية أنه كان يستريح وقت القيلولة ليستتمين  
 بهذه الراحة على القيام بالليل (٦) مقتديا بقول النبي صلى الله عليه وسلم " قبلوا  
 فان الشياطين لا تقيل " (٧) .

(١) سورة التحريم آية رقم ٦

(٢) أمالى المرتضى القسم الأول ص ١٦٢ ومحاضرات الراغب الاصفهاني ج ١ ص ١٥٤ .

(٣) تاريخ الاسلام للذهبي ج ٤ ص ١٠٤ .

(٤) أمالى المرتضى ج ١ ص ١١١ ، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٤ ص ١٠٣ .

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٢٨ .

(٦) محاضرات الراغب الاصفهاني ج ١ ص ١٥٤ . (٧) أخرجه الطبراني عن أنس مرفوعا .

وكان للحسن - رحمه الله - مجلسان أحدهما في المسجد عاما لكل من يريد التفقه في دينه فأسحا صدره لجميع الأسئلة التي توجه إليه • ولم يكن في مجلسه هذا مستبدا برأيه لا يدع الكلام لغيره بل على العكس كان متواضعا في ذلك مما جعل تلميذه واصل بن عطاء يرد على سؤال مرتكب الكبيرة الذي وجه الى الحسن قبل أن يجيب الحسن ما حمله أن يقول : اعتزلنا واصل (١) •

وتطور مجلس الحسن هذا في المسجد لدرجة أنه كان عبارة عن المقياس الذي توزن به درجة الثقافة الإسلامية في هذا الوقت • وخير تمثيل له - في نظري - ما قاله الدكتور حموده غرابه : بعد أن تحدث عن الفرق المختلفة التي ظهرت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من خواجه وشيعة على مختلف أنواعها : قد ريسة وجهمية ••• قال : فزاد ذلك من حدة الجدل بين المسلمين ثم كان أن التقت هذه التيارات جميعا عند رجل له مكانة في تاريخ الاسلام العقلي وهو الحسن البصري (٢) • وثاني المجلسين في بيته مع بعض أصفائه من أهل الزهد والورع وكان يعنى بهم عناية خاصة حتى أن أهله كانوا يملون منهم لطول ما يجلسون معه • ولكن سرعان ما يبين لأهله أهميتهم ووجه لهم فيصرفون النظر عنهم ••

هذا المجلس بالمنزل كان جل الحديث فيه عن الرقاق (٣) •

وان سأل أحد من الناس عن هذه الجلسة المنزلية التي يتحدث فيها عن الزهد والنسك مع اخوانه قال : " انما خلونا مع اخواننا نتذاكر " • كما كان دائما عليه رحمة الله يختتم مجلسه بهذا الدعاء : " اللهم برئ قلوبنا من الشرك والكبر والنفاق والرياء والسمعة والريبة والشك في دينك يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك واجعل ديننا الاسلام القيم " (٤)

(١) الطل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٤٨ •

(٢) الأشعري أبو الحسن للدكتور حموده غرابه ص ٣٧ - الطبعة الأولى •

(٣) الطبقات لابن سعد المجلد السابع • والمراد بالرقاق يبينه ما قاله ابن

الجوزي في صيد الخاطر " رأيت الألف تغال بالفقه وسطح الحديث • لا

يكاد يكفي في صلاح القلب • الا أن يمتزج بالرقاق • والنظر في سير السلف

الصالحين • فأما مجرد العلم بالحلال والحرام • فليس له كبير عمل •

في رقة القلب وانما ترق القلوب بذكر رقائق الأحاديث وأخبار السلف الصالحين •

(٤) تاريخ الاسلام للذهبي ج ٤ ص ١٠٥ وما بعدها •

والطبقات لابن سعد ج ٧ • وتفسير الطبري ج ١ ص ١٧٦ - ١٧٧ •



### اشتراكه في الفتوحات ورجوعه الى البصرة :

لم تكن كل حياة الحسن في البصرة فقط بل كان يرحل عنها كلما ساحت له الفرصة لأداء واجب من الواجبات كإدوية فريضة الحج والمساومة في الفتوحات الإسلامية . . . فقد ثبت اشتراكه في الفتوحات الشرقية مع الأحنف بن قيس أيام معاوية بن أبي سفيان .

وقد مكث الحسن مع عبد الرحمن بن سمرة في غزو كابل والاندقان والأندغان وزابلستان قرابة ثلاث سنين . وقد ولي عبد الرحمن سجستان سنة ٤٣ هـ كما خرج معه أشرف الناس مثل : عبد الله بن خازم وقطري بن الفجاءة والمهلب وغيرهم . وشهد الحسن معه حصار كابل وفتحها وأعجب بشجاعة عباد بن الحصين حتى كان يقول : ما ظننت رجلا له مقام ألف حتى رأيت عباد بن الحصين ، وذكر الحسن أنهم في إحدى هذه الغزوات كانوا يأكلون لحوم الخيل (١) .

وفي سنة ٥١ هـ استعمل الربيع بن زياد على خراسان فذهب الحسن البصري معه كاتبا له كما ذكرنا سابقا (٢) .

واشتراكه في هذه الغزوات أتاح له فرصة طيبة أبرزها أنه تعرف على حياة الحرب كما عرف حياة السلم . والمراجع لم تذكر لنا بالتفصيل ما هودور الحسن البصري في تلك الحروب ؟ وغالب الظن أن الحسن كان أما للكتاب المسلمة يؤمهم في الصلاة ، ويحثهم على الجهاد . . . وهذا ما يشبه في أيامنا هذه بالتوجيه المعنوي . ولا شك أبدا أنه لو أحسن سير التوجيه المعنوي إلى ما يرض الله تعالى لتحركت كتائب الأيمان في قوة وشجاعة وثقة في النصر بإذن الله .

وفي هذه الغزوات أيضا قابل الكثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والفقهاء والشعراء . . . أمثال : عبد الرحمن بن سمرة ، والأحنف بن قيس ، وقطري ابن الفجاءة الخ . . . وكان شجاعا في هذه الحروب كما ذكرنا لأمته كذلك استفاد من هذه الفتوحات معرفته الأكيدة بقيمة العلم في المجتمع خاصة الأجناس غير العربية التي كانت تجد من بعض العرب احتقارا .

---

(١) فتح البلدان للبلاذري ص ٤٠٤ - ٤٠٥ ، والمعارف لابن قتيبة ص ١٨٢ .  
وسنن البيهقي ج ٩ ص ٣٢٧ وما بعدها ، والحسن البصري للدكتور احسان عباس .  
(٢) تاريخ الاسلام للذهبي ج ٣ ص ٩٩ .

قال الأحنف بن قيس - رحمه الله - : " كاد العلماء أن يكونوا أرباباً وكل عز لم يوطد بعلم قال ذل مصيره " ، وقال سالم بن أبي الجعد : اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم واعتقني ، فقلت بأي شيء أحترف ؟ فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائراً ظم آذن له " ، وقال بعض الحكماء : إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء • وفقد وجهه ولا ينسى ذكره وإذا كان مقتل عثمان قد أثر فيه قبل ذلك فمسا همته في الفتوحات أثرت فيه أيضاً (١) .

وبعد هذه الفترة التي قضها الحسن في الفتوحات رجع إلى البصرة وقد عزم في نفسه على تخليص المجتمع مما لحق به من فساد ينخر فيه ، وإنهماك في الدنيا كاد يؤدي إلى كارثة في الدين • ولكن هل وجد الطريق أمامه مفروشا بالزهور والرياحين أم بالأشواك ؟ هذا ما نود أن نعرفه فيما يلي والله المستعان •

#### موقف الحسن من اشتراكه في الفتوحات والصودة إلى حلقة المسجد :

عرفنا فيما سبق أن الحسن استفاد من اشتراكه في الفتوحات وعاد منها إلى مسجد البصرة بنفس جديدة وهمة عالية للوصول إلى الهدف المنشود الذي رسمه لنفسه •

وببدأ عمله هذا بحلقات مسجد البصرة الجامع حيث التزود بالشتافات الدينية المختلفة التي اتجهت إليها نفسه وكانت من أهم الأسباب القوية المكونة لشخصيته •

ويحاول الدكتور احسان النص تحليل هذا الإقبال من الحسن بعد رجوعه من الفتوحات بقوله : " ولعل الحسن قد أصيب بخيبة أمل في هذه الفترات حين لمس الاجحاف الذي كان يلقاه الموالي أمثاله من جانب العرب أصحاب السيادة ، فأدرك أن مكانه الصحيح ليس في هذه الفتح وإنما هناك في حلقات مسجد البصرة ، وقد صح عزمه على أن يسلك الاتجاه الوحيد الذي تطمئن إليه نفسه ويرضى مزاجه الديني

(١) انظر علوم الدين للقرظي ج ١ ص ٨ • •

وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٣ ص ٩٩ •

والذى سلكه كثير من الموالى أملا فى أن يحوضوا به عن الضعة التى لحقتهم من جراء انتقامهم الى العناصر غير العربية \* (١).

هذا التعليل من جانب الدكتور النص لا وافق عليه لماذا ؟

لأن الحسن البصرى - عليه رحمة الله - يعلم قيمة الجهاد فى سبيل الله ومبلغ عظمة الشهادة فى سبيله \* وهو الذى أخذ على نفسه العهد دائما أن يعمل بما يقول \* فكيف يصاب بخيبة أمل فى هذه الغزوات مهما لمس الاجحاف الذى يلقاه الموالى أمثاله \* ولو صح هذا لما وصل الحسن الى القمة فى نظر الأمة كلها \* ولكن بماذا نحلل ما حدث ؟

الحق أقول : ان الحسن - رحمه الله - بثاقب فكره ، وضوء حكيمته ، وتسامي اخلاصه لله تعالى \* وجد أن الوقوف أمام أعداء الله تعالى لا يقتصر على الحرب فى ميدان القتال فقط \* ولكن لابد من جيوش متعددة لاجراز النصر جيش للميدان القتال ، وجيش للعمل الدائم لتجهيز ما يحتاجه الوقوف أمام العدو من طعام وشراب وثياب ومعدات \* ، وجيش لمحاربة الشائعات واحباط المؤامرات التى ترمى الى ضعف الروح المعنوية التى لولاها لما انتصر \* \* جيش أبدا \* والدليل على ذلك التاريخ والواقع \* فنحن مثلا فى معركتنا مع العدو والاسرائيلى ومن يسانده ، حينما أصبنا بنكسة فاضحة لم يكن عددنا قليلا أو عدتنا ضعيفة \* وإنما كنا فى أشد الحاجة الى هذه الروح العالية التى تتساق فى دماء الجنود فيصبحون بهذا كما يقول البعض " رهبا زيا لليل فرسان بالنهار " ومن الذى يبعث فى هؤلاء الجنود بل فى الأمة كلها هذه الروح العالية سوى الدعاة الى الله المخلصين الذين تربوا على مائدة القرآن الكريم ، وهدى الرسول العظيم \* فإذا نظرنا بعمق لوجدنا - أن من أهم الجيوش هذا الذى يحارب الأفكار الخبيثة ، والآراء الوضعية \* \* هذا بالإضافة الى أن الحسن كان يميل بحكم نشأته وتربيته الى العلم والمعرفة \* فالحسن البصرى اختار أشق الأعمال فى الحفاظ على الأمة الاسلامية ومن غير الحسن يصلح فى هذا الوقت - وخاصة فى البصرة - لتلك المهمة الكبيرة ؟ \* ولا يمنع هذا من اطمئنانه لنفسه فى هذا الطريق الذى سلكه \* \* وكأنى بالحسن - رحمه الله عليه - باشتراكه فى الفتوحات الاسلامية أراد أن يضرب المثل للأمة فى الجهاد لنشر الدعوة المحمدية وأن العلماء الحاملين لكتاب الله وسنة رسوله لا يقتصرون على القول بسبل يقولون ويفعلون \* وهذا هو السر فى استجابة الناس له وطاقاتهم اياه \* \* وهذا

(١) الخطابة العربية فى عصرها الذهبى للدكتور احسان النص ص ٣٤٢ - ط ثانية - دار المعارف \*

الرد من الممكن أن يرد به أيضا على رأى الدكتور احسان عباس فى كتابه عن " الحسن البصرى " لأنه ذكر رأيا يوافق كلام الدكتور النص السابق .

وبالنسبة لاحتقار الموالى من العرب • فالرد على ذلك من وجهين :

### الوجه الأول :

أن نزعة المداء والاحتقار التى كانت تظهر - أحيانا - من العرب نحو العناصر الأعجمية لم تكن سائدة بين الأوساط الدينية والعلمية ، فالرجل الذى كان يعرف من الموالى بصلاحه وتقواه أو بعلمه وأدبه كان ينال من جمهرة الشعب ومن الطبقة الحاكمة كل احترام وتقدير • ويكفى أنه لما توفى إمامنا "الحسن البصرى" خرجت البصرة كلها تشيع جنازته حتى تحطت صلاة العصر لأول مرة بمسجدها الجامع الى غير ذلك مما هو مبسوط فى تراجم العلماء والصالحين من الموالى • ولعل هذا كما يقول الدكتور محمد الطيب النجار مما يزيل التناقض الذى يبدو فى الكتب القديمة من أخبار تدل على احتقار الموالى فى تلك الحقبة من الزمن • وأخبار أخرى تدل على احترامهم (١) •

### والوجه الثانى :

أن كثيرا من الموالى كانت تبدر منهم بوادر تبعث الشكوك والهواجس فى نفوس الحكام الأميين • اذا كانوا يريدون من بعضهم خروجا عن المبادئ الاسلاميه ومحاولة للانتكاس والرجوع الى ديانتهم القديمة •

وكانوا يرون من البعض الآخر نزعات قومية تميل الى القضاء على السيادة العربية وتلمس الفرص لذلك • وطالما أقضوا مضاجع الأميين بالدعائيات السيرية والثورات المتعاقبة فأضاف الى سلوكهم هذا عاملا جديدا الى العالمى الأصيل فى كراهية الموالى ، واحتقارهم وهو العصبية العربية ، وكان الأميون من أجل هذا وذاك يقابلون المدوان بمثلته أو أكثر ، وتبعها لهذا كانت تنحدر منزلة الموالى وتسوء حالتهم ، ويلاقسون من العرب ألوانا مختلفة من العنت والازدراء (٢) •

نظر الحسن الى مجتمعه ليحدد طريقه فى كيفية ربطه بالله تعالى بعد أن شذ الكثير منه عن الطريق السوى •

---

(١) ، (٢) الموالى فى العصر الأموى للدكتور محمد الطيب النجار ، الطبعة الأولى - دار النبل للطباعة •

حينئذ وجد المجتمع يبرز فيه صنفان من الناس غالباً • صنف أقيست عليه الدنيا بزينتها فأقل هو الآخر عليها • وأخذ منها بالنصيب الوافر • وصدق الله العظيم إذ يقول : " زين للناس حب الشهوات من النساء • والبنين والقناطير المقطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المثاب " (١) • ومن العجيب أن هذا الصنف من الناس الذي أخذ كل هذه النعم نسي المنعم تبارك وتعالى وأصبحت حياته مادية بحتة حتى أخذ إلى الأرض واتبع هواه ••

وفي مقابل هؤلاء الفارقين في بحار المادية الزائلة وجد صنف آخر قليلا في عدده وكثيرا في معانيه • قال تعالى : " قليل من عبادي الشكور " (٢) • هذا الصنف عبارة عن فئة استطاعت بفضل الله جل وعز أن تقوم هذا الاغراء وسلكت في حياتها مسلكا يتفق مع المثل الأعلى الذي تسعى إلى تحقيقه • هؤلاء سموهم " بالزهاد " فقام فريق منهم يقف في وجه هذا التيار المادي الجارف والممسك على تصديق هذا الاقبال الشنيع على الملذات الفانية والمتع الدنيوية الزائلة • والطبع كان من هؤلاء الزهاد من تفانى في زهده لدرجة تبعدهم عن سباحة الاسلام • وجوهه الأصيل الصالح لكل زمان ومكان • وبين هذه الأمواج المتلاطمة يقوم شيخ البصرة الكبير " الحسن البصري " بدعوته المبتدلة إلى الزهد الحقيقي • وسرطان ما وصل النداء من هذا الوازع الشاب إلى القلوب فهزها وإلى العقول فخطبها وإلى الأرواح فغذاها حتى أصبحت حلقة صاحب العمامة السوداء لا تدانيها حلقة • وطارت شهرة الحسن في البصرة وغيرها حتى عقدوا جميعا له لواء الحكمة والمعرفة •

ومن الأدلة على ذلك حينما سئل الصحابي الجليل خادم المصطفى صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك رضي الله عنه عن مسألة قال : " سلوا مولانا الحسن •• انا سمعنا وسمع فحفظ ونسينا " (٣) • وهذا أنموذج كمثل لدعوته إلى الزهد في هذا المقام وسنصرف الكثير من هذا اللون وغيره فيما بعد بإذن الله •

قال هشام بن حسان : " سمعت الحسن يقول : " والله ما أحد من الناس

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤

(٢) سورة سبا آية رقم ١٣

(٣) الطبقات لابن سعد ج ٧ ص ١٢٨

بسط له في أمر من أمور دنياه ، فلم يخف أن يكون ذلك مكرامه واستدراجا له إلا  
نقص ذلك من علمه ودينه وعقله . ولا أحد أمسك الله الدنيا عنه ، ولم ير أن ذلك  
خييرا له إلا نقص من علمه وما في المجز في رأيه . وكان يقول : ما عجبت من شيء  
كمجبي من رجل لا يحسب حب الدنيا من الكبائر ، وأيم الله إن حبها لمن أكبر  
الكبائر وهل تشعبت الكبائر إلا من أجلها ؟ وهل عبدت الأصنام ، وعصى الرحمن  
إلا لحب الدنيا وإيثارها ؟ . . (١)

وفي مسجد البصرة التقى الحسن البصري بالكثير من أصحاب النبي صلى الله  
عليه وسلم وذلك كأنس بن مالك خادم النبي عليه السلام ، ومعاقل بن يسار المزني ،  
وعياض ابن حماد التميمي ، وأبي عثمان النهدي وغيرهم .

وسنحرف أن شاء الله أمثلة متعددة من مرويات الحسن عن هؤلاء عند الكلام  
على شيوخه .

كذلك من التابعين أخذ عن الكثير كصلة بن أشيم ، وعمار بن عبد القيس  
التميمي ، وصفوان بن محرز وغير هؤلاء من الأئمة الأعلام (٢) .

---

(١) الحسن البصري لابن الجوزي ص ٣٧ — ٣٨ . تحقيق الأستاذ حسن السندوي

— تحت عنوان عام : الرسائل النادرة .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٧٤ — ٧٥ ، وتهذيب ابن عساكر ج ٧ ص ١٦٦ .

(١)  
موقف الحسن من الحجاج :

تولى الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق ما بين عام ٧٥ هـ ، ٩٥ هـ من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان . بعد أن استشرى الفساد فيها : فسار من المدينة الى الكوفة ثم الى البصرة . وفي الكوفة والبصرة أخذ الحجاج يخطب بخطب قوية - وكان فصيحاً بليغاً - يتوعد فيها القوم ويحثهم على العمل . يصف الحسن البصري مقدسه فيقول : " أتنا أعيش أخيفشر له جميمة يرحلها وأخرج إلينا بنانا قصاراً ، والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله فقال : بايموني فبايمناه ، ثم رقى هذه الأعواد ينظر إلينا بالتصغير . وننظر إليه بالتمظيم ، يأمرنا بالمصروف ويجتنبه ، وينهانا عن المنكر ويرتكبه " (٢) .

ويبين المقام عن ذكر الأخبار التي تدل على شدته وأخذه الناس بالقسوة ويكفى أن نحرف أخباره عن نفسه كما يقول المسعودي : أن أعظم لذاته سفك الدماء ، وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره ، ولا سبق إليها سواه (٣) .

فماذا كان موقف الحسن رضي الله عنه من الحجاج ؟ والجواب على ذلك كان موقف الحسن منه موقف الناصح الأمين الذي لا ييغل بالنصيحة مهما كانت الظروف والأحوال ولكن بالحكمة والموعظة الحسن . : علما بأن الحسن لو أراد الفتوى صراحة ضد الحجاج لثبت ثورته طامة في البصرة لا يعلم مصيرها الا الله تعالى . ولهذا كان يرمز الى المخرج من هذه المحنة التي خلقها الحجاج أو خلقها الظرف السياسي يوم ذاك على الأصح فكان يندد - رحمه الله - بنوازح النفوس ويكشف عن الأعمال التي انحط إليها الناس وكأنه يريد بذلك أن يوضح لهم أن العلة إنما هي في أنفسهم وأن الله عز وجل ابتلاهم بسوء أعمالهم وكأنه يشير الى قول الله الحلي القدير : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " (٤) .

(١) الحجاج هو : الحجاج بن يوسف ، كنيته أبو محمد ينتهي نسبه الى ثقيف الذي سميت القبيلة باسمه . ولد سنة ٤١ هـ ومات سنة ٩٥ هـ (٧١٣ م) . وتولى ولاية العراق عام ٧٥ هـ الى أن توفي . نشأ بمدينة الطائف ومات بمدينة واسط . ولشدة ما اشتهر عنه من القسوة والجبروت - سواء كان بحق أو بغير حق - نال الناس منه ومن أبيه وأمه بسببه . . . .

(٢) الأما الى المرتضى ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٣) مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣٢ .

(٤) سورة الرعد آية رقم ١١ . . .

كان الحسن كثيرا ما ينصح الحجاج تارة عن طريق التصريح وأخرى عن طريق التلميح ، كما كان يحرض بالحجاج في خطبه منكرا عليه نفاقه ومخالفة قوله لحمله فيقول : " ما زال النفاق مقبوعا حتى عم هذا عمامة وقلد سيفا " ، ويقول أيضا : " يتلو كتاب الله على لحم وجذام ، ويحط وعظ الأزارقة ، ويبطش بطش الجبارين " ، ويقول : " اتقوا الله فان عند الله حجاجين كثيرا " (١) .

وعند الكاتم عن منهج الحسن في الدعوة الى الله تعالى سنحرف الكثير والله الموفق .

ومجوار هذا نرى فصاحة الحجاج وبلاغته ، ودكائه ، وصدق فراسته . . . قال عبد الله بن طبيان الذي قتل مصعب بن الزبير : كنت يوما واقفا على باب الحجاج ، فاذا به قد خرج وحده ، ولين بالباب أحد ، فوقع في نفسي أن أقتله فنظر الى وقال : هل لقيت يزيد بن أبي مسلم — كاتب الحجاج — ؟ قلت : لا ، قال : ألقه فاني وليتك على الرى معه . فطمعت وكففت عنه ، وتوجهت الى يزيد ، فلم أجد عنده شيئا ففهمت أن الحجاج قال لي ذلك ليشغلني عما أردته به .

وكان سخيا بالمال لتأليف القلوب ، وكان على جانب كبير من البراعة ففى الخلاص من المأزق . هذا الى جدته وصراوته ، وثقة ضحكه . . . (٢) وفوق كل هذا علمه بالقرآن الكريم ولفته .

ومالب الظن أن الحسن بسبب هذا الجانب فى الحجاج من جهة . ومن جهة أخرى كرهه الطبيعي فى الخروج على الدولة لاعتقاده أن هذا يكون سببا فى خرابها أكثر من عمرانها — غالبا — والتاريخ يؤكد ذلك . . .

بسبب هذا لما جاءه بعض الناس فى المسجد يستفتونه فى قتال هذا الداغية ويقصدون الحجاج قائلين له يا أبا سيميد : ما تقول فى قتال هذا الداغية . فقال الحسن : أرى أن لا تقتلوه ، فانها اما أن تكون عقوبة من الله فما أنتم بمرادى عقوبته . ثم قال كلمته المشهورة : يا أيها الناس والله ما سلب الله عليكم الحجاج الا عقوبة ، فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف ، ولكن عليكم بالسكينة والتضعن . . . (٣)

(١) الديبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١١٣ — ١١٤ ، البيان والتبيين للجاحظ

ج ٣ ص ١٤٧ وما بعدها . (٢) مروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ١٥٠ — ١٥٣ .

(٣) الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٥٧ وما بعدها .



## علاقة الحسن بالخليفة العادل عمر بن عبد العزيز :

ظل الوقت الذي تولى فيه الحجاج بن يوسف الثقفي ولاية العراق وما جاورها يسوده الظن والريب والخوف لأن القوم لا يأمنون بطشه وظلمه لأي سبب من الأسباب كما استمر الحسن أيضا في خدابه السالفة وبعثه إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن دون أن يهاب سلطانا أو يخشى في الحسب لومة لائم . وظل الناس على ذلك حتى انتهى عهد الحجاج . وجاء عهد سليمان بن عبد الملك فتنفس الناس الصعداء وسجدوا لله شكرا على زوال عهد الحجاج الذي كنهم أنفاسهم ردا من الزمن ، وجعل الواحد منهم يخاف حتى من أولاده أن يبلغوا عنه شيئا . . . . . ورى فيهم الجبن والذل . . . . . إلا أنه لا يفوتنا أن ننوه بالفتوحات الإسلامية في عهده هنا وهناك . . . . . وهذه ولا شك صفحة بيضاء في تاريخه الطويل . ولكن جبروته وأخذه الناس بالظنة تغلب في أذهان الناس على كل ما فعله من إصلاح وفتوحات .

ومما حبيب الناس في سليمان بن عبد الملك أنه أقطع الناس الأرض الموات وأطلق الأسارى وخلص أهل السجون ، وأفرج عن المعتقلين وأحسن إلى الناس حسنى قالوا : سليمان مفتاح الخير " حتى رضى عنه الكثير من الصالحين في وقتهم وفي مقدمتهم " الحسن البصري " . فكان هذا الامام لا يتعرض للخليفة سليمان ولا لعماله بدم كما كان يفعل مع من سبقه . ومع هذا التقدير لسليمان نجد أن الحسن لم ينتهز الفرصة لكثير من الناس في أخذ شيء من الموات فقد كان زاهدا . . . (١) واستمر الحال على هذا ما بين مد وجسر حتى جاء الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز (٢) .

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٥ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ١٥٥ .

(٢) الخليفة العادل هو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، الخليفة الصالح ، والحاكم العادل ، وخامس الخلفاء الراشدين ( ٦١ - ١٠١ هـ ) .

وإذا كان الكثير يذكر أن الشيء من معدنه لا يستغوب فتستطيع أن نرجع بعمر القرج إلى عمر الأصل . لنرى هذا المعدن الأصل .

كان عمر بن الخطاب - الأصل - يتمسك دائما في المدينة ليلا لمصرقة آلام الرعية ومتاعبهم - شأن الحاكم المسلم الصادق - وينما هو ذات ليلة شديدة الصقيع يطوف كعادته أدركه التعب فجلس يستريح تحت جدار لصغيرة فقيرة حتى أوشك الفجر أن يجيء ، وإذا به يسمع هذا الحوار الحبيب : الأم تقول لابنتها " يا بنية امذقي اللبن بالماء " . والبنيت تجيب أمها " كيف أمذق " ، وقد نهى أمير المؤمنين عمن المذق ؟؟ وتعود الأم قائلة : ان الناس يمدقون . . . فامذقي فما يدري أمير المؤمنين بنا ان مذكنا ، ولا يرانا . . . . . وتجيئها الفتاة يا أمها ، ان كان أمير المؤمنين لا يرانا فرب أمير المؤمنين يرانا . . . . . سمع هذا الحوار فبعد أن صلى الفجر وذهب إلى بيته دعا ابنه ( عاصما ) وجاء يخبره هذه الفتاة وأمها بعد أن أمره عمر بذلك . ولما كان أمير المؤمنين عمر يعلم أن ابنه يريد الزواج قال له : اذهب يا بني ، فتزوجها .

وجد الحسن البصري — في عمر هذا — نبالته كما رأى فيه تحقيق حلمه  
الكبير الذي كان يراوده وأعجب به كثيرا وذلك للأسباب الآتية :

أولا : كان عمر بنى الله عنه على أدب إسلامي رفيع فبعد أن ولي خلافة المسلمين  
خطبهم بكلام ليس فيه التهديد ولا الترهيب أو الضرب بيد من حديد  
على من تسول له نفسه بالخرق عن حكمه . . شأن الكثير من المفرورين الذين  
ضيقوا البلاد والعباد . . وإنما كانت خطابه تدل على فهمه لنفسه ، وللناس  
. . ومن ذلك يقول مثلا : " أيها الناس ، أصلحوا سرائركم تصلح  
لكم علانيتكم ، وأصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم ، وإن امرأ ليس بينه وبين آدم  
أب حى لمصرق في الموت " .

ويقول أيضا : أيها الناس ، إنما نحن من أصول مضت فروعها ، فما بقا فخرج  
بعد أصله ؟ وإنما الناس في هذه الدنيا أغراض ، تنتغل فيهم المنايا ،  
وهم فيها نهب المصائب مع كل جرعة شرق ، وفي كل أكلة غصص ، لا ينالون نعمة الا  
بفراق أخرى ، ولا يهضمونكم يوما ، من عمره الا بهدم آخر من أجله . .  
وفي خطبة أخرى يبين فيها للأمة الحدود التي توجب الطاعة للحاكم فيقول :  
" أيها الناس ، انه قد كان قبلى ولاية تجتزون مودتهم بأن تدفعوا بذلك  
ظلمهم عنكم . الا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . . من أطاع الله  
وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له . . أطيعوا ما أطعت الله فيكم ،  
فان عصيت فلا طاعة لى عليكم . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم " .  
وفي خطبة تالية يبين — رحمه الله — أسلوب العمل الذى سينتهجه فى سياسة  
الدولة فيقول : " أيها الناس ، من صحبنا فليصحبنا بخمس ، والا فلا يقرنا :  
يرفئ الينا حاجة من لا يستطيع رفعها ويحينا على الخير بجهد ويد لنا على

= فما أراها الا مباركة ولعلها تد رجلا يسود العرب . وتزوج عاصم تلك الفتاة  
وأنجبت له فتاة أسموها " ليلى " وكنوها " أم عاصم " ودرجت أم عاصم فى تقواها  
وورعها حتى تزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز . رحمه  
الله وجعل الجنة مثواه .

ولد عمر بن عبد العزيز ونشأ بالمدينة وولى أمارتها الوليد بن عبد الملك .  
وفى عهد سليمان بن عبد الملك أصبح وزيرا على الشام . وولى الخلافة بعهد من  
سليمان — وهذه حسنة من حسناته — سنة ٩٩ هـ فبوج فى مسجد دمشق وسكن  
الناس فى أيامه ففتح سب على بن أبى طالب . . واستمر فى الخلافة حوالى سنتين  
ونصف حتى وافاه الأجل المحتوم .  
( البداية والنهاية لابن كثير الجزء التاسع ، وتاريخ الطبرى الجزء السادس )

الخير ما لا نهتدى اليه ، ولا يفتابن عندنا الرعية ، ولا يعارض فيما لا يعنيه " . . . (١) .

ثانيا : علم عرب أن الشعوب المغلوبة على أمرها كثيرا ما تعاني من عمالي الدولة بسبب ظلمهم واستغلال نفوذهم خاصة الكبار منهم حتى وصل الأمر في بعض الأحيان إلى أن يكون فيما بينهم ما يعرف بالأسلوب الحديث بمراكز القوى . . . حينئذ نجد أن الخليفة العادل عمر يد على عماله كل نافذة أو ثغرة يمكن أن يتسللوا منها إلى استغلال مناصبهم ، أو توجيه ظلم إلى أحد من أبناء الأمة الإسلامية . أو اختصاص حق فرد من أفرادها . وتشدد في ذلك مقتضيا كل شبهة يمكن أن تؤدي بشكل من الأشكال إلى نوع من أنواع الظلم والاستغلال .

فبدأ برفع أجورهم إلى الثلاثمائة دينار سنويا ليحقق لهم الكفاية ويغنيهم عن الخيانة في الوقت الذي لم يفرض لنفسه فيه سوى نفقة يومية لا تزيد على درهمين كما أنه حرم على العمال قبول أية هدية من الهدايا كيلا تكون بابا لتقديم الرشاوى من قبل ذوي الحاجات . كما ألغى هدايا أعياد النوروز والمهرجان الفارسية ، ورضى عماله من مزاوله أية نشاط تجاري كيلا يصرفهم عن مهامهم الإدارية من جهة ، ولا يدفعهم إلى استغلال مناصبهم خلال هذا النشاط من جهة أخرى وكتب اليهم يقول : " نرى أن لا يتجرر ولا يحل لحامل تجارة في سلطانه الذي هو عليه . فان الأمير متى يتجرر يستأثر ويصيب أمورا فيها غش وان حرص لا يفعل " كما نهى عماله عن نظام السخرة المتبع فيما مضى من عهد . وقال : " ونرى أن توضع السخرة عن أهل الارضاء ، فان غايتها أمور يدخل فيها الظلم " (٢)

ثالثا : ان عمر - رضي الله عنه - قرن القول بالعمل . ليس في جهة واحدة ولكن في جهات متعددة . ويصور هذا المصنف الدكتور عماد الدين خليل : فيقول : " على جهات عديدة كان عمر بن عبد العزيز يكافح بهمة لا تعرف الكلل ،

(١) المقعد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ١٤٣ - ١٤٤ ، وتاريخ الاسلام السياسي . . . للدكتور حسن ابراهيم ج ١ ص ١٩٦ ، وفن الخطابة للأستاذ ايليا حاوي ص ٢٥٢ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ٤٦ ، ٢٩ ، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٦ ص ٥٦٩ - ٥٧٠ .

وعزيمة ما غية لا توقفها قوة في الأرض، وإرادة مصممة حازمة تختار في اللحظات التي يصبح فيها الرجال . على الجبهات العسكرية والسياسية والاقتصادية والإدارية والتعليمية . كان عمر يحمل وينافح عن الدولة الممتدة حدودها من الصين إلى بحر الظلمات . . . ينفذ مطالب الشعوب ، ويممر الطبرق والمؤسسات ، ويطارد الظلم والطغيان في كل مكان . . . يخدم السيوف التي استسلمت دون ما ضرورة كيلا تسفك قطرة دم واحدة ، وتذهب هدرًا وهو عنها مسؤول . . . يعيد المالية والاقتصاد إلى أطارتها العادلة من القرآن والسنة كيلا تضيق في الأرض البور قطرة عرق واحدة وهو عنها مسئول . . . يعزل الولاة ويضع الحكام الجدد تحت مسئولية ثقيلة قاسية تنوء بحملها طاقات الرجال . . . يتفاوض مع الشعوب بالحق والعدل ، ويمطى للمعارض البرهان الساطع لا السيف القاطع ، ويتقدم إلى العلماء — لأول مرة في تاريخ الفكر الإسلامي — أن يجمعوا ويدققوا ما قاله رسولهم العظيم قبل فترات الأوان . . . (١)

وعلى سبيل المثال فقد أسقط الجزية عن أسلم بمجرد توليته للخلافة لدرجة أن بعض الولاة كلمه في ذلك خوف اختلال الميزان الاقتصادي للدولة — في نظره — فأعلنها عمر صريحة مدوية : " ضح الجزية عن أسلم ، قبح الله رأيي . . . فان الله انما بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم هاديًا ، ولم يبعثه جانيًا . . . ولعمري لعمراشقى من أن يدخل الناس كلهم في الاسلام على يدي . . . " (٢) .

وكان عمر رضى الله عنه يعين على البلاد الولاة الأكفأ المخلصين ، وكان أى عدوان على الأراضى الإسلامية في عهده يقابله بالشدة حتى لا يعود المعتدون إلى مثلها . وبالنسبة للخارجيين على الدولة من المسلمين ما كان يستعمل معهم العنف والقوة إلا بعد المناظرات الواسعة ، والمفاوضات الطويلة لكي لا يكون لأحد منهم حجة . . . (٣) .

(١) ملاحم الانقالب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز للدكتور

عماد الدين خليل ص ٨٣ — ٨٤

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٢٨٣

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٦٢ — ٦٩ .

هذه الأمور التي عرفناها عن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وغيرها جعلت الحسن البصري يقوم بدور إيجابى فى بناء الدولة الإسلامية . . ولم يقف - رحمه الله - من عهد عمر موقف المتفرج بل أسهم مساهمة فعالة فى توجيه الدولة الى النظام المنشود الذى لا يخل أبدا اذا اتبع . وبدأ الحسن بالفصل فى ارسال عدد من الكتب الى المسئول عن الدولة وفى مقدمتها كتاب يصف فيه الامام العادل لا يصلح لعمر فقط بل يصلح لكل حاكم الى اليوم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وسأضحى بين يدى القارئ الكريم فقرات من هذه الكتب الى الخليفة العادل ليتبين منها اهتمام الحسن بأمر الدولة والقائمين عليها . أما عن تحليلها فسيكون ذلك فى الباب الثالث باذن الله .

كتب الحسن التقي الى الخليفة العادل عمر يصف له الامام العادل رسالة جاء فيها : " اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الامام العادل قوام كل مائل ، وقصر كل جائع ، وصالح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ومفرج كل ملهوف - والامام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على ابله ، الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المري ، ويدودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع . . - والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده ، يسعى لهم صفارا ، ويعلمهم كبارا ، يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماتهم . . (١)

وأرسل اليه يحذره رسالة جاء فيها : " اعلم أن التفكير يدعو الى الخير والحملى به ، والندم على الشر يدعو الى تركه ، وليس ما يفنى وان كان كثيرا يمدل ما يبقى وان كان طلبة عزيزا ، واحتمال المؤنة المنقطعة التى تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤنة باقية ، فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة الخاملة التى قد تزينت بخدعها ، وغرت بغيرورها ، وقتلت أهلها بأملها ، وتشوقت لخطابها . . (٢)

وكتب اليه مرة يقول : " فكانك بالدنيا لم تكن وما لآخرة لم تنل والسلام " ، وكتب اليه مرة أخرى يقول : " ان فيما أمرك الله به شغلا عما نهاك الله عنه . والسلام " (٣) .

- 
- (١) المقدم الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ٣٩ ، والحسن البصري لابن الجوزى ص ٥٦ .  
 (٢) خليفة الأولياء لابن نصير الاسبهمانى ج ٢ ص ١٣١ وما بعده .  
 (٣) المقدم الفريد ج ٣ ص ٩٦ - ٩٨ .

وروي أن الحسن تولى القضاء في عهد عمر وسنصرف آراءه فيما بهدء إن شاء الله . (١)  
وعكذا كان الحسن البصري يشارك إيجابيا بناء في الدولة فرحا مسرورا بخلافة  
عمر بن عبد العزيز . وكان عمر يكتب إليه كلما أشكل عليه أمر فيجيبه الحسن — رحمه الله —  
كما أن عمر أيضا في بعض الأحيان يرد على مكاتبات الحسن . (٢) حتى وصل المجتمع  
الاسلامي في عهده الى أعلى مستوى في عهد بني أمية . بل وفي الميود التالية  
أيضا . وكان الحسن يتمنى بقاء العهد العمري حتى يزيد من الخير لهذه الأمة .  
ولكن أوقات الخير دائما — نراها — تمر سراط فقد عاجلت المنية جوهرة بني أمية  
عمر بن عبد العزيز في سنة ١٠١ هـ . رحمه الله .

### رحلته الى بيت الله الحرام :

في أواخر حياة الخليفة التقى عمر بن عبد العزيز أدي الحسن البصري فريضة  
الحج وكان قد حج في أول عمره مرة قبل ذلك . وكان اذا ذهب الى مكة في رحلته  
الى بيت الله تعالى يجتمع عليه كثير من الناس فلم يجد بدا من الحديث اليهم فـ قال  
بعضهم : لم نر مثل هذا قط .

ومينما كان الحسن يوما عند الحجر يحدث الناس ويصلي عليهم ما يفيض عليه موله  
من المواعظ والخبير واذا بأحد آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على بين الحسين  
عليهما السلام يجرى اليه فقال له : " أترضى يا حسن نفسك للموت ؟ قال : لا ،  
قال : فمطك للحساب ؟ قال : لا ، قال : فثم دار للعمل غير هذه الدار ؟ قال :  
لا ، قلله في أرضه معان غير هذا البيت ؟ قال : لا ، قال فلم تشغل الناس عن  
التطوف . (٢)

هذا السوار الذي دار بين علي — زين العابدين — بن الحسين ، وبين الحسن  
نلمح منه ما يلي :

أولا : يبين ثقة الأمة كلها في امامها " الحسن البصري " . ولذلك فهم ينتهزون فرصة  
وجوده في هذا المكان للمزيد من طمحه وروحه .

ثانيا : صراحة الحسن البصري في رده على أحد آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : انكار علي بن الحسين على الحسن مواعظه في هذا المكان يريد — والله أعلم —

أن يربط المسلم بالله عز وجل عن طريق تضرعه بنفسه والعمل على ذلك خاصة حول الكعبة

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٦٢ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٣٠٣ .

(٢) أمالي المرتضى — القسم الأول ص ١٦٢ — ١٦٤ .

وكان الحسن — رحمه الله — يحب الخلوة في رحلته إلى بيت الله الحرام  
فقد روى ابن قتيبة أن الحسن أراد الحج فقال له ثابت : بلغني أنك تريد الحج ،  
فأحببت أن نصاحب . فقال : ويحك . . . دعنا نتمايثر بستر الله ، انى أخاف  
أن نصاحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه .

ويؤيد هذا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل من أصحابه  
" أما انت ان ترافق غير قومك يكن أحسن لخلقك وأحق أن يقتفى بك " . (١)

وكان الحسن يهفو دائما إلى مكة . وله رسالة في فضلها كتبها إلى رجل  
من الزهاد يدعى عبد الرحيم بن أنس يدعو فيه إلى الإقامة بمكة المكرمة بعد أن طم  
الحسن عزمه على الخروج منها يقول الحسن في هذه الرسالة : " فاذا أراد الشيطان  
أن يكيدك فيها عجباً من عقلك أن نويت ذلك في نفسك وجعلك الله من أهله لكان الواجب  
عليك شكره وأبدا ما كنت حيا ولو كنت مشغولا بعبادة الله تعالى أضف ما كنت عليه  
فاياك ثم اياك والخروج منها . . . " (٢)

موقفه من شورتى ابن الأشعث ويزيد بن المهلب :

في حياة الحسن البصرى قام أناس بعدة محاولات للقيام بثورة لتقويض حكم بنى أمية  
أبرزها ثورة ابن الأشعث في عهد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى . وكان القائمون  
عليها يحاولون استمالة الحسن اليهم لرغبتهم في نجاحها . ولكن الحسن — عليه  
رحمة الله — لم يكن يرى القيام بثورة على الحكم القائم لأسباب متعددة سنحرفها فيما  
بعد ان شاء الله . فامتنع الحسن عن المشاركة في هذه الثورة . ليس هذا فقط  
بل حاربها .

ومما قيل في ذلك ما روى عن أبى التياح قال : شهدت الحسن حيث أقبل  
ابن الأشعث وكان ينهى عن الخروج على الحجاج . (٣)

كذلك حدث بعد موت الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز أن هرب يزيد بن المهلب  
من السجن ولجأ إلى قومه بالبصرة . حينئذ اتجه الحسن — رحمه الله — إلى المهالبة

- 
- (١) عيون الأخبار لابن قتيبة — كتاب الحرب ص ٣٢ وخبر الحديث .  
(٢) رسالة في فضل مكة منسوبة إلى الحسن البصرى بقسم المخطوطات بدار الكتب  
تحت رقم (٣٦٠٢ ح) وهذه الرسالة بخط الشيخ أحمد البتوني . .  
(٣) الطبقات لابن سعد ج ٧ ص ١١٩ .

للمدح عن هذه الثورة من قبل عدى بن أرطاة وتكلم يومئذ بكلام فيه الحكمة  
ومعد النظر (١) .

وتحده الحاج بين عبد الملك بن المهلب والحسن مما أدى الى أن الأول  
خرج عن شعوره مع الحسن وأخطأ معه كثيراً عند الحديث والجدال معه (٢) .

وكان حربه ضد ثورة يزيد بن المهلب أشد من حربه ضد ابن الأشعث . ذلك  
أنه ذهب الى حيث يجتمع الناس حول يزيد يتوكأ على عاتق معاذ بن سعد حتى استطاع  
الوصول الى الضبر الذي يخاطب عليه ابن المهلب فقال ليزيد : والله لقد رأيتك وإليها  
ومولى عليك فما ينبغي لك ذلك ووثب من حوله تلامذته وأصحابه يأخذون بيده وفمه  
وأجلسوه . ويقول ابن سعد صاحبه : ما نشتك أن يزيد سمعه ولكن لم يلتفت اليه  
ومضى في خطبته ..... (٣) .

هذه لمحة سريعة عن موقف الحسن من هاتين الثورتين — ثورة ابن الأشعث  
وثورة يزيد بن المهلب — أما التعليق على رأى الحسن فى ذلك فسيأتى ان شاء الله  
فى الباب الثالث ..

### الأيام الأخيرة فى حياة الحسن ووفاته :

كان الحسن البصرى العاقل الكبير فى فشل ثورة ابن المهلب . هذه الأسرة  
التي أقل نجمها بعد حياة عريضة بالبصرة . وقام بأمر العراق مسلمة بن عبد الملك  
واليا عليها بعد عدى بن أرطاة الصديق الحميم للحسن ، ومن الطبيعى أن يسر الوالى  
الجديد بالحسن سرور عظيم فلولاه لمارت الفتنة الى مداها ولا يعلم مصيرها الا الله  
تعالى . وعلى هذا نجد أن مسلمة كان يعمل على توطيد صلته بالحسن والتقرب اليه .  
وليس معنى هذا أن الحسن بسبب هذه الصلة لا ينصح به بل كان يحظه كلما حانت  
الظروف . كما نجد فى بعض الأحيان مسلمة يرسل شيئاً من الهدايا الى الحسن  
فيقبلها .

قال يزيد بن هارون أنبأ هشام قال : بعث مسلمة بن عبد الملك الى الحسن  
بجبة وخميص فقبلهما فرما رأيته وقد سدل الخميص على الجبة . وقبول الحسن

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٢) الحسن البصرى للدكتور احسان عباس نقلاً عن العميون والحدائق (المؤلف مجهول) ص ٥٣ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبرى ج ٥ ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، الطبقات الكبرى لابن سعد

ج ٧ ص ١٣٢ — ١٤٧ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٣ ص ٢٨١ .



الهدية ليست من أى انساب وانما ممن يثق فى اخلاصهم . ذلك لأن الحسن ما كان يقبل العطاء من الدولة واذا جاء قسمه على الفقراء والمحتاجين . قال سليمان بن المغيرة حدثنا يونس أن الحسن أخذ عطاءه فجعل يقسمه فذكر أهله حاجة فقال : دونكم بقية العطاء أما انه لا خير فيه ان لم يضع به هكذا . . (١)

وقد بلغ حب مسلمة للحسن أنسه حينما وصف له فى بعض الأحيان أظهر المعجب وقال : كيف يضل قوم فيهم مثله . (٢)

ولم يطل عهد مسلمة وجاء بعده عمر بن هبيرة وكان من أول ما فعله فى ولايته أن جمع أئمة أهل العراق لمستشيرهم فى سياسة الدولة ومنهم الحسن البصرى فاستمع اليهم جميعا وخاصة الحسن البصرى الذى أخلص له فى النصيحة . . (٣) ولم يدع ابن هبيرة طويلا فحينما جاء هشام بن عبد الملك خليفة للمسلمين عزل ابن هبيرة وأتى مكانه بخالد بن عبد الله القسرى . ورغم كبر سن الحسن فى هذا الوقت لم يكف لسانه عن النطق بكلمة الحق . حتى أننا نجد صاحب الشرطة - كمدبر الأمن فى عصرنا هذا - مثل مالك بن النضرى الصبدي يضيق به أحيانا فيتهده ويمنحه من جميع الناس حوله وربما طلب منه أن يأتى الى المقصورة بالمسجد فيرفض الحسن رفضا باتا بل كان يستهزئ به . ومع كل هذا كان الولاة والحكام فى أيامه الأخيرة يحملون له ألف حساب وحساب (٤) .

وهكذا استمرت علاقة الحسن بالولاة فى أيامه الأخيرة من حيث النصيحة والارشاد وجمع الأمة على كلمة سواء .

ورغم هذا الضعف وهذه الشيخوخة كان يؤدى واجبه نحو الراى بالنصيحة الخالصة ، ونحو الرعية بمشاركتهم فى البأساء والضراء فكان يحضر الجنازة معهم راكبا الحمار لعدم استطاعته السير معهم . وسبب هذا الضعف والشيخوخة يرى بعض العلماء أن بعض الفتاوى التى كانت تصدر من الحسن فى هذه السن المتأخرة من حياته كانت تتأثر بها ذكرنا . ويمثلون لذلك يفتواهم عن عدم قتل الحر بالمبد ناسيا حديث الرسول عليه السلام : من قتل عبده قتلناه (٥) . كما تذكر بعض الروايات أنه حينما

- 
- (١) تاريخ الاسلام للذهبي ج ٤ ص ١٠٢ .  
 (٢) حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهاني ج ٢ ص ١٤٧ .  
 (٣) الحسن البصرى لابن الجوزي ص ٥٢ ، وابن خلكان فى وفيات الأعيان ج ١ ص ١٨٩ .  
 (٤) الحسن البصرى للدكتور احسان عباس نقلا عن العيون والحداثى - لمؤلف مجهول ص ٨٧ .  
 (٥) السنن الكبرى للبيهقى ج ٨ ص ٣٥ وما بعدها .

قرب أجله طلب من خادمه أن تسجر التنوير وكانت لديه صحف وكتب فأمر بها جميعاً فأحرقت غير صحيفة واحدة ظلت في حوزة ابنه حتى استعارها منه مسلم بن حصين الباهلي . ولا ندري لماذا فعل بكتبه هكذا ؟ علماً بأنه كان حريصاً على انتفاع المسلمين بخبراته وآثاره . (١) ومن يدري لعل الحسن لشدة ورعه وتقواه شعر بأن شيئاً في كتبه وصحفه لا يوافق الكتاب والسنة . فكانه يريد بذلك أن يبرئ نفسه أمام الله تعالى أنه لم يترك شيئاً يسجل عليه قد يكون فيه شيء من عدم رضا المولى تبارك وتعالى . وعلى كل حال فقد ترك الحسن — رحمه الله — تلاميذه يحملون علمه وفقهه ولفوه إلى الناس حتى أن بعضهم طلب من الحسن صحفه فقتلها ثم ردها إليه مرة أخرى .

وكما كان الحسن يقترب من النهاية يشتد جزعه حتى أنكر عليه ذلك ولده فقال له : " يا بني قد جاء الحق وزهق الباطل وها أنا أصاب بنفسى التي لم أصب بمثلها .

كذلك كان يزودهم بالنصيحة لكثرة الناس حوله ولم ينس الوصية الأخيرة التي يجب أن يتذكرها كل مسلم . دعا الحسن بمن يكتبها قال : " بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد : فإن الحسن عبد الله وابن أمته يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، من لقي الله بها صادقاً لسانه ، مخلصاً قلبه ، أدخله الله الجنة . ثم قال : سمعت معاذاً يقول ذلك ويوصي به أهله . ثم قال معاذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك ويوصي به أهله . (٢)

وأخذت نهاية الحسن تقترب رويداً رويداً والمرضى يشتد حتى وصل إلى حالة لم يستطع أن يقول فيها إلا الاسترجاع كما يقول ابنه والجميع يلتفت إليه في رعدة وخشية من هول الموقف . وفي ليلة الجمعة في مستهل شهر رجب من عام ١١٠ هـ ( ١٠ أكتوبر سنة ٧٢٨ م ) أسلم الروح إلى خالقها . وغسله تلميذاه أيوب وحמיד الطويل . وصلى عليه عقب الجمعة وحزن الناس عليه حزناً شديداً حتى أن صلاة العصر لم تقم يومئذ في جامع البصرة وذلك لأن الناس تبعوا جنازته وهو أمر لم يحدث قبل منذ أن جاء الإسلام إلى هذا المكان . (٤)

- 
- (١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٢٧ .  
 (٢) الحسن البصري لابن الجوزي ص ١٩ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٢٥ — ١٢٧ وحلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ١٥٣ — ١٥٥ ويخرج الحديث :  
 (٣) وفیات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ، ودائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى العربية — المجلد السابع — ترجمة الحسن البصري .  
 (٤) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ١٠٦ .

وفي هذه الليلة التي فاضت فيها روحه الى الله تعالى رأى بعض الزهاد في منامه أبواب السماء مفتحة وكأن مناديا ينادى ألا ان الحسن البصرى قد قدم على الله وهو عنه راض (١) .

وبعد أن لقي الحسن به شغل الناس به فكانوا يرونه في منامهم دائما وهذا هو مالك بن دينار الصوفي المعروف بقول : " رأيت الحسن رحمه الله في منامى بعد أن مات مسرورا شديد البياض تبرق مجارى دموعه . فقلت : ألسنت من الموتى ؟ فقال : نعم : قلت : فماذا صرت اليه بعد الموت . فلعمرى لقد طال حزتك فى الدنيا ؟ فقال : رفع والله لنا ذلك الحزن علم الهداية الى منازل الأبرار فحللنا بثوابه مساكن المتقين ، وأيم الله ان ذلك الا من فضل الله علينا . قلت : فما تأمرنى به يا أبا سعيد ؟ فقال : وما حسبتنى أن أمرك به لتعلم أن أطول الناس حزنا فى الدنيا أطولهم فرحا فى الآخرة (٢) .

مثل هذه الروايات التى تنمى حول الحسن البصرى أعتقد أن فيها شىء من المبالغة وعلى كل فسواء كانت صحيحة أو غير صحيحة فإن الحسن البصرى له من الروايات الصحيحة ما تجعله فى قمة الملما وأصحاب الفضل والرفعة .

رحم الله الحسن البصرى رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقا .

وإذا كانت هذه هى النهاية الطيبة للحسن البصرى . فما أحرانا بالافتداء به . وهذا يكون بمعرفة المؤهلات والأمر التى كانت سببا فى تكوين شخصيته مما يجعلنا نحقق لذلك الفضل الثانى والله المستعان .

(١) الكواكب الدرية للمناوى ص ٩٦ .

(٢) الحسن البصرى لابن الجوزى ص ١٩ - ٢٠ .

## الفصل الثالث

### ( مؤهلات الحسن البصرى وتكوين شخصيته )

انتهينا فى الفصل الأول من رسم صورة عن حياة الحسن البصرى فى عصره الذى عاش فيه . وفى هذا الفصل نذكر الأسباب التى جعلت منه هذا الانسان السوى — حتى نكون فى اقتدائنا به على بينة وبصيرة — لأن حياة الحسن لم تكن كحياة كثير من البشر ينتهون بنهاية حياتهم . بل ان بعضهم يحيا ويموت دون أن يلتفت اليه أحد . أما الحسن فان حياته تمتد الى يومنا هذا والى أن يشاء الله تعالى . ولذلك نراه دائما يتمثل — رحمه الله — بهذين البيتين :

ليس من مات فاستراح بميت . . . انما الميت وميت الأحياء  
انما الميت من يعيش كنيئا . . . كاسفاً باله قليل الوجيا (١)

وصدق من قال : ما الفخر الا لأهل العلم انهم . . . على الهدى لمن استهدى أدلاء  
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه . . . والجاهلون لأهل العلم أعداء  
ففر بعلم تعمر حيا به أبدا . . . الناس موتى وأهل العلم أحياء

والأسباب أو المؤهلات التى أدت الى تكوين شخصيته تنحصر فيما يلى :

### أولا : صفاته الظاهرية :

لصفات الظاهرية أثر كبير فى تأدية الانسان لرسالته فى المجتمع الذى يعيش فيه .

ولذا نجد أن المصطفى صلى الله عليه وسلم وأخوانه من الأنبياء والمرسلين كانوا جميعا على جانب كبير من الصحة والعافية ، وكمال الحواس الخمس . مما جعلهم يبلغون رسالة ربهم على خير ما يحبه الله ويرضاه .  
ومثل هذا كان الحسن البصرى فى صفاته الظاهرية .

فقد كان رحمه الله مبصرا . . . الا أن زرقه عينيه كانت سببا فى اتهامه أحيانا بالنظرة ما جعل مصعب بن الزبير كان يخطب مرة فلما رأى " الحسن " نزل عن المنبر لأنه كان يخاف العين . ولذا عداه ابن قتيبة فى المعارف من أهل العاهات فقال : الحسن البصرى أزرق . كذلك قال غيره كالذهبي فى تاريخ الاسلام الجزء الرابع . .

هذه النظرية لأساس لها من العلم . فهناك الكثير من أصحاب الميسون الزرقاء نراهم ونتحدث معهم ولم نعلم تأثيرهم في الناس كما يقول هؤلاء . ولم يسل حادثة وقعت من صاحب عين زرقاء — عن طريق الصدفة — فأتخذها البعض دليلا لكل من اتصف بذلك . علما بأن التاريخ لم يحدثنا عن حادثة واحدة وقعت منه مع كثرة الجالسين والمتحدثين معه في هذا الحمر الطويل الذي عاشه الحسن رحمه الله .

وأما حادثة مصعب بن الزبير كما تذكر بعض الروايات المختلفة ربما كان هذا وهما منه فقط كما يحدث لكثير من الناس .

وكان رحمه الله طويل القامة عريض العظام . عن الأصمعي عن أبيه قال : " ما رأيت أعرض زندا من " الحسن " كان عرضه شبرا " (١) .

وكان مع طول قامته جميل الصورة وسيما متناسب التقاطيح مما أدى بامرأة تقول فيه بعد أن نظرت إليه وهو يتردد على أحد أساتذته لتلقى العلم : " كان الحسن يجي " الى حطان الرقاشي فما رأيت شابا قط كان أحسن وجها منه " (٢)

ويؤيد هذا ما قاله الشعبي يوما لرجل كوفي مسافر الى البصرة اقربى الحسن السلام ، فلما قال له : اني لا أعرفه . رد عليه الشعبي قائلا : انظر الى أجمل وجه رجل تراه عينك . فذاك الحسن . الا أنه أصيب بعدئذ في أنفه عندما سقط عن دابته . وكان يرسل لحديثه ويكره أن يأخذ منها فوق قبضة اليد ، ولما ابيضت أخذ يصبغها بالصفرة في كل جمعة . ولا يأخذ من شارب الا الطويل .

وكان يحلق رأسه مرة واحدة في يوم النحر . (٣)

وفي تفسير قوله تعالى : عن اليمين وعن الشمال قعيد . قال الضحاك : ملهمهما تحت الثغر على الحنك . ورواه عوف عن الحسن قال : وكان الحسن يحب أن ينظف عنقه . (٤)

وكان الحسن يلبس العمامة الحرقانية السوداء المرخاة من ورائه فكان يسميه الحجاج ذا العمامة السوداء .

- 
- (١) المعارف لابن قتيبة ص ٤٤٠ ، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٤ ص ٩٩ .  
 (٢) تاريخ الاسلام للذهبي ج ٤ ص ١٠٠ .  
 (٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١١٦ ، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٤ .  
 (٤) تفسير القويطي ج ١٧ ص ١٠ . والعنفة عبارة عن شعيرات بين الشفة السفلى والذقن ( القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٧٨ ) .

أما لباسه الذى يكون على جسده فكان لا يتقيد بلباس واحد فهو يلبس  
الطليسانات والجباب والخمائن الكثيرة • وكان يرد من الأبرار السعدية نسبة  
الى سعد بن أبى وقاص الذى كساه الرسول صلى الله عليه وسلم جبة •

وكان يفضل اللون الأسود فيما يشترى من ثياب • كما كان لا يطيل ثيابه لأن  
الاطالة لم تكن سنة الزهاد • (١)

أما لبسه الصوف فستظهر حقيقة ذلك فى موضعه ان شاء الله • وكان الحسن  
— رحمه الله — يحمل العصا لأنه كما قل : فيها ست خصال : سنة الأنبياء ،  
وزينة الصلحاء ، وسلاح على الأعداء ، وعون على الضعفاء ، ونم المنافقين ، وقيادة  
فى الطاعات •

ويؤيد قول الحسن هذا ما كان من أمر النبی صلى الله عليه وسلم فى اتخاذ  
العصا لجعلها قبلة فى الصحراء وللإشارة بها نحو الحجر الأسود فى الكعبة  
إذا لم يستطع الوصول اليه • وكان الصحابة أيضا يعتمدون على العصا فى صلاة  
الليل لطول القيام والقيام فى الصلاة • • (٢)

من هذه الصفات الظاهرية وغيرها للحسن البصرى يتبين لنا — رحمه الله —  
أنه كان متاسقا فى مظهره كما كان مخلصا فى مخبره •

والداعية الى الإصلاح بهذه الصورة الطيبة يكون سببا فى اقبال الناس عليه  
والأخذ بيدهم دائما الى ما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة • واختتم هذه  
الصفات الظاهرية للحسن بكلمة للشيخ محمد أبو زهرة : " وليس من شك فى أن للشكل  
الجسمانى دخلا فى الاحترام اذا أضيف اليه الخلق وقوة الروح • وقد كان الحسين  
من آتاه الله بسطة فى العلم والجسم وقد قالوا : انه كان من أجمل أهل البصرة " (٣) •

وإذا كانت للصفات الظاهرية أثر كبير فى حياة الحسن فان للصفات المعنوية  
أثرا أكبر فى تكوين شخصيته لأنه كما يقول ابن حبان البستى :

يا خادم الجسم كم تسمى لخدمته • • • • • أتطلب البهجة مما فيه خسران  
أقبل على النفس واستكمل فضائلها • • • • • فأنت بالنفس لا بالجسم انسان (٤)

وعلى هذا فما هى الصفات المعنوية التى اتصف بها الحسن ؟ والجواب على ذلك  
فيما يلى :

- (١) تاريخ الاسلام للذهبي ج ٤ ص ١٠٠
- (٢) تفسير القرطبي ج ١١ ص ١١٨ — طبعة دار الكتب المصرية •
- (٣) من تاريخ الجدل حسن البصرى للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٤
- (٤) روضة العقلاء وزهرة الفضلاء لابن حبان البستى •

## ثانيا : صفاته الممنوية :

تتخصر الصفات الممنوية التي اتصف بها الحسن فيما يأتي :

### ١ - زهده :

قرأ الحسن البصري بامعان ما ورد في القرآن الكريم والسنة وكلام السلف الصالح عن الدنيا وزينتها ، وخذاعها لعباد الله تعالى .  
فصادف هوى في نفسه فأعرض عن الدنيا وزخرفها . وكان في مكتنته  
أن يشترى ثرا فاحشا ويصل الى أعلا المستويات في نظر الكثير من عباد المال  
والجاه والسلطان .

ولكنه أعرض عن ذلك كله طالبا ثواب الآخرة ، واشتد في ذلك حتى غلب  
عليه الخوف على الرجاء والعقاب على الثواب .

هذا الموقف من الحسن للدنيا وزينتها . جعل المتصوفة من بعده ينظرون  
اليه بعين الاجلال والاحترام كما جعلهم أيضا ينسجون حوله من الأخبار - الصحيحة  
أو غير الصحيحة - التي يواته مكانة عظيمة وأصبح - رحمه الله - المؤسس - في نظريهم -  
لهذا التراث الصوفي الكبير الذي تركوه الى يومنا هذا . وكثيرا ما ربطوا  
سلاسلهم الصوفية برسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي . وأهم العوامل التي  
جعلت منه هذه الشخصية الزاهدة ما يلي :

العامل الأول : موافقة علمه لقوله :

فالحسن - رحمه الله - لم يذكر قولا الا ووجدته مترجما عاليا في شخصه  
والى القارئ الكريم بعض أقواله في الزهد التي طبقها عاليا على نفسه في حياته .  
من هذه الأقوال : " يا ابن آدم علك علك فانما هو لحمك ودمك فانظر على أي حال  
تلقى علك ، ان لأهل التقوى علامات يعرفون بها ، صدق الحديث والوفاء بالعهد ،  
ورحمة الضعفاء ، وقلة الفخر والخيلاء ، ومذل المصروف ، وقلة المباهاة للناس ، وحسن  
الخلق ، وسعة الخلق مما يقرب الى الله عز وجل . يا ابن آدم انك ناظر الى علك .  
يوزن خيره وشره ، فلا تحقرن من الخير شيئا وان هو صغر فانك اذا رأيته سبرك  
مكانه ، ولا تحقرن من الشر شيئا فانك اذا رأيته سأك مكانه ، فرحم الله رجلا كسب  
طهبا وأنفق قصدا . . الى أن قال : لو أن بالطوب حياة لو أن بالطوب صلاحا  
لبكتمت من ليلة صبيحتها يوم القيامة . ان ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة

ما سمع الخلاق بيوم قط أكثر فيه عورة بادية ، ولا عين باكية ، من يوم القيامة . (١) .

وكان رحمه الله من شدة زهده تراه دائما حزينا . اذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه واذا جلس فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه ، وكان اذا ذكرت عنده النار فكأنما لم تخلق الا له .

ومن هنا قال رحمه الله : " رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه فان وافقه حمد الله وسأله الزيادة من فضله وانخالفه أعتب وأتاب . " .  
وقال أيضا : " طل الحزن في الدنيا تلقح العمل الصالح . "

ثم علل الحسن البصري هذا الحزن بأن المؤمن لا يسمع غير ذلك لأنبيه بين مخافتين : بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله يصنع فيه وبين أجل قد بقى لا يدري ما يصيب فيه من المهالك . " وأنه " لا يؤمن عبده بهذا القرآن الا حزن وذبل ولا نصب ولا ذاب ولا تعب " . (٢) .

معنى ذلك أن الحسن لم يكن فيه مبدأ التناقض — غالبا — كما كان مع غيره وهذا جعله كما يقول الدكتور احسان عباس " ينتقد الأشياء من خلال المرأة العامة والخاصة ، ولا يستمرئ من القصص الا ما وافق ذات نفسه ويهزلها — أى لهذه القصص — مهما كان . (٣) .

وقد ظهر كل هذا على بيته عليا كما ظهر على نفسه . قال عبد الله بن شاذب عن مطر قال : دخلنا على الحسن نعوده فما كان في البيت شي ، لا فراش ولا بساط ولا حصير الا سرير مرموك هو عليه . (٤) .  
الحامل الثاني : امتلاكه لنفسه :

كان الحسن يتحكم في شعوره ولم يجعل لنفسه سيطرة عليه يظهر هذا

- 
- (١) حاية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ١٤٠ — ١٥٥ .  
(٢) الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل مصطفى الشبيبي ج ١ ص ٢٩٢ وما بعدها .  
(٣) الحسن البصري للدكتور احسان عباس .  
(٤) تاريخ الاسلام للذهبي ج ٤ ص ١٠٤ وما بعدها .



في عدم تكلمه الا بقدر ممثلاً بقل النسبي صلى الله عليه وسلم " رحم الله عبداً تكلم  
فغنى أو سكت فسلم " (١) . وقوله صلى الله عليه وسلم : " من كثر كلامه كثرت سقطه  
ومن كثرت سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به " (٢) .

وقال الحسن البصري : " تكلم قوم عند معاوية - رضى الله عنه - والأحنف بن  
قيس ساكت فقال له : مالك يا أبا بحر لا تتكلم ؟ فقال له : أخشى الله ان كذبت  
وأخشاك ان صدقت " (٣) .

ومما يدل على امتلاكه لنفسه أنه كان يملك نفسه وقت الغضب فلا يخرف في كلامه  
كما أنه لا يضحك الا الابتسامة المارضة التي لا تؤثر على هيئته وسمته ووقاره ، وأى شئ  
كان يتعارض مع مثاليته وأهدافه العليا يرفضه بكل شدة . . . .

### العامل الثالث : أخذه العبرة من الماضى والحرص عليه :

مما ساعد الحسن على زهده في دنيا الناس أنه كان شديد الحرص على أخذه  
العبرة من الماضى الذى تركه في المدينة المنورة بعد أن هجر إلى البصرة وظهر  
هذا في كلامه : " ما من الناس رجل أدرك القرن الأول أصبح بين ظهرانيناكم  
الا أصبح وأمسى مهموماً " ، وعن علقمة بن مرثد قال : انتهى الزهد الى ثمانية  
من التابعين ، فمنهم الحسن بن أبى الحسن فما رأينا أحداً من الناس كان أطول  
حزناً منه ، ما كنا نراه الا حديث عهد بصيبة . . (٤)

(١) هذا الحديث رواه الحسن البصري وأخرجه ابن أبى الدنيا في الصمت والبيهقي  
في شعب الإيمان من حديث أنس فيه ضعف . فإنه من رواية اسماعيل بن عباس  
عن الحجازيين .

(٢) رواه الطبراني وأبو نعيم عن ابن عمر مرفوعاً . وقال العسكري : أحسبه  
وهما والصواب أنه عن عمر من قوله وساقه عن مالك بن دينار عن الأحنف قال  
قال لى عمر : يا أحنف : من كثرت ضحكك قلت هيئته ومن مزج استخف به ،  
ومن أكثر من شئ عرف به . ومن كثر كلامه كثرت سقطه ومن كثرت سقطه قل حياؤه  
ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه : ( تمييز الطيب من الخبيث  
فيما يدور على السنة الثامن من الحديث لابن الريس الشيباني الشافعى  
المتوفى سنة ٩٤٤ هـ ص ١٦٧ ) .

(٣) احيا علوم الدين للامام الغزالي ج ٣ ص ١١١ .

(٤) حلية الأولياء لأبى نعيم ج ٢ ص ١٣٢ - ١٣٦ ، والكواكب الدرية للزواى ص ٩٧ .

ب — تسامحه :

التسامح عامة خلق كريم من أخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم • وصبح به الاسلام الى حد بعيد جعل تماطه لمن لا يدعون به من أهل الذمة قد ظم من الحصر الأول على قاعدة أصيلة لم يثر حولها نقاش كبداً مشروع • ولم يضر تطبيقها على توالى الأزمنة اللهم الا في فترات نادرة لا يجوز الاكتراب بها أو الالتفات اليها • هذه القاعدة تقوم على أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا • (١)

إذا كان هذا التسامح مع من لا يدعون بالاسلام فما بالك أيها القارئ الكريم بالتسامح لمن يدعون بالاسلام ؟ لا شك أن هذا كان من الاسلام أوجب وألزم • من هذا المصين الصافي نهل الحسن البصري • وكان مع دينه وتمسكه بدينه متسامحاً فاتحاً صدره لكل شخص يريد أن يصل الى الحقيقة مهما كانت نحلته أو كان مذهبه • وكان دائماً يستوحى من الاسلام الدعوة الى السلام والمحبة والأمن والأخوة لا الى عكس ذلك •

ومن أجل هذا كان يحضر خلقه النصارى وغيرهم لما يجدون عنده من القبول وانفساح الصدر لكل ما يقولون •

وقد حدث مرة أن مات أحد النصارى المتمردين على مجلسه للاستماع الى مواعظه • فذهب الحسن الى أخيه ليحزيه فقال له : أتابك الله على مصيبتك ثواب من أصيب بمثلها من أهل دينك وبارك لنا في الموت وجعله خير غائب عنا ننظره • عليك بالصبر فيما نزل بك من المصائب • كما روى أيضاً أن نصراناً كان يسير مع زميل له بجوار مجلس الحسن فقال لزميله : مل بنا الى هذا الذى سمته سمع المسيح عليه السلام •

ولم من تسامحه عليه رحمة الله أنه — كما روى الخرائطى — كان اذا اشترى شيئاً وكان فى ثمنه كسر جبر لصاحبه •

وكان اذا اشترى السلعة بدينهم ينقص " دانقا " كلمة درهما • أو بتسمية ونصف كلمة عشرة (٢) • • وهكذا نجد تسامح الحسن البصري المستند من قول الرسول

(١) التصب والتسامح بين المسيحية والاسلام للشيخ محمد الخوالى ص ٤٠ •

(٢) البداية والنهاية فى التاريخ لابن كثير ج ١ ص ٢٦٨ — ٢٦٩ •

صلى الله عليه وسلم : رجم الله رجلا سمحا اذا باع سمحا اذا اشترى سمحا اذا قضى سمحا اذا اقتضى (١) . هذا هو التسامح الحق الذى لم يعرف الا فى اطار الصالحين الصادقين من عباد الله تعالى . أقوى الايمان به والتوكل عليه .

والقرآن الكريم ملوئ بآيات التسامح التى سار على هديها الحسن واستمد منها هذا الخلق الرفيع مثل قوله تعالى : " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين " (٢) .

### ج — علمه —

كان الحسن البصرى — رحمه الله — عالما رغب الجوانب فيه . فاذا أردنا بالعلم الفقه وجدناه فقيها ، واذا أردنا الحديث ألفناه محدثا . واذا أردنا الدعوة الى الله تعالى شاهدنا أنموذجا للداعية الموفق . . وهكذا لا نرى ناحية من نواحي العلم — النافع — الا والحسن فيها عملاق من العملاقة . كما سيظهر ذلك فى الباب الثالث ان شاء الله .

ولم يكن علمه أو صفة العلم فيه حسب هواه . بل فى حدود ما تأثر به من السلف الصالح عليهم رضوان الله تعالى حتى أنه حينما يذكر أحد من الصحابة يقول : " قدس الله أرواحهم . شهدوا وغنوا ، وعلموا وجعلنا ، فما أجمعوا عليه اتبعناه ، وما اختلفوا فيه رجعنا " . وكان وضعه فى الصراى أرض الملل والنحل والمذاهب المختلفة يتلقى فيها كل هذه الأفكار المختلفة ثم يعرضها على عقله بميزان الشرع الشريف ويخرج بعد هذا برأى موحد ويطرد ما عداه .

كل هذا وغيره كان سببا فى رفيع مكانته وسمو منزلته .

ويكفى فى هذا المقام أن أضح بين يدى القارئ الكريم شهادة أحد الصابئين كما رواها ياقوت قال : وحدثنا أبو سعيد السيرافى — وهمك من رجل ، وناهيك من عالم ، وشرعك من صدوق " وكلها بمعنى حبك " — قال : حدثنا جماعة من الصابئين الكتاب : أن ثابت بن قررة قال : ما أحسد هذه الأمة العربية الا على ثلاثة أنفس فانه : عقم النساء فلا يلدن شبيهة . . ان النساء يعمله عقم

(١) رواه البخارى فى صحيحه عن جابر .

(٢) سورة المتحفة آية رقم ٨ .

فقيل له : احصل لنا هؤلاء الثلاثة • قال : أولهم عمر بن الخطاب في سياسته •  
والثاني : الحسن بن أبي الحسن البصري ، فقد كان من درارى النجوم علما  
وتقوى وزهدا وفصاحة • بواعظه تصل الى القلوب ، وألفاظه تلتبس بالعقول ، وما  
أعرف له ثانيا ، لا قريبا ولا مدانيا ، كان منظره وفق مخبره ، وعلايته وزن سريره •••  
يجمى مجلسه ضروب الناس وأصناف اللباس لما يوسعهم من بيانه •• هذا يأخذ  
عنه الحديث ، وهذا يلقي منه التأويل ، وهذا يسمع الحلال والحرام ، وهذا  
يتبع في كالمه العربية ، وهذا يجرد له المقالة ، وهذا يحكى الفتيا ، وهذا  
يتعلم الحكم والقضاء ، وهذا يسمع الموعظة • وهو في جميع هذا كالبحر المجاج  
تدفقا وكالسراج الوهاج تالقا ••••• يجلس تحت كرسية قتادة صاحب التفسير ،  
وعمر بن واصل صاحب الكلام ، وابن أبي اسحاق صاحب النحو ، وفرقد الميخى صاحب  
الرقائق وأشباه هؤلاء نظراؤهم فمن ذا مثله ومن يجرى مجراه ؟ والثالث أبو عثمان  
الجاحظ غريب المسلمين ••• (١)

#### د - شجاعته :

من صفات الحسن الشجاعة • وحتى نعرف ذلك فلا بد لنا أن نتصور عصره  
الذى عاش فيه • خاصة الوقت الخانق الذى كان يوجد فيه الحجاج بن يوسف الثقفى  
في دولة بنى أمية • فى هذا العصر لم يكن الحسن سلبيا بل كان يسهم فى كل  
ما يستطيع الاسهام به للحفاظ على وحدة المسلمين • وذلك بقلب برى ، ونفس  
مؤمنة بما تمتنع من الأفكار والآراء ، وقلب واثق فى الله شديد الايمان بـ  
جل وعز • كان ينطق بالحق لا يخشى لومة لائم وكان فى مجلسه حر التفكير والقول لا  
يقصد بقوله الا احقاق الحق " والحق أحق أن يتبع " • ولكن تتبين لنا  
شجاعته نضرب ببعض الأمثلة :

١ - موقفه من والى العراق عمر بن هبيرة • وقد عرفناه سابقا •

٢ - موقفه من والى البصرة النضر بن عمرو فكان من قوله مخاطبا له دون خوف أو  
وجل " اتق الله أيها الرجل فى نفسك وأيم الله لقد رأيت أقواما  
ما كانوا قبلك فى مكانك يعملون المناير وتهتز لهم المواكب ويجرون الذيل بطرا  
وراء الناس • يبنون المدر ويؤثرون الأثر • ويتنافسون فى الثياب ،

(١) معجم الأدباء - لياقوت - الجزء ١٦ - الطبعة الأخيرة ص ٩٥ - ٩٦ •

أخرجوا من سلطانهم وسلبوا ما جمعوا من دنياهم وقدموا على ربهم ونزلوا على أعمالهم فالويل لهم يوم الثغابين ، يا ويلهم " يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته ونيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه " (١) .

٣ — موقفه من الفتن : روى ابن سعد باسناده عن مسلم بن أبي الذريال ، قال : سأل رجل الحسن وهو يسمع وأناس من أهل الشام فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول في الفتن مثل يزيد بن المهلب وابن الأشعث ، فقال : لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء . فقال رجل من أهل الشام ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد ؟ فغضب ، ثم قال بيده فخطربها ثم قال : ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد ، نعم . . . ولا مع أمير المؤمنين (٢) .

٤ — موقفه من بناء دار للحجاج بواسطة . روى أن الحجاج بنى دارا بواسطة وأحضر الحسن ليراها ، فلما دخلها . قال : الحمد لله أن الملوك ليرون لأنفسهم عزاً . وأنا لنرى فيهم كل يوم عبراً . يعمد أحدهم إلى قصر فيشيد ، وإلى فرش فينجد ، وإلى ملابس ومراكب فيحسنها ثم يحسف به ذباب طمع ، وفراش نار ، وأصحاب سوء . فيقول : انظروا ما صنعيت فقد رأينا أيها المفسور فكان ما ذا يا أفسق الفاسقين ؟ أما أهل السموات فقد مقتوك ، وأما أهل الأرض فقد لعنوك ، بنيت دار الفناء وحرمت دار البقاء ، وغمرت في دار الغرور لتذلل في دار الجور ثم خرج وهو يقول : ان الله سبحانه أخذ عهده على الملأ ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، وبلغ الحجاج ما قال فاشتد غضبه وجمع أهل الشام . فقال : أيشتمني عبيد أهل البصرة وأنتم حضرة ، فلا تتكروا . . . ثم أمر بإحضار الحسن ، فجاء وهو يحرك شفتيه بما لم يسمع حتى دخل على الحجاج فقال : أيها يا أبا سعيد أما كان لا مارتى عليك حق ، حين قلت ما قلت . فقال : يرحمك الله أيها الأمير : يا مولى بنى خوقك حتى تبلغ أمك أرفق بك ، وأحب من أمك حتى تبلغ الخوف . وما أردت الذي بيني إلى وهمك ، والأمران بيدك العفو والمقومة فافعل الأولى بك وعلى الله فتوكل وهو حسينا ونعم الوكيل فاستحيا الحجاج منه واحذر إليه واحترمه وحياه (٣) .

(١) سورة عبس الآيات ٣٤ — ٣٧ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٢١٩ .

(٣) الحسن البصري لابن الجوزي ص ٥٣ .

وقد يسبى الى الذهن أن الحسن بهذا كان " متهورا " يلقى بنفسه في  
الهلكة دون حكمة وصيرة . بالعكس كان الحسن حكيما في جميع تصرفاته  
مما جعله يترشح على عرش القلوب القاسية والرحيمة .

كما كان معتدلا متزنا يقدر قيمة الخطر قبل أن يصل اليه . ولذلك نجده  
في بعض الأحيان يتخذ التقية دينا حصينا كما عرفنا وما سنعرف ان شاء الله .  
ولا ننسى مساهمته في الفتوحات الاسلامية .

### هـ — ذكاءه :

الذكاء ، أو النشاط العقلي ، أو سرعة الغاظر وصفاء الذهن . عنصر أساس  
من العناصر المكونة للشخصية القوية . ذلك أن الرجل قد يكون غزير العلم  
واسع الاطلاع . ولكنه قد لا يكون مثقدا العقل حاضر البديهة فلا يستطيع  
المراد بالاشارة كما لا يفهمه باللفظ . . . . . فلذلك على هذا تأثير حسن  
في شخصية الانسان ، وفي ارتفاع منزلته بين المجتمع الذي يعيش فيه .  
بخلاف الغباوة فلها تأثير سيئ على صاحبها وتجعله دائما في خمول  
وعجز عن كثير من المهام .

والتاريخ أثبت لنا من الأذكياء ما يجعلنا ندين لهم بالولاء والطاعة مثل  
العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم . قيل له يوما :  
أنت أكبر أم رسول الله عليه وسلم ؟ قال : هو عليه الصلاة والسلام  
أكبر مني وأنا ولدته قبله . كذلك الذكاء يساعد على النجاح في الحياة .  
ويسهل الصعب ويقرب البعيد . وله أثر كبير في حسن الخلق والسلوك (١) .

هكذا كان الحسن البصري — رحمه الله — حاد الذكاء ، قوي الادراك ،  
عميق الفكرة ، لا يكتفى بالنظرة الأولى في الأمور كمادة لبعض العلماء .  
بل كان رحمه الله يكرر النظر ويراجع الفكر حتى يتكون لديه الرأي الذي يعتد به .  
حينئذ نجده في رأيه صلبا لا يتزعزع ولا يلين . والدليل على ذلك أن  
أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن مسألة فقال : سلوا  
مولانا الحسن ، فقيل له : أتقول ذلك ؟ فقال : سلوا مولانا الحسن ، فانه  
سمع وسمعنا وحفظ ونسينا .

كما أن مناقشته للحجاج التي عرفناها تدل على بديهة حاضرة وذهن متقصد  
ونفس قوية . خاصة لما قال له الحجاج مرة : ما تقول في علي وعثمان . قال :  
أقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك . قال فرعون لموسى ( فما يسأل  
القرينة الأولى قال : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ) (١) .  
ومما يدل على سرعة بديهته وقوة ذكائه حينما مات أخوه سعيد بن أبي الحسن  
حزن عليه حزنا شديدا ووجد عليه كذلك . فكلّم في ذلك فقال : ما رأيت الله  
جعل الحزن عارا على يعقوب (٢) .

وقال رجل للحسن : يا أبا سعيد فقال : أحسب أن الدوانيقي شـفلتك  
عن أن تقول : يا أبا سعيد (٣) .

إلى آخر ما قيل من الأمثلة الكثيرة التي تدل على ذكائه ، ونشاط عقله . . .

## و — فصاحتهم :

ولد الحسن — رحمه الله — بالمدينة ، وتلقى العربية الخالصة ببوادي القرى  
على عادة العرب حينما يرسلون بأولادهم في البادية لينشأوا نشأة صافية .  
والحسن وإن كان غير عربي الأصل إلا أن الأقدار ساعدته أن يتربى هذه التربية  
السليمة .

على هذا أصبح الحسن فصيحاً ، رائع البيان ، قوى المعاني ، بليغ القول ،  
ينطق بالحكمة . والأدلة على ذلك كثيرة منها :

أ — قال فيه الأعمش : " ما زال الحسن يعتني بالحكمة حتى نطق بها " .

ب — سمعه آخر وهو يلقي درسه فقال : " لله دره انه لفصيح اذا لفظ  
نصيح اذا وعظ " .

ج — " سئل الحجاج بن يوسف الثقفي : من أخطب الناس ؟ قال : صاحب  
العظمة السوداء بين أخصاص البصرة — يعني الحسن " .

د — قال عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحجاج  
الثقفي فقول له : فأيهما أفصح ؟ قال : الحسن (٤) .

(١) المنية والأمل للمرتضى ، وسورة طه آية ٥١ ، ٥٢ .

(٢) المقصد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ١٨٧ .

(٣) المقصد الفريد لابن عبد ربه ج ٥ .

(٤) تاريخ الحسن البصري لابن الجوزي .

هـ — وتقول بعض الروايات : سمعته أم المؤمنين عائشة يتكلم فقالست :  
من هذا الذى يتكلم بكلام الصديقين .

و — والوصف السابق المنسوب الى ثابت بن قرة الصائبي فى وصف الحسن يدل على مدى ما تمتاز به شخصية الحسن من حيث فصاحته وسيانته .. (١) .

ز — قال الحسن : " ابن آدم انما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك " وقال : " فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذى لب فرحا " (٢) .

وقال : " ما رأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين من الموت " .  
ح — وقد بلغ من فصاحة الحسن أن نسبت اليه قراءة من القراءات القرآنية التى ستحدث فيها فى الباب الثالث ان شاء الله حتى قال فيه الامام الشافعى : " لو شاء أن أقول : ان القرآن نزل بلفظة الحسن لقلت لفصاحته " .

كما أن الحسن — اشد فصاحته — نال اعجاب اللغويين فى عصره لأنه كثيرا ما كان يملأ عباراته بالفاظ فصيحة مما لم يكن مألوا فى الحديث المادى . وهذه بعض الأمثلة على ذلك . منها قوله : " من أدرك آخر الزمان فليكن حلسا من أحلاس بيته " (٣) . وقوله : " وقد دقت بهم الهماليج " (٤) . وقوله : " يملخ فى الباطل ملخا " (٥) . الخ .. الى هنا نكتفى بهذه الصفات المعنوية للحسن البصرى حتى لا يطول بنا المقام أو لأن الصفات الباقية كالتواضع ، والمشاركة الوجدانية ، والثقة بالنفس ، والاخلاص ، والوفاء . الخ .. ترجع كلها الى ما ذكر .

والآن لنتعرف الى مؤهل آخر من المؤهلات التى كانت سببا فى تكوين شخصيته ألا وهى " شيوخه " .

- 
- (١) معجم الأدباء لياقوت ج ١٦ ص ٩٦ .
  - (٢) تاريخ الاسلام للذهبي ج ٤ ص ١٠٢ .
  - (٣) الحلس بالكسر كساء على ظهر البعير تحت البرذعة وييسط فى البيت تحت حر الثياب . وحلس بيته اذا لم يبرح مكانه ( الظاموس المحيط ج ٢ ص ٢١٥ ومختار الصحاح ) .
  - (٤) الدققة : حلبة الناس وأصوات حوافر الدواب والهماليج جمع همالج وهونوج من البراذين ( الظاموس المحيط ج ٣ ص ٢٤٠ ) .
  - (٥) الملمخ : السير الشديد والتردد فى الباطل ( الظاموس المحيط ج ١ ص ٢٢٩ ) .



### ثالثا : شيوخه :

من العوامل الأساسية التي أدت الى تكوين شخصية الحسن وأثرت فيه شيوخه وأساتذته — الذين أخذ عنهم واستفاد بعلمهم وتجاربهم ومنهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم • فمن هؤلاء أخذ علمه ، ومنهم استمد فكره وزهده ، وفي طريق هدايتهم سار الحسن — رحمه الله تعالى — حتى لقي ربه •

ومن هؤلاء الصحابة الذين شهدوا بدرا • قال الحسن فيما رواه أبو نعيم في الحلية والمناوي في الكواكب الدرية " والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف " • (١)

وبالطبع لن نستطيع في هذه الرسالة حصر شيوخ الحسن وأساتذته ولكن سنتعرض فيما يلي — بإذن الله — لأهم شيوخه الذين استفاد منهم والله المستعان •

#### ١ — أنس بن مالك :

من شيوخ الحسن البصري الذين تأملهم وأخذ عنهم واستفاد بصحبتهم أنس بن مالك والحلاقة بين أنس والحسن كانت وثيقة الصلة حتى قال أنس يوما : سلوا مولانا الحسن فإنه سمع وسمعنا وحفظ ونسينا •

- 
- (١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ١٣٢ ، والكواكب الدرية للمناوي ص ٩٧ •
- (٢) أنس هو : أنس بن مالك بن النضر بن غنم الأنصاري أبو حمزة المدني خادم النبي صلى الله عليه وسلم • ونزيل البصرة • روى عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وغيرهم • كان رضى الله عنه من الذين شهدوا بدرا • كما شهد الحديبية والفتح وخيبر والطائف • مع رسول الله عليه الصلاة والسلام • وعن شعبة الحجاج عن ثابت عن أبي هريرة ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم ( يحكى أنسا ) • وقد دعا له الرسول بكثرة المال والولد • فولد من صلبه ثمانون ذكرا ، وشهد له عمو بن الخطاب حينما أراد أبو بكر الصديق أن يبعثه الى البحرين للسعاية — ( السعاية : يقال لحامل الصدقات ساع وجمعه سعاة ، ( لسان العرب • مادة سعى ) — فقال ابعدته فإنه ليسب كاتب فيبعثه • وتوفي سنة ثلاثة وتسعين عن مائة سنة وثلاث على ما قاله خليفة بن خياط في تاريخه وهو أصح الأقوال • روى له ألف ومائتا حديث وستة وثمانون حديثا • اتفق البخاري ومسلم على مائة وثمانية وستين حديثا • وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين حديثا ومسلم بأحد وسبعين حديثا والأخبار في شأنه لا تحصى ( الطبقات لابن سعد ج ٧ ص ١٧ — ٢٤ ، وتهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٧٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٢ •

وقال أنس : انى لأعبط أهل البصرة بهذين الشيخين • الحسن • وابن سيرين • وكان الحسن كثيرا ما يتشبه بأنس وان كان فى نفس الوقت كان يتشبه بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عامة •

ومن روايات الحسن عن أنس بن مالك فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الرسول : " الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك " (١)

ومنها عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا الدنيا إلا ادبارا ، ولا الناس إلا شحا ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا مهدي إلا عيسى بن مريم • (٢)

ومنها عن الحسن عن أنس رفعه " لو أن شرارة بالمشرق - أى من نار جهنم - لوجد حرها من بلاد المغرب " (٣) •

ومنها : عن الحسن عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من السرف أن تأكل كل ما اشتبهت • (٤)

ومنها : عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن مؤمنى الجن لهم ثواب وعيهم عقاب فسألناه عن ثوابهم وعن مؤمنهم فقال : على الأعراف وليس فى الجنة مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فسألناه وما الأعراف ؟ فقال : حائط الجنة تجرى فيه الأنهار وتبت فيه الأشجار والثمار • (٥)

وعكذا نرى الحسن البصرى كثيرا ما يروى عن أنس رضى الله عنه كما كان يتشبه به فى كثير من الأمور كلبس الحمامة السوداء ، وتصغير اللحية والتقرب الى الله تعالى ، وحب النبى صلى الله عليه وسلم ...

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ١ ص ٢١ •

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ١ ص ١٨٨ •

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٧ •

(٤) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢١٠ - ورواه الدارقطني فى الافراد وقال هذا حديث غريب تفرد به بقية •

(٥) المرجع السابق ج ٢ ص ٢١٧ •

٢ - عبد الله بن عباس :

من شيخ الحسن البصري على الأرجح عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .  
وأقول على الأرجح لأن هناك من ينفي صلة الحسن به .  
ويثبت ابن سعد رواية الحسن عن ابن عباس ، والذهبي ، وابن حجر  
المسقلاني (٢) . وغيرهم . وقد استفاد الحسن من ابن عباس خاصة في  
تفسيره للقرآن الكريم . حدث له هذا ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم .  
ومن الأدلة على حب الحسن لابن عباس هذه الرواية التالية وغيرها . قيل  
للحسن : يا أبا سعيد : ان قسوما زعموا أنك تذم ابن عباس قالوا :  
فبني حتى اخضلت لحيتي ، ثم قال : ان ابن عباس كان من الاسلم  
بمكان ، ان ابن عباس كان من القرآن بمكان ، وكان الله له لسان سؤول ،  
وقلب عقول ، وكان والله مشجاً يسيل غرباً .

واستفاد الحسن من ابن عباس أيضاً يقول الحسن : ان أول من  
عرف بالبصرة ابن عباس . صعد المنبر فقرأ سورة البقرة ، ففسرها حرفاً  
حرفاً وكان مشجاً يسيل غرباً . ومعنى عرف بالبصرة أى فعل فعل الحجاج  
بصرفة . وذلك بجمع الناس للذكر والدعاء .

(١) ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي  
المدني ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وصاحبه وجبر الأمة  
وفقيهمها ، وترجمان القرآن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث  
عشرة سنة أو خمس عشرة سنة .

وقد دعا له النبي فقال : اللهم علمه الحكمة . روى الحسن عن أبي بكر قال :  
قدم علينا عبد الله ابن عباس البصرة وما في الحرب مثله علماً وحشماً وثياباً وجمالاً  
وكمالاً . ويقول ابن عباس عن نفسه : " دعاني رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فمسيح بناصيتي وقال : اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب - أى القرآن " .  
استعمله على بن أبي طالب على البصرة فبقى أميراً عليها ثم فارقها قبل أن  
يقتل على وعاد إلى الحجاز . وتوفي رحمه الله سنة ٥٨ هـ على الأصح . روى  
ألفاً وستمائة وستين حديثاً ، اتفق الشيخان على خمس وسبعين وأنفرد  
البخاري بثمانية وعشرين ، ومسلم بتسعة وأربعين . وكف بصره في آخر  
حياته .

( تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٧٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٧ ، وسير  
أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٢٤ ) .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ، وتهذيب التهذيب  
لابن حجر والنبقات الكبرى لابن سعد .

فكان الحسن ينفذ هذه السنة الحسنة عن ابن عباس رضى الله عنهما  
وفى موضع آخر يقول الحسن : كان عبد الله بن عباس أول من عرف بالبصرة  
صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفا حرفا ، وكان والله مشجا يسيل  
غريا • وكان يسمى البحر وجبر قريش •

وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم قمه في الدين وعلمه  
التأويل ، وقال عمر : " غص غواص ... (١)

ومما يدل على اقتباس آراء الحسن بالكثير من آراء ابن عباس ما ورد  
في تفسير قوله تعالى — مثلا — والشجرة الطمونية في القرآن • يرى  
الحسن أنها شجرة الزقوم لما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم • أنه  
رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل عليه  
لعائن الله تعالى : هاتوا لنا ثمرها وزيدوا وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول :  
تزقوموا فلا نعلم الزقوم غير هذا ونفس هذا الرأي روى أيضا عن ابن عباس وأن  
كان له رأى آخر في الشجرة الطمونية في القرآن وهو : أن الشجرة بنو أمية  
يعنى الحكم بن أبى العاص وذلك — فى رأى ابن عباس — برؤيا رآها  
النبي صلى الله عليه وسلم • من أن ولد مروان يتداولون منبره • • • • • إلا  
أن الواحدى — رحمه الله — ينفى هذا التفسير لأن القصة كانت بالمدينة  
والسورة مكية فيبعد هذا التفسير إلا أن يقال هذه الآية مدنية ولم يقل  
بذلك أحد (٢) • • •

(٣) — عامر بن عبد القيس :

إذا كان أبو موسى الأشعري ترك أثرا كبيرا فى البصرة خاصة فى الحياة  
الروحية فإن تلميذه الذى قرأ عليه القرآن وهو عامر بن عبد القيس من شيوخ  
الحسن البصرى ترك أثرا أكبر فى البصرة وبالذات فى تكوين شخصية الحسن  
رحمه الله • ومن أجل هذا نجد أن الشبه قوى بين الحسن وشيخه عامر •

- (١) الحيدوان ج ٣ ص ٤٨٩ ، والبيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٨٥ ، ١٣١ ،  
وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١١٨ •  
(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٨ — ٤٩ ، والتفسير الكبير للزمام الفخر الرازى  
ج ١٨ ص ٢٣٥ — الطبعة الأولى • مطبعة عبد الرحمن محمد •  
(٣) عامر هذا هو : عامر بن عبد الله بن عبد القيس • نشأ فى الجاهلية فى القبيلة  
التي تتصل بسلطان الفارسي • ولم يدرك عامر المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم  
حضر مع قبيلته الى البصرة وأطلق عليه أبو عمرو البصرى • وفيها التقى بأبى =

فهو من أوائل من أسسوا مدرسة الزهد في البصرة واستفاد منه الحسن فوائد  
جمة حتى كان يروى عنه ويقص أخباره على تلامذته . لأن هذا اللون من العظائم  
الذى يذكره عامر ما كان معروفًا في عصره . وذكر الحسن أن عامر سئل عن أمر الضيعة  
في الصلاة فقال : أتجدونه ؟ قالوا : نعم . قال : والله لأن تختلف الأسنة  
في جوف أحب إلى من أن يكون هذا منى في صلاتي . وبين أيضا أن عامر  
صنى قلبه من شعبة الولد والأهل . (١)

وليس معنى هذا أن الحسن كان يتتبع عامرًا في جميع أقواله وأفعاله ؟ بل  
كان يسير وراءه في معظمها مما هو لا يخرج عن ساحة الاسلام بدليل أن الحسن  
كان يختلف معه في أمر النساء . فقد تزوج الحسن وأنجب الأولاد . . . وروى الحسن  
عنه كثيرا . وعلى سبيل المثال يروى عن الحسن أن عامر بن عبد القيس قال : والله  
لئن استطعت لأجعلن بهم هما واحدا ، قال الحسن : ففعل . والله . (٢)

= موسى الأشعري وقرأ عليه القرآن وهو من أوائل من أسسوا مدرسة الزهد في البصرة  
حتى كانوا يقولون عنه : كان أجد أهل زمانه وأشد هم اجتهدا . ، ويقولون :  
إن عامر بن عبد القيس أبل من عرف بالنسك واشتهر من عباد التابعين بالبصرة .  
(أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج ٣ ص ٨٧ - ٨٨ ، حلية الأولياء  
لأبي نعيم ج ٣ ص ٨٧ وما بعدها . )  
وأخذ عامر بن عبد القيس يجاهد نفسه . صيام بالنهار - غالباً - وقيام بالليل  
حتى قال : تحزوا عن الدنيا بالقرآن فانه من لم يتميز بالقرآن عن الدنيا تقطعت  
نفسه حسرات . ولم يكتف عامر بزهده وورعه هذا بل كان يأمر بالمعروف وينهى عن  
المنكر . ودعا الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن  
مما عرضه ذلك للقليل والقال . وترك البصرة مرة ثم رجع اليها . شأن كل من وهب  
نفسه للدعوة الى الله تعالى مهما قوبل من عقبات . (صفة الصفوة لابن الجوزي  
ج ٣ ص ١٣٢ - ١٣٣ ، ج ١ ص ٣١٢ وما بعدها . )

وقد أخذ عامر يقسو على نفسه ويحمل على أن تكون ذلولة كما يريد . من ذلك  
روا عنه أنه قال : وجدت أمر الدنيا يصير الى أربع : المال ، والنساء ، والنوم ،  
والأكل . فلا حاجة لي في المال والنساء . فأما النوم والأكل - فأيم الله - لكن  
استطعت لأضرب بهن . (حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ١٣٨ - ١٣٩ . )

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٣ ص ١٣٠ - ١٣١ ، حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢  
ص ١٣٨ وما بعدها ، ونشأة الفكر الخلد سفي في الاسلام ج ٣ ص ١٣٦ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٠٦ .

ومرض طامر • ودخل عليه أصحابه فبكى : فقيل له : أتجنزع من الموت وتبكي ، فقال :  
ومن أحق مني بذلك ، والله ما أبكي جنعا من الموع ولا حرصا على دنياكم ولكني أبكي  
على ظمأ الهواجر ، وقيام ليل الشتاء • (١) وأخذ يحتضر ، فقال : لمثل هذا المصروع  
فليعمل للعاملون : اللهم اني استغفرك من تقصيري وتفريطي وأتوب اليك من جميع  
ذنوبي • لا اله الا أنت • (٢)

رحم الله طامرا وتلميذه الحسن ، وأسكنهما فسيح جناته وألحقا بهما مع الصالحين  
الأبرار انه سميع مجيب •

#### ٤ — صلة بن أشيم :

من شيوخ الحسن رحمه الله أبو الصهباء " صلة بن أشيم المدوني " من كبار  
التابعين الذين تأثر بهم الحسن وكان من عوامل تكوين شخصيته •

صلة هذا أسند الحديث عن عبد الله بن عباس وكان يطلق عليه رجل الشفاععة  
• • • وكان في مجتمعه مثالا للزاهد الصادق • ومن الذين أثروا في مدرسة الحسن  
كثيرا ولم يقتصر جهاده على نفسه فقط بل ظل يجاهد أعداء الله تعالى حتى ختمت  
حياته بالشهادة في سبيل الله عز وجل في أوائل امرة الحجاج على العراق •  
وكثيرا ما كان يلجأ في حياته الى المقابر خوفا من عذاب الله تعالى الذي اشتهر  
به حتى جعل شعاره " انك ميت وانهم ميتون " وقال لزوجته معاذة التي تزوجها  
" ليكن شعارك الموت فانك لا تباليين على يسر أصبحت من الدنيا أم على عسر " وقد  
تأثر الحسن بصلة كثيرا في معظم أحواله • ومن روايته عنه : عن الحسين  
قال : أبو الصهباء صلة ابن أشيم : طلبت الدنيا مظان حلالها فجعلت لا أضيف  
منها الا قوتا ، أما أنا فلا أعيل فيها ، وأما هو فلا يجاوزني ، فلما رأيت ذلك قلت :  
أي نفس جعل رزقك كفافا فارمض فريحت ولم تك • (٣)

وهكذا أخذ الحسن — رحمه الله — ينهل من معين صلة الصافي حتى استفاد  
منه بالكثير مما كان سببا في استاذيته وامامته •

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٣ ص ١٢٧ •

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ٨٩ •

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٣٤ — ١٣٧ ، حلية الأولياء لأبي نعيم  
ج ٢ ص ٢٤١ — ٢٤٢ ، صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٣ ص ١٤٢ وما بعدها •

٥ — هرم بن حيان العبدى :

من شيوخ الحسن : الثقة الزاهد " هرم بن حيان العبدى " .  
 يقول عنه ابن سعد (١) . وكان ثقة وله فضل عبادة . روى عنه الحسن البصرى .  
 وأبو نعيم الأصبهاني يحكى طرفا من زهده وورعه فيروى أنه رجل يوما الى الخليفة  
 عمر مع عبد الله بن عامر ، وكان واليا لصر ، ثم لما وية فيما بعد . وكان الاثنان  
 على رواد لهما ، وأصاق الرواحل تغالج الشجر . ونظر هرم بن حيان  
 الى شجر منها . وقال لزميله " أحب أنك شجرة من هذه الشجر . فقال  
 ابن عامر : لا والله . انا لنرجو من رحمة الله ما هو أوسع من ذلك فقال  
 هرم : لكنى والله لو ددت أنى شجرة من هذه الشجر ، قد أكلتنى هذه الراحلة ،  
 ثم قدفتى بصرى ، ولم أكابد الحساب يوم القيامة ، اما الى الجنة وما الى النار .  
 ويحك يا ابن عامر انى أخاف الداهية الكبرى " فلننظر اليه حينما ولاه عمر بن  
 الخطاب ماذا فعل هرم بن حيان ؟ . وبالطبع حينما يلى بعض الناس أمرا  
 من الأمور يتطلع اليه أهله ومعارفه . . . هكذا اعتقد هرم فأسرع باشمال نار  
 كبيرة بينه وبين الطامعين فيه . فجاء قومه بالفصل يسلمون عليه من بعيد .  
 فطلب منهم أن يدنوا اليه ، قالوا : والله ما نستطيع أن ندنوا منك . لقد  
 حال النار بيننا وبينك . فقال : وأنتم تريدون أن تلقونى فى النار أعظم منها ،  
 فى نار جهنم . (٢)

ورفض بعد هذا الامارة فى أى مكان ، وانطلق هاربا الى ربه ينادى فى  
 الليل : عجبت لئلا الجنة ، كيف ينام طالبيها ، وعجبت من النار كيف ينسام  
 ناصريها ، " أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون " (٣) ثم يقرأ  
 والمصر والهائم التكاثر ثم يعود الى بيته ، فاذا رأى أهله يكثرون الضحك  
 أمرهم بالصلاة . (٤)

وكان الحسن البصرى يتشبه به كثيرا ويرى عنه كما ذكرنا . ومن هذه  
 المرويات : عن الحسن عن هرم بن حيان أنه كان يقول : أعوذ بالله من  
 زمان يمر فيه صغيرهم ، ويأمل فيه كبيرهم ، وتترب فيه آجالهم ، قال : فيقال  
 له : أوصنا فيقول : أوصيكم بخواتيم سورة البقرة .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٣١ .  
 (٢) حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهاني ج ٢ ص ١٢٠ .  
 (٣) سورة الأعراف آية رقم ٩٧ .  
 (٤) صفة الصفوة لابن الجوزى ج ٣ ص ١٣٧ وما بعدها ، حلية الأولياء لأبى نعيم  
 ج ٢ ص ١١٩ — ٢٢٠ .

ومن الحسن قال : مات هرم بن حيان في غزاة له في يوم صائف ،  
فلما فرغ من دقه جاءت سحابة فرشت القبر حتى تردى لا تتجاوز القسبر  
منها قطرة واحدة ثم عادت عودها على بدنها (١) .

وهكذا عاش هرم بن حيان في راحة الله تعالى ومات على خير حال .  
واقبس الحسن البصري من حياته ما جعله في عداد الأصفاء الأخيار .

#### ٦ — حطان الرقاشي :

من شيوخ الحسن البصري حطان بن عبد الله الرقاشي . أو السدوسي  
كبير القدر ، صاحب زهد وورع وعلم ، روى عن عمر وعلى ، وتوفي في خلافة  
عبد الملك بن مروان في ولاية بشر بن مروان على العراق في سنة نيف وسبعين  
من الهجرة النبوية . وكان ثقة قليل الحديث . قرأ على أبي موسى الأشعري  
عرضاً وقرأ عليه عرضاً الحسن البصري (٢) .

#### ٧ — أبو المالقة :

من شيوخ الحسن البصري الذين عرض عليهم القرآن الكريم واستفاد  
بعلمهم أبو المالقة وهو : رفيع بن مهران ، أبو المالقة الرياحي ، من كبار  
التابعين ، أسلم — رحمه الله — بعد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ،  
ودخل على أبي بكر ، وصلى خلف عمر ، عرض القرآن الكريم على الصحابي  
أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعمر وسند ، صحيح  
إلى عمر ، ثقة حجة : توفي سنة ٩٠ هـ .  
أبو المالقة هذا عرض عليه القرآن الحسن البصري (٣) .

#### ٨ — الأحنف بن قيس :

من شيوخ الحسن البصري الذين تأثر بهم الأحنف بن قيس (٤) . وكان يحتسب

- (١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٣٣ .
- (٢) طبقات القراء ج ١ ص ٢٥٣ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٢٨ .
- (٣) طبقات القراء ج ١ ص ٢٨٤ ، وميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٣٠٣ .
- (٤) الأحنف هو : الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عباد . ينتهي نسبه  
إلى زيد مناة بن تميم . وقد أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه  
وشهد بعض الفتوحات منها قاشان والنمرة قال ابن قتيبة : ولما أتى النبي صلى  
الله عليه وسلم بني تميم يدعوهن إلى الإسلام كان الأحنف فيهم ولم يجيبوا إلى  
اتباعه ، فقال لهم الأحنف : انه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن مائعتها



شيخ البصرة الكبير بلا مفازع • ووجه شبه بينه وبين الحسن كبير والدليل على تأثر الحسن به • ما نراه من الأحنف عليه رحمة الله •

فقد وضع للبصريين أو بمعنى أصح للناس جميعا • مقاما للمحاسبة • وهو ما يطلق عليه القرآن الكريم " النفس اللوامة " قال تعالى : لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة " (١) • كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا " (٢) ولم يضعه الأحنف نظريا بل كان عمليا أيضا • فإذا ما قضى الليل في الصلاة والدعاء أقبل على المصباح ، فيضع أصبعه فيه لكي يحترق بنيرانه ، ثم يقول : حس • • • يا أحنف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ، ما حملك على ما صنعت يوم كذا • • •

وحيثما نلتفت الى الحسن البصري نجد قوله متوثرا به " ان المؤمن لا تراه الا ويلوم نفسه ، ويقول : ما أردت بهذا ؟ لم فعلت هذا ؟ كان غير هذا أولى الى غير ذلك من الكلام الذي يدل على هذا المعنى " (٣) .

= فأسلموا وأسلم الأحنف ولم يفسد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان زمن عمر بن الخطاب وفد عليه • • • وقد كان من جلة التابعين وأكابرهم وكان يضرب به المثل في الحلم • وروى الأحنف عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وكثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كما روى عنه جميع من التابعين ومن أشدهم الحسن البصري - رضى الله عنه - وشبه الأحنف صفيين مع على ، ولم يشهد واقعة الجمل لأنه كان يحاذل الفتنة إذ ذاك • وكان الأحنف - عليه رحمة الله - من عباد البصرة الزاهدين المخلصين الذين تركوا أثرا كبيرا في المجتمع الاسلامي •

( المصنف لابن قتيبة ص ١٨٧ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٩٣ وما بعدها ) •

( ١ ) سورة القيامة آية رقم ١ ، ٢ •

( ٢ ) البيهقيت الجوزية لابن الجوزي ص ١٦ •

( ٣ ) صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٣ ص ١٢٤ ، وكتاب الروح لابن القيم ص ٢٥٥ وما بعدها •

وقال الحسن البصري : أيسر الناس حسابا يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله عز وجل في الدنيا • • •

( البيهقيت الجوزية في المواعظ النبوية ص ١٦ ) •

وقد روى الحسن البصرى عن الأحنف الكثير ومن هذه المرويات ما يلى :

أ — روى الحسن عن الأحنف قوله : والله ما سمعت كلمة الاطأطأت لها رأسى لما شوأء ظم منها (١) .

ب — ومن كلام الأحنف الذى تأثر به الحسن : " ما ادخرت الآباء للأبناء ولا أبقت الموتى للأحياء ، أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الآداب .  
كثرة الضحك تذهب الهيبة ، وكثرة المزاح تذهب المروءة .  
من لزم شيئا عرف به . جنبوا مجلسنا ذكر الطعام والنساء فانى لأبغض الرجل يكون وصافا لبطنه ولفريجه . وان من المروءة أن يترك الرجل الطمطم وهو يشتميه ....

ج — وعن ابن عون عن الحسن قال : ذكروا عند معاوية شيئا فتكلموا والأحنف ساكت ، فقال معاوية : تكلم يا أبا بحر ، فقال : أخاف الله ان كذبت وأخافك ان صدقت (٢) .

د — عن الحسن البصرى عن الأحنف قال : قدمت على عمر بن الخطاب فاحتبسنى عنده حولا فقال : يا أحنف قد بلوتك وخبرتك فلم أر الا خيرا ورأيت علانيتك حسنة وأنا أرى أن تكون سريرتك مثل علانيتك . فانا كما نتحدث انما هلك هذه الأمة كل منافق عليم . وكتب عمر الى أبى موسى الأشعرى : أما بعد : فادن الأحنف بن قيس وشاوره واسمع منه (٣) .

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى ج ٣ ص ١٢٤ ، ونشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام

ج ٣ ص ١٣٩ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٩٥ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٩٤ .

هذه نماذج لأساتذة الحسن البصري وشيوخه على سبيل المثال أردنا بها  
اعطاء القارئ الكريم فكرة سريعة عن جانب كبير من جوانب مكونات شخصية الحسن  
— رحمه الله — ولا فهناك الكثير من شيوخه الذين أثروا فيه الكثير مثل : عمران بن الحصين  
الذي بعثه عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يفتي أهل البصرة . . . والأسود  
بن سريح بن حمير بن عبادة الذي كان من أول من قص في مسجد البصرة كما قال  
الحسن . . . وسمرة بن جندب بن هلال الذي شهد أحدا مع النبي صلى الله عليه  
وسلم . . . وعلاء بن شجار السليطي الذي روى عنه الحسن سماعه من النبي عليه  
الصلاة والسلام " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يوتيئه ومن كان في حاجة أخيه  
كان الله في حاجته " (١) . . . وعمران بن ملحان الملقب بأبي رجاء الطاردي الذي  
كان ثقة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم . . . ومطرف بن عبد اللمن الشخير  
الذي كان يماثل الفتنة تماما . . . وصفوان بن محرز الطائفي الذي قال فيه الحسن  
البصري : سرب لا يخرج منه الا للصلاة . . . والهيّاج بن عمران البريجي الذي  
روى عنه الحسن المثلث عن عمران بن الحصين . . . والقاسم ابن ربيعة الذي كان اذا  
سئل الحسن عن شيء من أمر النسب قال : عليكم بالقاسم بن ربيعة . . . وأبو الحلال  
المتكى الأزدي . . . وخليد بن عبد الله المصري . . . وميمون بن سياه . . .  
والامام على كرم الله وجهه ، وأبو هريرة رضى الله عنه مع الخلاف في سماعه منهما مما  
سنتعرض له ان شاء الله . . . الى غير هؤلاء الأعلام الذين رفعوا راية الاسلام  
وكانوا سببا في تكوين هذه الشخصية الفذة — شخصية الحسن — التي فعلت الكثير  
لأجل الحفاظ على وحدة الأمة والأخذ بيدها الى طريق النجاة والفلاح (٢) .

ولم من أمر رعاية الأمة بشخصية الحسن أن أحد العلماء وشيوخ الحافظ بن عبد الواحد  
المقدسي ألف مصنفا عن لقيه الحسن من الصحابة ولكن للأسف الشديد بعد جهد  
لم أعتز على هذا المؤلف الى الآن ولعلني بمواصلة البحث عن الحسن أصل اليه  
ان شاء الله . . .

واذا كان شيخ الحسن تركوا أثرا ظاهرا في حياته فلا ننسى أقرانه الذين تعامل  
معهم وعاش بجوارهم واستفاد أيضا بعلمهم . لأن الانسان قد يستفيد بعلم تلميذه  
فضلا عن زميله وقرينه .

(١) متفق عليه .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد السابع ، وخطبة الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني  
المجلد الثاني ، وصفة الصفوة لابن الجوزي المجلد الثالث ، وتهذيب التهذيب  
لابن حجر العسقلاني المجلد الثاني . . .

وقرنا الحسن من العلماء كثيرين أذكر منهم على سبيل المثال من له صلة وثيقة بالحسن فيما يلي :

# ١ — ابن سيرين :

هو العالم الزاهد الورع محمد بن سيرين<sup>(١)</sup> البصري ، مولى أنس بن مالك ، إمام البصرة مع الحسن . روى عن كثير من الصحابة ، وله مع الحسن البصري صلة وثيقة .

وإذا أردنا وضعه بجوار الحسن البصري نستطيع أن نقول ما يلي :

الحسن يمتاز بشجاعته وصراحته وفصاحته . . . ويظهر موقفهما جليا حينما ذهب الحسن وابن سيرين والشعبي الى والي البصرة ابن هبيرة — كما ذكرنا — فترى ابن سيرين والشعبي قالا قولا فيه تقية . . .

(١) هو : محمد بن سيرين الأنصاري ، كان أبوه مولى أنس بن مالك ، من سبي عين النمر — من بادية الخراتي قرب الأنبار — أسره خالد بن الوليد فاشتراه أنس بن مالك ، وكتبه وأدى كتابته وعثق وكانت أمه صفية مولاة لأبي بكر . . . ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وله من الأولاد : محمد هذا ، وأنس ، ومعبير ، ويحيى ، وحفصة وكريمة وكلهم رواه ثقات كان محمد بن سيرين — رحمه الله — ورعا زاهدا طالما فقيها حازما مؤدبا . . . دقيق العبارة وكان به صمم . سئل عن فتيا فأجاب وأحسن القول فيها ؟ فقال ربي : والله يا أبا بكر لقد أحسنت القول فيها ، وفرض ، كأنه يقول : ما كان الصحابة تحسن أكثر من هذا فقال محمد : لو أردنا فقههم لما أدركته عقولنا . . . وقصة صبة الزيت بسبب وجود الفأرة فيه معروفة روى عن زيد بن ثابت ، والحسن بن علي ، وأنس بن مالك ، وحذيفة بن اليمان ، وغيرهم كما روى عنه الشعبي وخالد الحذاء ، وطاسم الأحول ، ومالك بن دينار وغيرهم توفي سنة ١١٠ هـ . ووردت عن ابن سيرين الرواية في حروف القرآن الكريم .

واشتهر بتصوير الرؤيا . ويرى صاحب فجر الاسلام بأنه زيف عليه كتاب في ذلك . ويستشهد بأنه لم يذكر في كتب المتقدمين أمثال ابن سعد في الطبقات . والواقع أن الأخبار الكثيرة في هذا الموضوع تثبت أن له أصلا وذلك أن ابن النديم ذكره في الفهرست ، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي ذكره في طبعاته المختلفة في القاهرة وغيرها ، كما ذكر في تهذيب التهذيب لابن حجر ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ، ورغبة الآمل للسيد المرصفي ، كما أنه طبع على هامش كتاب تحطير الأنام للنبلسي سنة ١٣٠٤ هـ الى غير ذلك . . .

( طبقات القراء للجنزي ج ٢ ص ١٥١ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٢٣ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٩٣ — ٢٠٦ ، وفجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ١ ص ٢٥٥ . . . )

أما الحسن — عليه رحمة الله تعالى — فقد قال رأيته بكل صراحة وشجاعة .  
 وكان الحسن وابن سيرين صديقين حيناً ، وبينهما وحشة حيناً آخر . . . حتى أن  
 الحسن لما مات لم يتبع ابن سيرين — الذي مات بعده بعامه يوم — جنازته لأمر خفي —  
 قيل من أسبابه أن ابن سيرين ما كان يحمل عملاً إلا بنية وعند جنازة الحسن  
 لم تكن لديه النية . . . . . وسبب هذه الوحشة اختلاف طباعهما . فقد كان الحسن  
 صريحاً — كما عرفنا — شديداً حزيناً غصوباً لا يخشى أن يقول ما يعتقد حتى فسى  
 المسائل الخطيرة ، وكان ابن سيرين ضحواً يتحرج أن يقول ما يؤخذ عليه (١) .

وكان كل من الحسن وابن سيرين له في الآخر وجهة نظر وطى سبيل المثال :  
 نرى الحسن لا يعجبه في ابن سيرين شدة ثقته بنفسه في تعبير الرؤيا . كما نرى  
 ابن سيرين لا يعجبه في الحسن اندفاعه في التفسير كأنه شهد التنزيل (٢) .

ويروى الشيخ محمد أبو زهرة كالم كل واحد منهم في صاحبه بما يصدق  
 قول الأعمش ، كان ابن سيرين يعرض بالحسن المصنلى ، ويقول : يأخذ الجوائز  
 من السلطان ، ويروى المحالات ، ويقول بالهوى ، ويقول بالقدر كأنه اله الأرض يتفرد  
 بالفصل دون ربه . الى آخر ما روى عن ابن سيرين في ذلك .

وبالعكس كان الحسن أيضاً — كما يدعون — يعرض بابن سيرين ويقول :  
 يتوضأ بالقرية ، ويغتسل بالراوية صباحاً ، هكذا ، هكذا ، تعذيباً لنفسه ، وخلافاً لسنة نبيه  
 عليه الصلاة والسلام . يعبر الرؤيا كأنه من آل يعقوب عليه السلام الى آخر ما روى عن  
 الحسن في ذلك . . . (٣) .

والتطبيق على ما حدث بين الحسن البصرى وابن سيرين من وجوه :

أولاً : ننكر كل ما ظاهراً أحدهم في الآخر — وليس بعرضه — لأن حالة الزهد والورع التي  
 وصلا اليها تناقضان هذا . فهما يعترفان حقيقة الأثر الخطير للغيبة والنميمة ،  
 والهمز واللمز الى غير هذا من الأمور السيئة التي يتعطف عنها عامة الناس  
 فضلاً عن خواصهم وقد وثقهم .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٩٣ — ٢٠٦ .

وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٧٣ .

(٢) محاضرات الراغب الأصفهاني ج ١ ص ٧١ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٣٠ ،

وحلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٣) أبو حنيفة : حياته وعصره . آراؤه وفقهه للشيخ محمد أبو زهرة ص ٨٩ — ٩٠

الطبعة الثانية .

ثانيا : اذا صح البعض يكون هذا بمثابة تعريف بانسان يراد منه أى أمر من الأمور  
— مثلا — كما اذا سئل الانسان أمام التقاضى عن انسان يعرفه فانه يذكر  
كل ما يتصف به ولو عاهات حتى تكون شهادته واضحة . .

ثالثا : عصمة البشر لا تكون الا للأنبياء والمرسلين . وما يحدث لغيرهم مادام ذلك  
لا يقدح فى دينهم لا يكون حدوثه محالا فيما بينهم . . ومن الممكن فى نهاية  
الحديث عن علاقة الحسن بابن سيرين أن نضع هذه الموازنة بينهما ليتضح  
المقام أكثر .

موازنة بين الحسن وابن سيرين

الحسن البصرى	ابن سيرين
١ — متساهل فى التجارة لا يريد لها	١ — دقيق فى التجارة على حذر
٢ — غضوب كثير الكلام والحزن غزير	٢ — حلیم طويل الصمت كثير الضحك
الدعوة لا يتكلم الا فى كلام الآخرة	والدعاية يتحدث فى الأخبار والأشعار
٣ — يروى الحديث بالمعنى متساهلا فى ذلك	٣ — متشدد دقيق فى الرواية
٤ — كان قوى الذاكرة . . .	٤ — ضعيف الذاكرة حتى أنه كان يصى والمصحف بجواره فاذا شك نظر فيه (١) .

٢ — عامر الشعبي :

من أقران الحسن وأصحابه " عامر الشعبي " العالم الربانى ، الحافظ الأديب .  
ولد رحمه الله لست خلت من خلافة عمر بن الخطاب أى سنة ١٧ هـ ونشأ  
بالكوفة وهى يومئذ مركز من مراكز العلم والثقافة والمعرفة وكانت تضارع  
البصرة . . رأى الشعبي حوالى خمسمائة من الصحابة فأخذ عنهم مثل : على ،  
والحسين والحسين ، وابن عباس ، وأنس ابن مالك ، وعبد الله بن عامر ، وأسامة  
ابن زيد وغيرهم وغيرهم ، روى الخليل البغدادى بسنده وابن عساكر  
فى تاريخه عن أبى أسامة قال : كان عمر بن الخطاب رأس الناس فى زمانه ،

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٩٣ — ٢٠٦ ، والمصاحف لابن أبى داود  
ص ١٩٤ ، ومذكرة عن الحسن البصرى للأستاذ البهى الخولى .

وهو جامع للعلم — انفرد بهذا ابن عساكر — وكان بعد ابن عباس في زمانه ،  
وأخيرا — أى الخطيب وابن عساكر — خيرا آخر عن الزهيري — المشهور — قال :  
العلماء أربعة : " سعيد بن المسيب بالمدينة وطاهر الشعبي بالكوفة ،  
والحسن بن أبي الحسن بالبصرة ومكحول بالشام .

قال أبو بكر الهذلي : قال محمد بن سيرين : إذا جئت الكوفة  
فاستكثر من حديث الشعبي فإنه كان ليسأل وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه  
وسلم لأحياء " وكان رحمه الله قاضيا في عهد عبد الملك بن مروان ، وعمر بن عبد العزيز  
.. ومات رحمه الله سنة ١٠٥ هـ وقد عرفنا سابقا قصة دخول الشعبي وابن سيرين  
والحسن على ابن هبيرة . وكان — عليه رحمة الله — يهتم كثيرا بالقرآن فقد  
عرض القرآن على السلمي وعلقه بن قيس ، وهو القائل : " القراءة سنة ، فاقروا  
كما قرأ أولوكم " .

وإذا كان الشعبي قد روى عن كثير من الصحابة فقد روى عنه الكثيرون  
أيضا مثل : سعيد بن مسروق الثوري ، والأعمش ، ومنصور ، وسماك بن حرب ،  
وشعبة بن الحجاج وغيرهم .. وبلغ من قوة ذاكرة الشعبي رحمه الله أنه  
كان يحاضر بهذه الذاكرة — تحدثا بنعمة الله تعالى — فيقول : ما كتبت سوداء  
في بيضاء .. (١)

وهناك الكثير من أصحاب الحسن وأقرانه أمثال : سعيد بن أبي الحسن  
شقيق الحسن الذي حزن على وفاته حزنا شديدا . حتى قيل له : يا أبا سعيد :  
انك تعلم الناس وأنهم يرونك تبكي فيذهبون بهذا الى عشايرهم فيقولون : رأينا  
الحسن يبكي عند المصيبة ، فيحتجون به على الناس ، فحمد الله وأثنى عليه  
وقد خنقته العبرة فقال : الحمد لله ان الله جعل هذه الرحمة في قلوب المؤمنين  
فيرحم بها بعضهم بعضا ، فقد مع العيون ويحزن القلب وليس ذلك بجزع انما  
الجزع ما كان من اليد واللسان ، ثم قال الحسن : ان الله لم يجعل حزن يعقوب  
عليه ذنبا اذ قال : وابيضت عينان من الحزن فهو كظيم .. ، وجابر بن زيد الأزدى  
الذي كان يحب الحسن حبا جما . وبلغ من هذا الحب وهو يحتضر أن أخذ يشتكي

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٢٥ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٥ ص ٦٥ ،  
والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ١٢٢ ، وطبقات القراء ج ١ ص ١٤٤ .

من شدة ما به من التعجب فقل له : ما تشتهي ؟ قال : نظرة من الحسن فانطلق  
ثابت البناني الى الحسن وهو متوار في منزل أبي خليفة فجاء به اليه فقال : أقعدوني .  
وهكذا أخذ يتكلم معه الحسن بما يناسب المقام . . . ، ومسلم بن يسار الذي قال فسي  
شأنه ابن عون : كان مسلم بن يسار لا يفضل عليه في ذلك الزمان أحد . . . وقال  
بعض الحكماء في شأنه : كان مسلم ثقة فاضلا عابدا ورعا أرفع عندهم من الحسن ،  
حتى خرج مع عبد الرحمن ابن الأشعث فوضعه ذلك عند الناس وارتفع الحسن عنه . . . ،  
والنضر بن أنس بن مالك الثقة الذي مات قبل الحسن وحسبهما الله ، يروى حرب  
بن مسمون الأنصاري قال : بينما محمد بن سيرين يغسل النضر بن أنس بن مالك  
والحسن البصري شاهد وأنا أعطيهم فقال : محمد : حتى ينمط ، فجئت  
ينمط أحمر ، فقال محمد : يا أبا سعيد هذا زينة قارون ، فقال له الحسن :  
نعم ، فقال لي محمد : حتى يغيره قال : فجئته ينمط أخضر فلقه فيه . . . ،  
وبكر بن عبد الله المزني الذي كان كثير الحديث حجة ثقة ثبتا مأمونا . . . كان  
يقول في دعائه : " اللهم ارزقنا من فضلك رزقا تزيدنا به لك شكرا واليك فاقة  
وفقرا وبك عمن سواك غنا وتحمفا . . . "

كان يقول : اني لأرجو أن أعيش عيش الأغنياء وأموت موت الفقراء . . . وكان اذا  
لبس كسوته يجيئ الى المساكين فيجلس معهم يحدثهم . . . ويقول : انهم يفرحون  
بذاك . ومن أجل هذا وغيره كان الحسن البصري يسميه : بكرا المكيم وحضر  
الحسن جنازة بكر بن عبد الله وهو على حمار . عليهما رحمة الله تعالى . . . (١)

رابعاً : من عوامل تكوين شخصية الحسن . عصره الذي عاش فيه وقد التقى فيه  
علمان . علم النبوة وقد حمل هذا العلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين  
التقى ببعضهم الحسن - رحمه الله - أمثال : أنس بن مالك ، وابن عباس ،  
وعبد الله بن عمر الخ . . . وعلوم أخرى : جاءت الى الأمة بعد الفتوحات  
الاسلامية وبالطبع هذه الأمم التي دخلت الاسلام لها حضارتها وأديانها  
القديمة وثقافتها المختلفة . فكان لابد من اختلاط بين الثقافة الاسلامية  
الجديدة والثقافات الأخرى . وعلى هذا فلا مناص من ضابط وميزان  
نعرف به الصحيح من السقيم . ولم يكن هذا الضابط سوى النوع الأول من العلم



وهو كتاب الله تعالى والمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وما أخذ به السلف الصالح . فكان هذا العلم هو الضابط والميزان لكل ما يراد أخذه ومن الثقافات المختلفة التي نتجت عن هذه الفتوحات الإسلامية .

ولا ننسى أيضا انتفاع الحسن - رحمه الله - بالفصاحة التي كان يشتهر بها الصدر الأول من الاسلام وقد أوضحنا القول عن مصره

خامسا : ثقافته الراسخة في الاسلام : وهذا يتمثل في حفظه وفهمه للقرآن الكريم حتى نكس أن لا ينشئ من سورة الى سورة حتى يصرف تأويلها وفيم أنزلت . . كذلك استيعابه لكثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وآثار السلف الصالح رضي الله عنهم .

وفي غير الاسلام وهذا يتمثل في المدارس الثقافية المفتلة بالعسراق مما جعله يوازن بين هذه وتلك ويخرج برأى صحيح في ضوء الاسلام ويهدم ما عداه .

سادسا : مساهمته في الفتوحات الشرقية التي اكسبته الخبرة النافعة .

سابعا : الظروف التي ساعدته بسبب المولد والنشأة من اخلاصه لله عز وجل ، وتوفيق الله له .

وصدق الله العظيم إذ يقول : " وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب " .

## الباب الثالث

فكره •• وزهده •• ودعوته الى الله تعالى

---

الفصل الأول : فكره •••

الفصل الثاني : زهده •••

الفصل الثالث : دعوته الى الله تعالى •••

### الباب الثالث

( فكره .. وزهده .. ودعوته الى الله تعالى )

هذا الباب يعتبر من أهم أبواب الرسالة . خاصة الفصل الثالث منه وهو : دعوته الى الله جل وعز . لأن الحسن - رحمه الله - كان يضع جميع أنانياته في خدمة هذه الدعوة المباركة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذه الرسالة من دعواته والارشاد فالبد وأن يكون مجالها - بالكلية - حول هذه المعاني التي يهتم بإبرازها قسم الدعوة أسوة ببقية الأقسام الأخرى وعلى ذلك فقد قسمت الباب الثالث الى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : فكره ، مهتلى على فكر الحسن عموماً سواء كان ذلك في التفسير أو القراءات أو الحديث أو العقائد أو الفقه أو الزهد الخ ..

الفصل الثاني : زهده ، ويشتمل قضية الزهد خاصة في صدر الاسلام وموقف الحسن منها . مع بيان العلاقة التي تربط الزهد بالتصوف ..

وهذا الفصل مرتبط بسابقه لأنه يعتبر كتفصيل بعد الاجمال في قضية اشتهر بها الحسن - عليه رحمة الله - واستغلها الكثير من المستشرقين لبيان أن الاسلام دين الآخرة فقط وليراه في الدنيا نصيب . وهذه الناحية - فسي اعتقادهم - هي التي أدت بالمسلمين الى التأخر ، والانحطاط الى يومنا هذا ..

الفصل الثالث : دعوته الى الله تعالى ، ويتعرض هذا الفصل لظواهر الدعوة الى الله عموماً على سبيل الاجمال ولدعوة الحسن ومنهجها بالتفصيل . مع ذكر نماذج تحليلية لخطبته ومواعظه ..

وهذا الفصل - دعوته الى الله تعالى - يعتبر كتطبيق لكل ما سبق من أفكاره ، وزهده .. لأن هدف الحسن البصري - رحمه الله - مدته حياته التي عاشها بالمرض لا بالطول فقط هو : الوصول بالمجتمع الاسلامي في عصره الى المكانة التي يجب أن يكون عليها . باذلاً في سبيل هذا الهدف كل ما يملك من علم وعمل . مقتدياً في هذا كله بالسلف الصالح عليهم جميعاً رضوان الله تعالى .

## الفصل الأول

( فِكْرُهُ )

قبل أن نتعرض لفكر الحسن البصري يقتضينا المقام أن نفهم معنى " الفكر "

معنى الفكر :

بالبحث في كتب اللغة العربية وغيرها وجدنا أن الفكر — بالكسر — معناه : تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب الممانى • أو اعمال النظر في الممانى • كالفكرة والفكرى — بكسر الطاء — ويقال أيضا : الفكر هو : ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها الى مطلوب يكون طاماً أو ظاهراً • (١) .

وعلى هذا من الممكن أن نفهم قول بعض الأدباء : الفكر مطلوب عن الفكرى لكن يشترط الفكر فى الممانى وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول الى حقيقتها • ومن المادة أيضا التفكير وهو : جولان الفكرة — التى هى قوة مطردة للعالم السى المعلوم — بحسب نظر المتفكر وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن أن يحصل له صورة فى الظن • ولهذا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم " تفكروا فى آلاء الله ولا تشكروا على الله " (٢) • ان كان الله منزهاً أن يوصف بصورة • قال تعالى : " ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (٣) •

وهذا الكلام الذى نتكلم به أو الألفاظ التى تنطق بها تسمى " لغة " ولا بد لهذه اللغة من عملية التفكير لى تؤدي مهمتها كما ينبغي • وعلى هذا نستطيع أن نخرج من كل ما ذكرناه بأهمية الفكر وعرويته وأنه — أى الفكر — هو الذى يربط الألفاظ بمعانيها • • أو هو الذى يتوصل به الانسان الى توسيع نطاق اللغة وتنظيمها • ومن شواهد تأثير الفكر على اللغة كما يقول الشيخ الخضر حسين لا يرتفع شأنها وتظهر فصاحة ألفاظها وغزارة مادتها وحسن بيانها ، الا أن تلد أرضها

- (١) القاموس المحيط ج ٢ ص ١١٥ — طبعة الطبعة الأولى والمصباح المنير مادة (فكر) .
- (٢) هذا الحديث له طرق عن ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن سالم وأسانيدها ( تمييز الطيب من الغيب للشيبانى ، والجوامع الصغير للسيوطى ) •
- (٣) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٨٤ والآية الكريمة من سورة النحل رقم ١١ وغيرها وقد وردت مادة ( فكر ) فى القرآن الكريم عدد ١٨ مرة •

رجالاً ذوي عقول نيرة وقرائح جيدة (١) . والحسن البصرى من هؤلاء الرجال الذين نحتاج الى فكرهم .

### أهمية الفكر فى الاسلام :

لقد مر الفكر البشرى بأطوار مختلفة يصعد تارة وينحدر تارة أخرى وفقاً للأهواء والأغراض . سواء كان ذلك فى الغرب خاصة فى العصور الوسطى حيث أن الكنيسة ظلمت هى المسيحية على الحياة العقلية الى أن جاء عصر النهضة ، أو فى الشرق حيث البطل القاحل الذى قام يقف على الانتاج الفكرى البشرى . وهذا الفكر العقلية فى الشرق على هذا النحو من الجدل ، والتعارض بين الفلسفة والفكرية حدث ذلك الحادث الباطل الذى قلب دنيا العصور الوسطى رأساً على عقب ، وخسر وجه التفكير العالم كله ، وهو ظهور الاسلام الذى لم يلبث أن وضع الشرق وجانباً عظيماً من الغرب تحت سلالته ، ووجد بين العناصر المختلفة ، وفرض عليهم عقيدته المؤسسة على مبدأ التوحيد الكمال الذى لا مشابهة فيه بوجه ، والى تنصيح بأن إلهة الإله وفدقه لا تتقدان بناموس ولا تقفان عند حد ، ولا تنضيدان لمحنة من الملأ أياً كانت طبيعتها كما قال الدكتور غالب (٢) .

وصدق الله سبحانه إذ يقول : " لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون " (٣)  
هذا التفكير الاسلامى الذى أحدث دويلاً فى الفكر البشرى كله - خاصة الالهى منه - مر هو الآخر بأطوار مختلفة منها : طور التمهيد والاعداد ، وطور النضج والكمال والانتاج ، وطور النصف والاضمحلال وعدم الابتكار ..

والذى يعنينا من هذا كله هو الطور الأول - أعنى طور التمهيد والاعداد - لأنه وجد فى عصر الحسن البصرى وقبل ترجمة الفلسفة اليونانية فى العصر المباسى . وفى هذا المعنى يقول الدكتور عوض الله حجازى : " فالدور الأول : دور التمهيد والاعداد ، يشمل حال التفكير الاسلامى فى وقت عزله قبل ترجمة الفلسفة اليونانية ، ونظماً الى اللغة العربية ، وذلك فى عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية ، وما حصل من التفكير الاسلامى على يد بعض علماء هذا العصر أمثال :

- (١) دراسات فى المبرية وتاريخها للشيخ محمد الخضر حسين ص ١١ - ١٢  
الناشر : المكتب الاسلامى بدمشق - الطبعة الثانية ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م
- (٢) ينابيع الفكر الاسلامى وعوامل تطوره للدكتور محمد غالب ص ١٠ .
- (٣) سورة الانبياء آية رقم ٢٣ .

( الحسن البصري ، وواصل بن عطاء ، وعمر بن عبيد ) وغيرهم من بناء علم الكلام في فترة تكوينه الأولى ، فلم يتعد بعض المسائل القليلة ، مسألة مرتكب الكبيرة ، ومسألة الإمامة ، والایمان والكفر ، ولم يكن ذلك التفكير الذي نشأ في هذا الدور حول هذه المسائل يستند الى أدلة عقلية قوية ، وعمق في التفكير ، وإنما كان في الغالب مستندا الى أدلة نظائية ، ونظرة سطحية ، ولم يكن له طابع التفكير الفلسفي العميق . ثم انتقل التفكير الاسلامي بعد هذا - كما عرفنا - الى دور النضج والكمال والانتاج . . . وشهد بذلك التاريخ والواقع بما لا يحتل الشك . ومع هذا يذاع بين الأوروبيين في القرن التاسع عشر فكرة خطيرة على الحقيقة والتاريخ ، مؤداها - كما يقول الدكتور غلاب - أن الاسلام كان حربا ضروسا على حرية الفكر ، وأنه كبت جميع الحركات العامة ، وطرب العلم والفلسفة وحظر على معتقبيه التأمل والنظر ، وأن العرب مدينون بالانحلال الأول من أفكارهم للاغريق إذ أنه لم يظهر لديهم قبل عصر الترجمة من التفكير . وكان " أرستو رينان " أبرز دعاة هذه الفكرة الخاطئة فأصبح لها أمكنة واسعة في عدة كتب من مؤلفاته ، وأفرد لها سفرا خاصة عنوانه ( الاسلام والعلم ) فانتشرت بسبب هذه الدعاية في جميع الأوساط الأوروبية المثقفة على ما بينها من عداوة للحق وافتراءات على التاريخ ، وقد أذاع ( رينان ) هذه الفكرة في جامعة ( السوربون ) ثم رد عليها المفكر له السيد جمال الدين الأفغاني بما ألجأه الى الاعتراف بخطئه فيما قرره " (١) .

ونحن في هذه الكلمة عن الفكر الاسلامي سنكتفي بما ذكرنا لأن هذا الموضوع متشعب الآراء تناوله الباحثون قديما وحديثا بما لا يحتمله المقام .

وإذا كنا نضع هذه الكلمة بين يدي فكر الحسن ، فالبد لنا أن نعطي للقارئ الكريم فكرة عن تلاميذ مدرسته التي كونها في البصرة .

مدرسة الحسن أو تلاميذه :

بعد هذه اللوحة عن معنى الفكر ، وأطواره وأهميته في المجتمع البشري يجي دور تلاميذ الحسن الذين تتلمذوا في مدرسته .

(١) ينابيع الفكر الاسلامي وعوامل تطوره للدكتور محمد غلاب ص ١٨ .

فلولا هذه المدرسة أو هؤلاء التلاميذ الذين حملوا فكره إلى الأمة . لما عرفنا عنه شيئا . كشاف الكشـير من أصحاب الفكر في العالم الذين لم يجدوا تلاميذ يحملون أفكارهم . فالحسن على هذا كان صاحب مدرسة كبرى وكما يقول الدكتور النشار : احتل شيخ المدرسة — الحسن البصري — مكانة لم يدانيتها من سبقوه أو من عاصروه من مفكري الاسلام وتأثت البصرة به على مدن العالم الاسلامي كله ، وادعته الفرق المختلفة والاتجاهات المتباينة لنفسها . فصدرت عنه أوجعته الفرق ينطق باختلاف الآراء ، ومتناقض الأفكار ومتباين النظريات . وجمع فيه كل شيء . بحيث يمكننا أن نقول : ان أسطورة الحسن البصري كانت أضخم أسطورة في العالم الاسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري (١) .

وهذا ثابت بن قرة يصوره كأستاذ كبير ومرب ناجح فيقول : " . . . يجلس تحت كرسيه قتادة صاحب التفسير ، وعمرو وواصل صاحب الكلام ، وابن أبي اسحاق صاحب النحو ، وفريق السنجي صاحب الرقائق ، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم فمن ذا مثله ومن يجري مجراه ؟ " (٢) ولم يكن هذا كله الا بفضل مدرسته التي كونها وتلاميذه الذين استرعبوا علمه وفقهه طيهرهم رحمه الله تعالى .

هذه المدرسة لم تختص بفن معين بل تشعبت فروعها وتمددت مآهجها وكلها تدور حول القرآن الكريم ، وسنة المصطفى الأمين . فعلم القراءات — مثلا — له مكان في هذه المدرسة ، وتفسير القرآن الكريم ، والحقايد الاسلامية ، والآراء الفقهية ، والرقائق القلبية . . . الى غير ذلك من العلوم والفنون له مكان في هذه المدرسة البصرية . هذه المواد التي نشأت ودرست في هذه المدرسة لها رجالها الذين حملوها وبلغوها لغيرهم حتى وصلت إلينا اليوم . هؤلاء الرجال الأفذاذ ما هم الا تلاميذ لتلك المدرسة التي يديرها شيخ المفكرين في عصره " الحسن البصري " .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن من هم هؤلاء التلاميذ ؟ . . .

والجواب : أن تلاميذ الحسن كشيوعه وأساتذته لا نستطيع حصرهم ومن أجل هذا سنكتفي بذكر بعض هؤلاء التلاميذ كمناذج لهذه المدرسة الكبرى كما سنراعى — باذن الله — في اختيارنا لهؤلاء الرجال من كانوا على صلة وثيقة بالحسن ، ومن اشتهروا بفن معين في الكلام أو التفسير أو الزهد الخ . . .

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام للدكتور علي سامي النشار ج ٣ ص ١٦٠ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت ج ١٦ ص ٩٦ .

١ — واصل بن عطاء :

كان واصل بن عطاء<sup>(١)</sup> على صلة وثيقة بالحسن البصري وكان تلميذا ناجحا في مدرسته ، وظل هكذا مدة من الزمن غير قليلة ملازما لحلقته حتى جاء هذا السؤال الى حلقته الحسن وهو ما حكم مرتكب الكبيرة ؟ وقبل أن يجيب أستاذ الحلقة — الحسن — وهو في تفكيره للاجابة على هذا السؤال . أجاب التلميذ واصل بما يخالف رأى أستاذه وهو فسقه بينما أستاذه يرى نفاقه . لم يكتف التلميذ بهذا بل انفرد لتغيير هذه المسألة ، من بعض المتجمعين حوله في المسجد .

نستدل مما سبق على أن العلاقة بين التلميذ وأستاذه قد انقطعت وظلت هكذا حتى لقي الحسن ربه . وهذا الانقطاع بين الشيخ وتلميذه لم يؤد الى

(١) واصل هو : واصل بن عطاء الفزالي الأثري — أي الذي لا يستطيع النطق بالراء ولذلك كان يضمها من كلامه — ولد بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة . من أصل فارسي . وكان مولى لبني ضبيسة وقيل غير ذلك . وعلى كل فقد ذكرت بعض الروايات أن أكثر عمره كان حرا . عاش واصل مدة بالمدينة — لا نعلم مقدارها — على التحديد — ثم انتقل الى العراق مركز الثقافة الواسعة والآراء المختلفة والتحق بمدرسة الحسن وأصبح تلميذا له . واستمر هكذا يتردد على حلقاته الى أن اعتزل مجلس الحسن . وكان رحمه الله على صلة بالخوارج والشيعة وأهل الحديث وأرباب النحل المختلفة مما نلمس في آرائه المزيج من كل هذه الثقافات المتشعبة .

ويكاد يجمع المؤرخون على أن واصل كان شيخا للمعتزلة وأنه أول من لقب بالمعتزلي كما أنه الذي أسس مذاهبهم ودافع عن معتقداتهم التي كانت لهم مذاهبا كلاميا خاصا بهم . وكان أيضا على خلدن حتى نجد المبرد يروي أن واصل لم يكن غزاليا ولكن يلقب بذلك لأنه كان يلزم أبا عبد الله صديقا له ليصرف المتصفقات أو المنقطعات من النساء فيجعل لهم صدقاته . ( وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ٢٢٥ ، والمنية والأمل للمريضي ص ٧ — ١٧ ، الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٢٢ ) .

وواصل هذا كثر أن أي مفكر كبير تأثر ببيئته كما تأثر بأستاذه . ونحن قد عرفنا عصر الحسن . وشبهته الى حد كبير عصر تلميذه واصل من الناحية السياسية والفكرية . حتى في تكوين حياته — غالبا — نشأ بالمدينة ثم رحل الى العراق كالحسن . مما أثر ذلك في ثقافته .

ولزيادة الايضاح عن واصل نوجسز صفاته فيما يلي :

- (١) الصمت : حتى ظن به الخرس وهو في حلقه الحسن
- (٢) حسن التخلص في المواقف المصيبة . (٣) البديهة الحاضرة .
- (٤) الحلم والتأني . (٥) زهده وتقواه .
- (٦) ثقافته الواسعة . (٧) شجاعته .
- (٨) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٢٦ — ٣٠ ، والكامل للمبرد ج ٢ ص ١٠٦ — ١٢٣ ، والمنية والأمل للمريضي ص ١٨ ، وتاريخ الفرق الاسلامية للدكتور محمود زيادة القسم الثاني ص ٦٤ — ٦٧ ) .



الحقد والكراهية كما هو المعروف في دنيا الناس • لماذا ؟ لأن هذا الانقطاع لم يكن الا لله وفي الله • وكما يقولون : ان اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية • والدليل على ذلك أن التلميذ — واصل — كان يستمع الى نصائح أستاذه وعظائمه • • فقد كتب ذات يوم الى زميله في الطقة عمرو بن عبيد الذي انضم له بعد ذلك في تقرير المسألة التي ذكرناها يقول : " أما بعد ، فان استلاب نعمة العبد وتمجييل المحاكمة بيد الله ، ومهما يكن ذلك فباستكمال الآثام ، والمجاورة للجدال الذي يحول بين المرء وقلبه ، وقد عرفت ما كان يطعن به عليك وينسب اليك ، ونحن بين ظمهراني " الحسن بن أبي الحسن رحمه الله " ، لا استبشاع فبح مذهبك ، نحن ومن قد عرفهم من جميع أصحابنا ، ولمسة اخواننا الحاملين الواعين عن الحسن • • • ثم قال : عهدى والله بالحسن وعهدكم به أمر في مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بشرف في الأجنحة ، وآخر حديث حدثنا ان ذكر الموت وهو المطلق ، فأسف على نفسه واعترف بذنبه ثم التفت — والله — بيضة ويسرة معتبرا باكيا ، فكأنى أنظر اليه يمسح مرفق الحسرق عن جبينه ، ثم قال : اللهم انى قد شددت واضيق راحتي وأخذت في أهبة سفرى الى محل القبر ، وفقرى العفر ، فلا تؤاخذنى بما ينسبون الى من يمدى • اللهم انى قد بلغت ما بلغنى عن رسولك ، ونسرت من محكم تأويلك ما قد صدقه حديث نبيك ألا وانى خائف عمرا ، ألا وانى خائف عمرا ، شكاية لك الى ربهم جهرًا ، وأنت عن يمين حذيفة ، أقر بنا اليه • • ثم قال : ولم يكن كتابى اليك ، وتجليبى عليك ، الا تذكرك بحديث الحسن رحمه الله وهو آخر حديث حدثنا الى آخر ما ذكره • • (١)

نلمح في هذه الرسالة الشدة والقوة في تفريح عمرو لأنه شعر بأن عمرا أخذ يحد عن الضمير الذى رسمه أستاذه الحسن • كما يقول الدكتور الخرابى : " فهذا الذى ذكره دليل على أن واصلًا قد بقيت علاقته بأستاذه ومودته له ، وحرصه على سماع دروسه ، والانتقال معه فى الأسفار والارتحال فى سبيل الله تعالى لأن هذا الدرس الذى أوصى فيه الأستاذ تلميذه أو تلميذه كان بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن الحسن كان قد أقام بالبصرة وبقى بها حتى توفى • •

ويقول أيضا فى موضع آخر يجعل القول عن واصل : " انه وضع أساس الدعوة فى الدولة الاسلامية وهو الذى سن ارسال الرسل فى سبيل الدعوة الى الله والدفاع

عن الراى الذى يعتمده • كما وضع أصل الاحتجاج بالاجماع والعقل زيادة  
على الاحتجاج بالكتاب والسنة .. (١)

٢ - عمرو بن عبيد :

من تلاميذ الحسن البصرى وأحد طلاب مدرسته " عمرو بن عبيد " (٢) الذى وصفه  
أستاذه الحسن للسائل فقال : " لقد سألتنى عن رجل كأن الملائكة أدبته ،  
وكان الأنبياء رتبته ان قام بأمر قعد به ، وان قعد بأمر قام به ، وان  
أمر بشئ كان ألزم الناس له ، وان نهى عن شئ كان أترك الناس له  
ما رأيت ظاهرا أشبه بباطن منه ، ولا باطنا أشبه بظاهر منه " (٣) . كما كان  
يشبه كثيرا أستاذه الحسن فى الزهد • وما روى فى ذلك أن أبا جعفر المنصور  
أرسل اليه بمان كثير وطلب منه أن يعرض عليه حاجته حينئذ يرد المال ويقول :  
" لا تبحث الى حتى آتيك " . فيقول له أبو جعفر : " اذا لا نلتقى " قال :  
هى حاجتى وانصرف ولم يفز منه المنصور بشئ • ولما غاب عن بصره قال :

كلكم يمشى رويد ••••• كلكم يطلب صيد  
غير عمرو بن عبيد (٤)

- (١) تاريخ القرن الاسلامى ••• للدكتور على مصطفى الخرابى ص ٧٦ - ٧٩ ، ١٠١٦
- (٢) عمرو هو : أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب ولد سنة ٨٠ هـ بالعراق على الراجح •  
واختلف فى عام وفاته ما بين سنة ١٤٢ هـ • وعلى كل فقد أدرك فترة من حياة الدولة  
الأموية وأخرى من الدولة العباسية • وكان عمرو مولى لبني تميم • وعمله كما يقول  
الخطيب البغدادي : " ان عبيدا أبا عمرو كان نساجا " وهذه الصداقة لم  
تسقط عن التردد على حلقة الحسن والتزود من علمه حتى أصبح عالما يشتهر  
عليه بالبنان • ولا عجب فى ذلك فكان هذا دائما دأب العلماء المخلصين يأكلون من  
عمل أيديهم كالأنبياء والمرسلين ثم يبلغون العلم والمعرفة احتسابا لوجه الله  
تعالى • ولذلك اشتهر الكثير منهم بمهنته فيقال : فلان البزاز ، وفلان  
المخلاقي ••••• وهم من أكابر العلماء الذين حافظوا على تراث الاسلام •  
وكان عمرو حر التفكير عزيز العلم • اهتمق رأى أستاذه فى مرتكب الكبيرة حينما ثم  
مال الى رأى زميله وأصلى كان - رحمه الله - الحياء شعاره ، والخوف أزاره •  
يظهر هذا من أحد الواصفين له " اذا رأيته جالسا توهمته أجلس للقاء •••••  
(وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٥٣٥ وتاريخ بغداد للخطيب ج ٢ ص ١١٦ -  
١٦٨ ، والمنية والأمل للمرتضى ص ٢٣ وما بعدها •
- (٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٥٣٥ •
- (٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٥٣٦ •
- ومرجع الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٢٢٨ •

كما يصفه الحسن أيضا : " بين عينيه أثر السجود " .

وكان عمرو على جانب كبير من العلم والمعرفة . الا أنه كان مشهما في حديثه .  
وحيثما سئل يحيى بن معين عنه قال : لا يكتب حديثه وذلك لقوله بالقدر ، وجبسه  
للجدل حتى كان يقضى فيه الوقت الكثير مما هو مبسوط في بطون الكتب . (١)

ومن شهادة الحسن لعمرو تستدل على العلاقة الوثيقة بين الأستاذ وتلميذه  
وظلت هكذا حتى حدث ما ذكرناه من مسألة مرتكب الكبيرة وانحياز عمرو بعد مدة طويلة  
مع الحسن الى زميله واصل وذلك عقب جدال غيف بينهما .

ومع انحيازهم الى واصل تحدثا بعض الروايات أنه لم ينقطع بتاتا منها رواية  
الخطيب البغدادي : أن حميدا حدث أصحابه بحديث ، فقال عمرو : كان الحسن  
يقول : فلما قال عمرو هذا قال حميد لبعض أصحابه : لا تأخذ عن هذا ( أى  
عمرو بن عبيد ) شيئا فان هذا يكذب على الحسن . كان يأتي الحسن بعد ما أسن  
فيقول : يا أبا سعيد ، أليس تقول : كذا وكذا للشيء الذى ليس من قوله ، فيقول  
الشيخ برأسه هكذا . . (٢) . وهذا بالطبع يدل على العلاقة التى كانت بين  
التلميذ وشيخه مهما كانت درجة التبليغ عنه ، ومهما قال المحدثون فيه .

والتجربة التى خاضها واصل مع أستاذه أراد أن لا تتكرر مع عمرو فأرسل واصل  
اليه الرسالة التى عرفناها فيما سبق - الحديث عن واصل - مما يدل على اقتناع  
التلاميذ واقتناعهم برأى أستاذهم الحسن عليه رحمة الله تعالى .

أما آراء عمرو الكلامية فكان معظمها يوافق رأى زميله وصديقه واصل بن عطاء  
والقلة يخالفه فيها مثل : حكم مرتكب الكبيرة ففى رأيه أنه منافق كراى أستاذه الحسن  
البصرى مخالفا بذلك واصل لأنه يرى أنه فاسق . أو فى منزلة بين المنزلتين . ولكن  
واصلأ أخذ يحاج عمروا حتى أخذه الى جانبه وقال عمرو قوله المشهورة :  
" ما بينى وبين الحق من عداوة " ، كذلك كان عمرو يقول بالاختيار . (٣)

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٢٩٦ وما بعدها ،

وتاريخ بغداد للخطيب ج ١٢ ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ج ١٢ ص ١٨٠ .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ج ١٢ ص ١٨٦ .

ومن آرائه القاسية تفسيق بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين اشتروا  
في حرب الجمل وصفين . . ويختلفون عن زميله وأصل في أنه يعين ناسا بالذات  
كطلحة والزبير . . . ويستند عمرو في هذا على حديث يمتد أنه ورد عن الرسول  
صلى الله عليه وسلم . عن طريق الحسن شيخه وهو : " من حمل علينا السلاح  
فليس منا " (١) .

ويلتمس الدكتور الغرابي العذر لعمرو بن عبيد في حكمه هذا بسبب الحديث (٢)  
السابق . . ولكن الحق أقول : مهما كانت صحة الحديث لا يصح أبدا أن نحمله  
على هذا المعنى الذي تبادر إلى ذهن عمرو . من رمى أصحاب النبي صلى الله  
عليه وسلم بهذا الحكم القاسي لطلو مكانتهم من الدين . . خاصة وأن الرسول نهانا  
عن سبهم والخوض في شأنهم بالأذى . .

وإذا كان ولا بد من الرد بسبب الحديث فمستطوع أن نقول : إن هذا تهديد  
من الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو نحمل الحديث على المعنى الآتي : من  
حمل علينا السلاح — بغيا وعدوانا — فليس منا . — أما من حمله علينا رأيا واجتهادا  
فإن الحديث لا يعنيه — والله أعلم .

### ٣ — قتادة السدوسي :

قتادة السدوسي (٣) أحد تلاميذ مدرسة الحسن البصري الذين اشتهروا بتفسير

(١) هذا الحديث يكذبه المحدثون كما يروى ذلك الخطيب في تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٨١  
ولكن الإمام السيوطي في كتابه " الجامع الصغير " شرح المناوي يخرج به هكذا :  
(حمق ن ه ) عن ابن عمر .

(٢) تاريخ الفرق الإسلامية للدكتور الغرابي ص ١٢٥ .

(٣) قتادة هو : قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز . . بن سدوسي أبو الخطاب السدوسي  
البصري أحد الأئمة الأعلام حافظ مدلس . تلميذ الحسن البصري . وغيره من الأئمة  
الفضلاء مثل ابن سيرين ، وعمران بن حصين ، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم ، ولد سنة  
٦١ هـ وتوفي سنة ١١٧ هـ . وروى عن قتادة : أيوب السخيتاني ، وسليمان التميمي ،  
ومطر الوراق . . قال ابن المسيب : ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة . وقال ابن  
مهدي : قتادة أحفظ من خمسين مثل حميد . وقال أسلم ابن مسكين : حدثني  
عمر بن عبد الله قال : لما قدم قتادة على سعيد ابن المسيب فجعل يسأله أيا ما  
وأكثر . فقال له سعيد : أكل ما سألتني عنه تحفظه ؟ قال : نعم سألتك عن كذا  
فقلت فيه كذا ، وسألتك عن كذا فقلت فيه كذا . وقال فيه الحسن : كذا حتى رد  
عليه حديثا كثيرا قال قال سعيد : ما كنت أظن أن الله خلق مثلك . وكان يرمى  
بالقدر فكان طاوس يفر منه . ( يروى صاحب العقد الفريد ج ١ ص ٩٣ أنه قيل لطاوس :  
هذا قتادة يريد أن يأتبك قال : لئن جاء لأقومن ، قيل : انه فقيه ، قال : ابليس  
أفقه منه ، قال : رب بما أغويتني ، يريد أن ابليس رد الأقوال إلى الله تعالى . .

القرآن الكريم وكان — رحمه الله — متشبها بروح أستاذة الحسن • راويا عنه الكثير من آرائه في التفسير • وحتى يتبين لنا ذلك نذكر نموذجا من روايته عن شيخه الحسن كمال • في تفسير قوله تعالى : **وَاللّٰتِ يَٰٓأَتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِّنكُمْ فَأَن شَهِدُوا فَأَمْسَكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا** • واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما • إن الله كان توابا رحيمًا " (١) .

كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بالبينة المأدلة حست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت • وهذا الإمساك في البيوت كما قال القرطبي أول عقوبات الزناة • قاله عبادة بن الصامت • والحسن البصري • ومجاهد حتى نسخ بالأذى الذي بعده • فآذوهما — ثم نسخ ذلك بآية النور • وبالرجم في الثيب • وهل كان هذا الإمساك أو السجن حدا أو توعدا بالحد ؟ والأرجح الأول وهو أنه حد • كما روى ذلك عن ابن عباس والحسن البصري •

وحديث عبادة بن الصامت هو قوله : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي أشر عليه وكره لذلك وتغير وجهه فأنزل الله عز وجل عليه ذات يوم فلما سري عنه قال : خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا • الثيب بالثيب • والبكر بالبكر • الثيب جلد مائة ورجم بالحجارة والبكر جلد مائة ثم نفى سنة " (٢) .

فهذا هو السبيل الذي جعل الله لهن • الثيب جلد • ورجم • والبكر جلد وتفرسب هام • وقال بعض العلماء : ليس هذا الحكم نسخا للأول وهو السجن والأذى • لأن هذا الحكم — وهو السجن والأذى — كان ممدودا إلى غاية وهي آية " النور " والحديث الشريف مثل قوله تعالى : " ثم أتوا الصيام إلى الليل " (٣) • فإذا جاء الليل ارتفع حكم الصيام لانتهاء غايته لا نسخه • وهكذا الزاني والزانية يوفخان على فعلهما ويعدبان كما قال قتادة والسدي • أما ابن عباس فيرى النيل باللسان والضرب بالنحال • ومن جهة الحبس فيكون ذلك على ذمة التحقيق • وهذا أمر طبيعي بعد ضبط الجريمة = وأما قتادة فأنكر ذلك • وهو دليل على أنه كان يكرهه أنكارا القدر • لهذا زعم جماعة أنه متروك الحديث بسبب ما روى به • ولكن النقاد دفعوا هذا بأن ترك كل من نسب إليه بدعة يؤدي إلى ترك كثير من علمه • وفي ابن حبان • وابن سعد في الطبقات • (الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٢٢٩ — ٢٣١ • وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٥) .

(١) سورة النساء آية ١٥ ، ١٦ •

(٢) قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن البصري عن حطان الرقاشي — شيخ الحسن — عن عبادة بن الصامت قال • • • • • ورواه مسلم في صحيحه • وقال الترمذي : هذا حديث صحيح •

(٣) سورة البقرة آية ١٧٨ •

يقال للمجرم — قبل الحكم عليه — لما فعلت كذا ؟ يا كذا . . . والتطبيق العملي لهذا ما فعله الامام على كرم الله وجهه وهو أنه جلد شراحة المهدانية مائة ورجدها بعد ذلك ، وقال : جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بهذا القول : الحسن البصري والحسن بن صالح بن حنى واسحاق . . . (١) . وفي المسألة كلام كثير لا يحتمله المقام ، والمهم في هذا كله أن قتادة — رحمه الله — في تفسيره للقرآن الكريم كان يسير على منهج الحسن غالباً . وهو تتبع آثار السلف رضى الله عنهم .

#### ٤ — أبو عمرو بن العلاء :

أحد خريجي مدرسة الحسن البصري في علم القراءات واللفظة العربية وأحد القراء السبعة . وهو : زيان بن العلاء بن عمار . . ابن الحسين ابن الحارث المازني البصري كان زوني (٢) الأصل . . أسمر طوال — ولما هرب أبوه من الحجاج بن يوسف الثقفي سار معه الى مكة والمدينة . حيث قرأ القرآن الكريم كما قرأ أيضا على جماعة من الكوفة والبصرة ومنهم شيخنا " الحسن البصري " وكان على جانب من الزهد (٣) ، واتقان القرآن الكريم من جميع جوانبه . . . قال الأصمعي : قال لي أبو عمرو : لو تهيأ لي أن أفرغ ما في صدري في صدرك لفعلت . لقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعشى على حطها . ولولا أن ليس لي أن أقرأ الا فيط قرئ لقرأت كذا وكذا وذكر حرفا . وقال أبو عبيدة : كانت دقات رأسي عمرو على بيت الى السقف ثم تنسك فأحرقها وتفرد للعبادة وجعل على نفسه أن يختم في ثلاث ليال .

(١) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٨٢ ، ج ٨٨ ، ج ١٢ ص ١٦٠ ، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٦٢ ط عيسى الطبعي .

(٢) الدليل على تسميته زيان . ما رواه الحافظ أبو العلاء الهيمزاني أن الفرزدق جاء معتذرا من أجل هجو بلغه عنه فقال له أبو عمرو بن العلاء كما في نزهة الألباء للأبنباري ص ١٦ — ١٩ .

هجوت زيان ثم جئت معتذرا . . من هجو زيان لم تهجو ولم تدع

(٣) كان زوني : نسبة الى كان زون بلدة بفارس . ويبدو من هذا النص أنه لا يوثق بصروية أبي عمرو بن العلاء . ولكن الدكتور عبد الصبور شاهين في رسالة الماجستير التي كتبها عن " الأصوات في قراءة أبي عمرو بن العلاء " أثبت عرويته وأنه ليس في القراء السبعة عروبي صريح ، سوى أبي عمرو بن العلاء ، وجد الله بن عامر اليحصبي ، ثارئ أهل الشام ، والباقيون من الموالى .

أخذ عنه بعض كبار العلماء منهم : يونس بن حبيب البصري ، والخليل  
ابن أحمد ، وأبو محمد بن المبارك . ولد بمكة سنة ٦٨ هـ أو سنة ٦٩ هـ  
أيام عبد الملك بن مروان ، ونشأ بالبصرة وتوفي بالمكوفة سنة ١٥٤ هـ  
أو سنة ١٥٧ هـ أو غيرها .

قال أبو عمرو والأسدي : لما أتى نسي أبي عمرو الأسدي : أتيت أولاده  
فحزيتهم عنه فأنى لعمريهم إذ أقبل يونس بن حبيب فقال : نعتكم  
وأنفسنا بمن لا نرى شيئا له آخر الزمان (١) . . .  
رحم الله أبا عمرو تلميذ الحسن البصري وجزاه عن الأمة الإسلامية خير  
الجزاء .

#### ٥ — عيسى الشقي :

من طلاب مدرسة الحسن البصري أبو عمرو — وقيل أبو سليمان — عيسى بن  
عمر الشقي النحوي البصري صاحب كتاب الجامع والكامل في النحو .  
عرض القرآن الكريم على شيخه " الحسن البصري " وآخرين . ومن  
روى عنه الخليل بن أحمد وغيره .

قال القاسم بن سالم : كان من قراء البصرة عيسى بن عمر الشقي  
وكان عالما بالنحو غير أنه كان له اختيار في القراءة على مذاهب نصرانية  
يفارق قراءة الجماعة ويستنكره كثير من الناس . مات سنة ١٤٩ هـ  
وكان رحمه الله من شدة تمكنه في العربية يتقصر في الألفاظ ويحاول  
دائما أن يأتي بالفریب .

ونستدل على ذلك بما روى أنه لما ضربه يوسف بن عمر بن هبيرة  
في سبب ثياب استودعها قال : " ان كانت الأثيابا في أسيفاط  
قبضها عشاروك وذلك أن بعض أصحاب خالد بن عبد الله القسري أودعه  
وديمة فلما نزع خالد بن عبد الله عن إمارة العراق وتقدم مكانه يوسف بن عمر

(١) هذه الترجمة عن أبي عمرو من الكتب الآتية : ( نزدة الالباء في طبقات الأدباء  
لابن الأنباري ص ١٦ — ١٩ المتوفى سنة ٥٧٥ هـ ، وطبقات القراء للجزري ج ١  
ص ٢٨٨ ، ولطائف الاشارات لقنون القراءات للقسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣ هـ  
الجزء الأول ص ٩٥ تحقيق وتعليق الشيخ طبر السيد عثمان ، والدكتور عبد الصبور  
شاهين ) .

كتب الى واليه بالبصرة أن يحمل اليه عيسى بن عمر الشقي مقيدا فدعى به ودعى بالحداد وأمره بتقييده وقال : لا بأس عليك انما أراد الأمير أن يؤذّب ولده \* قال : " فط بال القيد اذن " \*

فبقيت مثالا بالبصرة فلما أتى به يوسف بن عمر سأله عن الود يمضى فأنكرها فأمر به فضرب بالسياط فلما أخذه السوط جزع فقال : أيها الأمير والله انما كانت أثيابا في أسيا فاط قبضها عشاروك " فرفع السوط عنه ووكل به حينئذ أخذ الوديعة منه \*

أما عن كتبه التي ذكرنا وهي الجامع والكامل في النحو فليس لهما أثر وفيهما يقول الخليل بن أحمد :

ذهب النحو جميعا كله \* غير ما أحدث عيسى بن عمر  
ذاك اكمال وهذا جامع \* فهما للناس شمس وقمر (١)

## ٦ - فرقد للـسـبـخـي :

وهذا تلميذ آخر من مدرسة الحسن البصري تخصص في " معاني الزهد " وهو : فرقد بن يعقوب السبخي من كبار زهاد المسلمين في عهد الحسن الذين اشتهروا بكثرة العبادة لله تعالى \* وقد تحدث الدكسي مصطفى الشبيبي العالم العراقي عن هذه الشخصية فحقق اسمه السبخي لا السنجي كما كان يقول ذلك بعض الباحثين \* وتتبع هجرة " فرقد " من الكوفة الى البصرة \* (٢)

وفي البصرة التقى - فرقد - بضالته المنشودة " الحسن البصري " وهذا هو الذهبي يصف لنا هذا اللقاء بين فرقد والحسن : فقد دخل على الحسن فقال : السلام عليك يا أبا سعيد ، فقال الحسن : من هذا ؟ قالوا : فرقد ، قال : من فرقد ؟ قالوا : انسان يكون بالسبخة \* قال : يا فرقد ، ما تقول فيمن يأكل الخبز ، قال : لا أحبه ،

(١) نزهة الألبا لابن الانباري ص ١٣ - ١٥ ، وطبقات القراء للجزري ج ١ ص ٦١٣ والقراءات الشاذة وتوجيهها عند العرب للشيخ عبد الفتاح القاضى ص ١٤ \*

(٢) الصلة بين التشيع والتصوف لـ الشيخ الشبيبي ج ١ ص ٣٠١ - ٣٠٣ \*



ولا أحب من يحبه • ولا أتولاه • نقل الحسن : أترونه مجنوناً • (١)  
وكل الحسن — رحمه الله — غضب من منهج فرق في حياته وأراد أن يعطيه  
دروساً في كيفية الحياة الصحيحة التي لا شطط فيها • فقبل الحسن صحبته وأخذ  
يستمع إلى ما يعرفه خاصة وأن فرقاً كانت لديه نزعة قصصية اسرائيلية أو مسيحية  
كما كان منتشراً في ذلك العهد مما أعرض عنه رجال الحديث •

يذكر ابن الجوزي أنه أسند عن أنس بن مالك ، وسمع من كبار التابعين وشغله  
التعبد والتقاني في ذكر الله عز وجل عن حفظ الحديث (٢) •

اشتد فرق في زهده حتى امتنع كثيراً عن الطعام مع وجود أستاذه الحسن •  
ما اشتهر بفكرة " الجوع " الذي كان سمة لبعض المباد والزهاد بالشام الذين  
أطلق عليهم " الجوعية " قائلين في ذلك : " ويل لذي البطن من بطنه ، إن أضعفه  
ضعف وإن أشبعه ثقل " (٣) • ومع زهده وورعه كان ناقداً للحكام كما كان يفهم  
أستاذه الحسن بالحكمة واللباقة • ومن أقواله في ذلك : " إن ملوك بني اسرائيل  
كان يقتلون قراءهم على الدين ، وإن ملوككم يقتلونكم على الدنيا ، فدعوهم  
والدنيا " (٤) •

وحمل فرق — رحمه الله — فكر الحسن من ناحية الوعظ والارشاد والنصح  
للأمة فكان يقول — ويضع كلامه على لسان عيسى بن مريم : " طوبى للناطق في آذان  
قومه يسمعون كلامه ، وأنه ما تصدق رجل بصدقة أعظم أجراً عند الله تعالى ، من  
موعظة قوم يصيرون بها إلى الجنة " • ودعا الناس إلى عصم أنفسهم عن الذنوب  
فكان يقول : " اني رأيت والله في المنام كأن منادياً ينادي من السماء : يا أشباه  
اليهود ، كونوا على حياء من الله عز وجل " • وقد اشتهر فرق بلبس الصوف مما يراه  
من تكالب الناس على لبس الشيايب الفاخرة وقد دعى يوماً هو وشيخه الحسن  
إلى طعام ، وكان على فرق جبة صوف فقال له : يا فرق : لو شهدت الموقف  
لحرقت ثيابك ، ما ترى من عفو الله تعالى • وكان الحسن البصري كما يقول الدكتور  
النشار يعود هنا إلى الايمان " بالحق " الإلهي والرحمة الإلهية ، وهو الذي  
طالب به دود الناس لفاحش أعمالهم ونكسة أخلاقهم بالمذاب الإلهي • والنار المحرقة (٥) •

- (١) ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي ج ٣ ص ٣٤٦ •
- (٢) صفة الصفة لابن الجوزي ج ٣ ص ١٩٦ •
- (٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج ٣ ص ٤٦ •
- (٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٦ — ٤٧ •
- (٥) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام للدكتور النشار ج ٣ ص ٩٤ — ١٩٨ •

وكثيرا ما كان الحسن ينهى فرقدا عن أمور لا تمت الى الدين بصلصة خاصة اذا كانت من ناحية الشكل والمظهر مثل لبس الصوف والأخص اذا كان متممدا .

ويذكر ابن الجوزي — رحمه الله — أن فرقدا أتى الحسن ، فأخذ الحسن بنكسائه ، فمد اليه وقال : يا فريقد ، يا ابن أم فريقد : ان البر ليس في الكساء ، وانما البر ما وقر في الصدر وصدقه المحل . كما يذكر أيضا أن حماد بن سلمة قدم البصرة فجاءه فرقدا وعليه ثياب صوفى فقال له حماد : دح عنك نصرانيتك هذه ... (١) .

#### ٧ — حبيب المعجمي :

اذا كان فرقدا السبخى السابى اشتهر في مدرسة الحسن بالزهد . فان حبيب بن محمد المعجمي أو الفارسي لا يقل عنه أهمية ويكفى أن الذهبي سماه " زاهد البصرة في زمانه " (٢) . ويذكر لنا صاحب الحاشية وغيره كيف اتصل حبيب بالحسن البصري . كان الرجل يأتي الى المسجد ويجلس في المكان " الذي يأتيه فيه أهل الدنيا والتجار " بينما الحسن البصري يتخذ مجلسه الوعظي في المسجد . وكان حبيب الفارسي لا يأبه بالحطة ، وغير متعب الى الحسن الى أن حدث يوما أن التفت الى الحسن وسأل بعض أصدقائه بالفارسية : " أين بيرهي ورايد حكويد " ( أى ما يفعل هذا ؟ ) فأجابه أصدقاؤه " والله يا أبا محمد : يذكر الجنة ويرغب فيها ويزهّد في الدنيا " فوثر ذلك في قلبه وقال بالفارسية أيضا : ما معناه : " اذهبوا بنا اليه " فأتاه فقال أصدقاؤه الحسن له : يا أبا سعيد ، هذا أبو محمد حبيب قد أقبل اليك فمظه . وسأل حبيب بالفارسية : أين هي كوى جكوى . معناه ( ايش يقول ؟ ) فقالوا له هذا الرجل يقول : ايش يقول . فأقبل عليه الحسن بمواعظه الخلابة الحميقة ، يذكر الجنة ونعيمها ويرغبه في الخير ويخوفه بالنار ويزهده في الشر . فقال حبيب : أين كوى : فقال الحسن : أناضامن لك الجنة (٣) .

(١) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١٩٥ .

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٤٥٧ .

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٦ ص ١٤٩ - ١٥٠ ، وصفة الصفوة لابن الجوزي ج ٣ ص ٢٣٦ .

وليست هذه هي الرواية الوحيدة التي تحكى صلة حبيب بالحسن • ولكن هناك روايات أخرى •

المهم أن الرجل أقبل على شيخه الحسن البصري واضعاً دنياه وراء ظهره وأصبح في جملة الخائفين بدليل قول صاحب الحلية • " كان حبيب أبو محمد رقيقاً ، من أكثر الناس بكاءً ، فبكى ذات ليلة " فقالت له زوجته : عمرة بالفارسية ، وقد كانت هي فارسية أيضاً : لم تبك يا أبا محمد ؟ فقال لها حبيب بالفارسية : " دعيني فاني أريد أن أسلك طريقاً لم أسلكه من قبل " (١) •

وهكذا سلك حبيب طريق الله تعالى وجاءه نفسه في العبادة حتى ثبتت قدمه وتويت روحه وكثرت الروايات عنه في هذا المضمار بما يضاف إلى استاذة الحسن أن لم يفوقه • مثل رواية ابن عساكر التي تحكى هروب الحسن من الحجاج إلى بيت حبيب وقال له — أي لتلميذه — " يا أبا محمد : احفظني الشرطي على أثري • فقال له حبيب : استحييت لك يا أبا سعيد • ليس بينك وبين ربك الثقة • ما تدعو فيسترك من هؤلاء ، ادخل بيتي • فدخل الشرطي على أثره وألوا حبيباً : " يا أبا محمد • دخل الحسن هنا ؟ فقال : بيتي فادخلوا • (٢)

وهذا هو الهجوم يردد هذه الرواية على صورة أوسع يعجب لها الانسان ولا يكاد يصدقها حتى وصل الأمر إلى أن قال الحسن لتلميذه : " أنا أعلم أن الله سترني ببركته ولكن لم أخبرتهم أني هنا فقال له حبيب : انهم لم يعموا عنك ببركتي ولكن ببركة الصدق " (٣) •

ثم نرى الدكتور احسان عباس يعلق على هذه الحادثة بقوله : " ان الحسن لجأ الى حبيب لجوء الرجل الدنيوي الى صاحب الحقة " (٤) • والواقع — كما اعتقد — أن مثل هذه الرواية فيها الكثير من المبالاة بما لا يتفق وطبيعة الحسن وما عرفناه سابقاً من صراحته في الحق وشدة ايحائه بربه • • • فلا نستطيع أن نقول هذا بهذه البساطة • وان كنا في نفس الوقت لا ننزع وصول هذا التلميذ الى درجة عالية من الزهد والتصوف والعبادة الدائمة لله رب العالمين • وكل ميسر لما خلق له •

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج ٦ ص ٥٤

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٠

(٣) كشف المحجوب للهجویری ص ١٨

(٤) الحسن البصري للدكتور احسان عباس ص ١٢

وإذا كان فرقد السابق متروك الحديث في رأى الكثير من المحدثين فان حبيباً كان على العكس مقبول الحديث .

وهذا هو الامام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم يذكره بدون تجريح . بل ذكر أنه روى عن الحسن وأبى تيمية السهيمى وروى عنه حماد بن سلمة وجعفر بن سليمان يزيد بن يزيد الخثعمى . ليس هذا فقط بل نرى أيضاً أن الذهبى — رحمه الله — يبرئه من الكذب ويذكر أن البخارى روى له فى كتاب الأدب ويقول : " وما علمت فيه جرحاً وانما ذكرته هنا لكلا يلحق بالزهاد الذين يهتمون فى الحديث وان كان يقول فى موضع آخر : " ان غالب ما عنده الحكايات " (١) .

والحق يقال ان حياة حبيب كما يقول الدكتور النشار لم تصب بشائبة ، دخل باب العبادة ووصل أوجها ، ولم يشغل بقلقه ، وحين حدث ، لم يهتم — كما قال الذهبى ناقد الرجال المشهور — ولم يبتدع كما كان يفعل الزهاد فيما بعد ، يضمنون الحديث لتبرير زهدهم (٢) .

## ٨ — مالك بن دينار :

من تلاميذ الحسن كذلك مالك بن دينار ويكنى أبا يحيى ، مولى لامرأة من بنى سلمة بن لؤى . نشأ أبى أمره يروى العلم عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كأنس بن مالك رضى الله عنه . وفيما يروى عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه مر ليلة أسرى به على قوم تقرض شفاهم بمقاريض من نار ، فقال من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به . الى غير ذلك من الأحاديث التى تهز النفس وتجبرها على الخضوع لله تعالى . ثم أقبل مالك رحمه الله على مجالس الحسن البصرى وغيره وكان الحسن بالذات يملك عليه فؤاده حتى أقبل بكلية على الله تعالى . وترك ما عداه . والأخبار فى ذلك كثيرة يعجب لها طلاب الدنيا وزينتها .

ومما يدل على صلته الوثيقة بأستاذه الحسن والاستفادة من علمه وتجاربهم أنه لما وقعت الفتنة أتى مالك الحسن البصرى يسأله : يا أبا سعيد : ما تأمرنى ؟

(١) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم — القسم الثانى من المجلد الأول ص ١١١ وطبعها ، وميزان الاعتدال للامام الذهبى ج ١ ص ٤٥٢ .

(٢) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام للدكتور النشار ج ٣ ص ٢٠٩ .

فلا يجيبه الحسن ، وتردد عليه ثلاثة أيام يسأله ، والحسن على موقفه ، ثم قال له مالك : يا أبا سعيد أتيتك ثلاثة أيام أسألك وأنت معلى فلا تجيبني ؟ والله لقد هممت أن آخذ الأرض بقدمي وأشرب من أفواه الأنهار وأكلى من بقل البرية حتى يحكم الله بين عباده ، فأرسل الحسن عينيه باكيا ثم قال : يا مالك ومن يطيق ما تطيق لكما والله ما تطيق هذا . فقد اعترف الحسن في هذه الرواية لتلميذه مالك بأنه أقدر منه على هجرة المألوفات والفرار بالدين من الفتن .

ومن أجل هذا كان وعظه في البصرة له تأثير كبير في النفوس كشيخه الحسن . وهذه بعض الأمثلة من كلامه الطيب الذي يدخل القلب بلا استئذان . قال رضى الله عنه : " غرأت في التوراة : أيها الصديقون : تنحموا بذكر الله في الدنيا ، فإنه لكم في الدنيا نعيم ، وفي الآخرة جزاء عظيم " ، " مثل المؤمن مثل اللؤلؤة أينما كانت حسنها معها " . . . .

وهكذا عاش مالك بن دينار على صلة قوية بالله تعالى حاملا فكر الحسن وزهدا إلى الأمة متزودا بخير الزاد " وتزودوا فان خير الزاد التقوى " توفي رحمه الله سنة ١٣١ هـ (١) .

## ٩ — شعبة بن الحجاج :

وهذا تلميذ من مدرسة الحسن البصري اشتهر برواية الحديث عن الحسن وغيره . واسمه : شعبة بن الحجاج بن النور المكنى ، الأزدي الواسطي ، المكنى بأبي بسطام . نزيل البصرة ومحدثها ، وعالمها ، أمير المؤمنين في الحديث . . . . . مولى للأشافرة ، كان ثقة مأمونا ثبتا صاحب حديث حجة ، كان أكبر من الثوري بعشر سنين ، وكان صواما قواما طابدا راويا للشعر كما ذكر ابن سعد في الطبقات .

وكان يتحرج كثيرا من رواية الحديث خوفا من أن يتفق حديثا مكذوبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل في الحديث المتواتر : " من كذب على مقصدا فليتبسوا مقعده من النار " .

(١) طبقات القراء للجزري ج ٢ ص ٣٦ ، وميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٣٢٧ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ٣٦٧ وما بعدها ، وصفة الصفوة لابن الجوزي ج ٣ ص ٢٠٥ وما بعدها .

لهذا روى عن شعبة أنه قال : ما أنا مفتخر علوي ، أخاف أن يدخلني النار غيره ، يعني الحديث . لذا كان يتشدد مع الكذابين ففى الحديث . . . رأى شعبة أنس بن مالك وسمع كثيرا من التابعين . وثقه ابن سعد ، والمجلى ، وابن معين ، وابن خنبل ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم واحتج به الأئمة كلهم . قال ابن خنبل : كان إليه المنتهى فى التثبت . وقال النسائي : لولا شعبة لما عرف الحديث بالمراف ، وكان فى الرجال ، ومصره بهم نسخ وحده . ومثل هذا قال الشافعى . . .

روى عن أنس بن مالك ، والحسن البصرى ، وابن سيرين وغيرهم وروى عنه سفيان الثورى ، وابن المبارك وغيرهم .

وتوفى شعبة بن الحجاج بالبصرة فى أول سنة ١٦٠ هـ وهو ابن ٧٥ سنة (١) .

#### ١٠ - أيوب السختياني :

هو : أيوب بن أبي تميمة . . . السختياني . ويكنى أبا بكر مولى لمنزلة ، ويقول عنه ابن سعد : كان أيوب ثقة ثبتا فى الحديث جامعاً عدلاً ورعاً كثير العلم حجة . ولد أيوب رحمه الله سنة ست وثمانين .

قال ابن سعد : حدثنا مومن أبو عبد الله قال : كنا عند الحسن وعنده أيوب فسأله عن شيء ثم قام فاتبعه الحسن بعده حتى إذا كان حيث لا يسمع أيوب قال : ( هذا سيد القتيان ) .

كلمة الحسن هذه فى أيوب تعتبر شهادة عظيمة لتلميذه المجتهد أيوب . لها قيمتها وأهميتها .

نظر أيوب إلى المجتمع الذى عاش فيه فوجد أنه تسان فى الدنيا وأمام ذلك مجموعة من الزهاد لبسوا الصوف يظهر من حالتهم أنهم نساء لكنه لسم يحجبه المشهر — كأستاذ الحسن — بقدر ما يحجبه المضمون . فلبس الثياب

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٢٨٠ — ٢٨١ . . .  
والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج ١ ص ٢١ . . .  
وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٩١ . . .

الجسدة التي يحكم على صاحبها بأنه بعيد عن النسك لدرجة أن حماد بن زيد — من عباد البصرة — يقول : " لو رأيتم أيوب ثم استسقاكم شربة على النسك ، لما سقيتموه " .

ومن أقواله : " ان قوما يريدون أن يتواضعوا ، وأبى الله إلا أن يرفعهم " ، " لا ينبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان . العفة عما في أيدي الناس . والتجاوز عما يكون منهم " . وكان يتحلل الأذى كاستاذة الحسن ويظهر ذلك في قوله عن رجل أذاه " اني لأرحمه . انا نظارقه وخلقه معه " .

وكان من خلقه اخفاء الحسنات كما يخفى أحدنا السيئات . يقسم عبد الواحد ابن زيد أنه قد عطش يوما وكان مع أيوب . فنفذ غرب أيوب الأرض فخرج الماء وشرب عبد الواحد بن زيد غايمة ما في الأمر أن أيوب طلب منه أن لا يتحدث بذلك وهمو حتى .

وكان راويا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم : يقول معمر : وانه ليحضر علي أن أسمع لأيوب حديثا لم أسمعه منه .

توفي رحمه الله في المعاون بالبصرة سنة ١٣١ هـ وهو يومئذ ابن ٦٣ سنة (١) .

#### خلاصة الحديث عن تلميذ الحسن ومدرسته :

ان الحديث عن تلميذ الحسن البصري ومدرسته يطول لأن كل خريج يحتاج الى رسالة كاملة .

ومن هذا المرض السريع لبعض النماذج الذين تخرجوا من هذه المدرسة مع شىء من أفكارهم المأخوذة عن الحسن البصري نرى أنماطا متعددة مثل قتادة الذي اشتهر بالتفسير ، وعيسى الثقفي الذي عرف بالنحو والعربية ، وأبو عمرو بن الحلاء الذي اشتهر بالقرآت ، وواصل بين علماء ، وعمرو بن عبيد اللذان عرفا بالكلام ، وشعبة بن الحجاج بالحديث ، وفرقد ، ومالك ، وأيوب بالزهد

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٢٤٦ — ٢٥١ .  
وصفة الصفة لابن الجوزي ج ٣ ص ١٨٤ — ٢١٧ .

وهكذا نرى أن هذه المدرسة قد خرجت الكثير من عمالقة الفكر والزهد  
والدعوة في الإسلام • الذين تركوا أثرا لا يمحي مدى الزمان •

وهناك الكثير من تلاميذ الحسن ومدرسته لا يفلون أهمية عما ذكرناه مثل :  
جويريه بن بشير الهجيمي البصري ، ويونس بن عبيد ، وسلام بن سليمان الطويل ،  
وعاصم الجحدري ، ومحمد بن واسع ، وصالح بن بشير الموصلي ،  
وعبد الواحد بن زيد ، ومطر الحراق ، ومديل بن ميسرة العقيلي ، وأبو محمد  
ثابت بن أسلم البناني وغيرهم وغيرهم ممن ي طول المقام بذكرهم • رحمهم الله  
رحمة واسعة وحشرنا معهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر • انه سميع مجيب •



## أنماط من الفكر عند الحسن البصري

في الفصل الأول من الباب الثالث وهو الذي يتشعر في فكر الحسن من معظم جوانبه ألقينا الضوء على معنى الفكر وأهميته للمجتمع • مستشهدين على هذا من القرآن والسنة • ثم بينا بعض النماذج من حملة فكر الحسن إلى الأمة • وهم طلاب مدرسته الكبرى • من بيان لبعض هذه الأفكار التي تأثروا بها بسبب تلامذتهم للحسن البصري - رحمه الله - • ثم بعد هذا - وفي الفصل الأول أيضا - نذكر أنماطا من الفكر عند الحسن لنبرز بهذا شخصية الرجل على حقيقتها • ههنا الشخصية التي تربت على تراث أسلاف الصالح • رضى الله عنهم • والطبع لن نستطيع حصر جميع أفكاره • لأننا نحكي هذا نصص كل ما جاءت به قريحته في القراءات ، والتفسير ، والسنة النبوية ، والفقه ، والزهد ، والمقائد ، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى الخ ...

وهذا غير ميسور في رسالة معدودة لها غلطاتها التي التزمت بالسير عليها • وعلى هذا فنشهر - بإذن الله تعالى - أهم أفكار الحسن في جوانبه المتعددة من القراءات ، والتفسير ... مستفيدين ثوبا من ذكره بما وعظناه سابقا عن الحسن وعصره إذا اقتضى المقام ذلك وبالله التوفيق ومنه المون •

### أ - في القراءات :

#### تمهيد :

ان خير ما يجب أن يهتم به المسلم في حياته هو القرآن الكريم قراءة ، وتدبرا وعملا • كتاب الله تعالى المنزل على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم • المتعبد بتأويله ، المجزأ بقصر سورة منه • المنقول إلينا بالتواتر المفيده للقطع واليقين المكتوب في المصاحف من أولى سورة " الفاتحة " إلى آخر سورة " الناس " •

أحكمه الله فأنتن أحكامه ، رفعله فأحسن تفصيله • وصدي الله : " كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير " (١) •

(١) سورة هود آية رقم ١ •

لا يتطرق الى ساخته نقص ولا ابطال وصدق الله حيث يقول : " وانه لكتاب  
كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (١) .

هذا الكتاب السماوى الذى مهما تماقبت عليه الأجيال والسنون لا يزداد الا  
جدة وطرافة . . . ولا يزال غضا طريا كما أنزل ، وكلما تقدمت العلوم والمعارف الانسانية  
تكشف للناس منه العجب العجيب . وصدق الله حيث يقول : " سنريهم آتاء فى الآفاق  
وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد " (٢) .  
بلى . . . وأنما على ذلك من الشاهدين . وقد بلغت غاية الأمانة الاسلامية بهذا  
القرآن مبلغا جعلتهم يهتمون به اهتماما كبيرا وذلك بدراسته من جميع نواحيه  
وتظهر هذه الدراسة فى مؤلفاتهم المختلفة عنه ، وكما قال الدكتور أبو شهبه . .  
فمنهم من ألف فى تفسيره ، ومنهم من ألف فى رسمه ، وقراءاته ومنهم من ألف فى استنباط  
الأحكام منه ومنهم من ألف فى ناسخه وفسخه ، ومنهم من ألف فى أسباب نزوله ، ومنهم  
من ألف فى اعرابه ، ومنهم من ألف فى قصصه ، ومنهم من ألف فى تناسب آياته  
وسوره الخ . . . (٣) . ورحم الله الدكتور دراز القائل : " اذا كان القرآن بعيدا  
عن أى عامل خارجى — قد تأثر بصفة دائمة على عقل جد مختلفة فاليد أن يكون  
ذلك راجعا الى ما له من جاذبية خاصة بتوافقه الكاملى مع أسلوب الناس القاطن  
فى التفكير والشعور . واستجابته لما تتطلع اليه نفوسهم فى شئون العقيدة والسلوك ،  
وبوضعه الحلول الناجعة للمشكلات الكبرى التى تعلق بالهم . ومعنى آخر لابد أنه  
ينطوى على ما يشبع حاجتهم الى الحق والخير والجمال بما يجمع من صفات العمل  
الدينى والأخلاقى والأدبى فى آن واحد " (٤) .

ولأهميته القصوى للبشرية يسر الله قراءته فقال : " ولقد يسرنا القرآن للذكر  
فهل من مذكر " (٥) هذا التيسير انما يكون اذا استطاع المدد الكبير فى البشرية  
تلاوته وتدبره . وهذا ما حدث بالفصل فقد استطاعت جميع القبائل فى الجزيرة العربية  
وغيرها قراءته بلسانها المختلفة غاية ما فى الأمر أن هذا كله فى اطار اللغة العربية  
التي نزل بها القرآن الكريم ، والتي لا يبلغ الإعجاز أو التحدى الا بها .

- 
- (١) سورة فصلت آية (٤١ — ٤٢) . (٢) سورة فصلت آية ٥٣ .  
(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم للدكتور محمد محمد أبو شهبه ص ٤ — ١١ .  
(٤) مدخل الى القرآن الكريم — عرض تاريخى وتحليلى مقارن — للدكتور محمد عبد الله  
دراز ص ٧٠ . ترجمه لأول مرة عن الفرنسية الأستاذ محمد عبد العظيم على  
وراجعه الدكتور السيد محمد بدوى . طبع دار القرآن الكريم بالكويت — الطبعة  
الأولى ١٣٩٤ هـ — ١٩٧١ م . (٥) سورة القمر آية رقم ٣٢ .

ومن هذه اللهجات المختلفة التي كانت لها السيادة على غيرها لهجة قريش .  
هذه اللهجة التي جعلت الكثير من العلماء يقول بأن القرآن الكريم نزل بلفظة  
قريش ولهجتها . وليس معنى هذا أنه أغفل اللغات واللهجات الأخرى . بالطبع  
لا لأن الواقع يبين لنا وجود لهجات متعددة في القرآن . ولكن اللغة القرشية  
هي النموذجية لأنها تتسع للهجات العرب الأخرى .

ذلك حتى يتم الإعجاز والتحدى ، وسهولة حفظه ، وتلاوته ، وتدبره من أجل  
هذا حدث الالتباس بين بعض العلماء بسبب ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم .  
" أن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف " .

وقبل أن نزيل هذا الالتباس نحب أن نبين بأن الحديث بالنظر إلى رواياته  
المتعددة " متواتر " كما يقول الامام " أبو عبيد القاسم بن سلام " . فقد رواه من  
الصحابة : أبي بن كعب ، وأنس بن مالك ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ،  
وسمرة بن جندب ، وسليمان بن صرد ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعبد الرحمن بن  
عوف . . . حتى عد أحدًا وعشرين صاحبًا (١) . كما روى هذا الحديث برواياته  
البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والامام أحمد بن حنبل في مسنده ، والطبري ،  
والطبراني . . .

هذه الروايات كلها تدل على تيسير حفظ القرآن الكريم وتلاوته . . . بالإضافة  
إلى الآية الكريمة التي ذكرناها . كما تدل على مظاهر الرحمة والنعمة وحرص الصحابة  
— رضي الله عنهم — البالغ على كتاب الله تعالى الذي لا كتاب بعده إلى أن يرث  
الله الأرض ومن عليها . .

أما الالتباس الذي وجد — بين بعض العلماء — بسبب هذا الحديث فقد فهموا  
أن الأحرف السبعة هي القراءات السبعة . وعلى هذا فغير القراءات السبعة — في  
ضوء هذا الفهم — لا يصح أن يقرأ بها الإنسان . وهذا ما لم يقل به معظم العلماء .  
واختلف في هذا الموضوع إلى وجوه أو صلها . بعض العلماء إلى أربعين وجهًا (٢) .

وذكر هذه الآراء ومناقشتها والخروج منها برأي ترتاح إليه النفس ما يبعدنا  
عن منهج الرسالة الذي نحن بصدده . ويكفي أن نشير فقط إلى أهمها فنقول :

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٤٥ ، وتفسير القرطبي ج ١ المقدمة .

(٢) الاتقان للسيوطي ج ١ ص ٤٥ وما بعده .

١ - ابن قتيبة يرى أن الأحرف السبعة : المراد منها الوجوه التي يرجع اليها اختلاف القراءات وعددها سبعة بالفعل ، وقد أيد رأي ابن قتيبة الشيخ محمد نجيب المطيع ، والدكتور إبراهيم أنيس ، وراضه ابن عبد السميع الذي يرى أنها سبعة أوجه من المعاني المتفقة . بالألفاظ المختلفة . . (١)

٢ - والطبري يرى أنها سبع لغات مؤيدا رأيه بأحكام بعض الصحابة - حينما اختلفوا في قراءتهم - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأقرار الرسول لهم جميعا . (٢)

٣ - أبو حاتم السجستاني ويرى أنها سبع لغات وعينها . (٣)

٤ - أبو شامة يرى أنه نزل أولا بلغة قريش ومن جاورهم ثم أبيع للحرب بعد ذلك (٤) .

٥ - الفخر الرازي يرى أن الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف وذكرها (٥) .

هذه هي أشهر الآراء التي ذكرت في معنى السراء بالسبعة أحرف التي نزل بها القرآن والمذكورة في حديث الرسول السابق .

والمهم في ذكر هذه الآراء أن نحرف بأن أعداء الإسلام من معظم المستشرقين ينتهزون فرصة أي رأي شاذ يبتذلونونه مظهرين - في حراسة - بأن هذا الرأي هو الصواب لأنه يخدم هدفهم الذي يسمون إليه وهو التشكيك في النص القرآن مصدر الإسلام .

### مصدر القراءات :

هذا الاختلاف في القراءات جعل بعض المحدثين يتابعون المستشرقين في كون القراءات السبع ليست من الوحي في قليل ولا كثير وليس فكرها كافرا ولا فاسقا ،

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٨ وما بعدها ، والكلمات الحسان في الحروف

السبعة للشيخ محمد بخيت المطيع ص ٥٨ ، واللهجات العربية للدكتور

إبراهيم أنيس ص ٣٨ .

(٢) تفسير الطبري ج ١ ص ١٥ .

(٣) لطائف الاشارات في فنون القراءات ج ١ ص

(٤) المرجع السابق ج ١ ص

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم النجاشي - مطبعة

الطبي ص ١٤٨ .

ولا مفتنزا في دينه وانما هي قراءات صدرها اللهجات .. (١)

ومن هؤلاء المستشرقين " جولدتسيهر " في كتاب " مذاهب التفسير الاسلامي " وآثر جفري في مقدمة كتاب " المصاحف " لابن أبي داود . وغيرهما ولكن الله تعالى قبض لهذه الآراء الضالة من يرد عليها ويظهر خبثها مثل الدكتور محمد أحمد الغمراوي الذي رد على الدكتور طه حسين في أدب ونقد هادي ومنه على سبيل المثال كما قال الدكتور الغمراوي : " تناول صاحب الكتاب — في الأدب الجاهلي — بمد ذلك مسألة القراءات في القرآن واعترف قبل أن يتناولها بأنه لم يكن لديه وقت لفحصها وهذا يجعل تناوله اياها على الصورة التي تناولها بها أشبه بالتهجم منه بالبحث والا فلما لنا لم ينتظر حتى يكون لديه الوقت الكافي والمعلومات اللازمة لفحصها وبحثها على الوجه اللائق فيصدر فيها عن علم ويكتب عن بصيرة ؟ .. (٢)

وهناك أيضا ممن ردوا على الدكتور طه حسين من العلماء الأجلاء أمثال الشيخ محمد الخضر حسين ، والأستاذ محمد فريد وجدي ، والأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، والأستاذ محمد حسين وغيرهم .

ونتيجة لهذه الآراء الشاذة نرى بعض الرسائل الجامعية تتعرض لهذه الموضوع بشطط . مثل : رسالة الماجستير للطالبة تفريد السيد غبر تحت عنوان : " دراسة في أصوات المد في التجويد القرآني " التي تقدمت بها الى قسم اللغة العربية في كلية آداب الاسكندرية باشراف الدكتور حسن عون . وفي هذه الرسالة تحاول الباحثة أن تجعل القرآن الكريم — وهو أصل الأصول الاسلامية — كأي بناء لغوي منطوق يكون صورة أدائية تتغير بتغير الزمن ، ولا يحق هذا التفسير عوامل التقديس . . . ولكن الله تعالى الذي تولى بنفسه حفظ كتابه وفق أحد العلماء المخلصين الى تنفيذ هذه الآراء الشاذة الموجهة في الرسالة المذكورة والرد عليها بما لا يحتمل النفض . (٣)

- (١) في الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين ص ٩٥ — ط دار المعارف بمصر .
- (٢) النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي للدكتور محمد أحمد الغمراوي للرد على الدكتور طه حسين .
- (٣) مزاعم حول قراءات القرآن في رسالة أصوات المد في القرآن الكريم للشيخ محمد الصادق عرجون عميد كلية أصول الدين وقت كتابة هذه المزمع ١٣٨٦ هـ —

ثم يجيء الدكتور عبد المال سالم على فيرد على آراء هؤلاء المستشرقين ومن يسير في فلكهم — من المسلمين — ويقولون أن : " القراءات ليس مصدرها هذه اللهجات العديدة وإنما مصدرها قراءة النبي صلى الله عليه وسلم " (١) . بدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما ، بسندهما عن ابن شهاب الزهري قال : أخبرني عروة بن الزبير ، أن السور بن مخرمة ، وعبد الرحمن بن عبد القاري أخبراه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة "الفرقان" في حياة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة ، لم يقرأ بها رسول الله ، فكنت أساوره — أي أواثبه وأمسك به — في الصلاة فتصيرت حتى سلم ، فليسته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : كذبت — أي أخطأت بلغة الحجاز — فإن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به ، أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : اني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أرسله ، اقرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت ، ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت ، ان القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فأقرأوا ما تيسرونه " (٢) .

وهذا ما أعده ، وأقتض به ، وأدين الله عليه .

#### القراءة الصحيحة والمأذنة :

لقد وضع ابن الجزري مقياساً به نعين القراءة الصحيحة من القراءة المأذنة

(١) أثر القراءات في الدراسات النحوية للدكتور عبد المال سالم ص ٣٦ وما بعدها  
(٢) فتح الباري لابن حجر ج ٩ ص ١٩ وما بعدها ، وشرح النووي على صحيح

وهذا المقياس أجمع عليه علماء القراءات تقريبا . ألا وهو : " كل قراءة وافقت المربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف الثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يطل انكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ومتى اختلف ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليه ضعيفه ، أو شاذه ، أو باطله سواء كانت عن السبعة أم عن غيرهم أكبر منهم . . . " (١)

من هذا القول لابن الجزرى نعلم بأن كثيرا من القراءات غير السبع التي اتفق على تواترها وصحتها . تكون من الأحرف السبعة مادام المقياس موجودا . .

والآن بعد هذا العرض السريع فى علم القراءات نجد أنفسنا فى اشتياق الى معرفة فكر الحسن البصرى فى القراءات فى ضوء هذا الخضم من الآراء والأفكار القديمة والحديثة . . حتى تتبين لنا قيمة الرجل وعظمته . .

### قراءة الحسن :

عرض الحسن البصرى القرآن الكريم على شيخه حطان الرقاشى ، عن أبى موسى الأشعرى . . وعرضه أيضا على أبى العالية عن أبى بن كعب وزيد بن ثابت وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم .

---

(١) النشر فى القراءات الحشر لابن الجزرى ج ١ ص ٩ ، ومجد المفسرين ومرشد الطالبين له أيضا ص ١٥ .

وإذا كان الحسن تلميذا أخذ القراءة عن أكابر العلماء فقد كان أستاذا كذلك  
قرأ عليه نخبة ممتازة من العلماء الأجلاء كما عرفنا فيما مضى .

ثم نجد أن الهذلي أسند قراءته من رواية ابن عباد بن راشد ، وهما بن تميم ،  
وسليمان بن أرقم ، وعقبة بن عتبة ، وعمر بن مقل كلهم عن الحسن . كما أسند  
الأهوازي قراءة الحسن عن هـ جاع البلخي وأن شجاعاً قرأ على عيسى بن عمر النحو وأن عيسى  
قرأ على الحسن .

وقد أثبت قراءة شجاع على عيسى بن عمر وقراءة عيسى على الحسن الحافظ أبي  
العلاء . قال الشافعي عن قراءته : " لو أشاء أقول : ان القرآن نزل بلغة الحسن  
لقلت لفصاحته " . . (١)

وقد اتفق علماء القراءات - تقريباً - بأن القراءات السبع وما رُوي عليها وهي  
القراءات المشددة متواترة وما عداها فشان . وعلى هذا فقراءة الحسن على من رجعهم  
تعتبر شاذة .

ولكن إذا ما أخذنا بمقواس ابن الجوزي المتفق عليه وهو : صحة السند . . .  
وموافقة الرسم المشطاني . . . وموافقة العربية . . . تبين لنا أن بعض قراءات الحسن البصري

---

(١) اعطاف فضلاء البصري في القراءات الأربع عشر للدماطي الشافعي المصنف في سنة

١١١٧ هـ . روى وصححه وعلق عليه الشيخ علي محمد الضياع ص ٧ - ٩ .



ليس بشاذ • لأنها توافق هذا المقياس وتستدل على هذا ببعض النماذج التي نجد ها في كتب القراءات فيما يلي :

( الحمد لله ) قرأ الجمهور بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده أى متعلقة • ولكن قراءة الحسن بكسر الدال • هذه القراءة فما موقعها من الشرط التي وضعت لتكون القراءة صحيحة ؟ الفرق بين قراءة الجمهور وقراءة الحسن هو : كسر الدال • فمن حيث الرسم العثماني لم يحدث تغيير ، ومن حيث العربية فهناك مسوغ وهو أن كسرها اتباعا لكسرة اللام بعدها • وهى لفظة تميم وحض غطفان يتبعون الأولى الثانى للتجانس • وانما جاز الاتباع هنا فى كلمتين مع أنه انما يكون فى كلمة واحدة لتنزيل الكلمتين هنا منزلة الكلمة الواحدة نظرا لكثرة استعمالهما مقترنين ، أما سند القراءة فقد رويت عن زيد بن علي <sup>(١)</sup> وغيره • لكنها لم تصل إلينا عن طريق التواتر فلم تعتبر ضمن العشر المتفق عليها •

من المثال السابق وغيره نعلم أنه من الممكن تجميع كل قراءة وردت عن الحسن البصرى والعكوف على دراستها فى ضوء وعلم اللغة الحديث نستطيع بهذا أن نخرج بقراءة للحسن قد تصل الى الصحة • وهذا بالطبع يحتاج الى دراسة مستقلة نرجو من الله أن يعيننا عليها •

والدليل على هذا الامكان ما ذكره ابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ بمدينة شيراز فى كتابه " نجد المقرئين ومرشد الطالبين • بعد أن تحدث عن القراءة الصحيحة والشاذة وتفرق القراء فى جميع الأصاير يقول : ••• ثم ان القراء بعد ذلك تفرقوا فى البلاد وخلفهم أم بعد أم وكثروا بينهم الخلاف وقل الضبط واتسع الخرق فقام الأئمة الثقات النقاد وحرروا وضبطوا وجمعوا وألفوا على حسب ما وصل إليهم وصح لديهم فالذى وصل إلينا اليوم — طبعا فى حياة ابن الجزرى — متواترا وصحيحا مقطوعا به قراءات الأئمة المشرة ورواتهم المشهورين — وكان قبل ذلك يقتصر التواتر على السبعة — هذا الذى تحدد من أقوال العلما وعليه الناس اليوم بالشام والعراق ومصر والحجاز وأما بلاد المغرب والأندلس فلا ندرى ما حالها اليوم لكن بلغنا عنهم أنهم يقرأون بالسبع من طرق الرواة الأربعة عشر فقط • وربما يقرأون ليعقوب الحضرمي فلورحل إليهم أحد من بلادنا لأسدى إليهم معروفا عظيما •

(١) اتحاف فضلاء الشيخ فى القراءات الأربعة عشر للدماطى الشافعى مع حاشية الشيخ الضباع ص ١٢٢ و ١٢٦ ، رسالة " القراءات الشاذة " وجميعها من لغة العرب للشيخ عبد النعاج القاضى ص ٢٤ و ٢٢ •

فثبت من ذلك أن القراءة الشاذة ولو كانت صحيحة في نفس الأمر فانها ما كان اذن في قراءته ولم يتحقق انزاله وان الناس كانوا مخيرين فيها في الصدر الأول ثم أجمعت الأمة على تركه للمصلحة وليس في ذلك خطأ ولا اشكال لأن الأمة معصومة من أن تجتمع على خطأ (١) .

من هذا نعلم أنه يجوز معرفة القراءة الشاذة - ومنها قراءة الحسن البصري ككل - وتعليمها للناس غاية ما في الأمر يمنع القراءة بها في الصلاة الى أن يثبت تواترها عن طريق الأبحاث الجادة البريئة عن التعصب والزيغ والضلال . وقد قال بهذا المعنى أحد العلماء المحدثين المهتمين بهذا العلم وهو الشيخ عبد الفتاح القاضي . فبعد أن بين آراء العلماء في القراءة المقبولة والمردودة قال : " وإذا علمت أن القراءة الشاذة لا تجوز القراءة بها مطلقا فاعلم أنه يجوز تعلمها وتعليمها ، وتدوينها في الكتب ، وبيان وجهها من حيث اللغة والاعراب والمعنى ، واستنباط الأحكام الشرعية منها على القول بصحة الاحتجاج بها ، والاستدلال بها على وجه من وجوه اللغة العربية ، وفتاوى العلماء قديما وحديثا مطبقة على ذلك والله أعلم " (٢) وما يقال عن القراءة الشاذة يطبق على قراءة الحسن لأنها من الأربعة الزائدة عن العشرة .

### أهمية القراءات :

يجب أن نهتم كثيرا بعلم القراءات وأن نضع له الامكانيات الكافية لدراسته . لأن هذا العلم كما يقول الدكتور الراجحي : هو الذي طبع العقل الاسلامي في دقة النقل وضبط الأداء . ولأنه أيضا دفع المسلمين الى ارتياد ميادين كثيرة في البحث وبخاصة في ميدان علوم اللسان . . . . . والجهل به يؤدي الى جهلنا بلغتنا العربية التي هي ملاك وحدتنا العربية . فأنت لا تقدم لسانك بعربية صحيحة الا اذا أقمته أولا على قراءة القرآن الكريم . فالقضاء على القراءة قضاء على اللغة التي هي حياة الوحدة العربية . والقضاء على اللغة قضاء على الدين الذي هو حياة اللغة " (٣) .

- 
- (١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجوزي ص ٢٣ - ٢٤ طبع مكتبة القدسي .  
(٢) القراءة الشاذة وتوجيهها من لغة العرب للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ٨ .  
(٣) مجلة الفكر الاسلامي التي تصدر ببغروت - السنة الأولى العدد الحادي عشر .  
نقل للدكتور الراجحي .

وللوصول الى هدفنا الذى ذكرناه أقترح الآتى :

أولا : لا نكتفى بمصهد للقراءات فقط وانما لابد من انشاء معاهد أخرى حتى ينتشر الوعى القرآنى بين الناس .

ثانيا : بعد الحصول على شهادة المعهد لا يصح أن يقتصر على هذا ، بل نعمل على انشاء دراسات عليا فى القراءات القرآنية يحصل فيها الطالب على درجة الماجستير والدكتوراه . وهذا بلا شك سيكون حافزا على الاقبال الكبير على هذا النوع من الدراسات وللوقوف أمام المستشرقين والمبشرين فى أبحاثهم الجديدة عن القرآن الكريم الذين يريدون بها التقليل من شأن هذا الكتاب العظيم ، ولذلك فرحت كثيرا ببعض العلماء المحدثين الذين اتجهوا هذه الوجهة الطيبة التى نحن فى أشد الحاجة اليها أذكر منهم على سبيل المثال من الأحياء الشيخ عبد الفتاح القاضى ، والشيخ عامر السيد عثمان ، والدكتور عبد الفتاح اسماعيل شامى ، والدكتور عبد الصبور شاهين ، والدكتور عبد العال سالم على الخ . . .

ثالثا : نصح القراء بعدم جمع القراءات فى المحافل مطلقا لأنسه كما يقول بعض العلماء بدعة منكرة لا ينبغي اقرارها ولا السكوت عليها .

لهذا يقول ابن الجوزى فى " تلبيس ابليس " : " ان من تلبيسه عليهم أن منهم من يجمع القراءات ، فيقول : ملك مالك ملاك . وهذا لا يجوز لأنه اخراج للقرآن عن نظمه (١) .

وكثيرا ما يحدث فى بعض الأماكن من بعض القراء لم يكونوا متقنين لهذا العلم فيقرأون بجهل فيضلون ويضلون .

أما القراءات التى تكون مثلا فى اذاعة محطة القرآن الكريم بجمهورية مصر العربية كرواية ورش عن نافع . . لا شك أنها تعتبر من الأسباب التى تؤدى الى الحفاظ على هذا العلم والله التوفيق .

ب — في التفسير :

تمهيد :

المراد من التفسير هنا — والذي يحتملنا — بيان كلام الله عز وجل ، وهذا يكون بذكر الألفاظ والمعارات الموجودة في القرآن الكريم المنزل على قلب المصطفى عليه الصلاة والسلام . والتفسير كأحد العلوم أو الدراسات الشرعية التي اهتم بها المتقدمون والمتأخرون من العلماء الأجلاء له مكانته وفضله وأهميته . . . . ما هو مبسوط في المراجع الكثيرة كالطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، وطبوع القرآن الكريم ، وطبقات المفسرين الخ . . . . قال تعالى : " وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " (١) .  
وقد بين الامام السيوطي شروط الذي يتعرض لتفسير القرآن الكريم نوجزها فيما يلي :

١ — اللغة : قال مجاهد : لا يطل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله اذا لم يكن عالما بلغات العرب .

٢ — النحو : سئل الحسن البصري عن الرجل يتعلم العربية ، يلتصق بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته ، فقال للسائل : حسن فتعلمها ، فان الرجل يقرأ الآية فيمى بوجهها ، فيهلك فيها .

٣ — التصريف :

٤ — علوم البلاغة : ( المعاني ، والبيان ، والبديع ) .

٥ — علم القراءات . . . ٦ — أصول الدين . . . ٧ — أصول الفقه . . .

٨ — أسباب النزول . . . ٩ — الناسخ والمنسوخ . . . ١٠ — الاخلاص للمتعالى (٢) .

وهذه الشروط التي وضعها المتأخرون لمن يفسر القرآن الكريم كانت كلها تقريبا متوفرة في السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومنهم الحسن البصري .

(١) سورة النحل آية ٦٤ .

(٢) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ٢٠٧ — ٢٢٠

وقد بلغت نهاية الصحابة بالتفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى حد جعل المسلمون الأوائل يتعلمون القرآن علما وعملا وتدبرا كما روى ذلك أبو عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن — كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود وغيرهما — أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا . ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة . وقال أنس بن مالك : " كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل في أعيننا ، وقال مجاهد رضي الله عنه : " عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها . وفي رواية أنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة . ومن هنا نرى الشافعي والبخاري وغيرهما يعتمدون على تفسيره . . . . (١)

والتابعون أيضا كان لهم دور كبير في تفسير القرآن الكريم كمجاهد الذي ذكرناه وسعيد بن جبير المتوفى سنة ٦٤ هـ وتذكر بعض الروايات أن تفسيره دون غيره أودون له ، وجابر بن يزيد الجعفي المتوفى سنة ١٢٧ هـ ، وأبو محمد اسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي القرشي المعروف بالسدي المتوفى سنة ١٢٧ هـ الذي قال عنه السيوطي : أن تفسيره من أمثل التفسير ، وسفيان الثوري المتوفى سنة ١٦١ هـ بالبصرة صاحب كتاب " تفسير القرآن الكريم " رواية أبي جعفر محمد بن أبي حذيفة النهدي ، ومقاتل الأزدي . . . (٢) . وكان معظم الصحابة والتابعين يفسرون القرآن بالمأثور غالبا . اللهم إلا بعض المشهورين الذين كانوا يأخذون عن أهل الكتاب وهو ما عرف بالاسرائيليات مثل : كعب الأحبار ، ووهب بن منبه . . . (٣)

### تفسير الحسن البصري :

بعد هذا الموجز عن علم التفسير . نذكر أن الحسن البصري — عليه رحمة الله — كان على دراية بهذه الناحية من فكره . ويظهر اهتمامه هذا بالتفسير من

- (١) طبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٤١٣ ، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٦ وخلاصة تذهيب الكمال للخزرجي ص ٣١٥ ، وتلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري لابن تيمية ص ١٥ — ١٦ المطبعة السلفية .
- (٢) الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٢٢٢ وما بعدها ، ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٢٢ ، وتفسير القرآن الكريم لسفيان الثوري . رواية أبي جعفر محمد بن أبي حذيفة النهدي والذي طبع بالهند تصحيح وتعليق الأستاذ امتياز علي عرشي مدير مكتبة رضا ( رامبور ) وهذا التفسير موجود حاليا بمكتبة كلية أصول الدين العامة .
- (٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤ ، وتفسير القرطبي : المقدمة ، وتلخيص كتاب الاستغاثة

قوله : ١٨٧ " ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن تعلم فيها أنزلت وما أراد بها " (١) .

وكان رحمه الله قد أخذ التفسير عن ابن عباس الصحابي الجليل وغيره ونسب إليه تفسير القرآن الكريم برواية تلميذه عمرو بن عبدي وانتفع الثمالي به كثيرا (٢) . ولكن للأسف لم أشر عليه . وعلى كل حال لا نياش فان كتب التفسير المختلفة ملوثة بسأراء وأفكار الحسن رحمه الله عن تفسير القرآن مثل : تفسير القرطبي ، والطبري ، والألوسي ، وابن كثير الخ . . . . . ونستطيع بعد بحث وتنقيب في كتب التفسير - حسب ظني - أن نخرج بتفسير للحسن البصري . له قيمته وأهميته في المكتبة العربية والإسلامية . إلى أن نحصل على تفسيره المطلوب . وما ذلك على الله بعزيز .

وهذه بعض النماذج لفكر الحسن في التفسير .

١ - قال تعالى : " . . . . . واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يستطيعون لا تأتيتهم " . . . . . كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون إلى قوله تعالى : " قلنا لهم كونوا قردة خاسئين " (٣)

يقول الحسن البصري في تفسير هذا القل الكريم : حوت حرم الله تعالى عليهم - أي اليهود - صيده يوما من أيام الجمعة وأخله فيما سوى ذلك من الأيام ، فكانوا يأتيتهم في يوم التحريم كالمخاض ما يمتنع من أحد للمحنة والبلية والاختصار بالطاعة ، فجعلوا يهيمون بأخذه ويمسكون مخافة وتعبدا . . . . . وقل ما هم عبد بذنب إلا واقعه ، ثم عزموا عليه فأخذوه وأكلوه والله أوحى أكله أكلها قوم ، فنودوا ثلاثا وهم نائمون . ثم نودوا : يا أهل القرية : فانتبه الرجال والنساء والصبيان . فقبل لهم : كونوا قردة خاسئين ، فكانوا كذلك وأيم الله لحرمة عبد مؤمن يقتل ظلما أعظم عند الله من كل حوت خلق ، ولكن جعل الله تعالى موعد قيام الساعة والساعة أدهى وأمر (٤) .

- 
- (١) الاتقان للسيوطي ج ٢ ص ٢٠٦ .
- (٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٦ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ١ ص ٢٥٧ ، وطبقات المفسرين للحافظ ابن أحمد الداودي المتوفى سنة ٩٤٥ هـ ج ١ ص ١٤٧ - الناشر مكتبة وهبة ، وتاريخ التراث العربي للأستاذ فؤاد سركين - المجلد الأول ص ١٨٧ مترجم إلى العربية بالقاهرة سنة ١٩٧١ .
- (٣) سورة الأغراف الآيات من ١٦٣ إلى ١٦٦ . " وإذا ظلت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون . فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم الذين ينجون عن سوء " وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . فلما عتوا عن ما نهوا عنه . . . . . " .
- (٤) الحسن البصري لابن الجوزي ص ٤٨ .

هذا التفسير للآيات الكريمة من الحسن — رحمه الله — نلح فيه ما يلي :  
 أولا : النظر دائما الى لب الموضوع ودون الالتفات الى التفاصيل التي كثيرا ما تؤدي  
 الى الأخذ من الاسرائيليات . فالحسن هنا نظر الى الآيات الكريمة بطريق  
 الاجمال . جاعلا فهم السلف الصالح نصبه ينيه خاصة ابن عباس رضي الله  
 عنهما الذي قال في ابتلاء اليهود بهذا قال : " ان اليهود أمروا باليوم  
 الذي أمرتم به وهو يوم الجمعة ، فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله  
 — تعالى — به ، وحرم عليهم الصيد فيه ، وأمرهم بتعظيمه فاذا كان يوم  
 السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهب  
 وما تمود الا في السبت المقبل ، وذلك بلا ابتلاهم الله به ، فذلك معنى قوله  
 تعالى : ( ويوم لا سبتون لا تأتيهم ) . . . (١) .

ولهذا نجد بعض المفسرين المتأخرين الذين يهتمون بالتفسير بالمأثور  
 كابن كثير لا يخرجون عن تفسير الحسن جملة مثل ما قاله ابن كثير في الآيات  
 السابقة " . . . أي وأسأل — يا محمد — هؤلاء اليهود الذين بحضرتك  
 عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ، ففاجأتهم نقمته على صنيعهم ،  
 واعتدائهم واحتياهم في المخالفة وحذر هؤلاء من كتمان صفك التي يجدونها  
 في كتبهم لئلا يحل بهم ما حل باخوانهم وسلفهم وهذه القرية هي أيلة وهي  
 على شاطئ بحر الظنم . . . (٢) .

وكذلك القرطبي القائل في تفسيره : " . . . أي وأسأل اليهود الذين  
 هم جيرانك عن أخبار أسلافهم وما مسخ الله منهم قردة وخنازير . وهذا  
 سؤال تقييد وتوبيخ . وكان ذلك علامة لصدق النبي صلى الله عليه وسلم إذ  
 أطلعه الله على تلك الأمور من غير تعلم . وكانوا يقولون : نحن أبناء الله  
 وأحباؤه . . . فقال تعالى لنبيه : سلمهم يا محمد عن القرية ، أما عذبتهم  
 بذنوبهم ، وذلك بتغيير فرع من فروع الشريعة . . . (٣) .

وقال جمهور المفسرين — مبينين افتراق بني إسرائيل في هذا المقام — :  
 ان بني إسرائيل اختلفت ثلاث فرق . . . فرقة عصت وحادت . . . وفرقة نهست

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٤ ص ٢١٦ طبعة المطبعة الأزهرية ١٢٠٨ هـ

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٣) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٠٤ .

واعترلت . . وفرقة اعترلت ولم تنه ولم تمص ، وأن هذه الطائفة قالت للناحية :  
لم تمظون قوما — تريد العاصية — الله مهلكهم أو معذبهم على غلبة الظن ،  
وما عهد من فعل الله تعالى حينئذ بالأمم العاصية . فقالت الناحية :  
موعظتنا معذرة الى الله لهمم يتقون . . ثم اختلف بعد هذا ، فقالت فرقة :  
ان الطائفة التي لم تنه ولم تمص هلكت مع العاصية عقوبة على ترك النهي ، قال  
ابن عباس . وقال أيضا : ما أدري ما فعل بهم ، وهو الظاهر من الآية .  
وقال عكرمة : قلت لابن عباس لما قال : ما أدري ما فعل بهم : ألا ترى أنهم  
قد كرهوا ما هم عليه وخالفوه فقالوا : لم تمظون قوما الله مهلكهم ؟ فلم  
أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا فكساني حلة . وهذا مذهب الحسن البصري (١) .

وقيل : ان أهل القرية — صاحبة القصة السابقة — كانوا مقسمين الى  
فريقين : الأولى : الفرقة العاصية ، والثانية : الفرقة المطيعة ، والوعظة  
فلما دامت الثانية الوعظ والنصيحة للأولى قالت الأولى لها — أي للوعظة —  
على سبيل الاستهزاء والسخرية : لم تمظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا  
شديدا في اعتقادكم ، فأجابتهم الواعظة بقولها : معذرة الى ربكم ولهمم  
يتقون . والذي نرجحه هو الرأي الأول الذي ذكرناه من أنهم كانوا على ثلاث  
فرق وعليه مذهب الحسن البصري مستدلين بما يأتي :

أ — لو كانوا فريقين لقالت الواعظة للعاصية : ولعلكم تتقون . بكاف الخطاب  
ولكنه قال : لهمم يتقون . ما يدل على أن المعاصرة كانت بين الفرقة  
اللائمة والفرقة الواعظة أما العاصية فمصرفة .

ب — ما ذكره المولى سبحانه وتعالى عقب كل من الواعظة والعاصية " فلما نسوا  
ما ذكروا به أنجبنا الذين ينهون عن سوء — وهم الواعظة — وأخذنا  
الذين ظلموا — وهم الفرقة العاصية — بعذاب يئس بما كانوا  
يفسقون .

ج — جمهور المفسرين على هذا الرأي الذي يؤيد مذهب الحسن البصري  
مثل : القرطبي ، وابن كثير ، والألوسي ، والزمخشري . . (٢) .

(١) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٠٧ .

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥١٥ ، وتفسير الألوسي ج ٣ ص ١٤٧ ، وتفسير  
ابن كثير ج ٢ ص ٢٥٧ ، والقرطبي ج ٧ ص ٣٠٦ . .



ثانيا : محاولته دائما في تفسيره أخذه العبرة والمظة حتى يكون لهذا التفسير الفائدة المبرجة والدليل على ذلك أيضا النص الذي معنا في تفسيره للآيات السابقة .  
فيعد أن قال : ٠٠٠ فقل لهم : كونوا قردة خاسئين ، فكانوا كذلك . قال بعد هذا : وأيم الله لحرمة عبد مؤمن يقتل ظلما أعظم عند الله من كل حوت خلق .

هذه المقارنة المجيبة بين حرمة قتل المؤمن وكل حوت خلق تدل على مدى عمق الحس في تفكيره للوصول بالتفسير لصالح الفرد والمجتمع .

ذلك أن الحوت أو الحيتان تسببت في انهيار الانسانية لبني اسرائيل في هذا الوقت وتحويلهم الى القردة والخنازير . فكان قتل المؤمن ظلما — في رأيه — أشد وأعظم عند الله من تحويل الانسان الى فضيلة القردة أو الخنازير .

ويؤيد هذا المعنى — من حيث الشدة — قول الله تعالى : ( ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ) (١) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم " (٢)

ثالثا : البعد ما أمكن عن الخرائب وعدم أخذ القارئ في تفسيره الى مآهات تخرجه عن المقصود من الغاية المرجوة . كما تفعل بعض كتب التفسير المحتوية على الاسرائيليات مثل : تفسير الثعالبي ، وتفسير مقاتل بن سليمان ، وتفسير الخازن (٣) وغير ذلك .

- 
- (١) سورة النساء آية ٩٣ .  
(٢) حديث صحيح أخرجه الترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص .  
(٣) الثعالبي هو : أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧ هـ وقيل — كما في وفيات الأعيان لابن خلكان سنة ٤٣٧ هـ .  
وتفسير الثعالبي مخطوط يقع في أربع مجلدات ويوجد معظمه بمكتبة الأزهر .  
ومقاتل المفسر هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الخراساني المتوفى سنة ١٥٠ هـ وتفسيره المشهور قام بتحقيقه أحد الباحثين بكلية دار العلوم جامعة القاهرة وهو الدكتور عبد الله شحاته . وحصل بهذا البحث على درجة الدكتوراه .  
ويقول الدكتور محمد الذهبي الأمين المساعد بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر عن تفسير مقاتل هذا : وأنا في شك من تفسير مقاتل فالحصر الذي عاش فيه مقاتل كان عصر اسناد حتى من الوضعيين ، وما وجدنا في تفسير مقاتل اسنادا الا نادرا وكثيرا ما يورد في هذا التفسير عبارة ( قال أبو محمد الفراء : كذا وكذا ) .  
وأحيانا يورد عبارة ( قال الفراء ) في سياق التفسير وكأنما قائل هذه العبارة هو المفسر نفسه ولا يحق أن يكون مقاتل بن سليمان لأنه توفي سنة ١٥٠ هـ .

وبالبحث نجد أن الكثير من التفاسير تدور في معظم آرائها غالباً حول مذهب الحسن . كما ذكرنا مثلاً على ذلك في القرطبي ، والألوسي ، وابن كثير ، والكشاف ، والفخر الرازي . . .

٢ - قال تعالى في محكم تنزيله : \* قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك فصل الآيات لقوم يعلمون \* . (١)

كان الحجاج إلى بيت الله الحرام قبل الإسلام يطوفون بالبيت وهم عراة فلما منهم بأن هذا ضتهى الخشوع والخضوع لله تعالى . حينئذ أراد الله جل ذكره أن ينبههم بأن هذا ليس تقرباً إليه بسبب التقال في البعد عن الحياة وزينتها . . .

فأنزل الله قوله عز من قائل : \* يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين \* قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده . . . الآيات .

وأخذ المصطفى صلى الله عليه وسلم يعلمهم كيف تكون الزينة وتتناول الطيبات من الدنيا في غير سرف أو غلو . ولكن بعض القوم بعد أن كانوا على يسار السفينة وكادوا يفسرقون فمضى البحر تنقلوا إلى وسطها ثم إلى جهة اليمين غلوا واسرافوا . ونسوا قول النبي صلى الله عليه وسلم : " خير الأمور أوسطها " (٢) .

والفراء ولد في سنة ١٤٤ هـ وتوفي سنة ٢٠٧ هـ ( الاسرائيليات في التفسير والحديث ص ١٩٢ - ١٩٣ ) . والخازن هو : علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد ابن ابراهيم بن عمر بن خليل الشيعي البغدادي الشافعي المعروف بالخازن لأنه كان خازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق . ولد في بغداد سنة ٦٧٨ هـ وتوفي في حلب سنة ٧٤١ هـ .

(١) سورة الأعراف الآية رقم ٣٢ وما بعدها .  
(٢) أخرجه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول عن علي مرفوعاً به . وأخرجه البيهقي عن مطرف من قوله ( تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث للعلامة ابن الديلمج الشيعاني الشافعي الأثري المتوفى سنة ٩٤٤ هـ الطبعة الثانية ) .

بعد هذا جاء الحسن البصرى ليصيح في آذان الشاويدين عن الطريق المستقيم وليعلمهم كيف يكون الفهم لهذا القرآن الكريم . قال الطبري : " حدثني المثنى قال : حدثنا حبان بن موسى قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان عن رجل عن الحسن البصرى - قال : لما بعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - فقال : " هذا نبي هذا خيارى استنوا به " خذوا في سننه وسبيله ، لم تغلق دونه الأبواب ولم تقم دونه الحجة ولم يفسد عليه بالجفان ولم يرجع عليه بها وكان يجلس بالأرض ويلحق يده ويلبس الخليط ، ويركب الحمار ويردف بعده وكان يقول : " من رغب عن سنننى فليس منى " . قال الحسن رحمه الله : " فما أكثر الراغبين عن سنننا التاركين لها : ثم ان علوجا فساقا أكلة الربا والفلول قد سفهمهم ربي ومقتهم زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا وزخرفوا هذه البيوت يتأولون هذه الآية : " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق . . . " وإنما جعل ذلك لأولياء الشيطان قد جعلها ملاعب لبطنه وفرجه " . ثم يعلق محقق تفسير الطبري الشيخ شاكراً على هذا بقوله : " روى أبو نعيم في حلية الأولياء ج ٢ ص ١٥٣ - ١٥٤ من طريق محمد بن محمد عن الحسن بن أحمد بن محمد عن أبي زرعة عن مالك بن اسماعيل عن مسلمة بن جعفر عن الحسن - البصرى - بنحو هذا اللفظ وهي صفة تحفظ وموعظة تهدي الى طغائنا في زماننا ، من الناطقين بغير معرفة ولا علم في فتوى الناس بالباطل الذي زخرفهم لهم شياطينهم . (١)

ويذكر الحسن البصرى أيضاً حديثاً عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان من السرف أن تأكل كل ما اشتبهت " (٢) . ويقول الحسن رحمه الله : " ليس في الطعام سرف " تالياً قوله تعالى : ليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات جناح فيما طعموا (٣) . ويقول لفرقد : السبخى تلميذه : بلفنى أنك لا تأكل الفالودج ؟ قال : يا أبا سعيد ، أخاف أن لا أؤدى شكره : قال : يا لكع . . وهل تؤدى شكر الماء البارد في الصيف والبارد في الشتاء ؟ أما سمعت قول الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم . . (٤) .

- 
- (١) تفسير الطبري . جامع البيان عن تأويل القرآن ج ١٢ ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .  
 (٢) روى الدارقطني في الأفراد وقال هذا حديث غريب تفرد به يتيمة .  
 (تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢١٠) ، وخروجه كذلك ابن ماجه في سننه . كما روى في تيسير الخطيبي ج ٧ ص ١٩٥ .  
 (٣) المائدة الفريد لابن عبد ربه ج ٨ ص ٦ . والآية الكريمة من سورة الطائفة آية ٩٣  
 (٤) سورة البقرة آية رقم ١٧٢ .

نخرج من كل هذا الى أن الحسن البصرى رحمه الله - كان ينظر الى القرآن الكريم على أنه كتاب البشرية وموافق الفطرة . ومع كون القرآن كذلك لا ينتفع به أى انسان . وإنما الذى ينتفع به هو الانسان الحافل الذى يحلم حقيقة هذا الدين قال تعالى :  
" ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين " (١) .

ولذا نجد أن الله تعالى ختم الآية الكريمة التى نحن بصددها بقوله تعالى :  
" كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون " .

ويسطق صاحب كتاب " فى ظلال القرآن " على هذا الختام بقوله : " والذين يعلمون " حقيقة هذا الدين هم الذين ينتفصون بهذا البيان . فأما الذى حرمه الله حقاً ، فليس هو الزينة المعتدلة من اللباس ، وليس هو الطيب من الطعام والشراب - فى غير سرف ولا مغيصة - إنما الذى حرمه الله حقاً هو الذى يزاوونه فعلاً :  
" قل إنما حرم ريس الفواحش - ما ظهر منها وما بطن - والاثم والبفس بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون " (٢) .

هذا هو الذى حرمه الله . الفواحش من الأعمال المتجاوزة لحدود الله . ظاهرة للناس أو خافية . والاثم . وهو كل معصية لله على وجه الاجمال . والبفس بغير الحق . وهو الظلم الذى يخالف الحق والمعدل . . . .

٣ - قال تعالى : " ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتا ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبفس يحظكم لعلكم تذكرون " (٣) .

روى عن عثمان بن مظعون أنه قال : لما نزلت هذه الآية الكريمة قرأتها على عيسى بن أبى طالب رضى الله عنه فتمجج فقال : يا آل غالب ، اتبعوه ، تفعلوا ، فوالله ان الله أرسله ليأمركم بحكام الأخلاق . وفى حديث - ان أباً طالب لما قيل له : ان ابن أخيك زعم أن الله أنزل عليه : " ان الله يأمر بالعدل والاحسان . . . " قال : اتبعوا ابن أخى فوالله لا يأمر الا بحاسن الأخلاق .

وقال عكرمة : قرأ النبی صلى الله عليه وسلم على الوليد بن المغيرة : " ان الله يأمر بالعدل والاحسان . . . " فقال : يا ابن أخى أعد . . . فأعاد عليه . . .

(١) سورة البقرة آية رقم ١ ، ٢

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٣٣

(٣) سورة النحل آية رقم ٩٠

فقال : والله ان له لحالوة ، وان طيبه لطالوة ، وان أصله لمورق وأعداه لمشمر ،  
وما هو يقول بشر . . . وذكر الخزنوي أن عثمان بن مظعون هو القارئ .

قال عثمان : ما أسلمت ابتداءً الا حياء من رسول الله عليه وسلم . حتى  
نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الايمان في قلبي ، فقرأتها على الوليد بن المغيرة  
فقال : يا ابن أخي أعد . . فأعدت فقال : والله ان له لحالوة ، . . . وذكر  
تمام الخبر .

وقال ابن مسعود : هذه أجمع آية في القرآن لخير يمثل ولشر يجتنب .  
هذا بعض ما ذكره القرطبي (١) . في فضل هذه الآية الكريمة . ثم نجد  
أن ابن كثير يوضح قاعدة أساسية للأمر والنهي الذي جاء به الله تعالى فيقول : " ليس  
من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنون الا أمر الله به وليس من  
خلق سيئ كانوا يتفايرونه بينهم الا نهى الله عنه وقدم فيه . وإنما نهى عن سفاسف  
الأخلاق ومزامها ولهذا جاء في الحديث : " ان الله يحب معالي الأخلاق ويكره  
سفاسفها " (٢) .

فكان ابن كثير يريد أن يقول : " ان هذه الآية الكريمة جاءت موافقة  
للطرة التي فطر الله الناس عليها . لا يشذ عنها الا هالك . ولا ينحرف عنها  
الا من كتب له الشقاء . وتكملة للفائدة نذكر معاني ألفاظ الآية الكريمة وهي كالآتي :  
العدل معناه : لفظ يقتضي معنى المساواة والانصاف .  
والاحسان : فوق العدل لأن فيه معنى التفضل .  
والفحشاء : ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال .  
والمنكر : كل فعل قبيح في ضوء الشريعة .  
والبغى : طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى ،

ونحن بالطبع هنا المذموم منه . . . . . (٣)

بعد هذه اللوحة السريعة عن معنى الآية الكريمة عند بعض المفسرين  
ننظر ماذا قال " الحسن البصري " فيها .

- 
- (١) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٦٦ .  
(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٨٢ . والحديث رواه ابن كثير هكذا .  
وفي الجامع الصغير للسيوطي رواه الطبراني في الكبير عن الحسين بن علي (ج)  
هكذا : " ان الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرفها ويكره سفاسفها " .  
(٣) المفرد لـ في غريب القرآن للأصفهاني ص ٣٢٥ ١١٩٤ ٣٧٣٤ ٣٧٤٤ ،

قال الحافظ أبو نعيم : حدثنا محمد بن أحمد قال حدثنا محمد بن يحيى المورزي قال : حدثنا عاصم بن علي قال : حدثنا جويرية بن بشير قال : سمعت الحسن البصري — قرأ هذه الآية : " ان الله يأمر بالعدل والاحسان . . . " ثم وقف فقال : " ان الله جمع لكم الخير كله والشركه فآية واحدة ، فوالله ما ترك العدل والاحسان شيئا من طاعة الله عز وجل الا جمعه ، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغى من معصية الله شيئا الا جمعه " (١) .

هذا التفسير للحسن البصري للآية الكريمة يعتبر خلاصة لكل ما قيل في الآية الكريمة من أقوال . أو بمعنى أصح جميع الأقوال الواردة في تفسير الآية الكريمة تعتبر كشرح وبيان لما أوجزه الحسن وهكذا نجد الحسن البصري دائما في تفسيره للقرآن الكريم يميل الى الايجاز وبيان العبرة والموعظة من قول الله تعالى .

وليس هذا بمعجيب فقد قال تعالى : " يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الأبواب " (٢) .

### تدبره للقرآن الكريم :

من النماذج السابقة لفكر الحسن في تفسير آيات من القرآن الكريم نحلم كيف كان الحسن رحمه الله يقرأ القرآن بتدبر وامعان . ولا عجب في ذلك فقد قسم القراء الى ثلاثة نفر ، قوم اتخذوه بضاعة يطلبون به ما عند الناس وقوم أجادوا حروفه وضدوا حدوده استندروا به أموال السوالة واستطالوا به على الناس — وقد كثر هذا الجنس من حملة القرآن والعيان بالله — فلا كثر الله جمعهم ولا أبعد غيرهم ، وقوم قرأوا القرآن فتدبروا آياته وتداولوا به . وكان رحمه الله من هذا القسم الذي يفهم معنى قراءة القرآن . . . قرأ رضى الله عنه قوله تعالى : " وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بط صبروا ودمرنا ما كان يضح فرعون وقومه وما كانوا يعرشون " (٣) . ثم قال : " يا عجا لمن يخاف ملكا ، أو يتقى ظالما بعد ايمانه بهذه الآية ؟ أما والله لو أن الناس اذا ابتلوا صبروا لأمرهم ، لفج الله عنهم كربهم . ولكنهم جزعوا من السيف فوكلوا الى الخوف ونحوه بالله من شر البلاء " .

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ترجمة ١٦٩ ، والكواكب الدرية للضاري ترجمة ٧٩  
(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٩ .  
(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٣٧ .

وقرأ أيضا - رحمه الله - يوم " الهاكم التكاثر " .

ثم قال : " انا لله وانا اليه راجعون " الهى والله عن نار الخلود ، وشغل  
عن نعيم لا يبعد ثم قرأ ( كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ) ثم قال : " أيها  
الناس لو توعدكم مخلوق بموت لما استقر بكم القرار فكيف بوعد ملك الطوك ، والحقى  
الذى لا يموت " وكان اذا ظم بالقرآن وانتهى الى هذه السورة لم يتجاوزها ولا يزال  
يردها ويصيح الى أن ينقطع نحيبه .

وكان رضى الله عنه اذا تلا قوله تعالى : " لنحيينه حياة طيبة " قال :  
" لنرزقه طاعة يجد لذتها فى قلبه " .

وروى أنه قال : لنرزقه رزقا لا نغذبه عليه ثم يقول : كل حياة ابن آدم  
والله مرة الا حياته فى الجنة .. " (١)

---

(١) الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٤٦ - ٤٩ .





وقد بينت السنة النبوية كيف كان الرسول الأمين يعلم الأمة ويربهم على نهج سليم وتربية فريضة . . أتى اليه يوما فتى من قريش قاعلا له : يا رسول الله ، ائذن لي في الزنا ، فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا له . . فقال : ادنه فدنا منه قريبا . . فقال : " أتجه لأمك ؟ " قال : لا والله جعلني الله فداك . قال : " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم " قال : " أفتجه لابنتك ؟ " قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك . قال : " ولا الناس يحبونه لبناتهم " — ثم ذكر له رسول الله أخته وعمة وخالته ، وفى كل ذلك يقبل الفتى مقاتلة : " لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك " — قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحسن فرجه " قال الراوى : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت الى شىء . . (١)

وإذا كان عليه الصلاة والسلام حريصا على تعليمهم فقد كان الصحابة وغيرهم أيضا خريصين على تلقى هذا العلم . قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : " كنت أنا وجارلى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد ، وهى من عوالى المدينة ، وكنا نتناوب النزول على رسول الله . . ينزل يوما ، وأنزل يوما ، فإذا جئته بخبر ذلك اليوم من الروى وغيره . وإذا نزل فعمل مثل ذلك " (٢) . فكان الواحد منهم يشق فى أخيه ولا يكذبه ولا يدرون ما الكذب .

وهكذا حتى لقى الرسول ربه والقرآن قد ثبت فى الصدور والسطور . أما السنة فقد ثبتت فى الصدور لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كتابتها فى أول الأمر خوفا من الالتباس بالقرآن الكريم مثل قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تكتبوا عني شيئا الا القرآن ومن كتب شيئا فليحبه " (٣) . اللهم الا القليل بالنسبة لما قاله النبى صلى الله عليه وسلم . مثل ما حدث لأبى شاة اليمنى وقول الرسول عليه الصلاة والسلام فى شأنه " اكتبوا لأبى شاة " (٤) .

وما كان من أمر الرجل الأنصارى الذى كان يجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمع منه الحديث فيحجبه ولا يحفظه فشكا ذلك الى الرسول . . فقال : ( استمعن بيمينك وأولم بيده الى الخط ) . . (٥)

- (١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمى — طبع القدسي بالقاهرة ١٣٥٣ هـ  
عن أبى أمامة الباهلى ج ١ ص ١٢٩ . رجاله رجال الصحيح وقد رواه الطبرانى فى الكبير .  
(٢) فتح البارى لابن حجر المصقل ج ١ ص ١٩٥ .  
(٣) رواه مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى .  
(٤) رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما .  
(٥) أعالم المحدثين للدكتور محمد أبو شهبة ص ١٧ والحديث الشريف رواه الترمذى

وهكذا أخذت السنة تكثر كتابتها خاصة في أواخر البعثة النبوية . وسعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام وقعت أحداث جسيمة في الأمة الإسلامية مثل : حروب الردة ، ومقتل سيدنا عثمان ، ومعركة الجمل وصفين ، وظهور الخوارج ، والشيعية الخ . . مما نتج عنه انشاء الوضع في السنة المطهرة . يقول الدكتور السباعي : " كانت سنة أربعين من الهجرة هي الحد الفاصل بين صفاء السنة وخلوصها من الكذب والوضع ، وبين التزويد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية والانقسامات الداخلية ، بعد أن اتخذ الخلاف بين علي ومعاوية شكلا حرييا سالت به دماء وأزهقت منه أرواح وسعد أن انقسم المسلمون الى طوائف متعددة الى آخر ما قال مبينا الأمور التي أدت الى الوضع ففى السنة مثل : الخلافات السياسية ، والزندقية ، والعصبية للجنس ، والقبيلة ، واللغة ، والبلد ، والقصص ، والوعظ ، والخلافات الفقهية ، والكلامية ، والجهل بالدين مع الرغبة فى الخير ، والتقرب للملوك والأمرأ بما يوافق أهواءهم . . ليس هذا فقط بل ان تساهل حكام المسلمين مع الوضعاء فى السنة شجعهم على المضى فى تضليل المسلمين . وخلصهم الصدق بالكذب . . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . . (١) أما عن حركة الوضع وأثرها السى فى المجتمع الاسلامى وما يتصل بذلك فليس هنا مجاله . المهم أن العلماء المخلصين تصدوا للدفاع عن السنة المطهرة وتنقيتها من الشوائب التي لحقت بها مما جعلهم يتشددون فى أخذ الحديث ويظهر هذا من قلى ابن سيرين : " لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم ، فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم الى آخر ما قيل فى ذلك مما هو مبسوط فى موضعه . . (٢)

### علاقة الحسن بالسنة :

بعد هذا التعريف الموجز بالسنة وأهميتها فى الحفاظ على القرآن الكريم . . يجى دور الحسن البصرى فى الحفاظ على هذه السنة النبوية وذكره الصافى الذى يسخره فى تبليغها للأمة الإسلامية . . ولا عجب فى هذا فقد تربى فى بيت

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للدكتور مصطفى السباعي ص ٧٦-٨٨ .

(٢) الباحث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير تأليف الأستاذ أحمد شاكر ص ٨٠ وما بعدها ، ومقدمة صحيح مسلم ، وبحث موجز عن : الوضع وأثره السيئ فى الأمة . للطالب صلاح سيد بيومي قدمه فى الشهادة العالمية بكلية أصول الدين الى فضيلة الدكتور مصطفى أمين النازى أستاذ الحديث بالكلية .

النبوة ، ونشأ في المنطقة التي شهدت الكثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم  
— المدينة المنورة — في مقدمتهم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه . يقول الحسن  
البصري : " رأيت عثمان يخطب وأنا ابن خمس عشرة سنة قائما وقاعدا " ، وقل محمد  
ابن عمر : " . . . وقد رآه — أي رأى عثمان — وسمع منه وروى عنه ، وروى عن عمران  
بن حصين ، وسومة جندب ، وابن عباس ، وعمر بن تغلب . . . كما تبين دائرة المعارف  
الاسلامية في علاقته بالسنة النبوية فنقول : " وكان الحسن — البصري — يحد ندا  
لمناصره الحجاج في الخطابة ، ورواية ثبتا في الحديث ، فقد عرف عنه أنه  
كان متصلا بسبعين رجلا ممن شهدوا وقعة بدر ، وإن كان عمدته في الحديث هو  
أنس بن مالك . . . (١)

وهناك الأحاديث الكثيرة التي امتلأت بها كتب السنة من رواية الحسن البصري  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عن طريق شيوخه وأساتذته . . . ولكن  
حينما يوضع الامام الجليل في ميزان النقد بين العلماء المبرزين في هذا الفن نجده  
الأقوال الآتية . . .

الذهبي يقول : " . . . كان ثقة في نفسه ، حجة رأسا في العلم والعمل  
عظيم القدر . . . نعم ، كان الحسن — البصري — كثير التدليس ، فإذا قيل  
في حديث عن فلان ضعف لحاجة ولا سيما عن قيل انه لم يسمع منهم ، كابى  
هريرة ونحوه ، فعدوا ما كان له عن أبي هريرة في جملة المنقطع . . . " (٢)

وابن الجوزي يقول : " عاصر الحسن — البصري — خلقا كثيرا من الصحابة  
فأرسل الحديث عن بعضهم وسمع من بعضهم . . . " (٣)

وابن سعد يقول : " . . . وكان الحسن — البصري — جامعا عالما عاليا  
رفيها فقيها ثقة مأمونا عابدا ناسكا كبير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً ، وكان ما أسند  
من حديثه وروى عن سمع منه ، فحسن حجة وما أرسل من الحديث فليس  
بحجة " (٤) . . .

- (١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٥٧ ، ودائرة المعارف الاسلامية الانجليزية  
المرجمة الى اللغة العربية ، المجلد السابع ص ٣٨١ — ٣٨٢ .
- (٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ، القسم الأول ص ٥٢٧ وتذكره  
الحافظ الذهبي أيضا ج ١ .
- (٣) صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٣ ص ١٥٩ .
- (٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٥٧ — ١٥٨ .

وقال مثل هذا : ابن حجر المصقلاني في تهذيب التهذيب ، والرأي  
فـى الجرح والتعديل وهكذا . .

من هذه الأقوال وغيرها نعلم بأن معظم العلماء مجمعون على فضله  
وعلمه . . ولكن ينسبون إليه الأرسال ، والتدليس . . وهل كل إرسال أو تدليس  
يحتبر عيباً ينقص من قدر صاحبه ؟ والجواب على هذا ما يلي :

لنتعرف أولاً — وقبل كل شيء — على معنى المرسلي والمدلس من حديث  
النبي صلى الله عليه وسلم . كي ننظر ما اذا كان الحسن تقبيل أحاديثه أم لا ؟ . .

المرسل : لغة : " الأرسال " قال تعالى : " . . انا أرسلنا الشياطين على  
الكافرين " . (١) . واصطلاحاً له عدة تعريفات . المشهور منها عند بعض  
أهل هذا الفن كابن الصلاح وغيره " ما أضافه التابعي الذي لم يلق النبي صلى  
الله عليه وسلم صغيراً كان أو كبيراً للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الوساطة " (٢) .  
مثل : ما روى عن الحسن — البصري — قال : لما نزلت : ولله على الناس حج  
البيت من استطاع إليه سبيلاً . قال : يا رسول الله ما السبيل قال : الزاد  
والراحلة . (٣)

فنحسن نرى في هذا المثال أن الحسن البصري لم يذكر الوساطة بينه  
وبين الرسول عليه الصلاة والسلام . فهل يا ترى تقبيل مثل هذه الأخبار ؟ هذا  
ما نورد معرفته عن قبول المرسل وعدم قبوله عند مختلف العلماء .

#### أشهر المذاهب في حجية المرسل :

اختلف العلماء في حجية المرسل وعدمه الى مذاهب مختلفة أشهرها ما يلي :

الأول : ذهب الإمام أبو حنيفة وأتباعه من أهل العراق ، والإمام أحمد وإمام مالك  
في أشهر الروايات يتبين عنهما ، ومعهم جماهير المعتزلة كأبي هاشم وتبعهم الآمدي  
في الأحكام . . الى قبول المرسل العدل مطلقاً . . .

(١) سورة مريم آية رقم ٨٣ .  
(٢) غريب المستفيضة في علم مصطلح الحديث للشيخ محمد بن المنجد ص ٧٥ .  
(٣) المراسيل لأبي داود السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ — مكتبة صبيح .

الثاني : ذهب الامام الشافعى - رحمه الله - وأحمد فى أحد قوليه ، والظاهرية ، وجمهور الأئمة من حفاظ الحديث ونظام الأثر . . . واختاره أبو بكر الرازى . . . ذهبوا الى أنه غير مقبول مطلقا . . . الا أن الامام الشافعى قبل المرسل بشروط نوجزها فيما يلى :

١ - الحديث المرسل اذا اعتضد لم يصل فى الحجة الى درجة الحديث المسند المتصل . . .

ب - لا يقبل الا مرسل كبار التابعين .

ج - أن يكون اذا سمى من روى عنه لم يسم مجهولا ولا مرغوبا عن الرواية عنه . . .

وهذه الشروط من الامام الشافعى عليها اعتراضات لا يتسع لها المقام .

الثالث : ذهب عيسى بن ابان الى أن مرسل الحد فى القرون الثلاثة الأولى حجة مطلقا ، وأما من بعدهم فلا يقبل الا اذا كان من أئمة النقل . . . وتبصره فى ذلك ابن الحاجب وفسيره . . . (١)

وهكذا أخذ كل من المؤيدين والمعارضين يؤيد مذهبه بالنقل والعقل . وهذا لا يحسن كثيرا بقدر ما يحسننا موقف الحسن من السنة ، وقبول الأئمة منه ما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . اذا بحثنا عن ذلك نجد أن موقف الحسن البصرى من السنة موقف الحافظ الواعى الحريص على تبليغها للمجتمع الذى يعيش فيه قولا وعملا كما أمر الله ورسوله . . . والا فما كانت لديه شهوة الحديث كما يظن بعض الناس يظنهم هذا من قوله - رضى الله عنه - : " دخلنا فاعتمنا وخرجنا فلم نزل الا غما . اللهم اليك نشكو هذا الخطأ الذى كنا نحدث عنه ، ان أحبيناهم لم يفقهوا ، وان سكتنا عنهم وكلنا هم الى عى شديد والله لولا ما أخذ الله على العلماء فى علمهم ما أنبأناهم بشئ أبدا " (٢) . هذا الحرص من الحسن على تبليغ الرسالة ورغبته الملحة فى تحويل المجتمع الى ما يحبه الله ورسوله فضلا على كونه كان ثقة فى نفسه لا يتصور أبدا أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يكذب عليه

(١) الحديث المرسل - حجتيه وأثره فى الفقه الاسلامى . بحث قيم للأستاذ

محمد حسن هيتو - دار الفكر ببلدان .

(٢) جامع بيان العلم وفضله وما يتبع فى روايته وحمله لابن عبد البر المتوفى

سنة ٤٦٣ هـ ج ١ ص ٦

المرسل فانه ضعف من قبل أن هؤلاء الأئمة حدثوا عن الثقات وغير الثقات ، فإذا روى  
أحمد بن حنبل وأرسله لعله أخذه عن غير ثقة ، وضرب لذلك مثلاً وهو : أن الحسن  
البصري قد تكلم في مسجد الجهنى ثم روى عنه . (١)

وصحة الاسناد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتضى سماع الحسن من غيره .  
وعلى سبيل المثال نذكر سماع الحسن من سمرة بن جندب وعنده : قال صاحب فتح  
البارى : من سمرة بن جندب الى نبیره : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
كان يأمرنا أن نصلى كل ليلة بعد المكتوبة ما قل أو كثر ، ونجعلها وقراً . . . وروى  
البيهقى منها : أما بعد ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نخرج  
الصدقة من الذى نعد للبيع . . . ووصلت هذه الرسالة كاملة الى الحسن البصرى .  
(المتوفى سنة ١١٠ هـ) وكان يحتمل عليها فى روايته ويصح نسخها لمن شاء ، ويستمع  
الى من يرغب فى قراءتها عليه ، جاء فى كتاب الملل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل .  
عن ابن عون قال : وجدت عن الحسن - البصرى - كتاب سمرة فقرأته عليه . . . وروى  
النسائى منها : " عن الحسن ، عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : " من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالفصل أفضل " (٢)

وقال ابن حجر أيضاً : " وأما رواية الحسن عن سمرة بن جندب ففى صحيح  
البخارى سماع منه لحديث العقيدة . . . وقد روى عنه نسخة كبيرة غالبية فى السنن  
الأربعة وعند على بن المدينى : ان كلها سماع . وكذا حكى الترمذى عن البخارى  
وقال يحيى القطان : وآخرون هم كتاب . وذلك لا يقتضى الا الانقطاع وفى مسند  
أحمد حدثنا هشيم عن حميد الطويل وقال : جاء رجل الى الحسن فقال : ان عبد الله  
أبىق وانه نذر أن يقدر عليه أن يقطع بدأ فقال الحسن : حدثنا  
سمرة قال فما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أرفيها بالصدقة وشهسى  
عن المثلية . وهذا يقتضى سماعه منه لغير حديث العقيدة . وقال أبو داود عقب  
حديث سليمان بن سمرة عن أبيه فى الصلاة . دلت هذه الصحيفة على أن الحسن  
سمع من سمرة . قال ابن حجر : " ولم يظهر لى وجه الدلالة بعد " (٣) .

(١) الحديث المرسل - حجته وأثره فى الفقه الاسلامى للأستاذ محمد حسن هيتو  
ص ٢٨ ، ٣٢٠ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر المصقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ هـ  
الجزء الأول ص ١١ - تقديم السيد صقر - طبع دار الكتاب الجديد - نشر  
جريدة الأهرام .

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٤٦٧ - ٥٧٨ .

وعن حبيب الشهيد قال : قال لي محمد بن سيرين : سئل الحسن ممن يسمع حديث الحقيقة ؟ فسأله فقال : سمعته من سمرة ، قال علي : وسماع الحسن من سمرة صحيح وأخذ بحديثه : \* من قتل عبده قتلناه \* (١) .

كذلك روى الحاكم عن الحسن عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تباع الشاة باللحم . وقال الحاكم عن هذا الحديث : رواه عن آخرهم أمية حفاظ ثقات . فرواية الحسن هذه — عن سمرة — هي العاضد للمرسل الذي قبله الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وعلى به . وهو مرسل سعيد بن المسيب في حديث النهي عن بيع الحيوان باللحم . وقد قال الترمذي في باب ( ما جاء في كراهية بيع الحيوان بالحيوان نسيئة ) مبينا رواية الحسن عن سمرة : " وسماع الحسن من سمرة صحيح ، هكذا قال علي بن المديني وغيره . قال الحاكم : احتج البخاري بالحسن عن سمرة وله شاهد مرسل في الموطأ . (٢)

من كل ما سبق نعلم بأن سماع الحسن البصري من سمرة هو الغالب بما في ذلك حديث الحقيقة وغيره كما عرفنا .

وهذا كمثل فقط والا فهناك الكثير من الأمثلة التي لا يحتملها المقام . وما دام الأمر كذلك فمن الممكن قبول أحاديث الحسن عن سمرة وعن كل ما يثبت سماعه منه . وعلى هذا فالحسن البصري له ضلع كبير في رواية السنة النبوية الشريفة . أما عن مراسيل الحسن فهي والحمد لله كما قال الكثير من العلماء مقبولة غاية ما في الأمر أنها ضعيفة في رأي بعض العلماء . وأصح المراسيل مراسيل سعيد بن المسيب . (٣)

### المذلس :

ذكرنا فيم سبق أن الحسن — البصري — رحمه الله اشتهر بالنسبة للمذلة النبوية الشريفة بأمرين وهما : الارسال ، والتدليس . وقد تحدثنا — على قدر المستطاع — عن الارسال ونسبته الى الحسن البصري ومبينا حجينة المرسل وقبوله . وعرفنا أن

(١) كتاب التاريخ الكبير للبخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ — الجزء الأول القسم الثاني ص ٢٨٧ .

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ — من الطبعة الأولى الى السابعة — الطبعة الثالثة ، والحديث المرسل . . . وحجينة في الفقه الاسلامي .

(٣) روى عن يحيى بن معين أنه قال : " مراسلات ابن المسيب أحسن من مراسلات الحسن ، ومراسلات أبي إمام صحيحة الا حديث تاجر المحب . ( السنن الكبري )

الارسال لم يكن عينا جوهريا يوصم به الحسن وغيره من الأئمة الأعالم الموصوفين بذلك . .  
 بقى أن نحرف الوصف الآخر الذى علق بالحسن وهو التدليس . وحتى تتبين لنا  
 هذه العلاقة . يحسن بنا أن نلقى الضوء على هذا الوصف المذكور .

التدليس : لغة : كتم المصنف فى المبيع ونحوه . أصله من الدلس وهو  
 الظلمة أو اختلاط الظلام .

واصطلاحا : اخفاء حال الشيخ أو السند لغرض من الأغراض ، وينجلى معناه  
 بشكل أوضح بعد معرفة أقسامه وتحريف كل قسم .

القسم الأول : تدليس الاسناد . وهو أن يسقط الراوى من حدسه من الثقات  
 لصغره أو من الضعاف ولو عند غيره فقط ويرتقى لشيخ شيخه فمن فوقه ممن عرف له منه  
 سماع ويأتى بلفظ عن أو ان أو قال موهما به الاتصال .

الثانى : دون الأولى التدليس للشيخ وهو أن يصف المدلس الشيخ الذى سمع  
 ذلك الحديث منه بما لا يشتهر به من اسم أو كنية أو لقب أو نسبة الى قبيلة أو بلدة  
 أو ضيعة ونحو ذلك . كى يجعل الطريق على السامع منه عسرا كقول أبى بكر بن مجاهد  
 المقرئ حدثنا عبد الله بن أبى عبد الله يريد به عبد الله بن أبى داود السجستاني .

الثالث : تدليس التسوية وهو أن يروى حديثا عن ضعيف بين ثقتين لى  
 أحدهما الآخر فيسقط الضعيف ويروى الحديث عن شيخه الثقة عن الثقة الثانى بلفظ  
 يحتمل فيصير الاسناد كله ثقات وهذا القسم شر الأقسام لما فيه من الضرر  
 الشديد . (١)

وليست هذه كل الأقسام للتدليس فهناك أقسام أخرى ليس هنا موضعها .  
 وعلى هذا فما هى علاقة الحسن البصرى بالتدليس ؟ وكيف نفسر قول العلاء على  
 أنه مدلس وضمنة المدلس لا تقبل ، ولا يثبت بها الاتصال خاصة وأن الأحاديث  
 المروية عنه من الامام على منعنة فلا يثبت بها المطلوب . . ؟

(١) التاريخ الكبير للحافظ ابن عساكر الشافعى — المجلد الثانى ص ٢٤ ،  
 مطبعة روضة الشام سنة ١٣٢٩ هـ ، وقانون الرواية عند الحديثين أو علم  
 مصطلح الحديث للأستاذين محمد سيد ندا ، السيد محمد الحكيم  
 بكية أمربى الدين . ص ٦١ .



والجواب على هذا أن الحسن البصري روى أنه رأى علياً وسامعاً  
منه . . . فلا يكون بعد هذا مدلساً وعلى سبيل المثال : قال  
البخاري في التاريخ الصغير في ترجمة سليمان بن سالم القرشي أبي داود المطار  
سمع علي بن زيد من الحسن قال : رأيت علياً والزيير التزما ورأيت علياً وعثمان التزما .  
وحديث آخر يثبت السماع وهو : قبل أبي يعلى في ( مسنده ) حدثنا حوثر بن  
أشريس قال : أنا عقبه بن أبي الصهباء الباهلي قال : سمعت الحسن يقول :  
سمعت علياً عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل أمي  
مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره " قال الحافظ ابن حجر المسقلاني بعد أن  
أورد هذا الحديث في تهذيب التهذيب : قال محمد بن الحسن الصيرفي  
شيخ شيوخنا : هذا نص صريح في سماع الحسن من علي كرم الله وجهه ، ورياله  
ثقات ، وحوثر وثقه ابن حبان ، وعقبه ، وثقة أحمد ، وابن معين . إلى آخر  
ما قيل في هذا المجال مما لا يتسع المقام لذكره لأن هذا يحتاج إلى بحث مستقل  
نرجو الله تعالى أن يميننا على إخراجه أنه سمع مجيب .

د — في الفقه —

تمهيد :

الفقه بالكسر — كما جاء في كتب الفقه — هو : العلم بالشئ " والفهم له والفتنة .

وغلب على علم الدين لشرفه ، أو هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد ، أو هو الفهم (١) . ثم اطلقت كلمة " فقه " على ما يتناول الأحكام الدينية جميعها . ويؤيد هذا قول الله عز وجل : " فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " (٢) .

وعلى هذا الاطلاق فالفقه يمثل الطابع الحقيقي للتفكير الاسلامي ، ثم بعد انتهاء العصر الأولي للإسلام اتسعت الفتوحات وزادت رقعة دولة الاسلام ودخل في دين الله أقوام كثيرون . مما استتبع ازدياد الأحكام وتنوع الفتاوى ، فدعى هذا الى قصر كلمة ( فقه ) على العلم بالأحكام الشرعية المطبقة المكتسبة من أدلتها التفصيلية ، كما أطلقوا الفقه أيضا على هذه الأحكام نفسها (٣) .

معنى هذا أنه علم مستنبط بالرأى ، والاجتهاد ، ويحتاج فيه الى النظر والتأمل ، ولذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى " فقيها " لأنه لا يخفى عليه شئ ، كما لا يجوز أن يسمى الرسول كذلك لأنه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى .

أما عن ( الفقيه في الاصطلاح الشرعي ) من يكون " الفقه " ملكة له ويطلق على المتفقهين المارفين بالأحكام الشرعية الثابتة للأفعال الانسانية التي هي موضوع الفقه .

(١) الظاموس المحيط ج ٤ ص ٢٩١ ، والفردات في غريب القرآن ، مادة " فقه " ، ومادة " فقه " ذكرت في القرآن في عشرين موضعا .

(٢) سورة التوبة آية رقم ١٢٢ .

(٣) المدخل للفقه الاسلامي . تاريخه ومصادره ونظرياته العامة للدكتور محمد سلام مذكور ص ٤١ وما بعدها ، وكتاب : أصل الفقه للدكتور طه عبد الله الله سموني ص ١٧ ط الثالثة .

والشخص لا يصير فقيها الا بمعرفة جملة من الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال  
المكلفين ، ولا بد أن يكون العلم بها ناشئا عن نظر واستدلال بأدلتها التفصيلية وذلك  
بمعرفة النصوص وظلها وضبط الفروع بأصولها .

وليس هذا الاعتبار سائدا عند جميع الفقهاء . فانا نجد فقهاء الأحناف  
يشترطون ليكون الشخص فقيها فوق ما تقدم أن يحل بهذه الأحكام الفقهية لأن العلم  
بها في نظرهم ليس مقصودا لذاته وانما ليحل به .

وما قاله الأحناف هذا يوافق الى حد كبير رأى الحسن البصري في نظريته  
الى الفقه والفقهاء . يظهر لنا هذا حينما جاء اليه رجل فسأله : الفقهاء يقولون  
كذا . فقال له الحسن : " هل رأيت فقيها قط . انما الفقيه الزاهد في الدنيا  
البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه " . وقال أيضا : " والله ما طلب هذا  
العلم أحد الا كان حظه منه ما أراد به " وعن سفيان بن عيينه عن أيوب قال :  
" لو رأيت الحسن لقلت انك لم تجالس فقيها قط " (١) .

أما هدف التشريع الاسلامي فهو : مصلحة الانسان ، والسلام الدائم القائم  
على العدل . ولذا نجد موافقا للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها . كما  
قال عز من قائل : " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ،  
لا تبتدل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (٢) . وما روى عن  
النبي صلى الله عليه وسلم : " ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت  
لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى " (٣) .

وسبق للدكتور القاضي : " ان الناظر في الأحكام الشرعية يدرك أمرا هاما  
هو أنها كلها فطرة انسانية ، لا تخالف الفطرة ، بل محققة لها متفقة معها ، فهي  
على قلة نصوصها بعضها مستمد من طبيعة البشر كأحكام الميراث ، فانها مناسبة  
لطبيعة البشر " (٤) .

(١) المدخل للفقه الاسلامي للدكتور محمد سالم مذكور ص ٣٧ ، والكواكب الدرية  
للغناوي ترجمة رقم ٧٩ ، وجامع بيان العلم . لابن عبد ربه ج ١ ص ٧٢ ،  
وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج ٢ ترجمة الحسن البصري .

(٢) سورة الروم آية رقم ٣٠ .

(٣) رواه البزار عن جابر (ض) من الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ١٧٢ .

(٤) من بحث للدكتور مختار القاضي ضمن المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية  
بالأزهر الشريف ص ٩٤ .

هذا الفقه أو التشريع الاسلامي مبادئ ومختلفة • حتى وصل الى النضج والكمال والذي يعنينا منها في هذا المقام دور النشأة ، ودور الشباب •

دور النشأة : كما سماه الفقهاء يطلق على التشريع في عصر النبوة • ومن الممكن تلخيص الخطوط المريضة لهذا التشريع في النقاط التالية :

- ١ - أن سلطة التشريع في هذا العصر كانت للرسول صلى الله عليه وسلم وحده ، وأن مرجعه في التشريع الوحي الظاهر والباطن •
- ٢ - أن آيات الأحكام كانت تمنزل لسبب أو جواباً عن سؤال •
- ٣ - أن الفقه الاسلامي لم يثبت جملة بل ثبت مجزئاً متتابعاً •
- ٤ - أنه لم يكن هناك مجال للخلاف أو الاختلاف فان الرجوع الى الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقتضي على أسباب ذلك (١) . .

أما دور الشباب للفقه الاسلامي فيطلق على عصر الصحابة والتابعين •

هذا الدور حدثت فيه عوامل ومؤثرات أدت الى نموه وازدهاره أهمها :

- أ - امتداد الاسلام شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً •
- ب - هجرة الصحابة بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه •
- ج - افتراق المسلمين الى خوارج وشيعة • •
- د - انقضاء عهد عمر بن الخطاب رحمه الله •

ومن الطبيعي أن يكون لهذه العوامل أثرها في الفقه وفي ظهور الاجتهاد والمجتهدين ، ان كل من الصحابة القادرين على تعمق القرآن الكريم يجتهد فسي فهمه وفهم ما ثبت عنده من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كان هذا الحديث أوداك قد يصح عند البعض دون البعض الآخر •

وهكذا بدأ الفقه الاسلامي يتكون ، وبدأت أصوله تصرف وتتميز ، نعمنى الكتاب والسنة ، والقياس ، والاجماع •

(١) نشأة الفقه الاجتهادي وأطواره للشيخ محمد علي السامح ص ٣٤ - ٣٥

سلسلة البحوث الاسلامية عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر •

وأخذت أعراف وقوانين البلاد المختلفة ، التي أصبحت تحت راية الاسلام وتكون  
جسم الدولة الاسلامية تؤثر في الفقه والتشريع بصفة عامة أثرا غير قليل . . . (١)

ومضى من التوضيح — مثلا — نرى أبا بكر الصديق — خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما إذا عرض له أى أمر من أمور المسلمين يحتاج فيه الى الاستفتاء . . . نظر  
أولا الى القرآن الكريم . . . فان وجد فيه ما يحتاج اليه من الفتوى قضى به . . . فان لم يجد  
لجأ الى ما يعرفه من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم فان وجد فيه طلبته قضى به . . .  
فان لم يجد ما يريد لا فى الكتاب ولا فى السنة ، لجأ الى الصحابة ، فان وجد عند  
أحد هم شيئا من أحاديث الرسل عليه السلام قضى به والا جمع أهل الحل والمقصد  
فاستشارهم ثم يقضى بما يجتمعون عليه . . . ومعد أن لحق أبو بكر بربيه . . . فمسل  
سيدنا عمر مثل سابقه الا أنه كان يتحصى رأى أبى بكر الصديق . . . فان لم يجد له رأيا  
فى المسألة . . . جمع أهل الرأى والمشورة وقضى بما اجتمعوا عليه . . .

ومع هذا فقد كان الشيخان — أبو بكر وعمر — يجتهدان فى بعض الأمور  
الضرورية التى لا بد من الاجتهاد فيها . . . ليس هذا فقط بل كانا يستعملان القياس  
فى بعض الأحيان . . . خاصة أمير المؤمنين عمر الذى عرف له التاريخ بعض الآراء فى حياة  
المصطفى صلى الله عليه وسلم . . . نزل القرآن موافقا لها . . . مثل حادثة أسرى بدر وغيرها . . .  
الا أن عمر — رضى الله عنه — نفسه كان يجتهد فى الرأى بنور الله ، وكان يتخوف  
على الناس أن يجتهدوا برأيهم فيضلوا ويضلوا . . . والدليل على ذلك كتابة السرى  
شريح بن الحارث الكندى المتوفى سنة ٨٠ هـ وقيل سنة ٨٧ هـ حين ولاه قضاء الكوفة ،  
فيقول له : ان جاءك شئ فى كتاب الله فاقض به ولا يفتك عنه الرجال ، فان جاءك  
ما ليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتكلم فيه أحد  
قبلك ، فاختر أى الأمرين شئت : ان شئت أن تجتهد برأيك فتقدم ، وان شئت أن تتأخر  
فتأخر ، ولا أرى التأخير خيرا لك (٢) .

(١) الفقه الاسلامى ، مدخل لدراسته ونظام المعاملات فيه للدكتور محمد يوسف موسى  
ص ٢٧ — ٢٨ .

(٢) حجة الله البالغة للإمام الدهلوى ج ١ ص ١٤٩ تحقيق الشيخ السيد سابق ،  
واعلم الموقعين لابن القيم ج ١ ص ٥١ ، ٢٠ ، والتشريع الاسلامى وأثره فى الفقه  
الفريق للدكتور محمد يوسف موسى ص ١٠ — ١٣ .

وهناك العديد من الأمثلة يطول المقام بسذكرها مثل : قصة الجدة التي جاءت الى أبي بكر الصديق وأراد أن يلتصق لها ميراثا ، والجدة مع الاخوة الذي حدث بسببه جدال بين الصحابة واستقر رأي عمر على إعلاء الاخوة ، وأرض العراق والشام التي فتحت غزوة • استقرار الأمر - بعد أخذ ورد - على تركها مع أهلها وتوظيف الخراج عليها •• (١)

نلمح مما سبق أن الكثير من الصحابة عليهم رضوان الله تعالى كان يفتى بالرأى اذا لم يجد في الكتاب أو السنة •• مثل الخلفاء الراشدين ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الله ابن مسعود ••

أما عن فقه التابعين : فلا نكاد نجد خلافا يذكر عن فقه الصحابة الذي عرفنا اشارة عنه • وكفى أنهم " تابعون " لما كانوا عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم • لم يشذوا في ذلك • ولم يكن هذا الا بركة حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون (٢) ويحبون السمن يمحطون الشهادة قبل أن يسألوها " (٣) • ورحم الله الدكتور محمد يوسف موسى الناقل في حقهم : " هؤلاء التابعون استحقوا هذا الوصف الشريف لاتباعهم هبدي الرسول وسنن صحابته الأكرمين ، وسيرهم في الطريق الذي ساروا فيه ، فليس للباحث في المأثور عنهم أن يتوقع اختلافا يذكر عن طريقة الصحابة في معرفة الأحكام واستنباطها • انهم ساروا سيرتهم في تصرف ظل الأحكام التشريعية ، وفي رعاية مقاصد الشريعة والمصالح التي تهدف لها ، وفي عدم الوقوف عند النصوص والجمود عليها " (٤) •

وأخذ الفقه في التابعين يحصى حتى اشتهر فيما بينهم " الفقهاء السبعة " كما أخذ يتقلص في مجموعه حتى وصل الى الموالى واشتهروا به : قال عبد الرحمن بن زيد ابن مسلم : لما مات الصبابة (عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص) صار الفقه في جميع البلدان الى الموالى : فقيه مكة عطاء ، وفقيه اليمن طاوس ، وفقيه اليمامة يحيى بن كثير ، وفقيه البصرة الحسن البصري ،

(١) التشريع الاسلامي - أهدافه واتجاهاته للدكتور محمد أنيس عباد ص ٩٧ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٣ ، والثركة والميراث في الاسلام بحث مقارن للدكتور محمد يوسف موسى ص ٢٢٦ ، وكتاب الشهادة في تاريخ التشريع الاسلامي للدكتور ابراهيم دسوقي الشهادة ص ٥٣ •

(٢) يتسمنون : ينهمكون في لذيق المطاعم ولذاتها •

(٣) هذا حديث صحيح رواه الترمذي ، والحاكم عن عمران بن حصين • وهناك روايات أخرى عن عائشة رضي الله عنها ، وابن مسعود ، وجده بن هبيرة رضي الله عنهم أجمعين •

(٤) تاريخ الفقه الاسلامي - فقه الصحابة والتابعين للدكتور محمد يوسف موسى ج ١ ص ٩٨ •

وفقيه الكوفة إبراهيم النخعي ، وفقيه الشام مكحول ، وفقيه خراسان  
علاء الخراساني .. (١) .

والحسن البصري بلا منازع أحد الفقهاء المشهورين الذين تركوا أثرا كبيرا  
في الفقه الاسلامي . حتى أن بعض العلماء روى عن محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج  
القاضي أبو عبد الله القرطبي أن له كتابا تحت عنوان " فقه الحسن البصري " .  
في سبع مجلدات (٢) . ولأسف لم نعثر على هذا الكتاب الهام . ولكن آراءه وفقاهه  
امتثلت بها كتب الفقه القيمة التي يعتمد بها قديما وحديثا . مثل : المغني لابن  
قدامة ، والألم للامام الشافعي ، والمطلى لابن حزم ، وأعلام الموقعين لابن القيم  
وفتح القدير لابن الهمام ، واختلاف الفقهاء للطبري ، وموسوعة الفقه الاسلامي الذي  
يعنى باخراجها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية . . . كما أن الشيرازي وضممه  
بين طبقات الفقهاء .. (٣)

وبالطبع لن نستطيع حصر كل هذه الآراء الفقهية للحسن البصري ، ولكن  
سنذكر — باذن الله تعالى — بعض الأمثلة ليتبين منها فكر الحسن في ناحية الفقه  
أو التشريع الاسلامي . .

#### ١ — الحرية الدينية في فكر الحسن :

حينما ننظر الى روح الاسلام وتعاليمه السمحة . نجد أنه يتعامل  
مع الانسان على أنه بشريكي المعاني التي يؤديها مدلول هذه الكلمة  
وعلى هذا فيعطيه الحرية الدينية ، والفكرية ، والمدنية ، والسياسية . .  
ذلك قبل أن يتشدق المتعالمون باعلان حقوق الانسان العالمي الذي  
ورد فيه : " يولد الناس جميعا أحرارا متساويين في الكرامة وفي الحقوق " .  
وهم ذو عقل وضمير ، ويجب أن يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء " وفيه أيضا :  
" لكل شخص الحق في حرية التفكير ، والضمير ، والدين . . ويشمل هذا  
الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته ، وحرية الاعراب عنهما بالتعليم

(١) شذرات الذهب لابن الصاد الحنبلي ج ١ ص ١٠٣ .

(٢) جذوة المقتبس ص ٤٠ ، ومغنية الملقن ص ٤٩ .

(٣) طبقات الفقهاء لأبي اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ، بغداد ١٣٥٦ هـ  
تحقيق الدكتور احسان عباس .

والممارسة واقامة الشعائر ومراعاتها سواء كان ذلك سرا أو مع الجماعة " (١) .  
وعنه الأقوال وغيرها من الاعلان العالمي لحقوق الانسان لم تأت بجديد مما جاء  
به الاسلام اذا جردت عن العصبية الحمياء ..

والحسن البصرى له فى هذا المجال الفكرى كلام يجب أن ينظر اليه بعناية .  
هذا الكلام له خطورته ووزنه على المستوى البشرى كله .

فقد أرسل اليه خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز يسأله " ما بال خلفاء  
الراشدين تركوا أهل الذمة بما هم عليه من الزواج بالمحارم التى لا تحل فى دين الاسلام  
واقترناء الخنازير والخمر ، فكذب اليه الحسن البصرى : " ان الاسلام يوجب تركهم  
وما يحتقدون وانما أنت متبع ولست بمبتدع " . فهذا الرد من الحسن فقيه عصره  
على عمر بن عبد العزيز حاكم عصره . يدل على مدى الحرية التى أعطاها الاسلام  
لأهل الذمة فى الحمل بشرىحتهم وهذا الكلام للحسن يساير روح الكتاب والسنة  
وعمل الصحابة قبله . قال تعالى " لكم دينكم ولى دين " (٢) ، وقال تعالى : " لى  
على ولكم عظيم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون " .. (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم : " انكم ستفتحون مصر ، وهى أرض يسى فيها  
القيراط . فاذا فتحتموها فأحسنوا الى أهلها ، فان لهم ذمة ورحما أو " ذمة  
وصبرا " (٤) .

وجاء فى المعاهدة التى ذكرها عمرو بن العاص لأهل مصر : " هذا ما أعطى  
عمرو بن العاص لأهل مصر من الأمان على أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم وكنائسهم  
وصلبانهم وبرهم وبحرهم . لا يدخل عليهم شئ من ذلك ولا ينتقص " .

وحينما دخل الفاروق عمر كنيسة القيامة وحان وقت الصلاة طرد الكنييسة الى  
خارجها ، وأدى الصلاة الواجبة .

(١) المادة رقم (١) ، (١٨) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذى أصدرته  
الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٠/١٢/١٩٤٨ م

(٢) سورة الكافرون آية رقم ٦

(٣) سورة يونس آية رقم ٢٢

(٤) انظر الاموال ص ١٠٠



ولما سئل في ذلك قال : " انى أنفى اذا ما صليت فى الكنيسة أن يقول المسلمون : هنا صلى عمر ، ثم يتخذوه مسجدا • ولا يزال مسجده خارج الكنيسة الى اليوم شاهد صدق على ساحة الاسلام وحمايته للحرية الدينية • • (١)

ويقول الشيخ محمد الغزالي : " كن مسيحيا أو اسرائيليا ، ولكن لا تكن خصما للاسلام ونبيه وأتباعه تمنى لهم الشر وترى بهم الدوائر •

واذا استفحل فى نفسك الكره لهذا الدين ، فاحذر أن يتجاوز فؤادك الى الحياة الخارجية عراكا مسلحا ، ولا فأنت الملووم " (٢) • قال تعالى : " قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، ونحن له مخلصون " (٣) ، وترى أيضا فى سورة التوبة — وهى التى أظنت الحرب على طوائف من أهل الكتاب — ترى السورة ختمت بهذا التوجيه الالهى الكريم : " فان تولوا فقل : حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم " (٤) •

### هل الكلام يبطل الصلاة ؟ :

اتفق جميع العلماء على أن الكلام العمد فى الصلاة لغير اصلاحها — أولاً — يوجبه يفسدها • لقول زيد بن أرقم " كنا نتكلم فى الصلاة ، يكلم الرجل منا صاحبه وهو الى جنبه فى الصلاة حتى نزلت : وقوموا لله قانتين • فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام " (٥) • أما كلام السامى والجاهل • فقد اختلف العلماء فيهما • يرى الجمهور ، وابن المبارك ، والنخعى ، وأبو حنيفة بطلان الصلاة لمصوم أحاديث النهى •

أما الحسن البصرى ويتبعه الأئمة مالك ، والشافعى وابن حنبل ومضى التابعين كفتادة وعطاء بن أبى رباح • • وكذلك بعض الصحابة كابن مسعود ، وابن عباس وغيرهما فهؤلاء جميعا يرون عدم بطلان الصلاة • واستدلوا بحديث ندى اليمين ، وحديث ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم

- (١) مجلة عالم الفكر الكويتية — بحث قيم للدكتور زكريا البرى عن الاسلام وحقوق الاسلام — المجلد الأول : العدد الرابع •
- (٢) حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام وعلان الأمم المتحدة للشيخ محمد الغزالي ص ١١٠ — الطبعة الثانية سنة ١٩٦٥ م •
- (٣) سورة البقرة آية رقم ١٣٩ • (٤) سورة البقرة آية رقم ٢٩ •
- (٥) نسخة البخارى ومسلم وغيرهما وقال الترمذى : حسن صحيح •

قال : ان الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . (١) . كما استدلوا على عدم بطلان صلاة الجاهل بقصة معاوية بن الحكم السلمي حينما سمعت عاتسًا في الصلاة فقال له الرسول بعدها : ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس . . هذه الأدلة التي استدل بها القائلون بعدم بطلان الصلاة بالنسبة للجاهل والجاهل . لم تسلم من الاعتراض والنقد من الفريق الأول (٢) .

وعلى كل فالحسن البصري نراه دائما في استنباطه للأحكام الفقهية يسير روح الاسلام مع ملاحظة بشرية الانسان . .

### ٣ — حكم من مات بدون حج مع القدرة عليه :

الحج ركن من أركان الاسلام بالأدلة العقلية والعقلية . . ويعتبر من أفضل العبادات في الدنيا . وكناه قول النبي صلى الله عليه وسلم : " حينما سئل عن أفضل الأعمال قوله : ايمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟ قال : ثم جهاد في سبيل الله قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور " .

"وقد سئل الحسن البصري عن الحج المبرور قال : أن يرجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة " (٣) .

"وقال الحسن البصري : " من مات عقيب رمضان أو عقيب غزوة أو عقيب حج مات شهيدا " (٤) .

وإذا كان للحج هذا الفضل الكبير لا بد وأن يكون عقاب من يموت تاركا له جسيما . ومن ثم حينما قال سبحانه وتعالى مخبرا عن فريضة الحج في قوله تعالى : " ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين " (٥) .

(١) أخرجه ابن ماجه وابن حبان والدارقطني والطبراني والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(٢) الدين الخالص أو ارشاد الخلق الى دين الحق للشيخ محمود خطاب السبكي ج ٤ ص ٣ — ٦ ، وكتاب الأم للإمام الشافعي ج ١ ص ١٠ طبعة كتاب الشعب .

(٣) فقه السنة للشيخ السيد سابق ج ٥ ص ٢٠ .

(٤) احياء علوم الدين للإمام الفزاري ج ١ ص ٢٤١ .

(٥) سورة آل عمران الآية رقم ٩٦ — ٩٧ .

فى ضوء هذا القول الالهى الكريم نرى الامام الحسن البصرى يقرر هذا الحكم  
الفقهى الذى يقبل فيه : " ان من ترك الحج وهو قادر عليه فهو كافر " .

هذا الحكم يعبر قاسيا وشديدا . ولكن اذا نظرنا الى الحسن كيف وصل  
فكره فى الفقه الاسلامى لعرفنا أنه لا ينطق الا عن بصيرة . وهذه هى الأدلة :

أ — ختم الله تعالى آية الحج السابقة بقوله : " ومن كفر فان الله غنى عن  
العالمين " . قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : أن ومن جحد  
فريضة الحج فقد كفر والله غنى عنه . وعن عكرمة قال : نزلت : " ومن  
يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه " قال اليهود : فنحن مسلمون  
قال الله عز وجل : فاخصمهم فحجهم يعنى فقال لهم النبى صلى الله  
عليه وسلم : " ان الله فرض على المسلمين حج البيت من استطاع اليه  
سبيلا " فقالوا لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا . قال تعالى : " ومن  
كفر فان الله غنى عن العالمين " .

ب — قول الرسول عليه الصلاة والسلام : من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله  
ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك أن الله تعالى يقبل  
فى كتابه : " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا " (١)

وفى رواية قتادة عن الحسن البصرى قال : قال عمر رضى الله عنه : لقد هممت  
أن أبحث رجالا الى الأمصار فينظرون الى من كان له مال ولم يحج فيضربون عليه  
الجنة ، فذلك قوله تعالى : ( ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ) (٢) .

وقال ابن جرير : حدثنى يعقوب حدثنا ابن عيسى عن يونس عن الحسن  
البصرى قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ولله على الناس حج البيت  
من استطاع اليه سبيلا " فقالوا يا رسول الله : ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة (٣) .

---

(١) أخرجه ابن عدى من حديث أبى هريرة والترمذى نحوه من حديث على وقال :  
غريب وفى اسناده مقال .

(٢) تفسير القرطبى ج ٤ ص ١٥٣ ، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٨٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٨٦ — ورواه وكيع فى تفسيره عن سفيان عن يونس .

من نظر الى هذه النصوص المختلفة في أهمية فريضة حج بيت الله الحرام والى الأغنياء الذين أعطاهم الله بسطة في المال والصحة . . ثم يدخلون على الله بمسال الله بينما ينفقون على المآثرات والمعدات الرخيصة الكثير من الأموال التي لا يلقون لبذلها في هذا المجال بالا . . من نظر الى هذا يجد أن الحسن البصري - رحمه الله - معذور في حكمه الشديد هذا . على من مات تاركاً للحج وهو قادر عليه . . . ولكن حينما ننظر الى هذا الحكم بنظرة الضعف البشري - خاصة في القرن العشرين - نجد أن هذا الحكم فيه قسوة وشدة وسيضيع بسببه الكثير والعيان بالله . اذا فما موقفنا من النصوص السابقة وغيرها ما لم يتسح المقام لذكره ؟ . وللجواب على ذلك نقول : اذا كان الانسان قادراً على الحج ولم يحج فقل له لم لم تحج - مثلاً - فأنكرها وجدها أو استهزأ بها . فمثل هذا الانسان لا شك في كفره لأنه أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة . أما اذا لم ينكرها وحيث اذا سئل عن أداء هذه الفريضة قال - مثلاً - ربنا يوفقنا . . مثل هذا الانسان لا يمكن أن نحكم عليه بالكفر . ويكون حكم الحسن وغيره على من جحدوها وأنكرها . وتكون النصوص الواردة في هذا المقام كما قال القرطبي : " هذا خرج مخرج التخليط ، ولهذا قال علماؤنا : تضمنت الآية أن من مات ولم يحج وهو قادر فالوعد يتوجه عليه ، ولا يجوز أن يحج عليه غيره ، لأن حج الغير لو أسقط عنه لفرض لسقط عنه الوعد " . وقال سعيد بن جبير : لو مات جارك ولم يمسره ولم يحج لم أصل عليه (١) . . والله أعلم .

#### ٤ - حكم الزكاة في مال الصبي والمجنون ومن في حكمهما :

الزكاة هي الركن المالي الاجتماعي من أركان الاسلام الخمسة ، وبها - مع التوحيد وإقامة الصلاة - يدخل المرء في جماعة المسلمين ، ويستحق أخوتهم والانتماء اليهم ، كما قال تعالى : فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين " (٢) . .

وتعد الزكاة في الحقيقة وواقع الأمر جزءاً هاماً من نظام الاسلام الاجتماعي ومن هنا ذكرت في كتب السياسية الشيعية والمالكية .

(١) تفسير القرطبي ج ٤ ص ١٥٤ .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١١ . وفي تفسير القرطبي ج ٨ ص ٨١ قال ابن مسعود : أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يترك فلا صلاة له . وفي نفس الجزء من التفسير ص ٢٤٤ يقول خليفة رسول الله أبو بكر الصديق : " والله

فلا عجب اذا أن عني فقها المسلمين ببيان أحكامها كل في دائرة اختصاصه .  
وقد أجمع العلماء من المسلمين على وجوبها — بالنقل والمقل — في مال المسلم  
البالغ الحاقلي ، ولكمهم اختلفوا في مال الصبي والمجنون هل تؤخذ منهما الزكاة  
أم تؤجل حتى يبلغ الصبي ويحقق المجنون ؟ ..

العلماء في هذا على فريقين :

الفريق الأول : وفي مقدمتهم الامام " الحسن البصري " يرى عدم وجوب الزكاة  
فقد روى عنه أنه قال : " ليس في مال اليتيم زكاة الا في نزع أو ضرع " (١) ، ومثله  
الحسن قال مجاهد التابعي المفسر ، ووافقه أبو خيفة في النزع فقط وما عداه  
من الأموال فلا .

وهناك من العلماء من منع وجوب الزكاة مطلقا مثل : الشعبي ، والباقر  
والنخعي .. هذا الفريق القائل بعدم وجوب الزكاة في مال الصبي وما يماثله  
له أدلته نلخصها فيما يلي :

١ — الزكاة عبادة محضة كالصلاة تحتاج الى نية من صاحبها والصبي والمجنون ومن  
في حكمهما لا تتحقق منهما النية قياسا على الصلاة في سقوطها عنهما :

٢ — حديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : " رفع الظم عن ثلاثة : عن النائم  
حتى يستيقظ وعن المبتلي حتى يبرأ وعن الصبي حتى يكبر " (٢) ورفع الظم  
كناية عن عدم التكليف .

٣ — قوله تعالى : " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها " .. (٣) .

٤ — مصلحة الصبي والمجنون ومن في حكمهما اذا ما أخرجت زكاتها بانتظام  
تقتضي على تركهما . لذلك تقتضي المصلحة عدم الزكاة خشية ضياع الأموال ..

الفريق الثاني : من العلماء يرى وجوب الزكاة في مال الصبي وما يماثله وفي مقدمة

هذا الفريق : جابر بن زيد ، وعطاء ، وطاوس ، والشافعي ، وأحمد ، وابن أبي  
ليلى ، وابن عيينه ، وهو قول عمر وابنه من الصحابة .. هذا الفريق له أيضا أدلته

(١) الأموال لأبي عبيد ص ٤٥٣ .

(٢) هذا حديث صحيح عن عائشة رضي الله عنها — رواه الامام أحمد في مسنده ،  
وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم . وفي رواية أخرى عن عمر وعلى :  
.. عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي

حتى يحتلم . رواه أحمد وأبو داود والحاكم .

(٣) سورة التوبة آية رقم ١٠٣ .

في وجوب الزكاة تتلخص فيما يلي :

- ١ — عموم النصوص الواردة في وجوب الزكاة من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ..
- ٢ — أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأولياء أمور اليتامى ومن في حكمهم باستثمار أموالهم مثل قوله : " اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلوها الزكاة " (١)
- ٣ — تأييد الكثير من الصحابة لوجوب الزكاة في أموال هؤلاء مثل : عمر وعيسى ، وعائشة ..
- ٤ — اعتبار أن المقصود من الزكاة سد خلقة الفقراء من مال الأغنياء ، شكر الله تعالى وتطهيراً للمال ، ومال الصبي وما يماثله قابل لأداء النفقات والخراجات ، فلا يضيع عن الزكاة .. (٢)

هذه الأدلة من الفريقين لم تسلم من اعتراض كل منهم " ولكل وجهة هو موليها " ومعد أخذ وردّ وموازنة وترجيح للآراء بسط القول فيها الأستاذ يوسف القرضاوى في بحثه القيم " فقه الزكاة " خي بهذه الخلاصة : أن مال الصبي والمجنون — ومن في حكمهما — فيه الزكاة ، لأنها حتى يتعلق بالمال فلا يستقطب بالصغر والمجنون .. ومستوى في ذلك أن يكون ماله مباحية سائمة أو زرعاً وثماراً ، أو تجارة أو نقوداً بشرط ألا تكون النقود مرصودة لنفقاته الضرورية ، فإنها حينئذ لا تكون فاضلة عن الحاجة الأصلية له . ويطالب ولي الصبي والمجنون .. بإخراج الزكاة عنهما . والأولى — كما قال بعض المالكية — أن تقضى بذلك محكمة شرعية ، ليرفع حكمها الخلاف ، ولا يتمرض الولي للمطالبة بغرامة أو تعويض بناءً على مذهب الخفية (٣) .

واننى بعد هذا العرض الموجز لهذه القضية أميل الى الفريق الثانى القائل بوجوب الزكاة فى مال الصبي ومن فى حكمه حتى يحصل لأموالهم التطهير والتركيبة من جهة ، ومن ناحية أخرى لئلا يكون هناك تكديس للأموال لا ينتفع بها المجتمع الاسلامى . ولكن بشرط أن يضمن الحاكم عدم التلاعب فى أموال هؤلاء الذين لا يحسنون التصرف .

(١) حديث صحيح عن أنس رواه الطبرانى فى الأوسط .

والحسن البصرى — رحمه الله — لم يقل بعدم وجوب الزكاة فى أموال هؤلاء —  
 الا فى نزاع أو ضيق — الا لأنه يعلم تماما مدى حرصه على مصلحة أفراد المجتمع والعمل  
 على حفظهم من الضياع والتشرد .. هذا المعنى شىء \* والترحيل بين آراء الفقهاء  
 وتفضيل البعض على الآخر حرصا على كيان المجتمع ككل شىء \* آخر \* خاصة وأن  
 المجتمع الاسلامى الذى جعل الله غايته \* والرسول قدوته \* والجهاد سبيله \* والموت  
 فى سبيل الله أسى آمنه \* لا يضيع فيه يتيم ولا ضعيف \* ولا تكفر فيه الأموال \*  
 يؤدى فيه كل فرد واجبه \* ويعطى كل ذى حق حقه \* والله أعلم \*

#### خلاصة لفكر الحسن فى الفقه والتشريع الاسلامى :

بالنظر الى آراء الحسن البصرى الفقهية نجد لها تارة قد وافقها مذهب  
 الشافعى \* والا امام مالك \* وتارة أخرى وافقها أهل الرأى \* ويظهر هذا جليا فى  
 قوله بانقطاع المؤلفات لغيرهم بسبب عز الاسلام وظهوره \* وهذا القول منه هو المشهور  
 من مذهب الامام مالك وأصحاب الرأى (١) \* واستنتج الحسن البصرى من الآية الكريمة:  
 " ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء " (٢) بأن الرق ينافى الملك وهو قول  
 أخذ به الشافعى فى الجديد \* ومنهم من قال : انه يملك ولكنه ناقض الملك ومن  
 تبعه \* وتابعه فى ذلك الشافعى فى القديم \* (٣)

وواضح من بعض أحكامه مسايرة الحياة الاجتماعية المتطورة مثل ما روى عنه  
 أنه سئل عن البيض يلعب به الصبيان يشتره الرجل فيأكله فلم يره بأسا وإن أطمعوه  
 أن يأكل منه \* والجوز الذى يلعب به الصبيان \* ووافقه فى ذلك سعيد بن المسيب \*  
 كما سأل يقال الحسن مرة قائلا : ان الصبيان يأتونى ببيضتين مكسورتين يأخذون  
 منى صحوحه واحدة \* قال الحسن : ليس به بأس \* وهذه فتيا فى استبدال البيض (٤)

علما بأننا اذا نظرنا الى قول عطاء وطاوس فى لعب الصبيان هكذا نجد  
 قولهما : كل قطار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالكعب والجوز ولم ينكسر  
 الحسن لعب الشطرنج وكره لعب النرد شيدا ( ما فيه زهر ) وكان رضى الله عنه يكره

(١) تفسير القرطبي ج ٨ ص ١٨١ \*

(٢) سورة النمل آية رقم ٧٥ \*

(٣) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٤٧ \*

(٤) مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٢٩٢ ، ٣٦٥ \*

كثرة غشيان النساء للأسواق لما يؤدي ذلك الى ضياع الأخلاق التي يفقدها  
نفقد كل شيء " . . . ولذلك يقول — رحمه الله — في شأن المرأة : " والله  
ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبه الله في النار " .

وكان رضى الله عنه ينهى عن الوشم . وطرب بكل شدة الحبث المترف  
وضياع الأموال فيما ليس فيه فائدة . فقد سئل عن امرأة مترفة عنعت للمبها عرسا  
فحرت جزوا فقال : لا يحل أكلها فانها انما نحرت لصنم " (١) .

من هذه الأمثلة وغيرها نقول : اننا لا نستطيع أن نضع قاعدة ثابتة للحسن  
البصرى — الآن — من حيث التشدد والتساهل . ولكننا نجد أن المسألة نسبية  
حسب الاجتهاد والميل الذاتى (٢) .

ولعل بعد دراسات عديدة خاصة في فقه الحنن . وجمع كل ما يتعلق  
بهذا من أمهات كتب الفقه الاسلامى والمراجع الأخرى لعل بعد هذا نستطيع  
أن نحصل على مذهب متكافئ لفقه الحنن والله الموفق دائما لكل عمل يرضيه .

---

(١) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٣٢٤ .

(٢) تفسير الطبري ج ٢ . . .



هـ - في المقدمة . . :

### تمهيد :

عرفنا في الفصل الثالث من الباب الأول - الحياة الفكرية في عصر الحسن - أن الفتوحات المختلفة في العراق ، وفارس ، والشام ومصر . . في عصر الخلفاء الراشدين . . ودخل الموالى في الاسلام الى غير ذلك كان له تأثير كبير في المناقشات والجدل الذي نهى عنه الاسلام أو على الأقل ضيق حدوده . وكان المركز الكبير لهذه التيارات المختلفة هو " العراق " خاصة " البصرة " ونتيجة لهذه التيارات المختلفة من المناقشات والجدل . ظهرت الأحزاب والفرق الدينية وتعاليمها التي أخذت وقتا كبيرا مما كان الاسلام في أشد الحاجة اليه . لنشر تعاليمه على أوسع مدى حتى يعم الخير البلاد كلها .

وكان من أشهر الأحزاب والفرق الدينية التي ظهرت في هذا العصر " الشيعة " ، و " الخوارج " ، و " المرحضة " ، و " المعتزلة " . . وقد تحدثنا عن كل هذا بشئ من التفصيل . والذات المعتزلة التي تزعمها بعض رواد حقة الحسن البصري مثل : واصل بن عطاء ، وعمر بن عبيد وغيرهما . هذه الحقة كانت عبارة عن الميزان الذي توزن به الأفكار والآراء المختلفة المحلية والمستوردة - ثم تخرج منها الى الأمة - بعد تنقيحها وتهذيبها - سليمة معافاة من كل زيغ وضلال .

وبوضح هذا المحنى الدكتور حموده غرابية : فبعد أن تحدث عن الفرق المختلفة التي ظهرت بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام . من خوارج وشيعة على مختلف أنواعها ، وقدرية وجهيمية . . .

قال : " فزاد ذلك من حدة الجدل بين المسلمين ثم كان أن التقوت هذه التيارات المختلفة جميعا عند رجل له مكانة في تاريخ الاسلام العقلى وهو الحسن البصري .

لم يشأ الحسن البصري أن تدور المناقشات حول الأشخاص بل حول المبادئ ثم تسأل عن السبب في اتهام على ، ومعاوية وغيرهما بالكفر في نظر من رماهم به ثم قال : ليس ذلك لارتكابهم كبيرة في نظر من حكم بكفرهم ؟ وإذا فليكن موضوع البحث هو مركب الكبيرة في ذاته من حيث هو بقطع النظر عن هؤلاء المتهمين

بالكفر جميعا ثم قال : ان الايمان الحق في رأى يستتبع العمل الصالح قطعا فليس من المعقول أن نؤمن بوجوب الصلاة وما يترتب على فعلها أو تركها من عقوبة أرجزا ثم نتركها بعد ذلك •

وليس من المعقول أن نؤمن بتحريم شيء كالزنا والقتل أو بخيرية الشيء وأنه من عند الله دون أن يؤدي ذلك الى اتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه وترتب على هذا أن صرح بأن مرتكب الكبيرة لا يعتبر مؤثما ولا لصل بايمانه كما أنه لا يعتبر كافرا ولا لتظاهره بالكفر وجاهريه وأذن فهو ضائق •• وهو بذلك يحتج الى رأى الخوارج وأن كان يخالفهم بأن عليا ارتكب كبيرة فأصبح ضاققا •• أما مشكلة "القدر" فقد قال — أى الحسن البصرى — بحرية العبد وأثبت له الاختيار المطلق فى الأفعال كلها الخير والشر جميعا وأن أسند بعضهم اليه أن جميع الأفعال من الله ما عدا الشر والمعاصى فانها تعود الى العبد • وليس من شك فى أن انتقاله بالموضوع من الجزئى الى الكلى فى مشكلة الكبيرة هو المنهج الصحيح فى الوصول الى حكم على •• (١)

كما عرفنا أيضا أن الصبغة العامة لمصر الحسن الفكرى هى : "الجدل" يظهر هذا بجلالة ووضوح فى كتب التاريخ والأدب والطل والنحل والطبقات •• وإذا كان الأمر كذلك فهل كان الجدل أو الحديث فى العقيدة أو كما يطلقون عليه علم الكلام •• مقبولا فى نظر المسلم ؟ •

والجواب على ذلك أن المسلم فى هذا على فريقين :

### الفريق الأول :

يرى أن الجدل والكلام بدعة وحرام • وفى مقدمة هؤلاء العلماء "الحسن البصرى" القائل : " لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم " •

والإمام الشافعى ، ومالك ، وأحمد بن حنبل ، وسفيان •• ومعظمهم أهل الحديث من السلف •• ولهم أدلة متعددة على ذلك • منها قول الحسن البصرى السابق ، وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون " (٢) • الى غير ذلك من الأدلة الكثيرة •

(١) الأشعرى : أبو الحسن • للدكتور حموده غرابه ص ٣٧ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣ م  
(٢) المتنطعون : هم المتعمقون فى البحث والاستقصاء ، والحديث رواه مسلم عن ابن مسعود

## الفريق الثانى :

يرى أنه ليس بدعة • مادام بعيدا عن التعصب والتشعب والبداعة والبغضاء  
وما يفضى اليه الكلام • وفى مقدمة هذا الفريق الامام على بن أبى طالب كرم الله  
وجهه • وعبد الله بن مسعود وغيرهما • ولهذا الفريق أيضا أدلته المتعددة التى  
يستدل بها • مثل قوله تعالى : " ألم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه •• الى أن  
قال فبهت الذى كفر " (١) ، وقوله تعالى : " لو كان فيهما آلهة الى الله لفسدتا " (٢) ،  
وقوله : " وجادلهم بالتى هى أحسن " (٣) • ورواية الحسن أنه ناظر قدريا فرجع  
عن القدر •

وخلاصة القل فى هذا كله كما قال الامام أبو حامد الغزالى : " ان فيه -  
أى علم الكلام أو العقيدة - منفعة وفيه مضرة • فهو باعتبار منفعته فى وقت الانتفاع  
حلال ، أو مذوب اليه أو واجب كما يقتضيه الحال • وهو من اعتبار مضرته فى وقت  
الاستئثار ومطه حرام •• (٤) •

وقد لاحظنا من كلا الفريقين يستشهد بكلام للحسن البصرى فهل معنى هذا  
أن الحسن رحمه الله كان يناقض نفسه ؟ •

بالطبع لا • لأنه - رحمه الله - فى نهيه عن الجدل وما يشتمل عليه  
يريد أن يخلق الباب حتى لا يكون فى فتحه فتنة للأمة • وفى مناظرته للقدري وجسد  
أن هذا ضرورة ملحة بدليل أن القدري كما عرفنا يرجع عن مقالته •

وطى هذا فلم يلجأ الحسن البصرى الى " الجدل " أو مناقشة الآراء المختلفة  
الا بعد أن يتيقن بأن هذا ضرورة تفرضها عليه الظروف من جهة • ومن جهة أخرى  
الحاجة فى تبليغ الرسالة المحمدية •

وهل هناك ضرورة أشد من مجتمع ترتكب فيه الذنوب سرا وعلانية ، يقول الدكتور  
النشار : " ••• وشيع الفاحشة بين الناس ، والناس على دين ملوكهم • وكانت البصرة  
شعر المسلمين الحقيقى وفى هذا المسجد كان أهلها أكثر فسادا • تطلوا من كثير

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٨ •

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٢٢ •

(٣) سورة النحل آية رقم ١٢٥ •

(٤) قواعد العقائد للامام أبى حامد الغزالى ص ٤٣ - ٥٤ • نشر مجمع البحوث  
الاسلامية بالأزهر الشريف •

من التكليف ، وشاعت الفكرة أنه قدر علينا ولا محيص ، والبصرة الشفاء ذات الأصل  
المريقة تجد من أصولها الوثنية ومن روادها ذوي التاريخ اللطافى القديم ما يحل  
تحللها من " شرع الله " . . (١)

على هذا لا بد لأمنا الحسن البصرى من التصدى لهذه التيارات المختلفة  
ولو بالجدل (٢) دفاعاً عن الدين الذى أكرم الله به البشرية . خاصة ما يتعلق  
بالعقيدة . . وسأذكر باذن الله تعالى أشهر المسائل التى تحدث فيها وتالجها .  
مثل : القدر ، والايمان ، ومرتكب الكبيرة .

### القدر ورأى الحسن فيه :

مشكلة القدر من المشكلات التى كثر الكلام فيها قديماً وحديثاً . فهؤلاء  
فلاسفة اليونان انقسموا فيما بينهم الى فريقين . الفريق الاول وهم : الرواقيون .  
يقولون بعدم حرية الانسان . والثانى : وهم الأبيقوريون يقولون بحرية الانسان  
لا يقيد ارادته شئ . . وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، اختلفوا فيما بينهم  
كذلك الى فرق متعددة فى هذه المسألة . بل ان عرب الجاهلية أنفسهم  
كان لهم نصيب فى هذا التفكير . وهكذا حتى جاء الاسلام ليحرر العقول والنفوس  
فى أول قرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقرأ باسم ربك الذى خلق  
خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم " (٣) .

فاتفتت كلمة المسلمين على عقيدة واحدة ، وخفت صوت الجدل فى حرية الانسان  
وعدمه حيناً من الدهر .

ولما فتحت البلاد ودخل الموالى فى الاسلام . . . — كما عرفنا سابقاً فى  
الباب الأول — فتح باب الجدل الضار الذى نشن منه ونتوجع الى اليوم . وكان من  
أشهر الفرق التى حطت راية الجدل فى القدر المعتزلة ، والجهمية . . .

(١) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام للدكتور على سائى النشار ج ١ ص ٣٣٢ ، الطبعة  
الرابعة . (٢) الجدل هنا ليس معناه المنازعة والمناوضة ولو بالباطل وإنما  
معناه والذى سار عليه الحسن هو ربه الشبه التى يثيرها أعداء  
الاسلام . قال تعالى : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة  
وجادلهم بالتي أحسن " . . وقال تعالى : " ولا تجادلوا أهل  
الكتاب الا بالتي هى أحسن " . . (النحل آية ١٢٥ ، والمنكوت آية ٤٦) .  
(٣) سورة الطبق آية رقم ١ — ٥ .



٢ — وقال أيضا : " قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل " (١) . .

وكذلك السنة النبوية الشريفة • منها حديث النبي صلى الله عليه وسلم :  
 " ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة  
 مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ،  
 ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقى أم سعيد • فوالله البذى  
 لا اله الا غيره : ان أحدكم ليحمل بحمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينه  
 وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيحمل بحمل أهل النار فيدخلها • وان  
 أحدكم ليحمل بحمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه  
 الكتاب فيحمل بحمل أهل الجنة فيدخلها " (٢) • وحديث حاجة آدم لموسى  
 الى غير ذلك . .

على هذا نجد أن كل فريق يستدل بالآيات والأحاديث على صحة مذهبه بما  
 يتبين منه في الظاهر وجود التناقض بين الآيات والأحاديث مما يتسبب عنه العمل على  
 تأويل ذلك من ناحية كل فريق حتى يستقيم الكلام ويستغل هذا الموقف جماعة ممن  
 المستشرقين والمبشرين فيعملون على توسيع الهوة بين أصحاب المذاهب المختلفة  
 ويصلون بذلك الى الهدف المنشود وهو : اظهار وجود التناقض الحقيقي بين كتاب  
 الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام • وعلى هذا فلا داعى من تمسك المسلمين بالقرآن  
 الكريم والسنة النبوية • ويكون هذا كلى كتاب حرف وسدل • كما عرفنا سابقا في أوائل  
 الباب الثالث حينما تحدثنا عن لون من تفكير الحسن البصرى في ناحية القراءات القرآنية . .

ولكن هؤلاء المستشرقين وغيرهم من أعداء الاسلام لم ولن يصلوا الى هدفهم ان  
 شاء الله • فقد قبض الله لهذا الدين من العلماء المخلصين الذين لا يبيعون آخرتهم  
 بدنياهم ما جعلهم يحافظون عليه بهمتى الطرق فهذا ابن قتيبة — مثلا — يؤلف كتابه  
 " تأويل مختلف الحديث " الذى يوفق فيه بين آراء العلماء المتضاربة في بعض الأحاديث  
 مما يوهم ظاهره التعارض وكذلك الآيات الكريمة . . .

(١) سورة يونس آية رقم ١٠٨ •

(٢) رواه البخارى ومسلم عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :

حدثنا رسل الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال : " ان أحدكم "

فما موقف الحسن البصرى اذا من القدر ؟

والجواب على هذا أن حجة الحسن — كما عرفنا سابقا — كانت غاصصة بمختلف العلماء • وكانوا يلقون اليه بالأفكار المتنوعة التى يتلقونها من غيرهم • ومن هؤلاء العلماء الذين سبقوا الحسن البصرى فى التحدث حول هذه المعانى : معبد الجهنى (١) ، وعطاء ابن يسار ، وغيلان الدمشقى (٢) وغيرهم • وليس كما يذكر الدكتور أحمد كمال زكى فى كتابه " الجاحظ " (٣) من أن الحسن البصرى أتى من قال بالقدر • • بينما يقول فى كتاب آخر له " • • • وزهو بأن كان منهم الحسن البصرى الذى ذم " القدرية " (٤) فكيف يكون أول من قال بالقدر وفى الوقت نفسه كان يذم " القدرية " (٥) ؟ • المهم أن العلماء اختلفوا فى نظرتهم للحسن البصرى بالنسبة لهذا الموضوع • وأكثرهم يؤيد نسبة القدر الى الحسن البصرى مستدلين بالأدلة الآتية :

(١) هو : ابن خالد الجهنى البصرى اختلفوا فى اسم أبيه • وهو أول من تكلم فى القدر • رأى من يتحمل فى المحصية بالقدر ، فأراد أن يرد عليه وأخطأ الطريق وقال : " لا قدر والأمرأف " فعم كلامه فنبذه الصحابة والتابعون حيث ضل الطريق للرد على العاصى • وقتله الحجاج بعد سنة ٨٠ هـ لما خرج مع ابن الأشعث •

(٢) غيلان الدمشقى هو : ابن مسلم القبطى • أخذ مذهب القدر عن معبد • واستثابه عمر بن عبد العزيز ثم قتله هشام بن عبد الملك • وكان من بلغاء الكذاب أفسك بعض علماء مكة •

(٣) الجاحظ للدكتور أحمد كمال زكى ص ١٨٣ — سفلة أعالم العرب •

(٤) الحياة الأدبية فى البصرة الى نهاية القرن الثانى الهجرى للدكتور أحمد كمال زكى ص ١٧١ •

(٥) أجمعت كتب العقائد الاسلامية وغيرها — تقريبا — على أن أول من تكلم فى القدر بالبصرة — بعد عمر المقصود فى دمشق — هو معبد الجهنى وليس الحسن البصرى وهذه هى بعض المراجع والمصادر التبصير فى الدين للاسفرائينى ص ١٣ ، ٤٠ ، والملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٦٢ ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٧ ، ٧٠ ، والمصارف لابن قتيبة ص ١٩٥ ، ومذهب الاسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوى ج ١ ص ١٠٨ — نشر دار العلم للملايين ببيروت ، ونسبة الفكر الفلسفى فى الاسلام ج ١ ص ٣٠٨ وما بعدها ، وفجر الاسلام للدكتور أحمد أمين ص ٢٨٦ • •

١ - قصة معبد الجهني ، وعلاء بن يسار حينما ذهبا الى الحسن يسألانه عن ظلم الملوك واحتجاجهم بمعد هذا بالقدر وقل الحسن لهما : " كذب أعداء الله " (١) .

٢ - قول ابن قتيبة عن الحسن : " وكان تكلم في شئ \* من القدر فرجع عنه " (٢) .

٣ - رسالة الحسن الى عبد الملك بن مروان \* وسيجيء تفصيل ذلك .

٤ - عن دؤاد بن أبي الهنـد أنه قال : سمعت الحسن يقول : كل شئ \* بقضاء الله وقدره الا المعاصي .

٥ - ويقول طاش كبرى زاده : " ان الحسن البصري تكلم في شئ \* من القدر فرجع عنه ثم أنكر عليه أشد الإنكار .

٦ - عن قتادة عن الحسن قال : " الخير بقدر والشر ليس بقدر " قال أيـوب السخيتاني : فناظرته في هذه الكلمة فقال : لا أعود " (٣) .

الى غير هذا من الأدلة الدالة على ذلك .

ويتفق رأى الدكتور النشار ، والأستاذ زهدى صاحب كتاب " المعتزلة " وغيرهما مع الآراء السابقة .

من هذه الأقوال المتعددة وغيرها نعلم بأن الحسن البصري له صلة قوية بموضوع " القدر " هذا الذى نحن بصدده . وحتى يتضح المقام أكثر نعرض على القارئ الكريم نص الرسالة التى بعث بها الحسن الى عبد الملك بن مروان ردا على رسالة عبد الملك بن مروان اليه .

كتاب عبد الملك بن مروان الى الحسن البصري :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الملك ، أمير المؤمنين ، الى الحسن بن أبى الحسن : سلام الله عليك ، أما بعد : فإني أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، وأسأله أن يعلى على محمد عبده ورسوله .

ومحمد : فقد بلغ أمير المؤمنين عنك قول فى وصف القدر لم يبلغه مثله عن أحد من بني \* ولا نعلم أحدا تكلم به ممن أدركنا من الصحابة ، رضى الله عنهم ، كالذى بلغ أمير المؤمنين عنك \* وقد كان أمير المؤمنين يعلم منك صلاحا فى حالك ، وفضلا فى دينك ودراية فى الفقه ، وطلبا له ، وحرصا عليه .

(١) المعارف لابن قتيبة ص ١٩٥ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر المسقلانى ج ٢ ترجمة الحسن البصري .



ثم أنكر أمير المؤمنين هذا القتل من قولك ، ما كتب الي أمير المؤمنين بـ مذهبك ،  
والذي به تأخذ أ عن أحد من أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؟ أم عن  
رأى رأيت ؟ أم عن أمر يعرف تصديقه في القرآن ؟ فانا لم نسمع في هذا  
الكلام مجادلا ولا ناطقا قبلك .

فحصل لأمر المؤمنين رأيك في ذلك وأوضحه . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

### تحليق على هذا الكتاب :

يفهم من هذا الكتاب الى الحسن البصري . أن عبد الملك لم ينكر القتل مطلقا  
في القدر وإنما ينكر التطور الذي وصل اليه هذا الموضوع وهو بهذه الطالة لم يكن فسي  
عهد الصحابة عليهم رضوان الله تعالى .

والذي أدى الى هذا التطور ما وصلت اليه البلاد من الصراعات السياسية وغيرها  
كذلك نلاحظ في قتل عبد الملك للحسن . وقد كان أمير المؤمنين يحلم منك صلاحا فسي  
حالك ، وفضلا في دينك ، وقد راية للفقهاء . ما يدل على أهمية الحسن في المجتمع ومدى  
خطورته في امكانه تحويل مجرى تفكير الأمة الى ما يريد . هذا الى احترام رئيس الدولة  
للعلماء وتبجيلهم وتقديرهم . ولم يفعل عبد الملك - أمير المؤمنين - ما يفعله  
بعض المستبدين من حكم المسلمين حينما تصل الى أسماعهم آراء تخالف ما يعتقدون .  
حينئذ يسرعون بالقبض على صاحبها ويضعونه في غياهب السجون ويكفون به تكبيلا  
شديدا . وهم في ذلك مخالفون لروح الرسالة المحمدية . فكان الواجب عليهم أن يثبتوا  
من صحة الخبر أولا عملا بالهدأ القرآني في سورة الحجرات . وثانيا : ينكروا أصحاب  
الفكر والمعرفة ليحجموا عن آرائهم وأفكارهم في حرية تامة . مصادم ذلك لا يؤدي السي  
تخلخل المجتمع ، وإشاعة الفوضى ، والزيغ ، والضلال فيه .

### رسالة الحسن الى عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله أمير المؤمنين ، من الحسن بن أبي الحسن  
البصري . سلام الله عليك يا أمير المؤمنين . فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ،  
أما بعد : أصلح الله أمير المؤمنين ، وجعله من الولاة الذين يحلون بطاعة الله ويستفخون  
رسوله ويسارعون في اتباع ما أمرهم . فان أمير المؤمنين ، وأصلحه الله ، أصبح في قليل  
من كثير مضوا من أهل الخير ، منظور اليهم ومفقول عنهم ومقتدى بأعطالهم ، وقصد  
أدركنا ، يا أمير المؤمنين السلف الذين عملوا بأمر الله ، ورووا حكمته واستنوا بسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم ، فكانوا لا يشكرون حقاً ولا يحقون باطلاً ، ولا يلحقون بالقرب ،  
تبارك وتعالى إلا ما ألحق بنفسه ولا يحتاجون إلا بما احتج الله به على خلقه في كتابه  
فإن الله تبارك وتعالى يقول : « وقوله الحق : » وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون  
ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون " (١) ، فأمرهم الله بعبادته التي لها خلقهم ،  
ولم يكن ليخلقهم لأمر ثم يحل بينهم وبينه ، لأنه تعالى ليس " بظلام للمبديد " (٢) ،  
ولم يكن أحد ممن مضى من السلف يشكر هذا القول ، ولا يحاطل عنه ، لأنهم كانوا على أمر  
واحد متفقين ، ولم يأمروا بشئ ، منكر كما قال الله تبارك وتعالى : " قل إن الله لا يأمر  
بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون . قل أمر ربي بالقسط " (٣) ، وكان نهيه  
عن الفحشاء والمفكر والبنى " يعظكم لعلكم تذكرون " (٤) ، فكتاب الله تعالى حياة عبيده  
كل موت ، ونور عند كل ظلمة ، وعلم عند كل جهل ، فما ترك الله للعباد بعد الكتاب  
والرسول حجة ، وقال عز وجل : " ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة  
وإن الله لسبح عليم " (٥) ، ففكر أمير المؤمنين في قوله تعالى : " لمن شاء منكم  
أن يتقدم أو يتأخر ، كل نفس بما كسبت رهينة " (٦) ، وذلك أن الله تعالى جعل فيهم من  
القدرة ما يتقدمون بها ويتأخرون ، وابتلاهم لينظر كيف يعملون ، وليبلوا أخبارهم . فلو كان  
الأمر كما يذهب اليه المخطفون لما كان اليهم أن يتقدموا ولا يتأخروا ، ولما كان لتقدم  
أجر فيما عمل ولا على متأخر لوم فيما لم يعمل ، لأن ذلك بزعهم ليس منهم ولا اليهم ولكسبه  
من على ربهم . وإذا لما قال : " ويضل الله الظالمين ، وما يضل به إلا الفاسقين  
الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون  
في الأرض أولئك هم الخاسرون " (٧) ، فتدبر ، يا أمير المؤمنين ، ذلك بفهم ، فإن الله  
عز وجل يقول : " فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيستقيمون أحسنه ، أولئك الذين سن  
هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب " (٨) . واسمع إلى قول الله تعالى حيث يقول : " ولو  
أن أهل الكتاب آمنوا بكفرتنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا  
التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم " (٩) ، وقال :  
" ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا ، فأخذناهم  
بما كانوا يكسبون " (١٠) . واعلم يا أمير المؤمنين ، أن الله لم يجعل الأمور حتما على العباد

(٢) فصلت آية ٤٦

(٤) النحل آية ٩٠

(٦) المدثر آية ٣٨

(٨) الزمر آية ١٨

(١٠) الأعراف آية ٩٦

(١) الذاريات آية ٥٦

(٣) الأعراف آية ٢٩

(٥) الأنفال آية ٤٢

(٧) البقرة آية ٢٧

(٩) النساء آية ٦٥ ، ٦٦

ولكن قال : ان فعلتم كذا فعلت بكم كذا ، وأن فعلتم كذا فعلت بكم كذا . وانما يجازيهم بالأعمال ، كما قال " فزده عذابا ضعفا في النار " (١) . ولكن الله قد بين لنا من قدم لهم ذلك ، ومن أضلهم ، فقال : " وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا " (٢) . فالسادات والكبراء هم الذين قدموا لهم الكفر وأضلوه عن السبيل بعد أن كانوا عليهم ، لأن الله تعالى يقول : " انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا " (٣) . اما أن يشكر لهذا بيننا له السبيل وأنعمنا عليه ، واما أن يكفر " ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم " (٤) وكذلك قال الله عز وجل : " وأضل فرعون قومه وما هدى " (٥) .

فقل يا أمير المؤمنين ، كما قال الله : فرعون الذي أضل قومه ولا تخالف الله في قوله ، ولا تجعل من الله الا ما رضى لنفسه ، فانه قال : " ان طينا للهدى وان لنا للآخرة والأولى " (٦) ، فالهدى من الله والضلال من العباد .

ثم فكر يا أمير المؤمنين في قلب الله عز وجل : " وما أضلنا الا المجرمون " (٧) ، وقوله : " وأضلهم السامري " (٨) ، وقوله : " انما يأتىكم به الله ان شاء وما أنسىكم به " (٩) ، يعنى ما أنتم بناجين من عذابه ان اتاكم ولا بممتنعين منه ، ولا ينفعكم نصي حينئذ ان أردت أن أنصح لكم عند حلول العذاب بكم .

وقد علم نوح عليه السلام ، أن العذاب اذا نزل بهم وتأييده لهم ينفعهم الايمان عند ذلك وقد بين الله تعالى في الأمم التي أهلكها بقوله : " فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون " (١٠) . فهذه سنة الله ، لا تقبل التوبة عند محاينة العذاب . واما قوله : " ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون " (١١) ، فانما يعنى بالفى في هذا الموضع العذاب ، وهو قوله تعالى : " فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوق يلقون فيها " (١٢) ، أى عذابا أليما . وقد تنقل العرب لقي فلان اليوم غيا ، أى ضربه الأمير ضربا مبرحا شديدا أو عذبه عذابا أليما . وما يجادلون فيه قبل الله تعالى : " فمن يريد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يريد أن يضله يجعل صدره ضيقا أنا يصعد في السماء " كذلك يجعل الله الرجم على الذين لا يؤمنون " (١٣) .

- |                    |                      |
|--------------------|----------------------|
| (١) ص آية ٦١       | (٢) الأحزاب آية ٦٧   |
| (٣) الانسان آية ٣  | (٤) النمل آية ٤٠     |
| (٥) طه آية ٧٩      | (٦) السجدة آية ١٣    |
| (٧) الشعراء آية ٩٩ | (٨) طه آية ٨٥        |
| (٩) الاسراء آية ٥٣ | (١٠) هود آية ٣٣      |
| (١١) غافر آية ٨٥   | (١٢) مريم آية ٥٩     |
|                    | (١٣) الأنعام آية ١٢٥ |

فتألوا ، بجهلهم ، على أن الله ، تعالى ، خص قوما بشروح الصدور بخير على صالح قدموه ، وقوما بضيق الصدور ، يعنى القلوب بخير كفر كان منهم ولا فسق ولا ضلال ولا لهؤلاء سبيل الى ما كلفهم من الطاعة ، وهم مخلصون فى النار طلى الأبد ، وليس ذلك ، يا أمير المؤمنين كما ذهب اليه الجاهلون المخطئون . هنا ارحم وأعدل وأكرم من أن يفعل ذلك بعباده . كيف ، وهو يقل : " لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " (١) ، وانما خلق الجن والانس لعبادته فجعل لهم أسلحا وأبصارا وأفئدة يطبقون بها أوصاف ما كلفهم الله من عبادته ، فمن أطاع منهم فيما أمر به فقد شريح الله صدره للإسلام ثوابا منه بطاعته فى العاجل من الدنيا ، ويخفف به عليه أعمال البر ويثقل به الكفر عليه والفسوق والمعصيان .

فان كان فى حاله تيك مطيعا لجميع ما أمر به ونهى عنه ، وكذلك حكم فى كل من بلغ من الطاعة مبلغه من شريف أو ضيق ، ومن ترك ما أمره الله به من الطاعة وتماذى فى كفره وضلاله فى عاجل الدنيا ، وهو مع ذلك مطيع للأنابة والتوبة ، جعل الله صدره ضيقا حرجا ، كأنما يصمد فى السماء ، عقوبة منه له بكفره وضلالته فى عاجل الدنيا والتوبة ما أمر بها ، ومدعو اليها ، كذلك حكم الله ، عز وجل ، فى من بلغ من الكفر والفسوق مبلغه .

وانما ذكر الله يا أمير المؤمنين ، الشرح والضيق فى كتابه ، رحمة منه لعباده وترغيبا منه لهم فى الأعمال التى يستوجبون بها ، فى حكمته ، أن يشرح صدورهم ، وتزهدا منه لهم فى الأعمال التى يستوجبون بها فى حكمته تضيق الصدور ولم يذكر لهم ذلك ليقطع رجاءهم ، ولا ليؤيسهم من رحمته وفضله ، ولا ليقطعهم عن عفو ومغفرته وكرمه ، واذا هم صلحوا . وقد بين الله عز وجل فى كتابه فقال تعالى : " يهتدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه يهديهم الى صراط مستقيم " (٢) .

وقال — أى الحسن البصرى ، اذ من هنا حتى نهاية الرسالة يتبين أن الناس والراوى تصرفا فى نص هذه الرسالة (٣) — يذكر أن السلف الماضين من صحابة النبى ، عليه السلام ، كانوا على كلام لا ينكرون منه شيئا ، ولا يجادلون فيه لأنفسهم

(١) البقرة آية ٢٨٦

(٢) المائدة آية ١٦

(٣) رسائل العدل والتوحيد . دراسة وتحقيق الأستاذ محمد عماره ص ٨٨ مطبعة دار الهلال . الجزء الأول .

كانوا على أمر واحد متفق متسق ، ولا ينكرون منه حقا ، ولا يحقون منه باطلا ،  
ولا يلحقون بالرب الا ما الحق بنفسه ، ولا يحتجون الا بما احتج الله به على خلقه .

وذكر — أى الحسن — لأمير المؤمنين أنه انما أحدث الكلام فيه حين أحدث  
الناس النكرة له ، فلما أحدث المحدثون الكلام فى دينهم ذكرت من كتاب الله خلافا  
لما قالوا وأحدثوا .

وذكر من ذلك ما لا ينكره أمير المؤمنين ، بل يصرفه ويصرف تصديقه فى كتاب الله  
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فى كتاب الحسن بعد كتاب الله الشفاء  
والبرهان ، وقد بعث اليك يا أمير المؤمنين نسخة كتاب الحسن لتتظرو فيه برأيك وعقلك  
لنفسك وللمسلمين ، ولا تدخل عليه فيه شبهة ، فإنه واضح لمن تدبره وعقله وقبيل  
عقل الله فيه .

واعلم أنه لم يبق من أخذ عن السلف الماضى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الله عليه وسلم أحد هو أعلم بالله وأفق فى دين الله وأقرأ لكتاب الله من الحسن ، مع  
صلاح حاله وثقته فى دينه وأمانته واهتمامه بأمر المسلمين فأكرمه كرامة ترحوبها ثواب  
الله تعالى فى الآخرة والأولى .

#### تحقيق الرسالة والتعليق عليها :

أولا : من حيث تقويم الرسالة . فهى مصورة بدار الكتب المصرية نمرة ( ٥٢٢١ —  
٣٠ ق ١٧ x ٢٥ سم ) وهى مأخوذة عن مخطوطة " أيا صوفيا " المصنوعة  
فى القرن التاسع الهجرى ( سنة ٨٨٢ هـ ) ، ومنها نسخة كذلك بمكتبة جامعة  
الدول العربية ( ف ١٩٧ ، ٧٩٢ ) .

هذه الرسالة للحسن البصرى لها تلخيص للإمام الطاكم أبى سعد المحسن  
ابن كرامة الجشى البيهقى ( ٤٣١ — ٤٩٤ هـ ) أثناء حديثه عن الحسن  
البصرى فى الطبقة الثالثة من طبقات المعترلة بالجزء الأول من كتابه ( شرح  
عيون المسائل ) وذلك فى اللوحات ٧٢ — ٧٤ من مصورة دار الكتب المصرية  
( ٢٧٦٢٣ ب ) وقد اكتفينا بحمد الله تعالى بذكر الرسالة الأصلية التى أوردنا  
سابقا وتركنا المخلص منها من التكرار والاطناب . وتلخيص هذه الرسالة من  
هذا العالم الجليل تدل على أهميتها وورودها .

وفي كتاب " الفنية والأمل في شئ كتاب الطل والنط " لابن المرتضى وردت عبارات لهذه الرسالة . ولكن صاحب الفنية والأمل يرى أن الساعلي ليس هو عبد الملك بن مروان وإنما الحجاج بن يوسف الثقفي . وكتاب الفنية والأمل . . . مصورة دار الكتب المصرية ( ٢٧٧٩٨ ب ) اللوحة ٤٧ ٤٨٤ .

ثانيا : ومن حيث الإشارة الى المراجع فكثيرة نذكر منها ما يلي :

- ١ - الملل والنط للشهرستاني ج ١ ص ٦٣ وما بعدها .
- ٢ - الفنية والأمل للمرتضى ص ٣ - ١٤ .
- ٣ - نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ج ٦ ص ٣٨ .
- ٤ - تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان . ترجمة الدكتور عبد الحليم النجا ، الجزء الأول ص ٢٥٨ وفيه يقول : " رسالة عبد الملك بن مروان الى الحسن وحجابه عليها : كويريلي ١٥٨٩ ، أبا صوفيا ٣٩٩٨ ( أنظر : WZKM XXVI, 70 ) ، وانظر تذكرة النواذر ١٢٠ ، ومنها نسخة مصورة بالقاهرة ثانيا ٣ : ١٦٩ ونشرها رتر . . .
- ٥ - الحسن البصري لابن البروي . ذكر الرسالة محقق الكتاب في مقدمته البليغة الأستاذ حسن السندوي .
- ٦ - الحسن البصري للدكتور احسان عباس .
- ٧ - رسائل العدل والتوحيد . دراسة وتحقيق الأستاذ محمد عطاره وقد قام بتحقيق عدة رسائل لبعض كبار العلماء من المتقدمين منهم رسالة الحسن البصري مع بعض التعليقات عليها . طبع ونشر دار الهلال بالظاهرة سنة ١٩٧١ م ، الجزء الأول .
- ٨ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام للدكتور علي سامي النشار الجزء الأول — الى غير ذلك من المراجع الجديدة التي تشير الى هذه الرسالة .

ثالثا : أما عن دراساتها وصلتها بمشكلة " القدر فكالاتي :

في الواقع ان كثرة المراجع التي أشارت الى هذه الرسالة مع النصوص الواردة عن الحسن البصري بما يشبهها في الكتب الكثيرة التي تعتبر موجعا للباحثين تجعلنا نعيلى الى صحتها له أكثر من ميلنا لنفيها عنه . وما حدث للشهرستاني رحمه الله — وهو الذى يمثل الفريق الثانى الذى ينفي الرسالة عن الحسن — فحجيب . فقد أدى حبه للحسن واقتناعه به كعالم سلفى أن ينفي عنه

هذه الرسالة ويسندها الى تلميذ له وهو " واصل بن عطاء " علما بأن واصل بن عطاء وهو المولود سنة ٨٠ هـ ويستحيل عليه أن يكتب رسالة في أى موضوع الى عبد الملك بن مروان المتوفى سنة ٨٦ هـ ٢٢٠ .

ومن العلماء المحدثين من وافق الفريق الأول على اثبات الرسالة للحسن البصرى مثل : الدكتور على سالى التشار • وضهم من وافق الفريق الثانى فى نفسى الرسالة عن الحسن مثل : الدكتور احسان عباس • .

وليس معنى ترجيحي لنسبة الرسالة للحسن أننا نحكم عليه بأنه قد رى أو قال بالمقدر ثم يرجع عنه • بالطبع لا • .

وعلى هذا • • فيما ذا نفسـر ما قاله فى رسالته الى عبد الملك ، والواضح منها القول بالقدر حسب ظاهر اللفظ ؟ • .

وقبل أن أجيب على هذا فأبين للقارئ الكريم أننى ذكرت الرسالة كاملة ودون نقصان لأجل أن يقرأها القارئ بامعان ويرى رأيه فيها ولعله يخالف ما اعتقده " وفوق كل ذى علم عليهم " .

قبل الحكم على الحسن فى هذا الموضوع من خلال هذه الرسالة لابد من أمور نضعها بين يدى القارئ الكريم حتى يكون الحكم صوابا أو أقرب الى الصواب • .  
الأمر الأول : استيعاب واستحضار عصر الحسن البصرى الذى مرقى الباب الأول— خاصة الحياة الفكرية • .

الأمر الثانى : تتبع حياة الحسن من مولده ونشأته حتى الوقت الذى صرح فيه بقوله هذا • . لنرى كيف كان الحسن ينطق بهذه الآراء التى فهمها الناس كل حسب اتجاهاته واعتقده • .

الأمر الثالث : دراسة الظروف المحيطة به داخليا وخارجيا • .

هذه الأمور الهامة تجعلنا حينما نسير مع الحسن — بأذن الله — فى رسالته يكون الحكم بعيدا عن المؤثرات الخارجية مثل : ارتباط المعتزلة به على أنه المؤسس لها — فى رأى البعض — ، والقدرية على أنه يوافقها ، والمشيبة على أنه لا يخالفها وهكذا • • .

وبعد قرائتي للرسالة خرجت منها بهذه النقاط التالية :

أولا : بدأ الحسن الرسالة بالبسطة أسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

الكرام . كما نرى أدبه الجسم في مخاطبة ولي الأمر بما يرقق قلبه ويجذب

روحه نحو طاعة الله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام .

ثانيا : البيان لما كان عليه السلف الصالح واذعانهم لله عز وجل وأنهم لا يقولون على

الله تعالى الا ما قاله عن نفسه . يمكن أهل الجبر فأنهم يقولون في الله

قولا لا يمثل الفطرة السليمة التي قطر الله الناس عليها ثم استشهد بقوله

تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " .

ثالثا : حينما قال له عبد الملك في سؤاله له : " ولا نعام أحدا تكلم به ممن أدركنا

من الصحابة رضی الله عنهم " حينئذ رد عليه الحسن في أدب وعلم بقوله :

" ولم يكن أحد ممن مضى من السلف ينكر هذا القول ، ولا يحاول عنه ، لأنهم

كانوا على أمر واحد متفقين " .

رابعا : أعطى الله عز وجل بني آدم القدرة على التقدم أو التأخر وابتلاهم لينظر

كيف يعملون قال تعالى : " لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر كل نفس بما

كسبت رهينة " .

خامسا : لم يجعل المولى سبحانه وتعالى الأمور قدرا محتوما وجبرا لا اختيار فيه

على العباد " انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا " .



هذه النقطة تحتاج الى شيء من التوضيح حتى ينجلى المعنى . ذلك أن الله

سبحانه وتعالى جعل أقدار العباد على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : لا يستطيع الانسان دفعه مهما فعل مثل ما يوجد من سنن الحياة من كون الانسان أبيض أو أسود ، وطويل أو قصير . . . ، وجاذبية الأرض والمصادفات البحتة الى غير هذا من الأمور التي لا يستطيع الانسان ردّها . . .

والنوع الثانى : لا يستطيع الانسان أن يقاومه كل المقاومة ولكن يستطيع أن يخفف من حدته نوعاً ما . وهذا النوع مثل : ما يتعلق بالوراثة والبيئة والفريضة وما شاكل ذلك .

أما النوع الثالث : فقد جعل الله تعالى فى وسع الانسان أن يقاومه ، وأن يبذل فى سبيل ذلك كل ما يملك من قوة وجهاد . وهذا النوع مثل : التكليف الشرعية ، قال تعالى : " ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيماً " (١) ولما وقع الطاعون بالشام عمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يشبه الحجر الصحى حينئذ قال له : أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح : أتفر من قدر الله ؟ قال : نعم ، أفر من قدر الله الى قدر الله " . . .

سادسا : يريد بعض القوم الذين عاش فيهم الحسن ارتكاب المحاصي والمنكرات محتجين بالقضاء والقدر • معتذرين عن إعطائهم هذه دون أن يعقدوا العزم على التوبة الصادقة •

هؤلاء لابد لهم من الصرخات القرآنية التي توقظهم من غفلتهم وسباتهم قال تعالى : " فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا " سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون " (١) •

سابعا : يلاحظ في هذه الرسالة أن كل عنصر من عناصرها يستشهد عليه الحسن بآية أو أكثر من كتاب الله تعالى وهذا الاستشهاد موافق للمعنى السدي يريد به ويهدف إليه •

#### خلاصة المعاني التي تهدف إليها الرسالة :

ما ذكرته من الأمور السابقة عبارة عن بعض المعاني التي تجيش في صدرى بعد قراءتي لهذه الرسالة • ويظهر منها الميل الى صلة الرسالة بالحسن وليس معنى هذا أنها تقول بالقدر • حتى يستشهد بها من يريد تأييد مذهبه من المتكلمين وغيرهم • ولكنها تعالج أمرا هاما في الأمة الاسلامية ألا وهو : انسياق الكثير من أفراد هذه الأمة الى الماديات والأهواء التي تبعد الانسان عن طريق الله تبارك وتعالى • ولا شك أنهم بذلك أخلدوا الى الأرض واتبعوا أهواءهم • فكانوا مستحقين لعقاب الله جلست قدرته •

وللأسف ما حدث منهم كان بعد تلاوة القرآن عليهم وتشبيهم به ولكنها سنة الله  
والن تجد لسنة الله تبديلاً • وصدق الله العظيم إذ يقول : " واتل عليهم نبأ  
الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الفاوين ولو شئنا لرفعناه  
بها ولكنه أخلد إلى الأرض وأتبع هواه فمثل كمثل الكلب ان تحط عليه يلهث أو  
تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص لعلهم يتفكرون • سا • مثلاً  
القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون • من يهد الله فهو المهتد ومن  
يضل فإولئك هم الخاسرون • ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم  
قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام  
بل هم أضل أولئك هم الخافلون " (١) .

من أجل هذا صرح فيهم الحسن البصري بهذه الرسالة وغيرها حفظاً للأمة  
من الضياع والأخذ بيدها إلى طريق النجاح والفلاح •

وعلى هذا فلا خوف من الصافي هذه الرسالة بالحسن بعد ذلك كما فمسل  
محبوه مثل الشهرستاني في الملل والنحل الذي ينفي الرسالة عنه لأن الحسن عليه  
رحمة الله في ناحية وهؤلاء الأحزاب والفرق المختلفة في جهة أخرى • وفي هذا  
المقام أعجبتني كلمة للأستاذ يحيى هاشم فرغل في بحثه الذي نال به درجة الماجستير  
بتقدير " ممتاز " من كلية أصول الدين حيث يقول : " وأنه ليكاد ينقذ لدى أن  
هذه الرسالة — وهي رسالة الحسن البصري إلى عبد الملك بن مروان • لا يستبعد  
صدورها من الحسن ، وأنها لا تعنى بالضرورة القول مباشرة بانكار القدر ، وإنما  
هي تعالج واقعا عليا يحذر فيه المسلمون عن ذنوبهم بالقدر ، وهذا هو ما يعنى  
الحسن — وفقا لتصوري لشخصيته • • — ويهتم بالرد عليه ومغالته ، ومن ثم  
فلا محل لانكارها ، ولا للقول بأنه كان قد رآها وقتا ما ، ثم رجع • • ولا لانتهاهم  
بانكار القدر ، ومع ذلك فلا ينكر أنها مقالة صالحة لاستغلال القدرية • ولأن يقوموا  
بالتلمذة عليها • • وليس ذلك مما يؤخذ على الحسن — البصري — ، الرجل الذي  
يشارك الناس حياتهم ويهتم بآمرهم في عصر يموج بالتيارات المتصارعة ، ويشارك فيه  
الفكر الحية ولا ينحلي عنها " (٢) .

(١) سورة الأعراف آية ١٧٥ — ١٧٩ •  
(٢) جوانب التفكير في الحقيقة الإسلامية — الكتاب الأول : نشأة الآراء والمذاهب  
والفرق الكلامية • للأستاذ يحيى هاشم فرغل ص ١٧٢ نشر مجمع البحوث  
الإسلامية بالأزهر •

ثانيا : الايمان فى نظر الحسن :

الايمان : لغة • يطلق على معنيين •

أ — ايمان بمعنى اعلاء الايمان " مرادف للتأمين " •

ب — ايمان بمعنى التصديق • قال بعض العلماء : ان التصديق يلزم منه  
المعنى الأول •

والاسلام : لغة • له معنيان كذلك •

أ — التسليم والاعلاء •

ب — التسليم والانقياد • قال بعض العلماء : يلزم من المعنى الثانى  
المعنى الأول •

ومرجع الايمان الباطن أما الاسلام فقد يكون بالباطن وقد يكون بالظاهر  
فبالنسبة بينهما المصوم والخصوص المطلق فكل ايمان اسلام ولا عكس •

ومن قال بأن الايمان عبارة عن التصديق ، والاسلام : الانقياد الظاهرى  
فقط فتكون النسبة بينهما التباين لكن النسبة بين مؤمن ومسلم " المصوم والخصوص  
الوجهى " وعلى هذا فالمذاهب فى مفهوم الايمان اذا كان مرادفا للاسلام  
فكالآتى :

١ — الايمان : قول فقط • أعم من موافقة العقيدة أولا • وهو فاسد حيث

يدخل النفاق • وهذا مذهب الكرامية وبعض المرجئة •

٢ — الايمان : قول واعتقاد • ولا يدخل للمضى فى مفهوم الايمان وهو مردود

بقوله تعالى : " أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين

آمنوا وعملوا الصالحات ... " (١) وهو مذهب المرجئة •

٣ — قول الخواج : الايمان : قول باللسان واعتقاد بالجنان ، وعمل

بالأركان • ومن ترك العمل كمن ترك العقيدة كلاهما كافر مخلد فى النار •

وهذا أيضا باطل لتصادمه بأحاديث الشفاعة التى تفيد اخراج المؤمن الماص

من النار • وأن الله تعالى فرق بين الكفر وما دونه فقال سبحانه : " ان

الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " (٢) •

(١) سورة الباقية آية ٢١ •

(٢) سورة النساء آية ٤٨ •

٤ - قول المعتزلة : وهو قريب من قول الخوارج لكنهم لا يسمون الماصي مؤمنا ولا كافرا بل يوفى منزلة بين المنزلتين - ويرد على هذا كسابقه ..

٥ - قول أهل السنة : الايمان قول واعتقاد وعمل ..

وعلى هذا القول . الايمان يزيد وينقص . (١)

في ضوء هذه المعاني فما موقف الحسن البصري من الايمان ؟ ..

يرى الحسن البصري أن الايمان الجدي رياسم الايمان هو ما يدفع الى العمل به ، فالايان في نظره يستلزم العمل . وعلى هذا فمن لم يؤد الصلاة فهو غير مؤمن بوجوبها . وليس معنى هذا أنه كافر بها ، لأن الكافر بالصلاة يكون مؤمنا بعدم وجوبها . وليس تارك الصلاة كذلك بل هو لم يبلغ بعد درجة الايمان بها ، كما لم ينزل أيضا الى درجة الايمان بعدم وجوبها .

مخلاصة القول في هذا : أن الانسان اذا لم ينفذ أمرا من أوامر الله تعالى كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج .. لا يكون بعد مؤمنا بهذا الأمر وأيضا من لم يترك أمرا من الأمور التي كلفها بتركها كالقتل ، والسرقه ، وشرب الخمر .. لا يكون مؤمنا بوجوب تركها واذا فعلها فان هذا لا يدل على ايمانه بفعلها والا كان كافرا والعياذ بالله . بل هو لم يبلغ بعد درجة الايمان بأحد الطرفين . والدليل على ذلك قول الحسن : " كان الرجل اذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وصره ولسانه ويده وصلاته وزعمه ، وان كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعطى به فيكون خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فجعلهم في الآخرة " ، وقوله : " والله ما طلب هذا العلم أحد الا كان حظه من الله ما أراد به " ، وقوله : " ابن آدم انك لن تجمع ايمانا وخيانة ، كيف تكون مؤمنا ولا يأمنك جارك أو تكون مسلما ولا يسلم الناس منك ؟ أليس قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : " لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له " (٢)

(١) المختار من صحيح مسلم ج ١ ص ٥ - ١٦ ، والمختار من التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للزبيدي شرح الشرقاوى ج ١ - الطبعة الثانية وحقق الكتابين السابقين وعلق عليهما الأستاذ الدكتور مصطفى أمين الثاني

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ١ ص ٧٢ ، وتاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين للدكتور علي الفساي ص ٣٨ - ٣٩ ، ومن تاريخ الجدل - حسن البصري للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٦ - ١٧ .

(١)

وهذا الرأي للحسن البصرى فى الايمان يشبه الى حد كبير ما قال به سقراط فى المعرفة حيث يرى أن معرفة الفضيلة تستلزم العمل بها ولهذا كان يقول :

" المعرفة الفضيلة • أو الفضيلة المعرفة " •

وكان — سقراط — يرى أن الانسان لا يمكنه أن يعيش سعيدا كما ينبغي إلا اذا حقق عمليا تلك الممارسة التى كانت مكتوبة على معبد دلفى

اعرف نفسك بنفسك " (٢)

ومما يدل على صحة رأى الحسن البصرى وسقراط من قبله — فيما نرى — قول النبى صلى الله عليه وسلم : " لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن " (٣)

فكانه صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الشريف يريد أن يقول : ان الانسان وقت ارتكابه خلاف ما يقتضيه ايمانه لا يكون مؤمنا والا ما فعل خلاف ما يوجبه هذا الايمان فاتيان خلاف ما يوجبه ايمانه دليل على عدم ايمانه • (٤)

ثالثا : مرتكب الكبيرة ورأى الحسن فيه :

رأى الحسن البصرى فى مرتكب الكبيرة مبنى على رأيه فى الايمان فهو يرى أن مرتكب الكبيرة منافق لأنه لو كان مؤمنا ما ارتكبها وما يحملنه من الايمان لم يتصل صميم القلب فهو اذا ليس مؤمنا خالصا ، ولا كافرا خالصا • لأنه لو كان كذلك لأظهر أعماله التى تتفق مع الكفر وجاهر بها •

والدليل على رأيه هذا من كلامه : " الناس ثلاثة ، مؤمن ، وكافر ، ومنافق • فالؤمن من قد ألجمه الخوف ، وثبته ذكر المرضى • وأما الكافر فقد قمعه السيف وشرده الخوف ، فأذعن بالجزية وسمع بالضريبة • وأما المنافق ففى الحجرات والطرق يسرون غير ما يعلنون ، ويضمرون غير ما يظهرون " (٥)

وهذا الموضوع سيجى بالتفصيل — ان شاء الله — فى فصل " دعوته الى الله تعالى " •

(١) سقراط : فيلسوف يونانى له شهرة كبيرة • عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد ( ٤٧٠ — ٤٠٠ ق م ) وكان كثيرا ما يدافع عن الحقائق الأخلاقية • ومات بسبب دفاعه عنها • •

(٢) مبادئ الفلسفة والمذاهب السياسية للدكتور أحمد الخشاب وآخر ص ٤٦ — ٤٩

(٣) الحديث

(٤) تاريخ الفرق الاسلامية للدكتور الفرابى ص ٣٩ ، ومن تاريخ الجدل — حسن البصرى للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٧ •

(٥) تاريخ القرن الاسلامى للدكتور الفرابى ص ٣٩ ، ومن تاريخ الجدل — حسن البصرى للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٧ •

و — في الزهد ، والدعوة الى الله تعالى :

بعد أن تناولنا الحديث عن أنماط من الفكر عند الحسن البصري  
من ناحية القراءات ، والتفسير ، والسنة ، والفقه ، والمقيدة ..  
يجب ، الحديث بعد هذا عن الزهد ، والدعوة الى الله تعالى عنده .  
ولما كان الزهد عاملاً قوياً في شهرة الحسن في الأمة على مختلف  
المصوِّرات وكذلك الدعوة الى الله تعالى .

لهذا أوردت كلا من الزهد والدعوة الى الله تعالى في فصلين  
مستقلين . ونبدأ الحديث فيما يلي عن الزهد . والله الموفق .

## الفصل الثاني

### زهد

#### تمهيد :

تحدثنا في الفصل الثاني من الباب الثاني عن الزهد كصفة من صفات الحسن المعنوية وكان الحديث فيه موجزا . لأنه دار حول الصواب التي جعلت منه هذه الشخصية الزائدة . وانحصرت هذه الصواب في موافقة عمله لقوله — معنى هذا أن الحسن رحمه الله كان يفعل ما يقبل — ، ثم تحكمه في شعوره مقتفيا بهذا آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح من عباد الله تعالى ، وأخيرا أخذته العبرة من الماضي والحرص عليه . هذا مع ضرب الأمثلة القولية والفعلية لما ذكرنا .

وكان من الممكن أن نكتفي بما أوجزنا في هذا الموضوع ، لولا أن الزهد عنصر أساسي من عناصر الرسالة فاليد من بسط القول فيه . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن الحديث عن زهد الحسن وشهرته في ذلك تجعلنا نذكر بعض الشيء عن نشأة التصوف . فقد أثبت معظم الباحثين من العلماء أن الزهد كان الأساس القوي الذي بنى عليه " التصوف " المعروف لدينا من أواخر القرن الثاني الهجري — تقريبا — الى يومنا هذا .

ومن ناحية ثالثة أن بعض المستشرقين ، والمبشرين من أعداء الاسلام أرادوا الكيد له حيثئذ استغلوا هذا الجانب الحاطي فيه ، وظهروه عند كثير من رجال الأمة الاسلامية العارفين بالله تبارك وتعالى . فأخذوا يحرفون الكلم عن مواضعه . خاصة وأن بعض المنتسبين الى الزهد والتصوف يعمدون كل البعد عن جوهر الاسلام . مما شجع أعداء الاسلام على المضي في مخططهم التخريبي لتقويض دعائم الاسلام الحنيف . لهذا كله كان الحديث عن الزهد عامة ، وما يتصل بالحسن البصري خاصة ، وما يتعلق به . . . أمرا ضروريا في هذا الفصل الذي عقدناه لذلك .

وحيثما نحاول وضع تعريف للزهد أو التصوف فاننا لا نكاد نجد تحريفا صريحا لما ذكرنا في القرآن الكريم ولا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم . لأن العلوم المختلفة لم تدون ، ولم توضع لها المصطلحات في هذا الوقت . خاصة وأن السلف الصالح عليهم رضوان الله تعالى كان جل اهتمامهم التطبيق العملي لما استمعوا اليه من الكتاب



والسنة فإذا استعملنا بعض التصريفات للمتأخرين فأنما ذلك لتقريب المعنى والله المستعان .

### معنى الزهد ودليله :

الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين . وهو : عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه ، أو بمعنى آخر أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالاضافة إلى نفاسة الآخرة . وليس كل نوع من الترك يسمى زهدا لأن الانسان قد يترك الشيء مروءة فتوة وسخاء وحسن خلق . . ولا يسمى زهدا (١) .

وللزهد فضائل جمّة يضيف المقام عن ذكرها . فيكفي أنه زينة الأنبياء ، والموسلين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين . . وأنه سبب لكل خير . وصل إليه العلماء العاظمون ، والفقهاء المخلصون .

وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجده قد امتلأ بزيادة كبيرة في الدلالة على حسب الآخرة والمحل لها ، وعدم الاغترار بالدنيا والتمسك بزینتها الزائلة . كذلك سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام زاخرة بزيادة عظم في هذا المجال . هذا عدا أقوال السلف الصالح رضي الله عنهم والزاهدين من عباد الله تعالى . وهذه بعض الأدلة على ذلك :

١ — وصف المولى سبحانه وتعالى قارون — عليه اللعنة — حينما خرج على قومه في زينته ، واقتن الناس به . ثم بين موقف العلماء الصادقين العاملين وأنهم زهدوا في دنيا قارون . . فقال تعالى : " فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون " (٢) .

٢ — قال تعالى : " الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة " (٣) . فوصف الله عز وجل الكفار بذلك . فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا .

- (١) احياء علوم الدين للإمام الغزالي ج ٤ ص ٢١٦ — ٢١٩ . ويقول الراغب الأصفهاني في المعجمات مادة " زهد " : الزهد : الشيء القليل والزاهد في الشيء الراغب عنه والراضي منه بالزهد أي القليل ( وكانوا فيه من الزاهدين ) .
- (٢) سورة القصص آية ٢٩ — ٨٠ .
- (٣) سورة ابراهيم آية ٣ .

٣ — قال تعالى : " فمن يرد الله له شئاً فلا بد أن يعطيه " (١) ، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الشرح قال : ان النور اذا دخل فى القلب انشرح له الصدر وانفسح ، قيل : يا رسول الله وهل لذلك علامة ؟ قال : نعم ، والتجافى عن دار الفسور ، والانتابة الى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله . (٢)

وينظر فاحصة لهذه الحديث النبوى الشريف نجد أنه قد جعل الزهد شرطاً للإسلام وهو التجافى عن دار الفسور .

٤ — ما ذكر من الآيات الكريمة — وغيرها — نجد فيها معنى الزهد وليس لفظه . واذا نظرنا فى القرآن الكريم لم نجد سوى آية واحدة فيها هذه المادة " الزهد " وهى قول الله تعالى : " وشهروه — بأعوه — بئمن بخصى دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين " (٣) .

وكذلك الثوب تهم ببيعته ، وتريد بيعته ويغلب عليه ذلك . ولا تكون زاهداً . ولكن تكون موصوفاً بالآية الزهد حتى تبيعه وتقااض منه ، فحينئذ حتى زهدك فيه . ففى تدبر الخطاب من قوله تعالى : " وكانوا فيه من الزاهدين " كما قال أبو طائب المكي : أن من أخرج الشئ من يده طوعاً ونفسه تتبعه فله مقام فى الزهد بالمجاهدة ، ومن أمسك الشئ وأظهرت نفسه الزهد فيه بالآية والهمة فلا مقام له فى الزهد لأن الامساك علامة الرغبة والرغبة ضد الزهد ، فكيف يصرف بالشئ وعند فى حال قائمة ، فأمسك بالشئ المتوهم للزهد فيسهل بالهزار نفسه ذلك بأحد وصفين : إما أن لا يحرف الزهد ، أولاً يصرف خفى شهوة النفس . هذا أن لم يمهوه على الراغبين ، والمخرج لظبيته عنه هو المحقق بالزهد فيه وهذا هو الذى وصف الله تعالى به اخوة يوسف . (٤)

٥ — ومن الأحاديث الشريفة . حديث سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : داني على

(١) سورة الأنعام آية ١٦٥

(٢) الحديث ذكره صاحب الاحياء ج ٤ ص ٢٢٠ ، رواه الحاكم ، وذكره القرطبي فى تفسيره ج ٧ ص ٨١ ، وابن كثير فى تفسيره ج ٢ ص ١٧٤ — ١٧٥ وبعد أن ذكر الروايات المختلفة لهذا الحديث قال : " فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشهد بعضها بعضاً . "

(٣) سورة يوسف آية رقم ٢٠

(٤) قوت القلوب فى محاملة المحبوب لأبى طالب المكي المتوفى سنة ٣٨٦ هـ ج ١ ص ٥٠٤

إذا علمته أحسن الله وأحسن الناس . فقال : "أزهد في الدنيا يحبك الله وأزهد فيما عند الناس يحبك الناس" . (١)

ويبين ابن حجر الهيتمي شارح هذا الحديث الشريف ما يلي :

الزهد لفظة : الاعراض عن الشيء احتقارا له من قولهم شيء زهيد .

وشرعاً : أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحلال فهو أخص من الورع إذ هو ترك المشتبه وفيهما أقوال آخر . وهذا هو زهد العارفين وهو المراد هنا وأعلى منه زهد المقرين وهو الزهد فيما سوى الله من دنيا وجنة وغيرهما إذ ليس لصاحب هذا الزهد مقصد إلا الوصول إليه تعالى . .

وأما الزهد في الحرام فواجب عام ، وفي المشتبه مندوب عام وقيل واحد . . (٢) . وعلى هذا فيحلى الزهد السابق — والله أعلم — السدي ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب حينما تحدث عن قوله تعالى : " وكانوا فيه من الزاهدين " . وعلى الزهد اللغوي لأن القوم حينما باعوه لم يقصدوا بهذا البيع التقرب إلى الله تعالى . ومن الأحاديث الشريفة أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : ( الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرفقة في الدنيا تطيل الهم والحزن ) (٣) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ( الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرفقة فيها تكثر الهم والحزن والبطالة تفشى القلب ) (٤) .

٦ — قال ابن عينة : " حد الزاهد أن يكون شاكرا عند الرخاء ، صابرا عند البلاء " . وهذا القول من ابن عينة يوافق كثيرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " عجا لأمر المؤمن أن أمره كله له خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيرا ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " (٥) .

٧ — وقال الحسن البصري : " مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة " (٦) .

(١) هذا حديث حسن . رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة .

(٢) فتح المبين لشرح الأريجين لابن حجر الهيتمي ص ٢٣١ — مطبعة دار احياء الكتب العربية .

(٣) رواه أحمد في مسنده باب الزهد ، والبيهقي في شعب الإيمان عن طاوس مرسلا .

(٤) رواه القضاعي عن ابن عمرو — حديث حسن — ( الجامع الصغير للسيوطي )

(٥) رواه الامام مسلم في صحيحه عن أبي يحيى صهيب ابن سنان بن خالد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال . . .

(٦) الحديث رواه ابن جبان في الثقات ، وأبو نعيم في الحلية هكذا مرسلا . وللطبراني في الأوسط من حديث عائشة " من سأل عنى أو سره أن ينظر إلى فلينظر إلى أشعث مشمر لم يضع لينة على لينة " الحديث " واسناده ضعيف .

وقال الحسن : " دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه ، فقيل له : لو أصلحته ؟ فقال : كم من رجل مات وهذا قائم على حاله " . وقال الحسن : " كنت اذا دخلت بيوت رسل الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف " .

وقال الحسن : " أدركت سبعين من الأخيار ما لأحد هم الا ثوبه وما وضع أحد هم بينه وبين الأرض ثوبا قط : كان اذا أراد النوم يمشي الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه " (١) .

٨ — قال الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه — وسئل عن الزهد : ما كان — فقال : هو ان لا تبالى من أكل الدنيا من مؤمن أو كافر . (٢)

٩ — يقول أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — في بعض ما كان يدعو به " اللهم امحني الخير الوفير في الدنيا ، وورغني في التخلص منها " . فهو يطلب خيرا ، وخيرا وفيرا ثم يقف من هذا الخير موقف المتحفظ عنه ، المنصرف عن الاشتغال به .

ففي هذه الحال يظهر معنى الزهد ، وتعرف منافي الزاهدين ، في هذا الصراع الذي يقوم بين دواعي النفس الى هذا الزاد الشهى الذي بين يديها ، وبين تصفها عنه ، وزهدا فيه ، وتعالها عليه . قيل لابن المبارك — وكان من العابدين الزاهدين — يا زاهد .. فقال : " الزاهد عزم عبد العزيز ، ان جاءت الدنيا راغبة ، فتركها ، وأما أنا فقيم زهدت ؟ " .

ذلك هو الزهد الذي يقبله الاسلام ، ويتقبل عمل العاملين به (٣) . الى آخر هذه الأقوال والأفعال الدالة على معنى الزهد وفضيلته .

### علامات الزهد :

قد يسأل سائل : اذا كان هذا هو معنى الزهد وفضيلته والأدلة عليه فكيف يشمر به الانسان أو ما هي علامته ؟

- (١) احياء علوم الدين للفتاوى ج ٤ ص ٢٣٦ وما بعدها .
- (٢) التصرف لمذهب أهل التصوف للكاتب تاجي تحقيق الشيخ النواوي ص ١١٢ .
- (٣) الأدب الصوفي في مفهوم جديد للأستاذ عبد الكريم الخطيب ص ١٠ — ١١ .

والجواب على ذلك أن للزهد علامات بها يعرف الانسان نفسه • وفي غزو ما سبق نرى  
الامام الفزالي حصر هذه العلامات في ثلاث :  
الأولى : أن لا يشترح — الانسان — بوجوده ولا يحزن على مفقوده ويوضح هذا قوله  
الباري تبارك وتعالى : "لكن لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم" (١) • بل  
ينبغي بالزهد من ذلك حتى يعوز برضوان الله تعالى •

الثانية : أن يستريح عنده ذامه ومادحه •  
الثالثة : أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حالة الطاعة • • • ولذلك  
قيل لبعضهم الى ماذا أغضى بهم الزهد ؟ فقال : الى الأنس بالله ، فان الأنس  
بالدنيا وبالله لا يجتمعان • ويلخص هذا العابد الزاهد يحيى بن عمار فيقول :  
" علامة الزهد ثلاثة : عسلى بلا علاقة ، وقول بلا شمع ، وعز بلا رياسة " (٢) •

### زهد الحسن :

نظر الحسن البصري الى الجانب الحاطفي من الكتاب والسنة وآثار السلف  
الصالح عليهم رضوان الله تعالى ، قولاً وفعلًا • • • نظر الى كل هذا فصادف هوى  
فى نفسه فأعرض عن الدنيا وزخرفها • وكان فى مكته أن يشترى ثراءً فاحشاً وأن يصل  
الى أعلى ما يمهقوا اليه الناس ولكنه أشاح بوجهه عن ذلك طاملاً لثواب الآخرة ، واشتد  
فى ذلك لدرجة أنه كان يخطب عليه الخوف على الرجاء ، والحناب على الثواب • وقد ظهر  
لنا ذلك من كلامه وسيظهر أوضح ان شاء الله • موقف الحسن هذا من الدنيا وزينتها  
— قولاً وفعلًا — جعل المتصوفة بعده ينظرون اليه بعين الاجال والاحترام كما  
جعلهم أيضاً ينسجون حوله من الأخبار — الصحيحة وغير الصحيحة — التى برأتها  
مكانة عظيمة وأصبح المؤسس لهذا التراث الكبير الذى تركوه الى يومنا هذا • لهذا  
نجدهم يربطون الحسن البصري بالرسول عليه الصلاة والسلام ويكونون بهذا الارتباط  
سلاسل صوفية متعددة حصر بعضها الدكتور احسان عباس ، ووافقه عليها الدكتور على  
سامى النشار فى ثلاثة فروع نوجزها فيما يلى :

الفرع الأول : يبدأ من الرسول عليه الصلاة والسلام الى حذيفة بن اليمان —  
ثم الحسن البصري — فالمحاسبى •

(١) سورة الحديد آية رقم ٢٢ •

(٢) احياء علوم الدين للفزالي ج ٤ ص ٢٤١ — ٢٤٢ •

ويحتبر الدكتور احسان عباس هذا الفرع أوثن الفروع مع ما فيه من كلام . وذلك لشبه الحسن بأبي حذيفة ، والمحاسبي بالحسن . واشتهرت هذه السلسلة بشمال افريقيا . ومن أجل هذا تكونت طريقة صوفية ضمن الطرق المتعددة تسمى " الطريقة البصرية " نسبة الى الحسن البصرى . . كما يقول الدكتور عبد الرحمن زكي . .

الفرع الثانى : يبدأ من النبى صلى الله عليه وسلم الى على بن أبى طالب ، ثم الحسن البصرى ، فصبب المجهى ، فداود البائى فمعروف الكرخى . . . . . ويرى الدكتور احسان عباس أن وصل الصوفية الحسن بعلى يلحظه محاولة الصوفية نسبة مذهبهم الى على بن أبى طالب - وسيجى توضيح ذلك باسهاب باذن الله - ومعنى هذا عند الدكتور كامل الشيبى صلة الزهد بالتشيع وصدوره عنه . وهذا غير صحيح لأن الحسن - رحمه الله - كان قد اختط لنفسه منهاجا مستقيما فى ضوء الكتاب ، والسنة لا عوج فيه مما جعل كل طائفة من الطوائف تنسبه اليها أو تنسب نفسها اليه . والذي حلق الدكتور الشيبى أن يقول ذلك . لما ورد عن الحسن من عطفه على العلويين وتأثره بمقتل على ، والحسين ، والشبه القوي بينه وبين على . وهذا كله لا يعنى التشيع لآل البيت أو الامراض عندهم . .

الفرع الثالث : يبدأ من الرسول صلى الله عليه وسلم الى أنس بن مالك ، ثم الحسن ، ثم فرقد السنجى ثم معروف الكرخى ، ثم السرى السقلى ، فالجنيد فالخلدى . . (١)

نعود الى الحديث عن زهد الحسن البصرى رضى الله عنه فنرى أن هناك عوامل ساعدت على زهده ، وتكوين شخصيته الزاهدة تحدثنا عنها فى ألى هذا الفصل الذى عقدناه لهذا الموضوع . .

وأحب أن أعيد هنا بعض الفقرات من كلامه الطيب - الذى ذكرته - بدون تحليل فى الحديث عن الزهد كصفة من صفات الحسن فى الفصل الثانى من الباب الثانى لتحليله بعض الشئ ، حسبما يتسع المقام لذلك - ليتبين لنا الحسن المملاق فى زهده وصلته بالله تعالى فألقى والله المستعان : قال الحسن : " يا ابن آدم عملك عملك فانما نولحك ودمك فانما نر على أى حال تلقى عملك ، ان لأهمـل (١) الحسن البصرى للدكتور احسان عباس ص ١٠ - ١١ ، ونشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام للدكتور انصار ج ٣ ص ١٦٠ - ١٦٢ ، والصلة بين التصوف والتشيع للدكتور مصطفى الشيبى ج ١ ص ٣١٦ ، والمسلمون فى العالم اليوم - افريقيا الاسلامية للدكتور عبد الرحمن زكي - الملحق الثالث عن أشهر الطرق الصوفية فى العالم الاسلامى ، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٨ م ، والتراث الروحى للتصوف الاسلامى للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ص ١٧٦ - ١٨٠ .

التقوى علامات يصفون بها ، صدق الحديث والوفاء ، بالصهد ، ورخصة الضعفاء ، وقلة  
الفخر والخيلاء ، وبذل المعروف ، وقلة المباهاة للناس وحسن الخلق ، وسعة الخلق  
ما يقرب انسى الله عز وجل . يا ابن آدم انت ناسر الى عملك يوزن خيره وشره فلا تحقرن  
من الخير شيئا وان هو صغر فانك اذ رأيتك سرك مكانه ، ولا تحقرن من الشر  
شيئا فانك اذ رأيتك ساء مكانه ، وفرحم الله رجلا كسب ليليا وأنفق قصرا . . يا ابن  
آدم بع دنياك بأخرتك تريحهما جميعا ولا تبين من آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا . .  
ويحدثنا تلميذه حميد الطويل مينا لنا أيضا حالة من حالات زهد وورعه وتقواه فيقول :  
” بينما الحسن في يوم من أيام رجب في المسجد وهو يحس ما ويمجه ، تنفس تنفسا  
شديدا ثم بكى حتى ارتعدت منكباه . ثم قال : لو أن بالقلوب عياة لو أن بالقلوب  
صلاحا لأبكتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة . ان ليلة تمغض عن صبيحة يوم القيامة  
ما سمع بيوم قط أكثر فيه عورة بادية ، ولا عين باكية ، من يوم القيامة ” (١)

#### تحليل ما سبق من أقوال الحسن :

يركز الحسن البصري في النص السابق — يا ابن آدم عملك عملك . . على العمل  
والحث عليه . وأنه هو الطريق السوي للوصول الى الله تبارك وتعالى . ثم يبين  
العلامات التي تظهر لدى أهل التقوى والصالح من صدق ، ووفاء ، ورخصة ، وتواضع ،  
وكرم ، وحسن خلق ، وسعة الخلق وبعد هذا يوضح أن العمل — أيضا — اذا كان  
خييرا مهما كان صغيرا يسر الانسان وان كان شرا مهما كان صغيرا كذلك يسى الانسان .  
فلا يستقل الانسان عمله مهما صغر . وهذا يوافق تماما قول الله تبارك وتعالى :  
” فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ” (٢) ، وقول النبي  
صلى الله عليه وسلم : ” اتقوا النار ولو بشق تمرة ” (٣) . وأخيرا يطلب الحسن  
رحمة الله من ابن آدم أن يبيع دنياه بأخرتة حينئذ يحصل على ربحهما ، وينهباه  
عن بيع أخرتة بدنياه فيخسرهما جميعا . . وفي النص الآخر للحسن الذي حكاه عنه  
تلميذه حميد الطويل . يبين الحسن أن فقدان الحياة والصالح من القلوب يتسبب  
عن ذلك موتها أى فسادها . قال صلى الله عليه وسلم : ” ألا وان فى الجسد مضغة اذا  
صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب ” (٤) . .

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم ج ٢ ص ١٤٠ وما بعدها .

(٢) سورة الزلزلة آية ٧ و ٨ .

(٣) حديث متفق عليه من حديث عدى بن حاتم .

(٤) رواه البخارى ومسلم عن أبى عبد الله النعمان بن بشير رضى الله عنهما .

والدليل على موتها وفسادها أنها لم تتأثر بالموعظة ولم تزهد في الدنيا • علما بأن القلب لو انتبه واستيقظ لليلة صبيحتها يوم القيامة لما غفل أبدا وتفانى في سبيل عبادة ربه • والوصول إلى مولا • •

وكان رحمه الله من شدة زعمه وخوفه من الله سبحانه وتعالى تراه دائما حزينا • إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه وإذا جلس • فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه • وكان إذا ذكرت النار عنده • فكأنما لم تخلق إلا له • ومن هنا قال رحمه الله :  
” رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه فان وافقه حمد الله وسأله الزيادة من فضله وان خالفه أعتب وأتاب ” ومن أجل هذا أيضا كان يقول رحمه الله : ” طول الحزن في الدنيا تلقح الصلح ” • ثم علل الحسن البصري هذا الحزن بأن المؤمن لا يسمعه غير ذلك لأنه بين مخافتين : ” بين ذنب قد مضى لا يدرى ما الله يصنع فيه وبين أجل قد بقى لا يدرى ما يصيب فيه من المهالك ” • وأنه : ” لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل ولا نسب ولا ذاب ولا تدب ” (١) • معنى هذا أن الحسن البصري لم يكن فيه مبدأ التناقض غالبا كما يحدث لكثير من الناس وهذا جعله كما يقول الدكتور احسان عباس ينتقد الأشرار من خلال المرأة العامة والخاصة • ولا يستمرئ من القصاص إلا ما وافق ذاته نفسه ويهتز لها أي لهذه القصص مهما كان • (٢)

وقد ظهر كل هذا على بيته عطيا كما ظهر على نفسه • قال عبدالله بن شاذب عن ملر قال : مبينا زهد الحسن في منزله — دخلنا على الحسن نعوده فما كان في البيت شيء لا فراش ولا بساط ولا حصير إلا سرير مرمول هو عليه • (٣)

هذا الزهد في الدنيا كان له ثمرة وهي : سيطرته على نفسه حتى كانت فسي عداد النفوس اللوامة والمطامنة • تحكمه في شعوره فكان لا يتكلم إلا بقدر متشاكلا بقول الرسول الكريم : ” رحم الله عبدا تكلم فحزم أو سكت فسلم ” (٤) • تملكه لنفسه خاصة عند الغضب فكان لا يخرف في كلامه مهما كان الموقف • • وفوق هذا كله كان لا يضحك

- 
- (١) الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل الشيبى ج ١ ص ٢٩٢ وما بعدها •  
(٢) الحسن البصري للدكتور احسان عباس •  
(٣) تاريخ الاساطير للذهبي ج ٤ ص ١٠٤ وما بعدها • والسريير المرمول معناه : المنسوج من السعف بالجمال • ( تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ١٠٧ ) •  
(٤) هذا الحديث : رواه الحسن البصري • وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت • والبيهقي في شعب الايمان من حديث أنس • فيه ضعف فانه من رواية اسماعيل ابن عياش عن الحجازيين •



— كما يفهمه كثير من الناس — الا الابتسامة المارضة التي لا تؤثر على هيئته ففى المجتمع الذى يعيش فيه . .

وكانت أسرة الحسن تتحمل كل عذا بمشقة لأنه قد فرض عليها ما لا يستطيع الغير أن يتحملة . ولم يظهر عفا على رجل ماتت زوجته فحزن لفقدها وتوجع . (١)

ومما أعان الحسن على هذا الزهد الذى ملك عليه نفسه وروحه فى دنياه الناس . أنه كان شديد الحرص على الاستفادة من الماغى الذى تركه فى المدينة المنورة المصحف فى حياة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيها بعد أن وصل الى البصرة . ولذا نجد أن أهل البصرة كانوا دائما حريصين عليه . ويرون فيه الانسان المثالى الذى يحمل اليهم حياة الرسول الكريم كما طأها أصحابه . ويظهر هذا المصنى واضحا جليا من قول الحسن رضى الله عنه : " ما من الناس رجل أدرك القرن الأول أصبح بين ظهرائكم الا أصبح وأمسى مهموما " وعن طلحة بن مرثد قال : " انتهى الزهد الى ثمانية من التابعين ، فمنهم الحسن بن أبى الحسن فما رأينا أحدا من الناس كان أطول حزنا منه ، ما كنا نراه الا أنه حديث عهد بمصيبة ثم قال : نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال : " لا أقبل منكم شيئا ويحك يا ابن آدم هل بمحاربة الله ساعة ؟ انه من عصى الله فقد حاربه . والله لقد أدركت سبعين يدريا أكثر لباسهم الصوف ، ولو رأيتهم قدامى مجانين . ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا شراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء " بيوم الحساب . ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ولقد رأيت أقواما يمسى أحدهم وما يجد عنده الا قوتا فيقول : لا أجمل هذا كله فى بطنى . لأجملن بحسنه لله عز وجل فيتصدق ببعضه ، وان كان هو أحوج ممن يتصدق به عليه . (٢)

وحرص الحسن على الماغى المفقود بالنسبة له جعله دائما كان يتمسك بالقديم ولا يقبل الا اذا اعتقد بأن هذا الجديد لا يعارض مبادئ الكبير ويقتنع به اقتناعا كاملا . يظهر هذا من بعض أحكامه .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ١٦١ وما بعدها ، عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ١٨٧ ، احيا علوم الدين للإمام الفراءى ج ٣ ص ١١١ ، ٢٨٣ ، ومحاضرات الرافى الأصفهاني ج ١ .  
(٢) حلية الأولياء لأبى نعيم ج ٢ ص ٣٢ — ١٣٧ ، والكواكب الدرية للضاوى ص ٩٧

وعلى سبيل المثال : كان يكره بيع المصاحف ويرى أنه يجب أن توزع مجاناً دون أن تتعرض للبيع والشراء . ولكن هذا الرأي للحسن لا يصلح في معظم الأزمان خاصة وأن الشح والبخل والمياد بالله طمس على قلوب كثير من آتاهم الله بسطة في المال . . ومن أجل هذا طلى تلميذاه مطر الوراق ، ومالك بن دينار إيجاداً لأنه في هذا الموضوع حتى اقتنع الحسن وأفتى بجواز البيع . (١)

كذلك كان لا يرى أخذ الأجر على التطعيم ولكن سرطان ما تنازل عن هذا الرأي بسبب تغير الحياة من حوله . (٢) وهذا التساهل منه في بعض الآراء — التي تدل على مرونته واستجابته لكل رأي يقتنع به ولو كان من تلميذ له دون تكبر — لأنه لم يجسد نصاً صريحاً من كتاب الله أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام أو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

أما إذا صدر نص صريح في أي أمر من الأمور لا يتخلّى عنه مطلق مهما كان هذا الأمر مثل الحكم الذي استمع إليه في المدينة وهو صغير من الخليفة الثالث عثمان بن عفان حينما قال : " اقتلوا الكتاب " فلم يتنازل عن هذا الرأي مطلقاً وأخذ يفتي به . (٣)

وزهد الحسن أيضاً أدى به إلى الابتعاد عن كل ما يشوه سمعته بين الناس حتى يستطيع أن يبلغ رسالته في مجتمعه . مما جعله يشدد وينهى كثيراً عن مجالسة أهل الأهواء والبدع الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويموهون معالم الدين الصحيح تبعاً لأهوائهم وميولهم . (٤)

هذا هو زهد الحسن البصري الذي دل عليه الكثير من المراجع الزهامة مما لا يتسع المقام لذكر أمثال : حلية الأولياء لأبي نعيم ، والطبقات لابن سعد ، وللشمراني ، والكواكب الدرية للضائلي إلى غير ذلك من المراجع العديدة ومعتبر بحق مؤسساً للمذهب البصري في الزهد القائم على الخوف ، والتفكير الموصل إلى الايمان ، والحزن والبكاء اللذين يصفيان النفس ، ويؤديان بالإنسان إلى الظفر برضوان الله ، ونعيم جنته كما قال الدكتور محمد مصطفى حلي . (٥)

(١) المصاحف لابن أبي داود ص ١١٧ ، ١٤٠ نشر آرثر جفرى .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٢٨ .

(٣) الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٢٩٣ .

(٤) الاعتصام للشاطبي ج ٢ ص ٢٥ وما بعدها .

(٥) الحياة الروحية في الاسلام للدكتور محمد مصطفى حلي ص ٧٦ ، نشر الهيئة

المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ م

### مظاهر الزهد عند الحسن :

ذكرنا فيما مضى أن الحسن كان دائما يرى حزينا ونزيه الأمور وضوحا — هنا — فنذكر أنه كان أيضا خائفا من الله دائما . ونراه أحيانا يلجأ إلى التقيّة لحذر الاصطدام بين ما يسمى بالمثالية والواقعية . وليس معنى هذا أنه كان جباناً . بالعكس فإن ما روى عن شجاعته ينفي ذلك . عن أبي بكر الهذلي ، قال كما عند الحسن إذ أقبل وكيع بن أبي أسود فجلس ، فقل : يا أبا سعيد : ما تقول في دم البراغيث . يصيب الثوب أبيض فيه ؟ فقال : يا عجا من يلغ في دماء المسلمين كأنه كلف ثم يسأل عن دم البراغيث . . . فقام وكيع يتخلج في مشيته كتخلج المجنون ، فقال الحسن : ان لله في كل عضو منه نعمة فيستعين بها على المحصية ، اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على محصيتك . . (١)

وكان من شدة خوفه إذا سئل : أمؤمن أنت ؟ قال : ان شاء الله ، ولم يقل : نعم ، لأنه يخاف ان قال ذلك يقول الله : كذبت يا حسن ، وما رآه أحد الا ظنسه حديث عهد بمصيبة ، ومثل كل آونة وأخرى يرتعد ويتنفس تنفسا شديدا حتى تكاد تزهق روحه ، كما كان يخاف من الموت لدرجة أنه اذا ذهب إلى جنازة رجع إلى بيته ولم يتحدث أيا ما ، واذا عاد مريضا لم ينتفع به أولاده وأهل بيته وأصحابه ويظل — رحمه الله — أيا ما لا يأكل ولا يشرب ، ويعتبر الحسن أن الذي سبب له هذا الحزن والخوف — الذي نتج عنه الزهد — هو القرآن الكريم فنراه يقول : " والله لا يؤمن عبد بهذا القرآن الا حزن وذبل ولا نصب وذاب ولا تعب " ، واشتد خوفه من النار حتى سمع يوما حديثا عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان فقال رحمه الله : " يا ليتني كنت ذلك الرجل " ، وكان رحمه الله يخاف من النفاق ومشتقاته حتى قال يوما : " لو أعلم أنني يرى من النفاق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس " وما عزا بالنفاق الذي هو ضد أصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الايمان فيكون مسلما منافقا كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، اذا ائتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد

غدر ، وإذا خاصم فجر \* (١)

ومن الممكن تصوير ما ذكرناه عن زهد الحسن في النقاط التالية :

أ — انه كان دائما يتمهم نفسه فليس ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فهو يخاف الله وعذابه ولا يعتبر ما قدم من عمل مهما كثر بمنجيته من هول يوم القيامة . حتى قيل لميد الواحد بن زيد صف لنا الحسن فقال : " رحم الله أبا سميد كان والله اذا أقبل كأنه رجح من دفن حميمه ، وإذا أدبر كأن النار فوق رأسه ، وإذا جلس كأنه أسير قدم لا يرب عنقه . . "

ب — لم يكن راغبا عن الحلال الطيب بل سائرا في جادة الاعتدال يطلب لذة هذه الحياة كما يعتمد عن موقاتها معتقدا أنه لا رهيانية في الاسلام . وأن تحریم ما أحل الله ليس من كمال الايمان . وقد عرفنا — فيما مضى — قوله للرجل الذي أراد أن يمتنع عن أكل طيبات الحياة وكان يتساهل في الفناء — وبالطبع الفناء الذي لا فحش فيه ولا مكروه — قال ابن عون : " أدركت ثلاثة يتشددون في السماع ، وثلاثة يتساهلون في الفناء . فأما الذين يتساهلون . فالحسن ، والشعبي . والنخعي . وأما الذين يتشددون فابن سيرين ، والقاسم بن محمد ، ورجاء بن حيوة . . "

ج — مع كونه قواما بالليل يخلو ويمتدح حتى جاء الشعبي يوما وهو في خلوته — سلم عليه فلم يلتفت فقال الشعبي : الرجل والله في غير ما نحن فيه . ومما قاله في خلوته هذه : " ابن آدم لم تكن فكنت وسألت فأعطيت ، وسئلت فبخلت ، وبئس والله ويحك ما صنعت " .

مع كل هذا كان يختلط بالناس ولا يمتدحهم ، ويدعوهم الى الله تعالى ، وكان يعمل على قضاء حوائجهم ما استطاع الى ذلك سبيلا (٢) .

- (١) احياء علوم الدين للفرزالي ج ١ ص ١٣٤ ، ج ٣ ص ١٣٤ ، ج ٤ ص ٢٣ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، هذا الحديث الذي رواه الفرزالي في الاحياء أخرجه الحافظ العراقي بقوله : حديث " من يخزي من النار بعد الف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان " أخرجه أحمد وأبو يعلى عن رواية أبي ظلال القسلي عن أنس وأبو ظلال ضعيف واسمه هلال بن ميمون ، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٤ ص ١٠٣ ، والبيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ١٥٣ وما بعدها ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٣٨ — ١٣٩ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٣٦٢ — ٣٦٣ ، وقوت القلوب لأبي طالب المكي ج ١ ص ٢٠٨ ، وتخریج حديث النفاق ما يلي : رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو (٢) من تاريخ الجدل — حسن البصري للشيخ محمد أبو زهرة ص ١١ — ١٢ .

## التصوف والاسلام

### أصل كلمة التصوف :

اختلف العلماء والباحثون في أصل كلمة "التصوف وما اشتق منها" السى وجوه متعددة . نذكر طرفا منها فيما يلى :

- فمن قائل أنها نسبة الى الصفة الأولى وهى صفة المسجد التى كانت فى مؤخر مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة حيث كان ينزلها من فقراء المسلمين من أهل الصفة يكتبون عند أماكن الاكتساب الذى لا يصد هم عما هو واجب أو أحب الى الله من الكسب . وأما إذا أحصروا فى سبيل الله عن الكسب فكانوا يقدّمون ما هو أقرب الى الله ورسوله ، وكان الرسول ييمت اليهم بما يكون عنده (١) .

ويؤيد هذا المعنى السهروردى فى قوله : " قد اجتمعوا بمسجد المدينة كما يجتمع الصوفية قديما وحديثا فى الزوايا والربط لا يرجعون الى نزع ولا الى ضج ولا الى تبارة ، وكان الرسول — عليه الصلاة والسلام — يحث الناس على مواساتهم ، ويؤاكلهم ، ويجالسهم " (٢)

- ومن قال أنهم سمو صوفية لأنهم فى الصف الأول بين يدي الله جل وعز بارتفاع همهم اليه ، وأقبلهم عليه ، ووقفهم بسرائرهم بين يديه . (٣)

- ومن قائل أنهم سمو بذلك نسبة الى الصفة اذ جملة التصوف اتصاف بالصفات الحميدة وترك للصفات الذميمة .

- ومن قائل أنها نسبة الى صوفة العقفا ، وهى الشعر الأغبر المتلبد الذى يتدلى من العقفا (٤) .

- ومن قائل أنها نسبة الى الصفاء كما يقول صاحب اللع (٥) : " ان العبد اذا

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج ١ ص ٢٦ ، ٣٠ .

(٢) عوارف المعارف للسهروردى ص ٤٧ .

(٣) التصوف لمذهب أهل التصوف للكلايادى ص ٢٨ — ٢٩ .

(٤) تشاة التصوف للدكتور ابراهيم بسيونى ص ١٠ .

(٥) اللع لأبى نصر السراج ص ٤٧ .

صفا من كدر البشرية يقال له قد صوفى فهو صوفى " ويحلل لذلك القشيري في رسالته بأن الصفاء محمود بكل لسان . (١)

ومنهم من يعتقد صلة بينها وبين الكلمة اليونانية " سوفيا "

يقول جورجى زيدان : " وعندنا أنها مشتقة من لفظة يونانية الأصل هى " سوفيا " ومعناها الحكمة ، فيكون الصوفية قد لقوا بذلك نسبة الى الحكمة ، لأنهم كانوا يبحثون فيما — يقولون أو يكتبونه بحثاً فلسفياً ، ويؤيد ذلك أنهم لم يظهروا بحلمهم هذا ولا عسروا بهذه الصفة الا بعد ترجمة كتب اليونان الى العربية . ودخل لفظ الفلسفة فيها " (٢) الا أن " نولدكه " أثبت خطأ هذا الزعم كما أيده فى ذلك " بيكلسن " و " ما سينيون " ، ومن أدلة " نولدكه " أن " س " اليونانية نقلت الى العربية كما هى سينا لا صادا كما أنه لا يوجد فى اللغة الآرامية كلمة تعد واسطة لانتقال سوفيا الى صوفى (٣) . .

والحاصل من هذا كله وغيره أنه يظهر من أقرب الأقوال الى العقل والفلسفة أن كلمة " التصوف وما اشتق منها " كلمة عربية ومشتقة من كلمة " صوف " وفى هذا المعنى يقول الدكتور بسيونى : " والنسبة الى الصوف أقرب النسب الى الاشتقاق اللغوى ، ولأن ثمة علاقة بين ارتداء الصوف وبين التخفف من متاع الحياة والميل الى الزهادة والاتجاه الى التمسك ، ومن المعقول أن هذه العلاقة عرفت بعد ظهور الاسلام ، حين اقترن مظهر المتعبدين الزاهدين به وصار مميزاً لهم . .

ومما يؤيد ذلك ما يلى :

أ — يقول أبو موسى الأشعري : " يا بنى لورأيتنا ونحن مع النبی صلى الله عليه وسلم اذا أصابتنا السوء وجدت منا ريح الضأن من لباسنا الصوف " (٤) .

ب — كان أبو عبيدة عامر بن الجراح يظهر للناس وعليه الصوف فلأموه على ذلك وقالوا له : " انك بالشام وحولنا الأعداء ففير من نيك وأصلح من شارتك فقال : " ما كنت بالذى أتيتك ما كنت عليه فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم " (٥) .

(١) الرسالة للقشيري ص ١٣٨ .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٣) تاريخ التصوف فى الاسلام للدكتور قاسم غنى ص ٦٧ — ٦٨ .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٨٠ .

(٥) مروج الذهب للمسعودى ج ١ ص ٤١٨ .

ج — قال الحسن البصري : " أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف " (١) . وقال أيضا : " رأيت عوفيا في الطواف فأعطيته شيئا ، فلم يأخذه وقال : ممسنى أربعة دنانير فيكفيني ما مضى " (٢) .

د — وقال القشيري — فيما رواه ابن خلدون في مقدمته — ما يلي :

" ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس ، والظاهر أنه لقل . وأما القول باشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبميد من جهة القياس اللغوي . وكذلك من الصوف ، لأنهم لا يختصون بلبسه " . وقد علق ابن خلدون على هذا الرأي بقوله : قلت : والأظهر — ان قيل بالاشتقاق — أنه من الصوف ، وهم في الغالب مختصون بلبسه ، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف " (٣) الى آخر هذه الأقوال الدالة على ذلك .

وليس معنى هذا أن هذه القاعدة مطردة . ليس كذلك لأن بعض المصلين والأدعياء انتهزوا هذه الفرصة وأخذوا يلبسون الصوف ليظهروا بمظهر الزهد والورع كمنى يحصلوا على ما يرغبون من الحياة . مما اختلط على بعض عباد الله المخلصين من هو الصادق في زهده ومن هو الكاذب ؟ حتى أننا نجد رجلا كالحسن البصري يقول : أصحاب النار هم أصحاب الأكسية " (٤) .

ومن أجل هذا كان بعض أهل الزهد والورع يتحفظ في كلامه حتى لا يزل مثل ما روي أن محمد بن واسع دخل على قتيبة بن مسلم وإلى خراسان وعليه مدرعة صوف — في القرن الثاني — ، فقال قتيبة : " ما يدعوك الى لباس هذه ؟ فسكت عنه . . . فقال له قتيبة : أكلك فلا تجيبني ؟ قال : أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي ، وأقول فقرا فأشكروني " (٥) .

#### تعريف التصوف :

في ضوء ما ذكرناه من أصل كلمة التصوف وما اشتق منها تجيء التعريفات لهذه الكلمة وهي كثيرة حتى قيل : إنها بلغت زهاء الألفين ، والسرفى هذا التعريفات

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ١٣٤ .

(٢) عوارف المعارف للسهروردي ص ٤٨ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٠٨ .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٢٣ .

(٥) المعقد الفريد لابن عبد ربه ج ٦ ص ٢٢٦ .

الكثيرة أن كل واحد من الصوفية كان يذكر التعريف حسب ما يشعر ويتذوق .  
وكما يقول القائل : " من ذاق عرف " .

ومرجع كل هذه التعريفات يدور حول الاخلاص في عبادة الله والاستمانة به دون سواه . . . اقرأ ان شئت قوله تعالى : " اياك نعبد و اياك نستعين " فان جميع ما ذكره الصوفية وساروا على هديه يدور حول هذين الأصلين ويتفرع عنهما . . . (١)

والى القارئ الكريم نأذج من هذه التعريفات على سبيل المثال لا على سبيل  
الحصر :

• سئل أبو سعيد الخراز عن الصوفى فقال :

" من صفى ربه قلبه ، فامتلا قلبه نورا ، ومن دخل فى عين اللذة بذكر الله " .

• قال أبو بكر الكاتنى :

" التصوف : صفاً ومشادة " (٢) .

• وقال الجنيد : " التصوف ، حفظ الأوقات " .

• وقال ابن عطاء الله السكندرى : " التصوف الاسترسال مع الحق " .

• قال أبو الحسن محمد بن أحمد الفارسى : " أن كان التصوف عشرة : تجريد التوحيد ، وفهم السماع ، وحسن المعاشرة ، وإيثار الايثار ، وترك الاختيار ، وسرعة الوجد ، والكشف عن الخواطر ، وكثرة الأسفار ، وترك الاكتساب ، وتحريم الاختيار " .

• وقال أبو يعقوب السوسى : الصوفى : هو الذى لا يزعجه سلب ولا يتعبه طلب . (٣)

• وقال معروف الكوفى : التصوف : الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدي الناس .

• وقال أبو سليمان الدارانى : التصوف : أن تجرى على الصوفى أعمال لا يعلمها الا الحق ، وأن يكون دائماً مع الحق على حال لا يعلمها الا الله .

• وقال بشر الحافى : الصوفى من صفا قلبه لله .

• وقال ذو النون المصرى : عن المتصوفة : هم قوم آثروا الله عز وجل على كل شئ ، فآثروهم الله عز وجل على كل شئ " .

• وقال أبو حنيفة الحداد : التصوف : تمام الأدب (٤)

(١) سورة الفاتحة آية ٥ ، وكتاب الانسان والاسلام للشيخ الطامدى ص ٢٠٥ .

(٢) الضفد من الضلال تحقيق الدكتور عبد الحليم محمد الطبعة السادسة ص ١٧٣ .

(٣) التصوف لمذهب أهل التصوف للكلايادى ص ١٠٨ — ١٠٩ .

(٤) فى التصوف الاسلامى وتاريخه لبعض المستشرقين ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى ص ٢٨ — ٣٠ .



ولا نكاد نجد تعريفاً يجمع هذا كله . اللهم الا محاولة للدكتور ابراهيم بسيوني  
الذى استطاع بعد استعراضه لأربعين تعريفاً ( من سنة ٢٠٠ هـ - الى سنة ١٣٣٤ هـ ) .  
في نواحي ثلاثة فيما يلي :

الناحية الأولى : تعريفات تتحدث عن البداية

الناحية الثانية : وتعريفات تتحدث عن المجاهدات .

الناحية الثالثة : وتعريفات تتحدث عن المذاقات .

يقول الدكتور ابراهيم بسيوني عن تعريفه الجامع - في رأيه - التصوف : تيقظ  
الوصل فالاتصال بالوجود المطلق (١)

والمهم من هذا كله هو : الوصل الى الله عزوجل بالطريق السوي فسي  
ضوء الكتاب والسنة . .

التصوف في صدر الاسلام :

التصوف بالمعنى الذى عرفناه من مجاهدة النفس ، والمعبادة الخالصة لله  
تبارك وتعالى ، وعدم الاقتتان بمجاهج الحياة الدنيا وزينتها . . . . . فلاخفاء أنه طلع  
مع الاسلام في أفق واحد - فضلاً عن كونه وجد في صدره - بدليل الآيات القرآنية  
الكثيرة ، وأحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام وآثار العلماء العاملين من عباد الله  
تمالى بطلا يتسع المقام لذكره وقد أوردنا بعضه في موضوع الزهد .

وعلى سبيل المثال قوله تعالى : " رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر  
الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار " (٢) . وقوله  
صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة رضى الله عنها حينما قالت له بعد قيام طويل لله  
رب العالمين : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟  
قال : " أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً " (٣) .

والحسن البصرى وصف أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال : " والله لقد  
رأيت أقواماً كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى يحشون عليه ، وما يباليون أشرفت  
الدنيا أم غربت ، ذهبت الى ذا أم ذهبت الى ذا . . . " والواقع أن التصوف

(١) نشأة التصوف في الاسلام للدكتور ابراهيم بسيوني ج ١ ص ١٧ ، ٢٨ .

(٢) سورة النور آية رقم ٣٧ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى ومسلم عن السيدة عائشة رضى الله عنها .

بهذا المعنى موجود في كل طمة • لأن جميع الأنبياء والمرسلين لم يبحثوا إلا للتركية الطباع وتهذيب النفوس وصرفها عن شهوات الدنيا القانية •

أما النظرة إليه — أي إلى التصوف — من حيث ما وقع فيه من الكلام عن الخواطر والأذواق ••• فشأنه شأن بقية العلوم كاللغة وأصوله والتوحيد •• الذي لم تظهر بصورتها الحالية إلا بعد عصر الرسل صلى الله عليه وسلم • وأول من تكلم في هذا اللون من أتباع الراية المحمدية "الحسن البصري" • قال أبو سعيد ابن الأعرابي : لم يبلغنا أن أحدا تكلم في هذه المذاهب — يعني في أحوال النفس — ودعا إليها وزاد في بيانها وترتيبها • وصفات أهلها مثل : "الحسن البصري" (١) •

كما بين ذلك صاحب قوت القلوب أن الحسن أول من مهد سبيل هذا العلم وفق الألسنة به ونطق بها فيه ، وأظهر أنواره ، وكشف قناعه ، وكان يتكلم بكلام لم يسمعه من أحد من أخوانه فقيل له : يا أبا سعيد ، إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك فمن أخذت هذا ؟ فقال : من حذيفة بن اليمان رضي الله عنه • كما ذكر أيضا صاحب قوت القلوب : أن الحسن البصري أحد المذكورين وكانت مجالسه مجالس الذكر يخلو فيها مع أخوانه وأتباعه من النساك والعباد في بيته — وهذا لا يمنع أنه بدأ في المسجد أولا ثم كانت في بيته أخيرا أو مجلسا بالمسجد وآخر بالبيت — مثل مالك بن دينار ، وثابت البناني ، وأيوب السختياني وفرقد السبخي ••• وقال كذلك صاحب قوت القلوب : "والحسن البصري رحمه الله هو أمانا في هذا العلم الذي نتكلم به ، أثره نققو ، وسبيله نتبع ، ومن مشكاته نستضيء "أخذنا ذلك بأذن الله تعالى • من أمام عن أمام إلى أن ينتهي ذلك إليه ، وكان من خيار التابعين باحسان •• (٢) • وعلى كل فالعناية بالتصوف بصورته المتكاملة لم تظهر إلا في القرن الثالث الهجري والله المستعان •

#### الفرق بين الزهد والتصوف :

بعد أن تحدثنا عن الزهد وما يتعلق به ، وعن التصوف كذلك •• يجي هذا السؤال : هل هناك فرق بين الزهد والتصوف ؟ ••

(١) الانسان والاسلام للشيخ محمد الطاهر الحامدي ص ٢١٠ — ٢١٢ •

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي ج ١ ص ٣٠٤ — ٣٠٥ •

والجواب على ذلك نقول وبالله التوفيق •

لا أكاد أجد فرقا بين الزهد والتصوف لأن كلا منهما يراد منه الوصول الى الله تعالى لمحض الانسان سعيدا في الدنيا والآخرة • ولكن بعض الباحثين استطاعوا أن يوجدوا فروقا متعددة بين الزهد والتصوف نذكر منها :

أن الزاهد يستبعد طعما في الجنة التي يعمده بها ربه وخوفا من النار التي أعدت للمصاة والكافرين • كما أنه ينصرف عن المذاذات الدنيوية وينكر نفسه وشهواته ويحتل مرارة الجوع والمطر لا يفعل ذلك الا طعما في نصيب الآخرة والبعث عن نارها ••

أما الصوفي فيعبد الله لعبادته فقط •• ولمحبته فقط والاتصال به فلا يرجو من ذلك شيئا وإنما همه الوقت الحاضر ، وهدفه معرفة الله تعالى • ويمثلون لذلك بقول رابعة العدوية : الهى : ان كنت أعبدك رهبة من نارك فأحرقنى فى جهنم ، وان كنت أعبدك رغبة فى جنتك فأحرقنى فيها ، وان كنت أعبدك لمحبتك فلا تحرمنى يا الهى جمالك الأزلى •

ان طبع قى الزهد والتصوف واحد ولكن ما أهد الشقة بينهما •

ومنها أن الزاهد محاط بجلال الله تعالى شاعر يعطيه يقف بين يديه خاشعا يرتعد من الخوف وتسيل دموعه رهبة وخشوعا •

أما الصوفي فناعم البال فى رحمته ولطفه وكرمه وفوق كل شىء " محبته " الى آخر ما قيل من فروق (١) •

هل كان الحسن متصوفا ؟ :

يعد هذا الاجماع من العلماء الأجلاء على زهد الحسن بل على تأسيسه له •  
ويعد الحديث الموجز على التصوف وما يتعلق به يقف أمامنا هذا السؤال • هل كان الحسن متصوفا ؟ • والجواب على ذلك : بالنظر الى أقوال العلماء والباحثين نجدهم على فريقين :

(١) التصوف الاسلامى العربى للأستاذ عبد اللطيف الطيباوى ص ٢٦ ، دار المصر للطبع والنشر سنة ١٩٢٨ ، فى التصوف الاسلامى • مفهومه وتطوره وأعلامه للأستاذ قمر الكيلانى ص ٣ - ١٤ •

الفريق الأول يقول بزهدده وعدم تصوفه :

وفي مقدمة هذا الفريق فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود حيث يقول : " وإذا انتقلنا الى البيئة الاسلامية ، فاننا نجد الحسن البصرى — رحمه الله — من أروع وأجمل الشخصيات الأخلاقية العالية ، لقد كان مثلاً صادقاً للشعور الأخلاقي في طهره وصفاته وكان ينشر الفضيلة بوعظه المؤثر ، ومنطقته القوي ، وسلوكه المثالي ، ومع ذلك فلم يكن الحسن البصرى صوفياً بالمعنى الدقيق لكلمة " صوفى " على أنه من الطبيعي أن تكون الأخلاق الكريمة أساساً من أسس التصوف ، وأن تكون الأخلاق في أسس صورة من صورها ، ثمرة التصوف . . (١) .

كذلك يعتبر من هذا الفريق الدكتور أحمد ناجى القيسى ، والدكتور محمد مصطفى حلمي حيث ذكر أن درج أمثال الحسن البصرى ، وأويس القرني ضمن تراجم الصوفية — كما في كتاب تذكرة الأولياء للعطار — إنما كانت بسبب مشابهة أفعالهم وسلوكهم للصوفية ، ولا فلم يكن قد ظهر في زمانهم أى مفهوم لكلمة " صوفى " ، " متصوف " ، " عارف " ولم تكن هناك فرق خاصة تعرف بهذا الاسم . . (٢) .

وما يؤيد هؤلاء العلماء أيضاً القشيري في رسالته . فلم يضع الحسن البصرى ضمن مشايخ التصوف في هذه الرسالة وإنما ذكر القشيري الحسن البصرى عرضاً في رسالته خمس مرات فقط . .

الفريق الثانى يقول بزهدده وتصوفه :

وفي مقدمة هذا الفريق من العلماء الدكتور محمد غالب القائل : " . . بل إن بعض مؤسسى الطرق الصوفية فيمجد بعد قد أرجعوا اليه — عن طريق الاسناد — أسس طريقهم وأعلنوا رجوعها الى مبادئه التنسكية الرفيعة وصرحوا بأنه — أى الحسن البصرى — كان قطب الغوث . . (٣) .

- (١) العارف بالله أبو العباس المرسى للدكتور عبد الحليم محمود ص ١٧ — مطبعة دار الشعب بالقاهرة ، وتذكرة الأولياء لفريد الدين العطار لمحررها نيكلسون — طبعة أوربا ج ١ ص ٥٧ يبين صاحب هذا الكتاب أن الحسن البصرى لم يكن صوفياً كل الصوفى . .
- (٢) تاريخ التصوف في الاسلام للدكتور قاسم غنى ترجمه عن الفارسية صادق نشأت — وإجمعه الدكتور أحمد ناجى القيسى — ص ٣٩ بالهامية — نشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٠ م .
- (٣) التنسك الاسلامى . منشؤه وتطوره ومذاهبه ورجالها للدكتور محمد غالب ص ٨٧ نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

ومنهم أيضا الدكتور قاسم غنى القائل : " .. وينبغي أن نحمد الحسن البصري وأضرابه أمثلة لمعتبدى العهد الأموي المحدثين وزهاده ، من رواد الصوفية وعرفاء القرن التالي له ، ويظهر من تحقيق أحوالهم أنهم كانوا من المسلمين المعتبدية المؤمنين المتمسكين بالشريعة في ذلك العهد . (١)

ومنهم كذلك : تاج الاسلام أبو بكر محمد الكلاباذي في كتاب : " التعرف لمذهب أهل التصوف " يعرضه اسمه ضمن الباب الثاني تحت عنوان " في رجال الصوفية " .

ومنهم : الدكتور علي سامي النشار القائل : " .. وقد قلت ان الحسن البصري كان عابدا ، بل انتهى اليه كل صور العبادة قبله ، فأحياها في نفسه وفي رجاله . وقد دعا هذا الصوفية من بعده الى اعتباره مرحلة اتصال في السلسلة الصوفية التي وضع فيها بين الرسل وصحابته وبين أجيال المسلمين . وقد تتبّع العالم الكبير الدكتور احسان عباس السلاسل الصوفية التي احتل الحسن البصري مكانة فيها ، وانتهى الى أنه أصبح للحسن البصري في شجرة التصوف ثلاثة فروع على الأقل (٢) .. وقد عرفناها فيما مضى ..

ومنهم الدكتور سليمان دنيا حيث اعتبر الحسن البصري ضمن المتصوفة ثم نقل عنه قوله : " من نافسك في دينك فنافسه ، ومن نافسك دنياك فآلقها في نحره (٣) .

ومنهم الدكتور ابراهيم بسيوني القائل : " .. والحسن البصري كان صوفيا بسلوكه لا بشيائيه .. (٤)

ومنهم الأستاذ نيكلسون القائل : " وسرعان ما تحول الزهد الى التصوف ، فان الحسن البصري وهو أشهر ممثلي حركة الزهد يصدّ في نظر الصوفية واحدا منهم . وهم محقون في ذلك ، لأن الحسن البصري كان ينزع الى حياة روحية خالصة في عبادته ، غير قانع بمجرد الصورة الشكلية في أدائها . ويرى القشيري عنه أنه قال : " مشغل ذرة من الورع السالم خير من ألف مشغال من الصوم والصلاة " (٥) .

(١) تاريخ التصوف في الاسلام للدكتور قاسم غنى ص ٣٩ .

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام للدكتور النشار ج ٣ ص ١٦٠ .

(٣) مفهوم التصوف بحث للدكتور سليمان دنيا ص ٧ سلسلة الثقافة الاسلامية .

(٤) نشأة التصوف الاسلامي للدكتور ابراهيم بسيوني ج ١ ص ١٤ .

(٥) في التصوف الاسلامي وتاريخه للأستاذ نيكلسون ص ٣ .

وروى الدكتور عبد الرحمن زكي في بعض كتبه عن أشهر الطرق الصوفية  
في العالم الاسلامي ، وقد أوصى هذه الطرق ٩٩ طريقة • رتد منها طريقة  
تسمى : البصرية • نسبة الى الحسن البصري • (١)

وغير هؤلاء كثير مثل ما ذكره الشمراني في الطبقات الكبرى ، والغزالي في  
احياء علوم الدين ، والهجویری في كشف المحجوب الخ ••

وانى أرى أن القول بأنه كان صوفيا أرجح الى الصواب فانه - رحمه الله -  
كان صوفيا على معنى السلوك السوي الموصول الى الله عزوجل ، والاخلاص لله  
تبارك وتعالى ، والاستمانة به ، ونحوه •

لا على معنى المظاهر الخائفة وذلك كالشباب التي يدل ظاهرها على أن مرتديها  
انسان تجرد لله جلّت قدرته ، والشطحات التي تخرج الانسان عن جوهر الاسلام ،  
والقصد الذي من أجله بحث محمد طيه الصلاة والسلام •

---

(١) المسلمون في العالم اليوم - افريقية الاسلامية للدكتور عبد الرحمن زكي  
- الطحق الثالث •

صلة الحسن البصري برابعة العدوية

عرفنا فيما سبق أن الحسن البصري — رحمه الله — تابع الحياة الروحية الإسلامية في القرن الأول الهجري بطابع الزهد مع الخوف والحزن • وحينما تلتفت إلى رابعته العدوية — المتوفاه سنة ١٨٠ هـ أو سنة ١٨٥ هـ على المشهور — نجد لها أيضا أبست بهذا الطابع •

يقول الشعراني في الطبقات الكبرى (١) : " كانت رضى الله عنها كثيرة البكاء والحزن وكانت اذا سمعت ذكر النار غشي عليها زمانا وكانت تقول : استنفارنا يحتاج الى استنفار ••• وكان موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها ••• ثم تاور امرها حتى وصلت بعد ذلك ما اطلق عليه بالحب الالهى ••• معنى هذا ان الانسان يحب مولاه ••• بها كبرا حتى يصل بهذا الى نسيان كل شيء ••• ما عدا الله سبحانه وتعالى •

وهكذا كانت رابعة العدوية وما يدل على ذلك ما قاله الاستاذ مصطفى عبد الرازق " ••• وعندما كان التصوف في سذاجته لعهد رابعة لم يكن الحديث في امر المحبة الصوفية طريقا معبدا • وقد تكون رابعة العدوية اول من عتف في رياض الصوفية بنغمات الحب شعرا ونثرا • وجد ير بمولاه آل عتيك التى كانت من فضلا عصرها وازكا هم فلسطين واسما هم نفسا واشدهم عزوفا عن الدنيا وزخارفها ان يكون انقطاعها الى الله قد وجسه نفسها الشاعرة وجهة حب الهى فنسبتا ناشيده " (٢)

ومن اقوالها المشهورة في هذا المجال المتسع :

احبك عبيد حب الهى	••	وحبا لانك اهل لذاك
فأما الذى هو حب الهى	••	فشغلى بذكر الله من سواك
وأما الذى انت اهل له	••	فكشفك لى العجب حتى أراكا
فلا العهد فى ذا ولا ذاك لى	••	ولكن لك العهد فى ذا وذاكا

وحول هذا الشعر يعلق صاحب تفسير المنار (٣) بقوله " والذى نفهمه من هذا الشعر ان الحب الاول هو حب العبودية والثانى حب المعرفة وظايتها رفع الحجب الكثيرة المانعة من كمالها الى ان تكمل بكرامة الرؤية فى الآخرة ••• الى آخر ما قاله والكلام

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٥٦

(٢) دائرة المعارف الإسلامية — تعليق مصطفى عبد الرازق باشا على مادة " تصوف " المجلد الخامس ص ٢٦٦ — ٢٦٧

(٣) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج ١٠ ص ٢٢٨

عن هذا وغيره في رابعة العدوية يطول ولكن الذي يعنيننا صلتها بالحسن البصري ..

هذه الصلة بين الحسن ورابعة فيها خلاف بين العلماء والباحثين وحتى يتبين لنا وجه الحقيقة نذكر الروايات التي تثبت هذه الصلة ، ثم نتعرض لها بالبحث والتحصيل لننظر ما اذا كانت هذه الروايات صحيحة وثبتت الصلة ام لا والله التوفيق .

### بعض الروايات التي تثبت صلة الحسن برابعة :

( ١ ) رواية فريد الدين العطار في كتابه " تذكرة الاولياء " تقول : " يحكى ان مالك بن دينار ، والحسن البصري ، وشقيقا البلخي غدا لزيارة رابعة . فسألتهما عن معنى الصدق ، فقال الحسن : ليس بصادق في دعواه من لم يصبر على ضرب مولا . فقالت رابعة : هذا غرور ، وقال شقيق البلخي : ليس بصادق في دعواه من لم يشكو على ضرب مولا . فقالت : هناك من هو خير من هذا فقال مالك بن دينار : ليس بصادق في دعواه من لم يتلذذ بضرب مولا . فصاحت رابعة بل ثمة افضل من هذا كله . فقالوا لها : تكلمي انت اذن فقالت : ليس بصادق في دعواه من لم ينس الضرب في مشاهدة مولا مثل : نسوة مصر اللاتي نسين آلام ايديهن كما رأين وجه يوسف ( ١ )

( ٢ ) ورواية اخرى كذلك للعطار في كتابه " الهى نامه " تصحيح هريتر ..... " خرج الحسن البصري ذات يوم من البصرة ، واقبل على رابعة العدوية فسى الفلاة وكان قد اصطف من حولها سرب من الحيوان غزلان وغير غزلان ، ما كادت هذه الحيوانات تبصر الحسن قادما من بعيد يسلك الدرب حتى فسرت جميعا من امام رابعة . شهد هذا الحسن فاستوقد الهم صدره ، ودبت له في النفس عقارب الفيرة . هنالك التفت الى رابعة وسألها ان تنهه بصدق لماذا فرت هذه الطيأ السائدة على الطريق هنالك لما ابصرتني ، ولم تفر منك ؟ أتراني لا تراني اهلا لها مثلك ؟ فاجابته رابعة سائلة اياه سرا : اى شئ اكلت ؟ فقال : " اكلت جذور بصل . لقد كان عندى ايتها الطيبة الخلطر ، بصل وتليل من الشحم .... "

سمعت رابعة منه هذا السر فصاحت : عجباً : " لقد اكلت من شحم هذا القطيع المسكين " فكيف لا تريد منها ان تفر منك ؟ الى آخر هذه القصة العجيبة التي تربط الحسن برابعة ....



(٣) ويقول الشيخ الحريفيش في كتابه "الروض الفائق في المواعظ والرقائق" وقيل :  
انه لما مات زوج رابعة العدوية استأذن الحسن البصري في الدخول عليها  
هو واصحابه ، فاذنت لهم وارخت سترا . وجلس وراءه فقال لها اصحابه :  
انه قد مات بعلمك ولا بد لك من زوج وقد انقضت عدتك ، فاختاري من هؤلاء  
الزهاد من شئت منهم فقالت : حبا وكرامة . من هو اعلمكم حتى ازوجه نفسي ؟  
قالوا : الحسن البصري ، فقالت له : ان اجبتني عن اربع مسائل فانا لك اهل  
فقال لها : سلى فانا اجيب ان وفقني الله تعالى فقالت : ما يقول الفقيه العالم  
اذا انامت هل خرجت من الدنيا مسلمة ام كافرة ؟ فقال : هذا غيب والخيب  
لا يعلمه الا الله تعالى ، قالت فما يقول ان وضعت في القبر وسألني منك ونكسر  
أفأقدر على جوابهما ام لا ؟ قال : وهذا غيب ، قالت : فاذا حشر الناس في  
القيامة وتطايرت الكتب فيعطى بعضهم كتابه بيمينه ويعطى بعضهم كتابه  
بشماله افأعطى كتابي بيمينتي ام بشمالتي ؟ قال : وهذا ايضا غيب ، قالت :  
فاذا نودي في الخلائق فريق في الجنة وفريق في السعير فمن اي الفريقين  
اكون ؟ قال لها : وهذا ايضا غيب ولا يعلم الغيب الا الله عز وجل ، فقالت  
له : فاذا كان الامر كذلك واناني قلق وكرب من هذه الاربعة فكيف احتاج  
الى الزوج .

واتفرغ له ثم انشدت :

راحتي يا اخوتي في خلوتي	.. وحبيبي دائما في حضرتي
لم اجد لي عن هواه عوضا	.. وهواه في الهدايا محنتي
حيثما كنت اشاهد حسنه	.. فهو محرابي اليه قبلتي
ان امت وجداد ثم رضا	.. واعنائني في المرى واشقوتي
يا طبيب القلب يا كل المني	.. جد بوصل منك يشفى مهجتي
يا سروري وحياتي دائما	.. نشأتني منك واين نشوتي
قد هجرت الخلق جمعا ارتجى	.. منك وصلا فهو اقصى منيتي (١)

(٤) ويقول العطار في تذكرة الاولياء : ويروى ان الحسن البصري قال : بقيت ليلة  
ويوما عند رابعة نتحدث عن الطريق الروحي واسرار الحق بمرارة بلغت حدا  
نسيتنا معه انني رجل وانها امرأة فلما انتهينا من هذه المناقشة ، شعرت  
بانني لم اكن الا فقيرا ، بينما هي غنية بالاخلاص .

(١) الروض الفائق في المواعظ والرقائق للشيخ شعيب الحريفيش ص ١٣٧-١٣٨ .  
مطبعة مصطفى الحلبي : ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .

(٤) ومما حكاه فريد الدين العطار في كتابه " تذكرة الاولياء " كذلك عن صلة الحسن برابعة قوله : ويحكى ان الحسن البصرى رأى رابعة جالسة على شاطئ الفرات ، فألقى على الماء سجادة ووقف عليها وقال : تعالى لنصلى ركعتين على الماء — فقالت : سيدى : اهى امر هذه الدنيا ما تريد ان تظهره لاهل الآخرة ؟ اظهر لنا شيئاً لا يستطيع جمهور الناس ان يفعلوه ؟ قالت هذا والقت سجادتها في الهواء وصعدت عليها وصاحت : " تعال يا حسن : نحن هنا فى مكان آمن وأبعد عن عيون الناس " وقالت تعزىة للحسن : " سيدى ما فعلت انت يستطيع السك ان يفعله ، وما فعلت انا يستطيع الذباب ان يفعله " المهم ان نبلغ درجة اعلى من هاتين الدرجتين اللتين بلغناهما " الى آخر هذه الروايات المتعددة التى تشير على هذا المنوال . . . . . كلها تدل على وجود صلة ما بين الحسن ورابعة .

وقبل أن نتعرض لهذه الروايات بالنقد والتحقيق نبين ان هذه الروايات — التى يراد بها وجود ربط الصلة بين الحسن ورابعة — انما هى منهية على ان رابعة توفيت عام ١٣٥ هـ . والطبع هذا التاريخ يمكن معه اللقاء لان الحسن — رحمه الله — توفى بالاجماع سنة ١١٠ هـ — ومن هؤلاء الذين يثبتون هذا التاريخ .

ابن خلكان فى " وفيات الاعيان " وابن شاكر الكنى فى عيون التواريخ " وابن تغرى بردى فى " النجوم الزاهرة " وابن العماد فى " شذرات الذهب . . . (١)

### نقد الروايات وتحريضها :

بالنظر الى هذه الروايات وغيرها التى تثبت صلة الحسن برابعة نجد ما واهية امام البحث والتحقيق . وفيما يلى نوضح الادلة على ذلك :

(١) رواية الروض الفائق فى المواعظ والرقائق التى ذكرناها تفيد ان رابعة قد تزوجت ، والقول بانها تزوجت لم يثبت . لان رابعة لم تتزوج مطلقا .

والذى ذكر فى بعض المصادر من انها تزوجت انما هو وهم وفى الحقيقة انها قد عرض الزواج عليها من اثنين :

احدهما : عبد الواحد بن زيد خطبها لنفسه فحجته اياما فلما دخل عليها

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٥٦ و عيون التواريخ لابن شاكر الكنى — مخطوط بدمشق نقلا عن كتاب شهيدة العشق الالهى للدكتور عبد الرحمن بدوى ص ١٠٣ ١٠٤ وشذرات الذهب لابن العماد ج ١ ص ١٩٣

بعد ذلك قالت له : يا شهواني : االب شهوانية مثلك - اى منى - رأيت فسى  
من آلة الشهوة ،

والثانى : محمد بن سليمان الهاشمى امير البصرة وكان على ثراء كبير فرفضته  
رفضاً شديداً وهذا يدل على عدم تفكيرها مطلقاً هذه الناحية (١)

وسئلت رابعة - كما روى الخطار ايضا - هل تتزوجين ؟ فاجابت السائل  
بقولها : الزواج ضرورى لمن له الخيار ، اما انا فلا خيار لى ، انى لربى وفسى  
ظل اوامره .

والذى ادى الى هذا الوهم هو : خلط بعض الكتاب بين رابعة  
المدوية البصرية ، ورابعة اسماعيل الشامية . فالاولى لم تتزوج مطلقاً . أما  
الثانية فهى التى تزوجت احمد بن ابى الحوارى ، وقد عاشت فى الشام وتوفيت  
سنة تسع وعشرين ومائتين ودفنت برأس زنها ببית المقدس . ورابعة الشامية  
كانت مثل رابعة البصرية فى حسن صلتها بالله تعالى يقول زوجها احمد بن  
ابى الحوارى عنها : كانت - رابعة - مختلفة الاحوال . يغلب عليها العشق  
والمحبة ، مرة انس ، ومرة خوف ، وكانت هى تقول لزوجها : لست احبك حب  
الازواج ، وانما احبك حب الاخوان الى آخر هذه الاقوال الدالة على قوة  
صلتها بالله تعالى (٢) .

امر آخر فى رواية الروض الفائق وهو ان الشيخ الحوفي فى حينما ذكر  
هذه الرواية ذكرها بصيغة التمييز وهى : وقيل بينما معظم الاقوال التى  
يذكرها ليست بهذه الصيغة .

على هذا فزواج رابعة المدوية لم يثبت فى اى مصدر من المصادر  
المعتمدة . وقد عرفنا بان الرواية التى ثبتت ذلك فيها ما فيها من الاضطراب  
خاصة وان الحسن البصرى نفسه لا يرى الزواج بالنسبة الى الزاهد بله السى  
العبد الصالح وقال فى هذا كلاماً يثبت به رأيه : اذا اراد الله بعد خيرا فى  
الدنيا لم يشغله باهل ولا ولد (٣) .

(١) اتعاف السادة المتقين للمرتضى الزبيدى ج ٩ ص ٢٥ والكواكب الدرية فى طبقات  
السادة الصوفية للمناوى ج ١

(٢) نفحات الانس من حضرة القدس لعبد الرحمن جامى - مخطوط بباريس ومرة الزمان  
لابى المنظر يوسف المعروف بسيد ابن الجوزى - مخطوط بباريس ، وكتاب سير  
السالكات الموصيات الخيرات لابى بكر الحصنى ومخطوط بباريس ايضا وهذه كلها نقلت  
عن كتاب شهيدة العشق الالهى لكثير عبد الرحمن بدوى

(٣) الطبقات الكبرى للشعرانى ج ١ ص ٤٠

ومن اجل هذا نجد ان بعض الكتاب المصنفين الذين ترجموا لرابعة العدوية كانوا يقولون عنها انها المذراء البتول ..... (١)

بعد ان بينا خطأ القول بزواجها وان التي تزوجت هي رابعة الشامية وكل ما حدث بالنسبة لرابعة العدوية هو عرض الزواج عليها فقط .

بعد هذا نبين خطأ هذه الرواية من حيث اضطراب الروايات فنقول :  
ليس صاحب الروض الفائق هو فقط الذي ذكر هذه الرواية وانما نجد العطار في تذكرة الاولياء ذكر الرواية ايضا ولكن باضطراب ظاهر وهو ان العطار ذكر الرواية ولكن بدل ان يذكر الحسن البصري ذكر سفيان الثوري هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ان العطار ذكر ان المسائل التي طلعت رابعة الاجابة عليها ثلاثة وليس اربعة كما ذكر صاحب الروض الفائق (٢)

واضطراب الرواية بهذه الحالة دليل على عدم صحتها .

(ب) رواية نفر الخزلا من الحسن البصري حينما ذهب يوما الى رابعة العدوية وكانت واقفة بجوارها ثم اتهمته ان سب النفر هو ما اكل من لحمها هذه الرواية لا يمكن الاعتقاد بصحتها لان اكل الحيوانات او النبات لا يؤثر في الصلوة بالله تبارك وتعالى ذلك ان تاريخ الرجال يؤيد هذا المعنى فمنهم من كان يتناول الاطعمة المختلفة من الحيوانات وغيرها ومع هذا فهو على صلة بالله عز وجل ومنهم من كان يمتنع عن كثير من الاطعمة ومع هذا نجده لا يركع لله ركعة فالعبادة دائما بمصدر الرزق وهو ان يكون حالاً مع العبادة لله رب العالمين .

(ج) رواية دعوة الحسن لرابعة لتجلس معه على سجادة فرشاً على الماء .....  
فالمصلحة فيها ظاهرة ولا يمكن لأى عاقل ان يصدق هذا الخبر فهو مسن لسج الخيال .

(د) رواية ذهاب الحسن اليها ومكثه يوماً وليلة الخ ..... لا أساس لها من الصحة لانها بعيدة عن جوهر الاسلام ولا يمكن للحسن ان يفعل ذلك لانه يعلم من تعاليم الاسلام الخيف ان الرجل هو الرجل والمرأة هي المرأة وانه ما خلا

(١) رابعة العدوية لطفه عبد الباقي سرور رابعة العدوية لمحمود الشوقاوي

(٢) الروض الفائق في المواعظ والوقائق للشيخ الحريفيش ص ١٣٧ - ١٣٨

رابعة العدوية للاستاذ محمود الشوقاوي

بامراً الا كان الشيطان ثالثهما • وقد ادى القول بهذه الروايات الباطلة الى ظهور فرق من الناس يدعون التصوف وهم خليط من الرجال والنساء يجيزون ان يعيش الانسان مع اخته في الطريق وينساج معها على سرير واحد دون ان يمسيها •

الى آخر ما عرف عن هذه الاوهام والضلالات البعيدة عن الاسلام وهكذا نجد ان هذه الروايات التي تربط الحسن البصري برابعة المدوية لا اساس لها من الصحة لانها لم تثبت تحت البحث العلمي كما ذكرنا •

على ان تاريخ الوفاة الذي تقدم ذكره في بعض المصادر وهو ١٢٥ هـ لم يتفق عليه الرواة حتى الذين ذكره منهم • فقد اضطربوا عند ذكر تاريخ وفاتها •

فقرى - مثلاً - ان ابن خلكان في وفيات الاعيان " وابن شاکر الکتبی فی " عیون التواریخ " یقولان بتاریخ الوفاة سنة ١٨٥ هـ وابن تغری بردی فی " النجوم الزاهرة " ذکر تاریخاً اخر نسبة الى الحافظ الذهبي هو ١٨٠ هـ •

وممن وافقوا الذهبي على هذا التاريخ عبد الرؤوف المناوي في الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية الجزء الاول حيث قال : " ماتت رابعة سنة ثمانين ومائة ، وقيل : غير ذلك " •

هذه الاضطراب في تاريخ الوفاة في مصادر مختلفة مما يضعف القول بوجود صلة بين رابعة المدوية وامامنا الحسن البصري حيث كانت وفاة امامنا الحسن البصري باتفاق الرواة سنة ١١٠ هـ وستبعد مثل هذه الصلة وبينه وبينها نحو سبعين عاماً •

نذكر هذا بينما الكثير ممن كتب عن رابعة لا يؤكد لها تاريخاً للوفاة كابن الجوزي في صفة الصفوة ، ولو ان ابن شاکر الکتبی فی عیون التواریخ ذکر ان القائل بالوفاة عام ١٨٠ هـ هو ابن الجوزي في كتاب له عن رابعة ...

كذلك ممن كتبوا عن رابعة ولم يذكروا تاريخاً للوفاة الشعرائي في كتابه " الطبقات الكبرى " وابن الحسين السراج القاري في " مصارع العشاق " الى آخر هؤلاء الذين لم يذكروا لها تاريخاً للوفاة كذلك لم يذكروا صلة بينها وبين الحسن البصري • وعلى هذا فتاريخ الوفاة وهو ١٢٥ هـ لم يثبت امام البحث العلمي لان كتب التاريخ والطبقات والتراجم اضطربت في ذلك فتارة تذكر ١٢٥ هـ ، وتارة اخرى ١٨٠ هـ وتارة ثالثة

ومما يثبت هذا الاضطراب ما ذكره الأستاذ ماسينيون — الذى يعد من كبار الباحثين الذين تعمقوا فى الدراسات الصوفية — وهو يبرهن على ان تاريخ وفاة رابعة العدوية ليس هو ١٣٥ هـ وانما هو ١٨٥ هـ قوله :—

( أ ) التقاؤها بسفيان الثوري بعد سنة ١٥٥ هـ

( ب ) حكاية خطة الوالى العباسي للبصرة ، محمد ابن سليمان الهاشمي ، لها ،

وهو قد كان واليا على البصرة سنة ١٤٥ هـ وتوفى سنة ١٧٠ هـ .

ويصف الدكتور عبد الرحمن بدوي الى ما ذكر صلتها الوثيقة بعبد الواحد بن زيد المتوفى سنة ١٧٧ هـ ( = ٧٩٣ م ) ( ١ )

بعد هذا التحقيق فى نقد الروايات والتاريخ نخرج برأى وهو : ان الحسن البصرى لم يكن بينه وبين رابعة العدوية اية صلة . .

### التصوف والصوفية فى الميزان :—

فى نهاية هذا الفصل الذى عالج موضوعا يتصل بالزهد فى نثر الحسن البصرى — قولاً وفعلاً — كذلك تحدث عن التصوف وما يتصل به على سبيل الاجمال . . يقتضينا هذا ان نضع التصوف والصوفية فى الميزان الصحيح قدر الاستطاعة دون النظر الى المتفالمين من المؤيدين او المعارضين . والله التوفيق .

لا ينكر مسلم يفهم دينه فى ان تهذيب النفس وتصفية الروح ومراقبة الله عز وجل وخشيته " هى مفتاح الخير فى كل انسان ، ولا شك فى ان الصحابة رضوان الله عليهم وسلم والتابعين لهم باحسان وسلف هذه الامة كانوا على قدر كبير من الفضائل الروحية والنفسية تمكنوا بها من نشر هداية الاسلام فى العالم . . ولما ضعفت تلك الروح الاسلامية بادر كثير من ائمة المسلمين فى العمام والعمل الى تذكير المسلمين باخلاق الاسلام وروحانيته فنشأ من حركتهم " التصوف " كما قال الدكتور مصطفى السباعي ( ٢ ) وفى ضوء التصوف الذى لم يخرج عن الكتاب والسنة . رأينا الدعاة من المسلمين ينتشرون فى انحاء العالم الاسلامي من النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى مما ادى الى انتشار الطرقات الصوفية والفكر التصوفى . وقد صادفت هذه الافكار نجاحا كبيرا اذ انها فى قليل او كثير

( ١ ) بحث فى اصول المصطلح الفنى للتصوف الاسلامي للأستاذ ماسينيون — طبع باريس ١٩٢٢ نقلا عن كتاب شهيدة العشق الالهى رابعة العدوية للدكتور عبد الرحمن بدوي ص ١٠٣ — ١٠٤ الطبعة الثانية .

( ٢ ) حول التصوف والصوفية للدكتور مصطفى السباعي — مجلة حضارة الاسلام العدد التاسع رمضان سنة ١٣٨٠ هـ .

لم تكن ببعيدة عن معتقدات السكان القديمة الامر الذي اتاح سهولة تفلغل الدعوة  
الاسلامية خاصة حينما نجح الدعاة بفضل استخدامهم لبعض العناصر الثقافية المحلية  
القديمة — بعد وضعها في اطار اسلامي — ان يحفظوا — مثلاً — الماضي المائزي . . .  
والملاحظ ان الدعاة الصوفيين اخلوا مركزاً هاماً في الحياة الاجتماعية . . . وسببهم  
وجدنا السلطان محمود شاه — آخر حاكم مسلم لمطلقاً — يرفض التسليم للبرتغاليين الذين  
يريدون السيطرة على البلاد . وهذا راجع الى نشاط الدعاة واستجابة المدعوين لهم (١)

ولو كان التصوف قد سار في طريقه على هذا الضوء من الكتاب والسنة لما حدث  
النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم من الفقهاء والمحدثين . . . ولكن للأسف دخلت بعض  
الفلسفات الخارجة عن الاطار الاسلامي وكما قال الاستاذ العقاد : . . . ولم يسلم التصوف من  
تلك الاخلاق فاقترن في اقوال الناس من المنتسبين الى الاسلام بما يجوز وما لا يجوز . وعلى  
الجملة يمكن ان يقال : ان الاسلام ينكر تلك المذاهب مذهبين منتشرين في الصوفية على  
عصمها . . . ينكر مذهب الحلول كما ينكر المذهب القائل بوحدة الوجود الى ان قال :  
وظل المتصوفة والمنتسبون الى الطرق الصوفية من المتأخرين يراون من القول بالحلول  
ووحدة الوجود واسقاط التكليف ويعتزلون من يقول بها على وجوهها المنقولة من الديانات  
الوثنية ، ولمحظ ذلك في القانون الذي استشهد فيه شيوخهم وصدر في الديار المصرية  
بلائحة الطرق ( سنة ١٣٢٠ هـ سنة ١٩٠٣ م ) وتقرر المادة الثانية من بابها الخامس  
" ان كل من يقول بالحلول او الاتحاد او سقوط التكليف يطرد من الطرق الصوفية كافة " (٢)

هذه الامور التي ادخلت على التصوف جعلت الغيبرين على الدين يحملون  
التصوف والمتصوفة النزاع الطويل الذي عاق انتشار الدعوة الاسلامية كما يجب ان يكون .  
مثل ما حدث للاستاذ ابو الحسن الندوي فقد اعتقد بان مصطلح التصوف كان سبباً فسي  
حجب الحقيقة الدينية الناصحة . ولذا نواه يدعو الى مصطلح القرآن الكريم مثل التزكية  
والاحسان . . . ومن قوله في ذلك " ثم جنى على هذه الحقيقة الدينية شيء آخر — بعد  
المصطلح المأخوذ من غير القرآن — وهو انه دخل فيها دجالون ومحترفون ، واطنيون  
وملحدون ، اخذوها وسيلقت تحريف الدين باضلال المسلمين وانساد المجتمع ونشعر

(١) انتشار الاسلام في جزر الشرق الاقصى . المايو . جزر الهند الشرقية — الفلبين .  
للدكتور جمال زكريا قاسم — مجلة العربي العدد ١٤٨ .  
(٢) التفكير فريضة اسلامية للاستاذ عباس محمود العقاد ص ١٦٩ وما بعدها .

الاباحية ، وتزعموا هذا الفن وحملوا لواءه ، فكان ذلك ضغفًا على أيلة ، وزهد فيه ونفر منه اهل الشيرة الدينية والمحافظين على الشريعة الاسلامية . . . . . واخذ الندوى فى سرد جميع المساوىء التى يتعرض لها المجتمع الاسلامى من جراء هذا الفهم السيئ للاسلام وتطاول اصحاب الانواضى والانواء على مختلف اشكالهم والوانهم وليس معنى هذا انبه يبحث اليأس فى النفوس بل اخذ بعد هذا يبين ظهور جماعة من المصلحين فى كل زمان يحتاج الناس اليهم . مع بيان السالاج لما عليه . حال المجتمع الاسلامى ويتركز فى قوله : ولا علاج لكل ذلك الا فى " التزكية النبوية " التى نطق بها القرآن وحث لها الرسول وفى " الربانية " التى طوّل بها العلماء : " ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وما كنتم تدرسون " . ثم دعا ايضا الى ملء الفراغ الواقع فى حياتنا ومجتمعنا على حد قوله : " ولنسد هذا المكان الذى كان يشغله الدعوة الى الله والربانيون والمشتغلون بتربية النفوس وتزكيتها وتجديد ايمانها وصلتها بالله والدعوة الى اصلاح الباطن والعناية بالفرد قبل المجتمع . . . . . (١) وما قاله ايضا الشيخ الغزالي . . . : " غير انه لا احظنا آسفين ان الفقهاء والمفتين قديما اشبهوا فى منازعات عادة مع المتصوفة والمعبارة وان كلا الفريقين تجهم للآخر — ولم يستفد مما عنده . وكانت نهاية القطيعة بسين الفريقين ان وجدنا فقها لا روح فيه ، وان وجدنا تصوفا لا دراية له ، ومتعبدين تعطل سيرتهم بالخرافات والهدع . . . . . (٢) ومما يؤيد كلام الندوى ، والغزالي ، ما ذكره فى التحقيق الصحفى بمجلة المصير العربية (٣) تحت عنوان " رأى الصوفيين فى انفسهم رأى الدين فى الصوفيين " ومما جاء فى هذا التحقيق مانصه : " . . . هلبقى من التصوف الان شىء . . . غير المواكب وحلقات الذكر والشباب المزركشة والدايات والبيادر الطلونة وعشرات الطرق والطوائف والهمهمات الفاضة والحركات الهستيرية والعزلة عن الحياة العامة والغذاء الوهمى للملايين من البسطاء مسى ابناء شعبنا الذين يتطلعون الى غذاء حقيقى . . . الى آخر ما جاء فى هذا التحقيق وقد طالب فيه البعض بتوحيد جميع الطرق والبعض الاخر بالخفاء كلمة " الصوفية " وتحويلها الى الدينية . . . مما جعل الاستاذ عبد العزيز العلى يعلن فى قوله " لماذا نقبل ذلك وخاصة ان هناك اطباء ومحامين ومهندسين وأدباء يندرجون تحتلواء هذه الطرق بعد ان تغيرت صورتها

(١) ربانية لارهبانية الاستاذ ابو الحسن الندوى — دار الفتح ببيروت وله ايضا بحث قيم تحت عنوان : فراغ يجب ان يملأ بمجلة حضارة الاسلام — العدد ٩ رمضان سنة ١٣٨٠ هـ  
(٢) التصوف الذى نريده للشيوخ محمد الغزالي بمجلة الوعى الاسلامى السنة ٣ العدد ٢٨  
(٣) مجلة المصير العربية بتاريخ ٦ محرم سنة ١٣٨٥ هـ العدد ٢١١٧



التخاذلية ، وان هناك بعض الدجالين الذين يندسون بين صفوف مشايخ الطرق بملايسهم القدرة المذهلة التي يظنون انها دليل على تصوفهم ، هؤلاء استطاعوا ان يسيئوا الى الصوفية لفترة طويلة وساعد على انتشار هذه الصورة المشوهة عن الصوفية في اذان الناس ما سمعناه من قصص تاريخية عن بعض المارقين والمنهزين الذين كانوا يتظاهرون بالدين في سبيل الحصول على المناصب والامتيازات . . . . . ( ١ )

بعد هذه النظرة السريعة عن التصوف والمتصوفة نستطيع ان نخرج — فسي — حدود هذه النظرة — بما يلي — :

- أولاً : لا نذكر ابدا كثرة المنتسبين الى التصوف سواء كانوا صادقين ام كاذبين كما لا نغفل تأثيرهم على غيرهم في المجتمع الذي يعيشون فيه .
- ثانياً : هذه الكثرة تقودها فئة من الناس تأتبعها مرها وتسير في ركبها حسبما تريد . والبعض منها — اى من القادة — قد لا يسجد لله سجدة واحدة . هذا عدا ارتكابه لكثير من المنكرات . حينئذ يحاول بكل الوسائل تثبيت سلطانه على النفوس — الضعيفة — ويبعد عنها عن كل ما يؤدى الى ضياع سيارته . . . .
- ثالثاً : ان اى اصلاح خارجى على الطرق الصوفية مثل : الغناء مصطلح " التصوف " او ما شاكل ذلك سيجد معارضة داخلية من المنتفعين وغيرهم حينئذ تسرج الاشاعات بينهم على ان هذا الاصلاح هو الغناء للطرق الصوفية .
- رابعاً : اذا كان هناك من يعمل على اصلاح الطرق الصوفية حقاً . فليس في الغناء اذا ما كان داخل تعديلات بها تصل الى هدفنا المنشود مثل : =

( أ ) جعل مشايخ الطرق الصوفية في البلاد هم علماء الازهر الشريف —

وليكن — مثلاً — امام المسجد او الواعظ . . . . . هو شيخ الطريقة .

( ب ) وضع منهج للتربية والتعليم في ضوء الكتاب والسنة يسير على منواله المرسلون .

( ج ) تكون مركز اللقاءات دائماً بيوت الله تعالى ( المساجد )

( د ) التعاون الكامل بين المجلس الاعلى للطرق الصوفية والهيئات المعنية

بشعر الدعوة الاسلامية للاستفادة من كل الطاقات البشرية والمادية .

خامساً : بالطريقة السابقة سنحصل باذن الله تعالى على فئات متعددة من الناس على دراية بدينها وواجبها ( ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله

عليه توكلت واليه انيب )

( ١ ) التصوف : للاستاذ عبد العزيز العلى — بحث بمجلة الوعي الاسلامى السنة الاولى بالعدد السادس .

## الفصل الثالث

### دعوته الى الله تعالى

تصهيد :

هذا الفصل يعتبر من أهم موضوعات الرسالة . ذلك أن عصر الحسن كان بمثابة التصهيد — الذى لا بد منه — لهذه الشخصية التى نحن بصدد ردها . وهذا ما تكفل به الباب الأول منها . أما عن حياته وتكوين شخصيته فقد رسم الباب الثانى تلك الصورة التحليلية لهذا الداعية المخلص .

ثم يجرى بعد هذا الباب الثالث الذى يبين فكره وزهده ودعوته الى الله تعالى فنجد أن فكره كان عبارة عن الأفكار التى تفاعلت فى نفسه بسبب الأمور التى كونت شخصيته السوية ، وزهده كان كالتطبيق العملى فى نفسه قولاً وفعلًا .

أما دعوته الى الله تعالى — وهو الفصل الذى معنا — فبمشاهدة التطبيق العملى فى مجتمعه الذى عاش فيه .

ويكاد يكون هذا الفصل خلاصة لكل ما فى الرسالة لأن حياة الحسن البصرى — رحمه الله — كانت مركزة للدعوة الى الله عز وجل . وقد استغل — رحمه الله — معظم الوسائل فى عصره لأداء هذه المهمة التى حملها على عاتقه .

فاذا اتجه — مثلاً — الى تفسير القرآن الكريم ، وجدith النبي صلى الله عليه وسلم ، واستنباط الأحكام الفقهية منها ، والكلام عن العقيدة وما يدور حولها . الخ .

لم يكن كل هذا الا لخدمة دعوته الى الله تعالى بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجاهدة بالتي هي أحسن .

وقبل الخوض فى هذا الموضوع يقتضينا المقام أن نذكر شيئاً عن معنى الدعوة ، وأهميتها ، وأصولها ، وأهدافها . فنقول وبالله التوفيق .

### معنى الدعوة في اللغة :

- الدعوة في اللغة لها معان متعددة وكلها تدور حول الطلب والسؤال .
- يقول صاحب المصباح : دعوت الله أدعوا ، ابتغيت اليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير ، ودعوت زيدا ناديت وطلبت اقباله ، ودعا المؤذن الناس الى الصلاة فهو داعي الله . والجمع دعاة وداعون ، والنبي داعي الخلق الى التوحيد .
- والدعوة الى الطعام تقول : دعوت الناس اذا طلبتهم ليأكلوا عندك اهـ (١) .
- والذي يحثنا هو : الدعوة الى الله تعالى ومعناها طلب الناس أن يؤمنوا بالله عز وجل وكل ما جاء به على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم . مع الحمل بهذا الايمان .

قال عز من قائل : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . . . " (٢) وقال : " قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني . . . " (٣) وقال : " قال رب انى دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزد هم دعائى الا فرارا . . . " (٤) .

وقال سبحانه مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام : يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . . . " (٥) . الى غير ذلك من الآيات .

### معنى الدعوة الى الله في الاصطلاح :

اختلف العلماء في تعريف الدعوة الى الله تعالى اصطلاحا فذكروا لذلك عدة تعريفات منها :

- هي قيام العلماء والمستثمرين في الدين بتعليم الجمهور من العامة ما ييسرهم بأمر دينهم ودنياهم على قدر الطاقة . (٦)
- حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل . (٧)

---

(١) المصباح الضيق مادة " دعا " .  
 (٢) سورة النحل آية رقم ٣٦ .  
 (٣) سورة يوسف آية رقم ١٠٨ .  
 (٤) سورة نوح آية رقم ٥ .  
 (٥) سورة الأحزاب آية رقم ٤٥ .  
 (٦) الدعوة الى الاسلام للدكتور أبو بكر ذكري ص ٨ .  
 (٧) هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ ص ١٧ .

- نقل أمة من محيط الى محيط . (١)
  - انقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع ، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه . (٢)
  - برنامج كالم يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج اليها الناس ليصروا الغاية من محياهم ، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين . (٣)
- هذه التعريفات للدعوة الى الله في الاصطلاح كما ترى ليست من باب الحدود وانما هي رسوم لها . وهي كذلك تختلف شمولاً وقصوراً حسب نظر المصنف لها .
- وأشمل هذه التعريفات - في نظري - هو ما ذكره الشيخ الخضر حسين في قوله :  
 هي انقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع ، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه .

ووجهي في ذلك أن الناس في حياتهم لا يخلو حالهم من أحد أمرين :

أحدهما : أن يقيموا بالفعل في ضلالة أو شر . حينئذ يحتاجون الى من يحفظهم ويرشدهم الى الخلاص مما وقعوا فيه وهو الهدف الأول من أهداف الدعوة السنية الى الله تعالى .

وثانيهما : أن بعض الناس قد يكون على وشك السقوط في هاوية الحرام وحينئذ يحتاج الى من يحفظه ويرشده حتى لا يقع فيما هو بصدد الوقوع فيه وهذا هو الهدف الثاني من أهداف الدعوة الى الله تعالى . وعلى هذا فالدعوة الى الله عز وجل تمنى الخلاص مما وقع فيه الناس بالفعل وتحذيرهم مما يكونون على وشك الوقوع فيه .

وتعريف الشيخ الخضر حسين هو الذي يؤدي هذا المعنى مع اختصار في اللفظ وإيضاح للمعنى .

الى غير هذه التعريفات المتعددة التي يطول ذكرها وتدور حول الدعوة الى توحيده سبحانه والى ما جاء به القرآن الكريم من تشريعات تنظم صلة الناس

- 
- (١) تذكرة الدعاة للأستاذ البهي الخولي ص ٢٧ .
  - (٢) الدعوة الى الاصطلاح للشيخ محمد الخضر حسين ص ١٧ .
  - (٣) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة للشيخ محمد الغزالي ص ١٤ .

بربهم وتنظم صلتهم ببعضهم .. الأمر الذى لا تحيا دنيا الناس الا به ولا يستقر لها وجوده الا اذا سارت على نهجه ومقتضاه (١) .

كما تدور حول الايمان بالله عز وجل وحده لا شريك له وامثال  
أوامره واجتناب نواهيه .

وعلى هذا فالرسول كلهم عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم دعوة الى الله سبحانه وتعالى قال جل ذكره : " ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " (٢) .

أهمية الدعوة الى الله تعالى :

الحاجة الى الدعوة شديدة لأن العقول البشرية لا تستطيع وحدها أن تدرك مصالحها الحقيقية التى تكسفل السعادة فى الدنيا والآخرة . كما أنها لا تهتدى وحدها الى تمييز الخير من الشر ، والمعروف من المذكر ، وليس من طبيعتها أن تقف على حقائق الأمور ، مهما وصلت الى الفاية القصوى من الادراك . فكثيرا ما يبدو لها الشر فى لباس الخير فتقع فيه ، وكثيرا ما تظهر لها الخير فى صورة الشر فأعرضت عنه (٣) . قال تعالى فى محكم تنزيله : " كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون " (٤) .

ويؤيد هذا المعنى قول الشيخ الخضر حسين : " فى فطرة الانسان قسوة يحلق بها طرق الصلاح والفساد ، ويفقه بها الحق والباطل . ولكن هذه القسوة الماكلة لا تستغنى وحدها بتمييز المعروف من المذكر ، وليس من شأنها أن تطلع على كل حقيقة ، ولا أن تدبر أفعال البشر على نظام لا عوج فيه ، فانها — وان بلغت فى الادراك أشدها — قد تنبوع عن الحق ، ويميز عنها وجه المصلحة ، ولا تهتدى الى عاقبة العمل ، وربما ألقت على الحسنة نظرة عجل فتحبسها سيئة ، وقد يتراءى لها الشر فى شبه من الخير فتتلقاه بالقبول " (٥) .

(١) موضحات من الكتاب لفضيلة الشيخ سيد أحمد المسير ص ٣٨ .

(٢) سورة النحل آية رقم ٣٦ .

(٣) هداية المشردين للشيخ على محفوظ ص ١٨ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢١٦ .

(٥) الدعوة الى الاصلاح للشيخ محمد الخضر حسين ص ٥ .

من أجل هذا أرسل الله عز وجل الرسل الكرام الى البشر ليخرجوهم من  
الظلمات الى النور ، ومن الأوهام الى الحقائق . حتى لا يكون لأحد منهم  
حجة على الله تعالى . قال عز من قائل : " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون  
للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما " (١) . وكان محمد  
صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين . فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح  
الأمّة . الى أن نزل قول الله تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم  
نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً " (٢) .

وهكذا انتشر الاسلام في الشرق والغرب وأصبحت له القوة والمناعة بفضل هؤلاء  
الرجال الذين حملوه الى الانسانية ولكن للأسف الشديد يوم تخلى المسلمون عن تعاليم  
دينهم أصبحوا في ذلة ، ومهانة ، وخسران . قال تعالى : " فخلف من بعدهم  
خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا " (٣)

وإذا بحثنا عن أسباب الهوة السحيقة التي وصل اليها أكثر المسلمين اليوم  
نجدها بسبب تطلّعهم الى زخارف الحياة ، وتعلقهم بأسباب التعميم الرأسمال ،  
وتهاقضهم على الحطام الفاني ، وهم ينسون الدين أو يتناسونه . حتى أدى هذا  
الى قسوة قلوبهم وفساد نفوسهم .

وكان لتلك الحضارة الخاسرة التي طغى عليها ، والمدنية الكاذبة التي  
وصلت اليها سموها . الأثر الكبير في هذا التحول عن رسالة المصطفى عليه الصلاة  
والسلام . مما نتج عنه أن صارت الجرائم الأخلاقية والدينية ترتكب في ضحوة النهار  
وعلى رؤوس الأشهاد . باسم الحضارة والمدنية من غير مبالاة ولا حذر وكان أصحابها  
يأتى أمرا عاديا لا لوم فيه ولا تقييد . (٤)

والواقع الذي يعيش فيه المجتمع الاسلامي يؤيد هذا القول . فباسم الفن  
تقام دور اللهو والفجور ، وتكشف المرأة عن عورتها دون حياء أو خجل ، وتصرف الأموال  
الضخمة في هذا السبيل بينما الكثير من البشر في حاجة الى لقمة العيش .

(١) سورة النساء آية رقم ١٦٩ .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٣ .

(٣) سورة مريم آية رقم ٥٩ .

(٤) لسان الضير للأستاذ محمود ابراهيم ططيرة ج ١ ص ١٢ - ١٣ .

و باسم الثقافة تستورد الجادى والمذاهب الهدامة ، واذا ما اراد غير  
على دينه الرد على المفترسات لا يستجاب له .

و باسم الحرية ترتكب المفكرات ما ظهر منها وما بطن .

و باسم الاقتصاد تفتح اماكن الخمر والميسر على مصراعيها وتكون محيشة  
الانسان على اساس التعامل بالربا ..

وما زاد فى الأمر ان الوفاظ والمرشدين — فى وقت من الأوقات — فترت همهم  
بطبيعة الحال ، وصار الكثير منهم يقنع فى وعظه بالقاء خطبة منقولة من أحد  
الدواوين القديمة التى لا أثر لها فى عصرنا الحاضر . ويصور الطالة التى وصل  
اليها أكثر المسلمين اليوم أحد دعاة الاسلام فى القرن العشرين وعوا أبو الأعلى  
المودودى فيقول : " فالحق أننا بلغنا الآن مرحلة من مراحل تاريخنا قد أوضحت  
التجارب فيها أن هذا المنهج من الاسلام والجاهلية الذى أظلم نظام حياتنا  
الى الآن ، لا يمكن أن تطلق به الحياة ، واذا طالت فلا بد أن يقضى بنا الى الهلاك  
الكامل فى الدنيا والآخرة .. " (١)

من هذا كله نعلم قيمة الوعظ والارشاد وأهمية ذلك فى حياتنا والسكوت  
عن هذه الدعوة الى الله تعالى يؤدى الى أن تأخذ المفكرات طريقها الى النفوس  
فتتمكن منها والتالى يؤدى هذا الى الدمار . قال تعالى : " واذا أردنا  
أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا " (٢) .  
ولذا يقول سبحانه وتعالى : " فذكرناك أنت مذكور " (٣)  
ويقول أيضا : " وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين " (٤) .

واذا كان الوعظ والارشاد للمسلمين الذين يعتمدوا عن الطريق السوى أمرا  
ضروريا لا مفروضا ، فان غير المسلمين فى أشد حاجة الى الدعوة الى الله تعالى .  
ذلك أن المدنية الحديثة على قدر ما وصلت اليه من التقدم والعلم ، وما حققته من المنع  
وأسباب الرفاهية للانسان ، فان المناهج البشرية قد عجزت عن تحقيق انسانية  
الانسان أى انتصار فضائله وأخلاقه على نزواته وشهواته . (٥)

(١) تجديد الدين وحياته وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم للأستاذ أبو الأعلى

المودودى ص ١٩٩ .

(٢) سورة الاسراء (٣) سورة الفاشية (٤) سورة الذاريات

(٥) الدعوة الاسلامية دعوة عالمية للأستاذ محمد الراوى ص ٣١ .

ولذا أصبح الكثير من الناس تحكمهم المادة لا أن يتحكموا فيها • فكانوا  
بهذا كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون •

وإذا نظرنا الى رواد العلم والثقافة في العالم نجد بعضهم يفهم هذه  
الحقيقة بل ويقبونها ومن هؤلاء • العالم الانجليزي الأستاذ جود الذي يصور لنا كيف  
أن العلم على تقدمه الواضح لم يستطع أن يهيئ السعادة الحقيقية للانسان الى  
آخر ما ورد في هذا المعنى •

يقول : " ان العلم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديدة بالآلة ، ولكننا  
نستعملها بعقل الأطفال والوحوش " •

ويقول في موضع آخر : " ان هذا التفاوت بين فتوحا العلمية المدهشة ،  
وطولتنا الاجتماعية المخجلة ، نواجهه على كل منعطف وضيق ، نستطيع أن نتحدث  
من وراء القارات والبحار ونرسل الصور بالبرق وننصب اللاسلكية في منازلنا ، ونستمع في  
سيران الى ساعات ( بجــــين ) - الساعة المعطى - تضرب في لندن ، ونركب  
فوق الأرض والبحر وتحملنا ، والاطفال يتحدثون على الاسلاك البرقية ، والآلات الكاتبة  
صاعدة ، وتلك الأسنان من غير ايجاع ، والنوع تنسى بالكهرباء ، والشوارع تفرش بالمطاط  
وأصمعة ( روتجــــن ) نوافذ نطل منها على داخل أبداننا ، والصور المتحركة  
تتكلم وتغنى ، ويكشف عن المجرمين المفتالين باللاسلكية ، والغوامات تذهب الى  
القطب الشمالى والطائرات تطير الى القطب الجنوبي ، ومع ذلك كله لا نقدر فى وسط  
مدننا الكبرى أن نخصص راحة يلعب فيها أطفال الفقراء فى راحة وسلام ، ونتيجة  
ذلك أنا نقل منهم ألفين ( ٢٠٠٠ ) ونجح منهم تسعين ألفا ( ٩٠٠٠٠ ) سنويا •  
قال لى فيلسوف هندى فى انتقاده اللادع لاطرائى لمجائيب حضارتنا : وكان  
بعض بعض سوان السيارات قد نجح فى قطع ثلاثمائة أو أربعمائة ميل فى ساعة على  
رمال ( بنــــدن ) ، وطارت طائرة من موسكو الى نيويورك فى عشرين أو خمسين  
( لا أذكر ) ساعة ، قال الفيلسوف : نعم •• انكم تقدرون أن تطيروا فى الهواء  
كالطيور وتسبحوا فى الماء كالسمك ، ولكم الى الآن لا تعرفون كيف تمشون على  
الأرض " (١) • الى آخر أقواله التى أوردها فى هذا المقام •

(١) إذا خسروا العالم بانحطاط المسلمين لأبى الحسن الندوى ص ٢١٨ •



وهذا هو المسترايدن — الذى كان رئيسا لوزراء بريطانيا — خطبه واصفا الحالة التى سيكون عليها أهل الأرض فى نهاية القرن الذى يقول : " ان أهل الأرض كادوا يرجعون فى أغريات هذا القرن الى عهد البربر والوحشية ، ويميشون عيشة سكان الكهوف والمفارات ، ومن الغريب المضحك أن الدول تنفق ملايين من الجنيهات على وقاية نفسها من آلة فتاة تخافها ، ولكنها لا تنفق على ضبطها ، وانبى أتعجب فى بعض الأحيان وأقول : كيف لوزار المالسم الجديد زائر من كوكب آخر وهبط اليها فطاعسى أن يشاهده ؟ سيجدنا بعد الحدة لا هلاك بعضنا ، وتبادل الأنبياء عنها ويخبر بعضنا بعضا كيف نستعمل هذه الآلات الهمجية " (١) . . . الى آخر هذه الأقوال الكثيرة فى هذا المجال من رجالات العلم والسياسة فى العالم الغربى الذى اقتتن الناس بتقدمه وحضارته .

أما ما قاله دعاة الاسلام فى القرن العشرين فيتمثل فى قول الداعية الى الله تعالى ابن الحسن الندوي : " . . ثم ان هذه الأمم أفلست افلاساً شائناً فى الدين والأخلاق ، وقد أشربت فى قلوبها حب المال والمادة ، وتسلبت عليها شيطان الأثرة والجشع حتى ضجت منها الحكومات وتحميت ، فقد ارتفعت الأسعار ارتفاعاً فاحشاً ، فلما التجأت الحكومة الى التسمير اخففت السلع والأموال ، وأصبح الناس لا يجدون كسوة ولا طعاماً ولا حاجة الا بالسعر الذى يريد التاجر ، فنقصت السوق السوداء وشاعت الجنايات والخيانات والارتشاء والتهميب ، وأصبحت الحكومة والتجارة كفرسى رهان . . كل يريد أن يغلب صاحبه وينتهز غريمه ، وأصبح الناس حبة بين حجرى الرخى لا يدرون كيف يفعلون وقد حاول رجال الإصلاح والديانة أن ينفخوا فى هذه الأمم حياة جديدة وينبذوا فيها روح الاخلاق والفضيلة والأمانة والاقتصاد فأخفقوا اخفاقاً تاماً . .

وهكذا أصبح العالم شرقاً وغرباً فى أزمة روحية وخلقية واجتماعية واقتصادية تتطلب حلاً سريعاً عادلاً .

والحل الوحيد هو تحول القيادة المالية التى تقودها المادية والجاهلية ، الى العالم الاسلامى الذى يقوده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم برسالته الخالدة ودينه الحكيم " (٢) .

(١) المرجع السابق ص ٢١٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٢ .

وهكذا تكون حاجة البشر الى الدعوة الاسلامية التي تدعوهم الى الله ورسوله والايمان باليوم الآخر ، لاجراج الناس من الظلمات الى النور ، ومن عبادة الناس الى عبادة الله وحده ، والخروج من غيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام . وليس هناك سوى الدعوة الى الاسلام من سبيل يقول مستر جيب : " ولكن الاسلام ما زال في قدرته أن يقدم للانسان خدمة سامية جليلة ، فليس هناك أية هيئة سواء يمكن أن تنجح نجاحا ياهرا في تأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جبهة واحدة أساسها المساواة ، فالجامعة الاسلامية العظمى في افريقية والهند واندونيسيا ، بل تلك الجامعة الصغيرة في الصين وتلك الجامعة الضئيلة في اليابان ، تبين كلها أن الاسلام ما زالت له القدرة التي تسيطر كلية على أمثال هذه العناصر المختلفة الأجناس والطبقات ، فاذا ما وضعت مناظرات دول الشرق والغرب العظمى موضع الدرس فلا بد من الالتجاء الى الاسلام لحسم النزاع " (١) .

ومع هذه الحاجة الماسة الى الدعوة الاسلامية ، فاننا نجد للأسف بمضغ الفلاسفة ينكرون فضلها وعدم جدواها . . ومن هؤلاء : " شوبنهاور " الألماني الذي يقول : " يولد الناس أختيارا أو أشرارا كما يولد الحمل وديحا ، والنمسر مفترسا . . وليس لعلم الأخلاق الا أن يصف سيرة الناس وعوائدهم " . و " ليفي برول " الفيلسوف الفرنسي الذي يقول : " أن ميلنا الحسنة أو القبيحة التي نجى بها الى هذا العالم عند ولادتنا هي طبيعتنا . فكيف نكون مسئولين عن طبيعة هي ليست من عملنا ، أو على الأقل ليست من عملنا الشعوري الاختياري " (٢) .

وهذه الآراء كما ترى غير سديدة ليس لها من الواقع ما يؤيدها بل الواقع يثبت غير ذلك فكم من آلاف تركوا أديانهم ومبادئهم ودخلوا في دين الاسلام . . فلم لم يكن هناك أثر للدعوة ما حدث هذا التغيير من هؤلاء أو غيرهم . والتاريخ خير شاهد على ما نقول . ويقول في هذا أحد المتخصصين في الدعوة مبينا أثر الوعظ وقاعدة الارشاد . " ان الأمراض والعلل تعرض للأجسام فتذهب بجمالها . وكثيرا ما تؤدي بحياتها اذا لم تصف بالمعالج الناجح قبل استفحالها ، وعدم المبالاة بأنواع الفسق والفجور وسيئات البدع .

(١) العدالة الاجتماعية في الاسلام للأستاذ سيد قطب .

(٢) الدعوة الى الاسلام للدكتور أبو بكر ذكري ص ١٣ ، وكتاب : مبادئ علم الأخلاق

للدكتور محمد عبد الله د راز ص ٦ - ٧ .

فمن هذه الأفعال تكون أمراض القلوب والحلل ، ولا دواء لها الا مراهم الشريعة الفراء المركبة تركيباً طعياً كما ويا دقيقا من أجزاء الخطب والمواظب والارشادات والنصائح من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ... (١)

ثم ان هذه الآراء التي تنكر على الوعظ أثره وعلى الارشاد فائدته قد سبقهم جماعة من بنى اسرائيل حكى عنهم القرآن الكريم حيث قالوا للآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر ما فائدة ما تزاولونه مع هؤلاء العصاة ، وهم لا يرجعون عما هم آخذون فيه ؟ وقد كتب الله عليهم الهلاك والمذاب ؟ قال تعالى : " واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً " . فلم تمتد هناك جدوى من الوعظ لهم ، ولم تعد هناك جدوى لتحذيرهم . بعد ما كتب الله عليهم الهلاك أو المذاب الشديد ، بما افترقوه من انتهاك لحرمات الله . " حينئذ تولى الله تعالى الرد عليهم على لسان جماعة منهم فقال : " معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون " .

فهو واجب لله توبته . واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتخويف من انتهاك الحرمات ، والتبليغ الى الله عذرتنا ، ويحلم أن قد أدبنا واجبنا . ثم لمصل النصيح يؤثر في تلك القلوب العاصية فيثير فيها وجدان التقوى . (٢)

وأما قول الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم " . فليس فيه حجة لهم على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه — كما رواه ابن كثير في تفسيره — قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انكم تقرؤون هذه الآية " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم " ، وانكم تضعونها على غير موضعها وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان الناس اذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله عز وجل أن يجمعهم بعقاب " .

(١) هداية المرشدين الشيخ على محفوظ ص ١٧

(٢) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ص ٩٢ — ٩٣ .

وعن الحسن البصري أن ابن مسعود رضى الله عنه سأله رجل عن قول الله تعالى "عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم" فقال : ان هذا ليس بزمانها انهما اليوم مقبولة ولكنه قد يوشك أن يأتي زمانها تأمرون فيصنع بكم كذا وكذا أو قال : فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل . وقد تلا الحسن البصري هذه الآية " .. عليكم أنفسكم .. " فقال الحسن : الحمد لله بها والحمد لله عليها ما كان مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقى الا والى جنبه منافق يكره عمله . وقال سعيد بن المسيب : اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر فلا يضرك من ضل اذا اهتديت .

وهذه بعض الأدلة التي تدل على أهمية الدعوة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

منها : قوله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " (١)

اختلف علماء التفسير في معنى " من " في هذه الآية الكريمة ، فذهب بعضهم الى أنها هنا للتبخيص وعليه فالذين يقولون مهمة الدعوة الى الله تعالى بعض الأمة ويكون الوجوب عليها كفاي ، وهذا البعض هو من يصلح للدعوة من حيث العلم بها وحسن عرضها ، أما غيرهم فلا حرج عليهم وان كانوا في نفس الوقت يلتزمون بمساعدة هذه الفئة الداعية الى الله عز وجل .

وذهب البعض الآخر الى أن " من " للتبيين ، على معنى فلتكونوا أمة تدعون الى الخير ، وعليه فكل انسان مطالب بالدعوة الى الله تعالى بالقدر الذي يستطيع أن يدعوه والوسيلة التي تمكنه من ذلك . ليكون طابع الأمة الدعوة الى الخير .

فالغامة من الناس يدعون الى الأمور الواضحة التي لا تعقيد فيها ولا جدال أو مناقشة ، والخاصة منهم يتصهرون لهذه الأمور التي تحتاج الى فكر وروية .

وعلى العامة والخاصة جميعا أن يحسنوا عرض الفكرة حتى تؤتى ثمارها (١) .  
ومنها : قوله تعالى : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي  
هي أحسن " (٢) .

ومنها : قوله تعالى : " ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعلى صالحا وقال  
اننى من المسلمين " (٣) .

ومنها : قوله تعالى : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف  
وينهون عن المنكر " (٤) .

ومنها قوله تعالى : " لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر  
وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم " (٥) .

ومنها قوله تعالى : " وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق  
بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون " (٦) الى آخر الآيات الدالة على ذلك .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : " الدين النصيحة ، قاله ثلاثا ، قلنا لمن  
يا رسول الله قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " (٧) .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : " ما من نبي أمة بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له  
من أمة حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انما تخلف من بعدهم  
خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون . فمن جاهد هم بيده فهو مؤمن  
ومن جاهد هم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهد هم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من  
الايمان حبة خردل " (٨) .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع  
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان " (٩) .

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٩٠ ، وتفسير الرازي ج ٧ ص ١٢٢ - ١٢٨ ، وتفسير

القرطبي ج ٤ ص ١٦٥ ، وكتاب : موضوعات من الكتاب لفريدة الدكتور سيد أحمد

المسيير ص ١٣ ، وكتاب : الدين المالى وشرح الدعوة اليه للشيخ عطيه صقر .

(٢) سورة النحل آية ١٢٥ (٣) سورة فصلت آية ٣٣ (٤) سورة التوبة آية ٧١

(٥) سورة الحج آية ٦٧ (٦) سورة الأنعام آية ١٥٣ (٧) رواه البخارى ومسلم

عن تميم الدارى (٨) رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود .

(٩) رواه الامام مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : " بلغوا عني ولو آية " ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " (١) .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : " لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم " (٢) .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه .

(٢) البزار ( ط ) عن أبي هريرة ( ح ) ( الجامع الصغير للسيوطي ) .

## أصول الدعوة

أصول الدعوة إلى الله تعالى في الإسلام التي لا تتحقق بدونها أمور  
أربعة •

### الأمر الأول : موضوع الدعوة :

وهو الدين الإسلامي الذي جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام من عند الله تعالى  
ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور : " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي  
به الله من اتبع رضوان سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم  
إلى صراط مستقيم " (١) •

ولنعمل بمقتضاه ، في جميع نظام حياتنا • هذا الدين الصالح لكل زمان  
ومكان ، ولكل عصر وجيل • ويشتمل على ما يحتاج إليه الإنسان في حياته من عقائد ،  
وعبادات ، ومعاملات ، وأخلاق كريمة وغير ذلك • وإلى القارئ الكريم فكرة عن هذه  
الأمور •

### أ - العقائد :

العقائد جمع عقيدة والمبادئ بها الأمور التي يجب على الناس أن يؤمنوا بها  
ويذعنوا لها • وهي كما يلي :

منها : الإيمان بأن الله تعالى موجود بلا موجد ، وهذا الاعتقاد بوجوده  
تعالى من الأمور التي يدركها الإنسان بفطرته السليمة • كما حدث لهذا الأعرابي  
الذي نظر في ملكوت الله يوما فقال : البصرة تبدل على البصير ، وأثر الأقدام يدل  
على المسير ، سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير •  
قال تعالى : " وفي أنفسكم أفلا تبصرون " (٢) •

(١) سورة المائدة آية رقم ١٦٥

(٢) سورة الذاريات آية رقم ٢١

والايمان بأنه تعالى أوجد هذه الموالم المختلفة الظاهرة لنا ، والمفيدة  
عنا • وذلك كعالم الحيوان ، وعالم النبات وعالم الأفلاك • • قال تعالى :  
” الحمد لله رب العالمين ” •

والايمان بأنه عز وجل يتصرف فى ملكه كيف شاء • قال تعالى : ” انما  
أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ” (١) •

والايمان بأنه وحده هو الذى يتصرف فى ملكه دون أن يشاركه فيه أحد  
وهو ما يسمى بتوحيد الألوهية • • • قال تعالى : ” لو كان فيهما آلـهة  
الا لله لفسدتا ” (٢) •

ومنها : الايمان باليوم الآخر وما يتعلق به من الساعة والبعث والحشر،  
والحساب ، وسؤال القبر ، ونعيمه وعذابه •

ومنها الايمان بالغيب وما يتعلق به من الملائكة ، والجن و الجنة ، والنار ،  
وما جاء به القرآن الكريم كخلق السموات ، والأرض ، والانسان ، والصراط ،  
والميزان • •

ومنها الايمان بالرسول ما عرفناه منهم وما لم نعرف • وأنه يجب فى حقهم  
الصدق والأمانة والتبليغ والفتانة ، ويستحيل عليهم ضد ذلك •

ومنها : الايمان بالكتب وذلك كالزبور الذى أنزله الله على داود عليه  
السلام ، والتوراة التى أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام ، والانجيل  
الذى أنزل على عيسى عليه السلام ، والقرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله  
عليه وسلم •

قال عز من قائل : ” آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن  
بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله وقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غفرانك  
ربنا وإليك المصير ” (٣) • وقال تعالى : ” فاعلم أنه لا اله الا الله ” (٤) •

(١) سورة يحمى آية رقم ٢١ (٢) سورة الأنبياء آية رقم ٢٢  
(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٥ (٤) سورة محمد آية رقم ١٩



وقال تعالى : " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور : " قال : فأخبرني عن الايمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " (٢) .

### ب — المبادات :

المبادات جمع عبادة . والمعبادة هي السر الذي من أجله خلق الله تعالى الانس والجن . قال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " (٣) .

هذه العبادة لا يعمود نفوسها على الله عز وجل لأنه تبارك وتعالى لا تتفهم طاعة كما لا تضره معصية . وانما هي لمصلحة المكلف الذي تحدث منه العبادة .

يقول الدكتور عبد الحليم محمود : " وما كانت عبادة الانس والجن من أجل نفع يصل الى الله ، سبحانه وتعالى ، من وراء ذلك فهو سبحانه ، غنى عن العالمين ، لا ينفعه طاعة ، ولا تضره معصية ، وانما خلقهم من أجل عبادته ليكملهم به — هذه العبادة ، وليصل بهم ، عن طريقها ، ليكونوا أهلا للقاءه سبحانه ، وليتجسسى عليهم اذا تزكوا — بأنواره ، وفيوضاته . وقد نوع لهم سبحانه العبادة فلم يجعلها على وتيرة واحدة . حتى لا يملوا ، وحتى يكون في تنوعها تزكية لجوانب متعددة وزوايا مختلفة من الطبيعة البشرية وحتى تتناسب — على تفاوت فيما بينهما مع كل الفطر والاستعدادات " (٤) .

ومن هذه المبادات : " الصلاة " قال تعالى : ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (٥) وقال سبحانه : " ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والخكر " (٦) .

ومنها : الزكاة . وهي العلاج الناجح لتقويم المجتمع الاسلامي وتنقيته من الحقد والحسد والضعيفة .

(١) سورة الروم آية رقم ٣٠ (٢) رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب  
(٣) سورة الذاريات آية رقم ٥٦ (٤) أسرار العبادات في الاسلام للدكتور عبد الحليم محمود ص ٣٢  
(٥) سورة النساء آية رقم ١٠٣  
(٦) سورة العنكبوت آية رقم ٤٥ .

قال تعالى : " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها " (١) .

ومنها : الصيام • قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام  
كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " (٢) .

ومنها : حج بيت الله الحرام • قال تعالى : والله على الناس حج  
البيت من استطاع إليه سبيلا " (٣) .

وفي هذه العبادات يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : بنى الاسلام  
على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ،  
وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا " (٤) .

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٣ •

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٨٣ •

(٣) سورة آل عمران رقم ٩٧

(٤) رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر •

### ج - المعاملات :

من الصواب التي أدت إلى انتشار الإسلام ومقائه إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها • ما سعى بالمعاملات التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم " الدين المعاملة " (١) •

ذلك أنها وجه الدين الذي يتجلى أمام الناس ويحتكون به في حاليه • من أجل هذا عطلت الشريعة الإسلامية على أشباه الناس من هذه الناحية • فوضعت الشريعة القواعد المعتدلة للمعاملات في مجال الأسرة ، والحياة الزوجية ، والناحية المالية ، والسياسية ، والاقتصادية ، ووضعت للبشرية النظم الصالحة للبيع والشراء ، والرهن ، والشركة ، والتداين ، والمزارعة ، والتجارة ، واستخراج كنوز الأرض ورعايتها ، وأحياء الموات ، والصدقات ، وغير ذلك من أنواع المصنفات ، والاتفاقات ، والمقود .. الخ (٢) • وفي كل جزئية من هذه الجزئيات نرى النصوص الكثيرة بما لا يحتمل المقام وعلى سبيل المثال في موضوع التداين نجد أن القرآن الكريم ذكر في هذا الموضوع أكبر آية تدل عليه ، قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبغض منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضر احداهما فتذكر احدهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تساموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم " (٣) •

فالإسلام على هذا دين يواجه أحوال الناس بالأقضية التي تقيم العدل وتثبت المصلحة ، فهو ليس دراسة فنية للقانون ، ومبادئه ، وأغراضه • ولكنه تطبيق

(١)

(٢) محاضرة عن " انتشار الدعوة الإسلامية والأسباب التي ساعدت على ذلك للأستاذ

عبد المنعم خلاف - طبع مجمع البحوث الإسلامية •

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٢ •

على بيت في شئون الناس بالأحكام التي يتأملها أولوا الأبصار ، فيجدون فيها أرقى البادئ وأفضل الشرائع .. (١) .

## د - الأخلاق :

من العناصر الهامة التي اشتملت عليها " رسالة الاسلام " : " الأخلاق " والأخلاق أمر لا بد منه في حياة الأمم . تصلح بصلاحه ، وتفسد بفساده . يقول شوقي :  
انما الأمم الأخلاق ما بقيت . . . فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا  
ولما جاء الاسلام وجد الناس على أخلاق متعددة منها الحسن ، ومنها القبيح .  
حينئذ أبقي على الحسن وزاد عليه وطرح القبيح حتى لا يكون سببا في هلاك الأمة .  
وأخلاق الاسلام التي جاء بها الاسلام كثيرة ومتنوعة نذكر بعضها :  
١ - العدل : قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء

بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى " (٢) .  
وقال صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة " (٣) .

٢ - الأمانة : قال تعالى : " ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها (٤) .  
وقال صلى الله عليه وسلم : " لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له " (٥)

٣ - الوفاء : قال تعالى : " وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا " (٦) .  
وفي حديث للمصطفى صلى الله عليه وسلم : " .. وإذا عاهد غدر " (٧) .

٤ - الصدق : قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكفوا مع الصادقين " (٨)

٥ - الشجاعة : قال تعالى : " فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما " (٩) .

(١) هذا ... دينا للشيخ محمد الفزالي ص ٢١٩ (٢) سورة المائدة آية ٨  
(٣) حم ، طي ، هب : عن ابن عمر (٤) سورة النساء آية ٥٨  
(٥) رواه أحمد والبخاري والطبراني في الأوسط عن أنس (٦) سورة الاسراء آية ٣٤  
(٧) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو (٨) سورة التوبة آية ١١٩  
(٩) سورة النساء آية ٧٤ .

- ٦ - الكريم : قال تعالى : " وما تتفقوا من خير فان الله به عليم " (١) .
- ٧ - التعاون : قال تعالى : " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان " (٢) .
- ٨ - الايشار : قال تعالى : " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة " (٣) .

الى آخر هذه الأخلاق الاسلامية التي يطول ذكرها كالشكر ، والصبر ، واحتمال الأذى ، والمفو ، وقوة النفس والارادة ، والاخلاص ... الخ .

ومن الممكن أن نجتمع كل هذه الأخلاق وغيرها في بعض آيات من القرآن الكريم مثل : قوله تعالى : " وانك لعلى خلق عظيم " (٤) ، وقوله تعالى : " ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يحظكم لعلكم تذكرون " (٥) ، وقوله تعالى : خذ الصفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " (٦) .

هذه بعض المناصر التي اشتمل عليها موضوع الدعوة وهو الدين الاسلامى الذى جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تبارك وتعالى لسعادة البشر فى الدنيا والآخرة . وقد تحدثنا فى هذه المناصر عن العقيدة ، والمبادئ ، والمعاملات ، والأخلاق ...

وليس معنى هذا أن هذه المناصر فقط هي التي اشتمل عليها هذا الدين الحنيف ولكن هناك الكثير من المناصر التي احتواها والصالحه لكل زمان ومكان كالشباب والمقاب ... الخ .

وما أردنا بهذا الا اعطاء فكرة موجزة عن موضوع الدعوة الذى يعتبر أصلاً من أصولها .

ومعد الحديث عن هذا الأصل للدعوة الى الله تعالى يلى ذلك الحديث عن الأصل الثانى وهو : الداعى الى الله تعالى .

- |                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| ( ١ ) سورة البقرة آية ٢٧٣     | ( ٢ ) سورة الطائفة آية ٢     |
| ( ٣ ) سورة العنكبوت آية رقم ٩ | ( ٤ ) سورة القصص آية ٤       |
| ( ٥ ) سورة النحل آية ٩٠       | ( ٦ ) سورة الأعراف آية ١٩٩ . |

## الأصل الثاني : الداعية الى الله تعالى :

الداعية الى الله عز وجل ليس مجرد خطيب يخطب الناس فيلهمب مشاعرهم  
وانما المراد به من يؤمن بفكرة ، يدعو اليها بالكتابة ، والخطابة ، والحديث الصادى  
والمحاضرة ، والفعل الجدى فى سيرته العامة والخاصة ، وبكل ما يستطيع من وسائل  
الدعاية . فهو كاتب ، وخطيب ، ومحدث ، وقدوة يؤثر فى الناس بحملته وشخصه . .  
والداعية أيضاً طبيب اجتماعى يعالج أمراض النفوس ، ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة ،  
فهو ناقد بصير . . وهو كذلك يشعر بأن دعوته حية فى أعصابه ، متوهجة فى  
ضميره ، تصبح فى دماغه ، فتعجله عن الراحة والدعة الى الحركة والعمل ، وتشفله  
بها عن نفسه وولده وماله . . .

وهذا هو الداعية الى الله تعالى ، الذى يحس إيمانه بدعوته فى النظره  
والحركة ، والاشارة ، وفى السمة التى تظهر على وجهه ، وهو الداعية الذى ينفذ  
كلامه الى قلوب الجماهير ، فيحرك عواطفهم الى ما يريد من أمر دعوته .

وليس معنى هذا " المهيج " الذى يصطنع الحماسة ليلمب بمشاعر الجماهير  
لأنه الغايات . . (١) .

وعلى هذا فالداعية الى الله تعالى أو المرشد هو الذى اتصف بكثير من  
صفات الفضل والكمال التى منها :

. . أن يكون عالماً بما يقول فاهماً له على الوجه الصحيح . لأن الجاهل يفسد  
أكثر ما يصلح . قال تعالى : " ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال  
وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون  
متاع قليل ولهم عذاب أليم " (٢) .

وقال الحسن البصرى : " العاقل على غير علم كالسائر على غير طريق ، والعاقل  
على غير علم يفسد أكثر ما يصلح " .

(١) تذكرة الدعاة للأستاذ البهبه الخولى ص ٥ ٢٦٤ .

(٢) سورة النحل آية رقم ١١٥ - ١١٧ .

ومنها أن يكون عاملا بعمله • وهذه ناحية عامة لا يفقل عنها الداعية إلى الله تعالى • فكم من علماء جهابذة في العالم لا ينتفع - غالبا - بكلامهم لأنهم في ناحية • وعلمهم في ناحية أخرى • مما يكون عقبة في سبيل الإصلاح • وهيهات أن ينتفع بعلمهم فانهم قد فقدوا الرشد في أنفسهم فكيف يرشدون غيرهم • قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون " (١) ، وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رأيت ليلة أسرى بي رجلا لا تفرض شفاهم بمقاريض من النار فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال : الخطباء من أمك الذين يأمرون الناس بالبر وينصون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون " (٢) . وقال الحسن البصري : " الواعظ من وعظ الناس بعمله لا بقوله " •

ورحم من قال :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله • • • عار عليك إذا فعلت عظيم  
ابداً بنفسك فانهمها عن غيرها • • • فاذا انتهت عنه فأنت حكيم  
فهناك يسمع ما تقول ويشتفى • • • بالقول منك وينفع التعليم

ومنها أن يكون خبيراً بما يدعو اليه لأن الدعوة إلى الله تعالى تعليم وتربية • • لا بد فيها من الدراية بأصول القواعد التربوية ، والأحوال النفسية ، والجاهل بهذه الطرق يخفق كثيراً في مهمته ، فقد يضر من حيث يظن أو يعتقد أنه ينفع • • (٣)

معنى هذا أن الداعية يسير في دعوته مسترشداً بهذه الآية الكريمة : " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن " •

ومنها أن يكون الداعية عفيفاً ياكسا ما عند الناس • بهذا يكون سيداً في قومه محبوباً لديهم • أما إذا تطلع إلى دنياهم أدى هذا إلى تحقيره وسقوطه في نظرهم فمن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله أوصني وأوجز فقال : " عليك باليأس ما في أيدي الناس فانه الفنى ، وإياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاتك وأنت مودم وإياك وما يعتذر منه " (٤) •

وقال الحسن البصري : " لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع في دنياههم

(١) سورة الصف آية رقم ٢-٣ (٢) رواه ابن حبان في صحيحه •

(٣) الدين العالمی ومنهج الدعوة اليه للشيخ عطيه صقر ص ١٦٨ - ١٦٩ •

(٤) رواه الحاكم وصححه •

فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه .

وقال أعرابي لأهل البصرة : من سيدكم ؟ قالوا الحسن . قال : بهم سادكم ؟ قالوا احتاج الناس إلى علمه واستغنى عن دينارهم . فقال : ما أحسن هذا .

ومنها أن يكون قويا في بيانه ، فصيحاً في لسانه . ولذلك قال تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام : " وأحل عقدة من لساني يفقهوا قولي " (١) . وقال تعالى : " وأخى هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءاً يصدقني " (٢) .

ومنها أن يكون حليماً واسع الصدر . قال تعالى لأمم الداعين إلى الله : " ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك " (٣) .

ومنها أن يكون الداعية شجاعاً . يقول الحق ولو على نفسه فما بالك إذا كان على غيره مهما كانت قيمة هذا النفي . قال صلى الله عليه وسلم : " إذا رأيت أمتي تنهأ أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم " (٤) .

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : " أوصاني خليلي بخصال من الخير أوصاني أن لا أخاف في الحق لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مرا " (٥) .

ومنها أن يكون واثقاً بالله تعالى فيما وعد به عباده المخلصين الصادقين " يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " (٦) .

ومنها أن يكون متواضعاً ، بعيداً عن العجب . قال صلى الله عليه وسلم : " ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله " (٧) .

ومنها أن يكون وقوراً ، كبير الهمة ، صابراً ، ورعاً بعيداً عن الشهوات ، مخلصاً في دعوته لله تعالى ، عالماً بأحوال من يدعوهم إليه عز وجل إلى آخر هذه الصفات المتعددة التي ترجع كلها إلى ما ذكرنا . (٨) .

- |                                      |   |
|--------------------------------------|---|
| (١) سورة طه آية رقم ٢٧ و ٢٨          | (٢) سورة القصص آية رقم ٣٤                     |
| (٣) سورة آل عمران آية رقم ١٥٩        | (٤) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد عن عبد الله |
| ابن عمر رضي الله عنهما .             | (٥) رواه ابن حبان في صحيحه .                  |
| (٦) سورة محمد                        | (٧) رواه مسلم عن أبي هريرة                    |
| (٨) هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ . |   |



الأصل الثالث : اختلاف أساليب الدعاة الى الله حسب اختلاف الملغومين :

ان الداهية ينبغي أن يكون أسلوبه فى دعوته الى الله عز وجل يختلف باختلاف هؤلاء الذين يدعوهم الى الله تعالى .

فان كانوا حكاما أو أمراء يدعوهم بالقول اللين الذى لا خشونة فيه . قال تعالى لموسى وهارون : " اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى " (١) ، ولقد أصاب ابن السماك لما قال له هارون الرشيد : عظمى وبه شرية من ما . فقال : يا أمير المؤمنين أرايت لو حبست عنك هذه الشريعة أكنت تفتديها بملكك قال : نعم ، قال : يا أمير المؤمنين فلو حبس عنك خروجها أكنت تفتديها بملكك قال : نعم قال : فلا خير فى ملك لا يساوى شريعة ولا بولة (٢) .

ومن موعظة الحسن البصرى للنضر بن عمرو — وكان واليا على البصرة — قوله : " فاتق الله يا أيها الرجل فى نفسك . وأيم الله لقد رأيت أقواما كانوا قبلك فى مكانك يحملون الضاير . وتهتز لهم المراكب . ويجرون الذبول بطرا ورثاء الناس . يبنسون المدر ويؤثرون الأثر . ويتنافسون فى الثياب . اخرجوا من سلطانهم ، وسلبوا ما جمعوا من دنياهم . وقد موا على ربهم ونزلوا على أعمالهم . فالويل لهم يوم التغابن ، وما ويحهم يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته ونيبه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه " (٣) .

وان كان المدعوون من الملطاء النابيهين الذين يطلبون معرفة الأشياء على حقائقها فيكون ذلك بالدلائل القطعية اليقينية وبالبرهان الساطع حتى يعلموا الأشياء بحقائقها وينغموا الناس .

وان كانوا من أوساط الناس تكون دعوتهم بالأسلوب الواضح والجميلة المفهومة المتداولة بينهم ، والموعظة الحسنة وان كانوا من أهل الكتاب ، فان دعوتهم تكون بالتي هي أحسن (٤) . وذلك ببيان محاسن الاسلام وبيان همة حاجة الناس اليه فى كل زمان ومكان .

(١) سورة طه (٢) سراج الملوك للطرطوش المالكى ص ١٠ .

(٣) الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٥٦ .

(٤) التفسير الكبير للبخارى ج ٢٠ ص ٣٨ — ١٣٩ — ط أولى عبد الرحمن

قال تعالى : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين " (١) .

أما اذا كان الداعية الى الله تعالى لم يوفى في هذا المجال وهو : دعوة الناس بالأسلوب الذى يتلاءم مع فئاتهم • فان دعوته لا تؤتى ثمارها المرجوة مهما بذل من جهد وقدم من تضحيات •

ذلك ان الداعية أو الواعظ الذى يرى الألوف من العوام المتواكفين ، الذين سيطر عليهم الكسل والاسرخاب •• ثم يقول لهم : " أرغبتم بالحياة الدنيا من الآخرة " (١) • فهذا استشهاد لا مكان له هنا • وانما مقامه بين قوم أقبلوا على الدنيا بكل بوارحهم • وتمتعوا بمختلف الملذات حتى سكبوا •• حينئذ يقال لهم هذا القول الكريم لينقذهم من الضلال الى الهدى •

كذلك الداعية أو الواعظ الذى يحفظ بعض الخطب ثم يلقيها على مستمعيه دون اكتراث بشئونهم لا يجد نجاحا في دعوته • لأنه قد يدعو البائس الفقير الذى لا يملك قوت يومه الى أداء الزكاة ، وقد يخطب فى المدن عن جرائم القتل والأخذ بالثأر ، وقد يخطب فى القرى عن سوء تقليد الأجانب فى لبس الثياب والتوجه الى المصايف وهكذا • وقد أدى اخفاق بعض الدعاة أو الوعاظ فى دعوتهم الى وقوع الضرر بهم دون أن يشعروا بذلك • مثل ما روى فى البخارى عن قصة الرجل الذى قتل تسعا وتسعين نفسا وسأل عن أعلم أهل الأرض ليأخذ بيده الى الهداية واذا بهذا العالم يذكر له أنه ليس له من توبة فقتله وأكمل به المائة •

فالداعية الى الله تعالى هو هذا الرجل الحصيف الذى يشخص الحالة التى أمامه ويهيئ لها أسباب الشفاء المناسب من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وآثار السلف الصالح عليهم رضوان الله تعالى • وذلك يجنى " نفعه طبا للمريض ، ورحمة تذهب غناه " ، ونورا يهديه السبيل •• (٣) .

(١) سورة النحل آية رقم ١٢٥

(٢) سورة التوبة آية رقم ٣٨ •

(٣) مع الله • دراسات فى الدعوة والدعاة للشيخ محمد الفزائلى ص ١٨٥ •

## الأصل الرابع : وسائل الدعوة الى الله تعالى :

ان الدعوة الى عز وجل في حاجة ماسة الى الوسائل المتعددة التي تناسب المدعوين في كل زمان ومكان ، والتي تتجدد حسب تجدد الحوادث وظهور الاتجاهات والمذاهب المختلفة وابتداعها .

هذه الوسائل كثيرة ومتنوعة نذكر بعضها فيما يلي :

### منها القدوة العملية :

وهذه وسيلة من أنجح الوسائل في الدعوة الى الله تعالى . يقول الشيخ محمد الفزالي : " ان صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس الى الايمان . وخلق الفاضل هو السحر الذي يجذب اليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب " (١) .

وبالعكس فان انحراف المؤمن وسوء خلقه من أهم الوسائل التي تصد الناس عن الاسلام وتبعدهم عن طريقه القويم . ومن أجل هذا يقول تبارك وتعالى : " ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم " (٢) .

وروي أن سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي قدم المدينة للزيارة . وبحث الى أبي حازم . فلما دخل عليه قال : تكلم يا أبا حازم قال : نعم أتكلم يا أمير المؤمنين . لا تأخذ الأشياء الا من محلها ولا تضعها الا في أهلها قال : ومن يقوى على ذلك ؟ قال : من قلده الله من أمر الرعية ما قلدهك قال : عظمي يا أبا حازم قال : اعلم أن هذا الأمر لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج من يديك بمثل ما صار اليك قال : ما لك لا تجيء الينا ؟ قال : وما أصنع بالمجيء اليك يا أمير المؤمنين . ان أدنيتني فتننتي وان أقصيتني أخزيتني وليس عندك يا أمير المؤمنين ما أرجوك له ولا عندى ما أخافك عليه ، قال : فارفع الينا حاجتك قال : قد رفعتها الى من هو أقدرك عليها ، فما أعطاني منها قبلت وما منحتني رضيت " (٣) .

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة للشيخ محمد الفزالي ص ٢٨٢ .

(٢) سورة الممتحنة آية رقم ٥ .

(٣) دعوة الحق للشيخ يوسف عبد الرافق ص ١٠٦ .

ولقد ثبت أن مخالطة الداعية الى الله تعالى الذي يحقق المعاني الاسلامية في تفكيره وخلقه ، ويحسن تمثيلها في معاملته وسماحته وعادته مع الناس ، هي أعظم أسباب انتشار الاسلام . . وهذه المباشرة والمخالطة قد تمت ويسرت برحلات التجار والملاحين المسلمين الى افريقيا وبلاد الشرق الأقصى ، وقد قام بها عرب جنوب الجزيرة والخليج العربي بدون سلاح الا سلاح ايمانهم وأخلاقهم في معاملة الناس ومعاشرتهم .

هذه القدوة الحسنة كانت سببا في اقامة الحجة على الأعداء قديما وحديثا كما كانت سببا في تحقيق قول الله تعالى : " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله " (١) ، وقوله تعالى : " كتب الله لأغلبن أنا ورسلي " (٢) .

على هذا فالقدوة الصالحة سبب قوى في انتشار الاسلام وعلو شأن أصحابه .

ومنها :

ترجمة تفسير القرآن الكريم ترجمة صحيحة على أن يكون هذا التفسير مستقلا لا يدخل اتجاهات معينة .

ومنها :

عدم الصحافة الاسلامية وتنويعها بالترجمات الهامة لمبادئ الدين الحنيف ، والرد على الشبه الموجهة له ، وتفسير حقائقه تفسيراً علمياً عصياً ، وتحفي بأخبار العالم الاسلامي . . وتطبع بعدة لغات وترسل مجاناً لكثير من الجهات . .

ومنها :

انعقاد مؤتمرات هامة لكبار المشتغلين في حقل الدعوة الاسلامية . . وسياسة عليا لسياسة الدعوة في الداخل والخارج . .

(١) انتشار الدعوة الاسلامية والأسباب التي ساعدت على ذلك . محاضرة للأستاذ

محمد المحمدي خلاف - مطبعة الأزهر ص ٢٠ .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٣٣ .

(٣) سورة المجادلة آية رقم ٢١ .

ومنها :

انشاء مراكز اسلامية للدعوة في أنحاء العالم ، تراقب عن كتب أفكار الناس  
عن الاسلام لتصحيح الأخطاء ، ولتظهر محاسن الاسلام ....

ومنها :

التوسع في ارسال البعثات الى كافة أرجاء الدنيا بعد اعدادهم على  
النحو الذي عرفناه ....

ومنها :

التوسع في المنح وتحويل الطلاب الوافدين من أطراف العالم لتلقى العلم  
في المعاهد والجامعات الدينية في البلاد الاسلامية ....

ومنها :

تكوين عدة لجان لتنظيم جهاز الدعوة الاسلامية حتى يؤدي دوره مثل : لجنة  
تفسير القرآن الكريم ، ولجنة الحج ، ولجنة الافتاء ، واللجنة الاجتماعية  
واللجنة المالية ، ولجنة الدعاية والنشر وتتكون هذه اللجنة من عدة فروع تكون مسئولة  
عن : الراديو ، والتليفزيون ودار النشر الاسلامية ووكالة الأنباء والمجلات  
الاسلامية .. (١) .

هذه بعض الوسائل التي يمكن بها نشر الدعوة الاسلامية على المستوى المحلي  
والمستوى العالمي متى حسنت النية وخلصت لله رب العالمين . وهناك  
وسائل أخرى مثل : الطرق الصوفية . والطرق الصوفية شأنها خطير في المجتمع  
الذي نعيش فيه فلو أحسننا توجيهها وجعلنا لها قيادات صالحة طارفة بالدين  
محققه فيه لأمكن أن تؤدي رسالتها بحق .. الى آخر هذه الوسائل المتعددة .

---

(١) الدين العالمي ومفهوم الدعوة اليه للشيخ عطية صفير ص ١٩١ - ١٩٥ ،  
وكتاب : مسلم النقد للدكتور احسان حقى ص ٦٩ وما بعدها ، وتقدير  
عن نشر الدعوة الاسلامية قدمه الى مؤتمر الدعوة بليبيا الأستاذ محمد  
الهياري ونشر في مجلة الفكر الاسلامي العدد السابع السنة الثالثة التي  
تصدر في بيروت بلبنان .

( أهداف الدعوة الى الله تعالى )

جاءت الدعوة الاسلامية واضحة جليلة لا غموض فيها ولا ابهام وظهرت أصول الدعوة فرآها الناس شاملة لكل فرع من فروع الحياة فأوضحت أصول الدين القويم وقواعد العلم الصحيح وأسس الأخلاق الفاضلة ، وأركان النظم الاجتماعية الرشيدة ، وبادئ القوانين السديدة ، والتشريع الحكيم .

فتغلب الاسلام بأصوله على جميع الأصول التي كانت قائمة على عهده فأمن الناس بأن القرآن " مثل كاطي " في كمال " في كل شئ " ( وقواعده التي قام عليها هي أكبر شاهد على ما نقول ) (١) .

هذه الدعوة الى الله تعالى تنحصر أهدافها في أمرين أساسيين :

الأول : دعوة غير المسلمين الى الدخول في الاسلام :

معنى هذا الأمر هو أن نحمل على نشر الدعوة الاسلامية بين أهل الكتاب وغيرهم ممن لا دين لهم اللهم الا بعض التقاليد والمادات التي لا تمت الى الدين بصلة . وهؤلاء هم أغلبية شعوب العالم . . . وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم هذه السنة الحسنة وهي دعوة غير المسلمين الى الدخول في الاسلام عن طريق مكاتبة الملوك والأمراء وأمرهم أن يبلغوا أممهم . ومن هذه الكتب كما ثبت في الصحيحين كتابه صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم : " بسم الله الرحمن الرحيم " من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . سالم على من اتبع الهدى . أما بعد : فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم : أسلم يؤتتك الله أجرك مرتين . فان توليت فان عليك اسم الاريسيين ، يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان توليوا فقلولوا أشهدوا بأننا مسلمون " .

وهكذا أرسل النبي صلى الله عليه وسلم كتبه الى كسرى ملك الفرس ، والمقوقس عظيم القبط بمصر ، وملكى عثمان ، وملك اليمامة . . . كذلك عرض

(١) تدريج المذاهب في التربية ونزعة سينسر للدكتور عبد الكريم أحمد السكري ص (ب) الطبعة الأولى ( ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م )

الدعوة بالأسلوب الملائم على أولئك الذين لم يتعرفوا على الاسلام ، كما هو موجود في أوروبا وأمريكا من المسيحيين وغيرهم .

فان انتشار العلوم والمعارف بين أولئك القوم قد كشف مزايا الاسلام ، وتطور تشريحه .

والدليل على أن هذا الأمر من الممكن أن يضل الى مستوى أعلى في نشر الدعوة لو صدقت النيات . ما نراه في هذا العصر — مع ضعف المجهود الذي يبذل في اشاعة الاسلام — من اقبال الكثير على هذه الرسالة الخالدة في الداخل والخارج . فاذا ما اتجهنا الى مكتب الشؤون الدينية بمدينة أمن القاهرة ، ومكتب شيخ الجامع الأزهر لوجدنا الأهداد الهائلة التي تحملن اسلامها لله تعالى . ومن حوالى سبع سنين توجهت بأحد القاصدة الذي كان في البلدة التي كنت أعطي فيها داعية الى الله تعالى الى مكتب الأمن ، ومكتب شيخ الأزهر لأجل أن يعطن اسلامه .

أما في الخارج فكثيرا ما تطالعنا الصحف ، والمجلات والاذاعات وغير ذلك بالأخبار المتعددة عن اسلام الكثير من عليقة القوم في تلك البلاد . وفي بعض المجلات الاسلامية كمجلة منبر الاسلام ، ومجلة الهبان المسلمين ينشر تحت باب " لماذا أسلمت " الكثير ممن تشرفوا برسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام . ومن الأسباب التي أخرت مسيرة الدعوة الاسلامية على غير ما نرجولها من الغنى الى كل قلب في هذه الأرض . هو أن أوروبا الى عهد الحروب الصليبية كانت تصور للعالم بأن هؤلاء العرب الذين حملوا راية الاسلام ما هم الا مجموعة من قطاع الطرق ورعاة الأغنام ، لا قيمة لها ، ولا حضارة ترفع من شأنها .

على هذا فان الدعوة الى الله تعالى لغير المسلمين تؤدي الى هدفين أساسيين .

أحدهما : محو الوجهة السيئة التي لصقها أعداء الاسلام من المشركين والمستشرقين وغيرهم بالمسلمين ورسالتهم .

والآخر : الكشف عن محاسن الاسلام وكيف أن العالم كله لو أخذ به لوصل بتوفيق الله تعالى الى بر الأمان .

الثاني : من أهداف الدعوة ، دعوة المسلمين بعضهم بعضا الى الخير :

وهذا يكون في ضوء قوله تعالى : " فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا

في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون \* (١)

وفى نعو قوله تعالى : " والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " (٢) .

معنى هذه الدعوة هو : ارجاع المسلمين الى جوهر الاسلام وتشريعهم الحكيم وتحقيق ذلك في نفوسهم ، ونفى ما علق بالاسلام من خرافات وأوهام (٣) مثل : ما يسمى بضرب الودع ، والطيرة ، والعيافة ، والطرق ، وزجر الطير وقراءة الكف ، وفتح الكتاب ، والمصحف ، وكتابة الحجب ، والتطائم ، وما يسمونه تحويطات ، والاخبار بالغيب ، واداء رفع الصلاة عن الانسان اذا بلغ الى قدر معين من الايمان .. الى غير ذلك من هذا السيل الجارف من الخرافات والأوهام التي عقلت بهذا الدين الحنيف وهو ضئيل براء .

ولو شئنا تفصيلها مع الأدلة التي وردت في النهي عنها لكنا في حاجة الى رسالة ولكن على سبيل المثال نذكر شيئاً من أدلة النبي صلى الله عليه وسلم التي ترشدنا الى البعد عن هذا الضلال المبين .

منها : قوله صلى الله عليه وسلم : " العيافة ، والطيرة ، والطريق من الجبت " (٤) وقول ابن مسعود رضى الله عنه : " أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب ، ومهر البغي ، وحلوان الكاهن " (٥) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : " من أتى عرافاً أو كاهناً فسأله من شئ فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً " (٦) . وقوله صلى الله عليه وسلم : " ان للشيطان لمة (٧) بابن آدم ، وان للملك لمة ، فأما لمة الشيطان فايها بالشر وتكذيب الحق ، وأما لمة الملك فايها بالخير وتصديق الحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الآخرة فليستعذ بالله من الشيطان " (٨) .

(١) سيرة آل عمران آية رقم ٦٤ (٢) سورة العصر .  
(٣) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص ١٧ - ١٨ ، والبرهان الاسلامي الأول لمجمع البحوث الاسلامية بحث للشيخ على عبد الرحمن أمين عن انتشار

الاسلام ص ٣٧٩ .  
(٤) العيافة : خط الرمل ، الطيرة : التشاؤم ، الطرق : هو زجر الطير ، الجبت : يقع على الصنم ، والكاهن ، والساحر . والحديث رواه أبو داود عن قبيصة بن الحارث .

(٥) رواه البخاري . (٦) رواه الامام مسلم في صحيحه .

(٧) اللمة : الخطرة التي تخطر بذهن الانسان .

(٨) رواه الترمذي عن ابن مسعود رضى الله عنه .



ولقد وصل أمر الخرافات والأوهام لدرجة أن المنجمين كانوا يتدخلون في شؤون الدولة في يوم من الأيام ولكن الخلفاء النابيين ما كانوا يستمعون إليهم بل كانوا يخالفونهم .

ومن ذلك حادثة الخليفة المعتصم بالله حينما قام بفتح عمورية ، فأخذوا يحدرونه بسوء الحاقبة بأن الحساب الفلكي والطوالح النجومية قد اتفقت على سوء هذه النتيجة المشئومة ، فلم يحببها قالوه ، وخرج من فورهم وانتصر على أعدائه انتصارا عظيما وفي ذلك يقول أبو تمام من قصيدة سبحين بيتا حتى أخذ على كل بيت ألف درهم .  
والتي مالمها :

السيف أصدق أنباء من الكتب . في حده الحد بين الجد واللعب  
وفيها :

أين الرواية أم أين النجوم . صاغوه من زخرف فيها ومن كذب  
يقضون بالأمر عنها وهي غافلة . ما دار في فلك أو كان في قطب  
لو أثبتت قطأما قبل موقعة . لم يخف ما حل بالأوثان والصلب

من كل هذا وغيره نعلم أن دعوة المسلمين بعضهم بعضا لا بد منها لتطهيرهم من الخرافات والأوهام وربطهم بالله الملك الديان .

اهتمام الحسن بالدعوة إلى الله تعالى وسبب ذلك :

بعد هذا العرض الموجز لمعنى الدعوة ، وأهميتها ، وأصولها ، وأهدافها . . . نبحث عن السبب الذي من أجله اهتم الحسن كثيرا بهذه الدعوة المباركة وسخر لها كل إمكانياته . حينئذ نجد أن السبب هو : فهمه العميق لقيمة الدعوة ، ومنزلة الداعية . وفي هذا المعنى يقول تبارك وتعالى : " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعلى صالحا وقال انني من المسلمين " (٢) .

ولذا لما تلا الحسن البصري تلك الآية الكريمة قال : " هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا مدعوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعلى صالحا

(١) البيان في تصحيح الايمان للشيخ ابراهيم عبد الباقي ص ١٠٧ .

(٢) سورة فصلت آية رقم ٣٣ .

في إجابته ، وقال انني من المسلمين هذا خليفة الله \* (١) .

ويعلق على كلام الحسن هذا الشيخ عبد العزيز بن باز بقوله : " ولا ريب أن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - هم سادة الناس في الدعوة وهم أولى الناس بهذه الصفات الجليلة التي ذكرها الحسن البصري وأولاهم بذلك .. محمد صلى الله عليه وسلم الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وصبر على الدعوة إلى ربه .. ثم صار أصحابه الكرام بعده على هذا السبيل العظيم والصراط المستقيم . فصدقوا في الدعوة ونشروا لواء الإسلام في غالب المعمورة لكمال صدقهم .. فضرروا بذلك للناس بعد الرسل أروع الأمثال . وأصدقها في الدعوة والجهاد والعلم النافع والعمل الصالح ومذلك انتصروا على أعدائهم .. وهم أولى الناس بعد الرسل بالثناء والصفات السالفة التي ذكرها الحسن البصري وكل من سار على سبيلهم وصبر على الدعوة إلى الله ومذل فيها وسعه فله نصيب من هذا الثناء الجزيل الذي دلت عليه الآية الكريمة - ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ... - والصفات الحميدة التي وصف بها الحسن البصري الدعوة إلى الحق .. (٢) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٠١ قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري

أنه تلا هذه الآية ...

(٢) مجلة الميقات الإسلامي بالكويت - السنة السابعة العدد ٨٠ - موضوع : الدعوة إلى الله وأثرها في المجتمع للشيخ عبد العزيز بن باز .

مضجع الحسن البصرى وطريقته فى الدعوة الى الله تعالى :

حينما ننظر الى مضجع الحسن البصرى وطريقته فى الدعوة الى الله تعالى نجد أنه متسا لمضجع القرآن الكريم وطريقة النبى صلى الله عليه وسلم على ضوء قوله تعالى " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن " (١)

وقوله تعالى : " قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى " (٢)

وقد ذهب بعض العلماء الى أن المراد من الحكمة الحجة المفيدة لليقظين ومن الموعظة الحسنة الامارات الظنية والدلائل الاتقاعية ، ومن المجادلة بالتي هي أحسن الدليل المؤلف من مقدمات مسلمة عند المنازع . (٣)

وذهب البعض الآخر الى أن المراد من الحكمة هي معرفة الحق والعمل به : فالقلوب التى لها فهم وقصد تدعى بالحكمة ، فيبين لها الحق علما وعملا فتبلغه وتعمل به وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه ، فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتطة على الترفيع فى الحق والترهيب من الباطل والدعوة بهذين الطريقين لمن قبل الحق . ومن لم يقبله فانه يجادل بالتي هي أحسن (٤) . الى آخر هذه التعريفات للكلمات التى أشفرنا اليها مما لا طائل تحته .

وعلى كل فأننى أرجح التفسير الأول لمعنى الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن وهو للفخر الرازى لأن هؤلاء الذين ندعوهم بالحكمة هم من العلماء النابهين الذين يتعرفون على الحقائق فيناسبهم الدليل القاطع الذى لا ريب فيه ، وهؤلاء الذين ندعوهم بالموعظة الحسنة هم من أوساط الناس فيناسبهم الدلائل الاتقاعية التى تدخل الى قلوبهم فينتفعون ، وتلك عليهم مشاعرهم أما هؤلاء الذين ندعوهم بالتي هي أحسن فهم المعاندون الجاحدون فيناسبهم الدليل المؤلف من مقدمات تكون مسلمة عندهم لا يجدون طريقا الى انكارها .

(١) سورة النحل آية رقم

(٢) سورة يوسف آية رقم

(٣) تفسير الفخر الرازى ج ٢٠ ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٤) رسالة معراج الوصول لابن تيمية ص ٨ - نشر المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة

سنة ١٣٨٧ هـ .

في ضوء ما ذكرناه عن الحكمة نجد ان الحسن البصري في مقدمة الحكماء بعث الرسل  
والانبياء والصعابة . وثان حكيماً ينداق بالقول الفصل قال - رحمه الله - ليس  
العجب لمن هذه كيف ذلك ولكن العجب لمن نجى كيف نجى . فسمع هذا محمد  
بن الحسن بن علي بن الحسين فقال سبحان الله هذا كلام صديق .

وسمع الحجاج بن يوسف الثقفي الحسن البصري وهو يتحدث في الناس قال له :  
ما أمد نبياحسن ؟ قال الحسن : سنتان من خلافة عمر فقال الحجاج : ( لعقله  
أكبر من أمك ) .

وبلغ من حكمة الحسن التي اشتهر بها انه كان يجلس مع كبار الدعاة من  
المسلمين أمثال : مجاهد ، وعطاء ، وطاووس وغيرهم . وقالوا حسين سمعوه  
( لم نر مثله هذا قط ) .

ونظر الحسن بفطنته الى المجتمع الذي عاش فيه فوجد ان الدينار له أثر عظيم  
في النفوس . والقليل من الناس هم الذين يسلمون من فتنته فقال رحمه الله ( لا يزال  
الرجل كريماً على الناس حتى يطمع في دينارهم فاذا فعل ذلك استغوا به ، وكذبوا  
حديثه ، وابغضوه . . . ) ولم يكن هذا منه مجرد قول بل طبقة على نفسه ما حجب  
اليه الناس وجعلهم يستفيدون بحكمه ومواعظه وأصبح بهذا سيداً على البصرة . روى ان  
اعرابياً سأل اهل البصرة : من سيدكم ؟ قالوا : الحسن قال : ثم سادكم ؟ قالوا :  
احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دينارهم . فقال الاعرابي : ما الحسن هذا .

ولقد بلغ الحسن البصري في نطقه بالحكمة مهلنا كبيراً جعل الدكتور احسان  
عباس يقول عنه " وقد ارتفع الحسن - البصري - الى مرتبة المتفكرين الصحيح فسي  
تلك الاقوال التصويرية التي كانت عصارة منتزعة من تجربته ومن اندماجه في موضوعه  
وهي اتوال تتصف بالبراعة والابتكار وقال ايضا : وصل الحسن البصري لدرجة كان  
تلاميذه واهل عصره يحاكونه في كتابته ، ورسائله ، وخطبه . . . (١) والامثلة طلي  
ذلك كثيرة منها قول الحسن : قضيح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحاً " وتولسه :  
" ان امرأ ليس بينه وبين آدم الا اب قد مات لمصر في الموت " وقال رجل للحسن :  
القمها يقولون كذا . فقال : مثل رأيت فقيها قط ؟ انما الفقيه الزائد في الدنيا .  
البصير بدينه . المداوم على عبارة ربه "

(١) البيان والتبيين للجاحظ ص ١٦١ ، ١٥٥ والنواكب الدرية للمناوي ص ١٠٦

هذه الحكمة التي اشتهر بها الحسن البصري كانت اساسا من اسرار عوته الى الله تعالى .

ذلك ان الحسن — رحمه الله — كان منهاجه وأريفته في الدعوة — منهج القرآن الكريم الذي يتضمنه قوله تعالى : " ادع الى سبيل ربك بالعقوبة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن " كما عرفنا وفي ضوء هذا المنهج كان — رحمه الله — يخاطب كل فريق من الناصريين باللائمة حسب مقتضى الحال .

فاذا ما كان المخاطبون من العلماء النابغين الذين يودون معرفة دقائق ويسملون جادين على الوصول اليها . كانت مخاطبته لهم بالحجة المفيدة الميقنة .

ومن أمثلة ذلك ما قاله الحسن البصري لبعض القراء : " انكم اتخذتم قراءة القرآن مراجل ، وجعلتم الليل جملاً تركبونه فتقبلون به المراحل ، وان من كان قبلكم رأوه رسائل اليهم من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار (١) " .

وعن فضيل بن جعفر قال : خرج الحسن من عند ابن عبيدة فاذا غوا بالقرآن على الباب ، فقال : " ما يجاسكم هنا تريدون الدخول على هؤلاء النخبة اما والله ما مجالستهم بمجالسة الابرار ، تفرقوا فرى الله بين ارواحكم واجسادكم ، فقد انتم نعالكم وشعوت ثيابكم وجزتم شعوركم فضحتكم القراء فضحك الله ، اما والله لو زدت سم فيما عندكم لرفعوا فيما عندكم لكنكم رغبتم فيما عندكم فزهدوا فيما عندكم أبعد الله من أبعد (٢) " .

وكتب الحسن يوماً الى احد العلماء الباحثين عن الحقيقة يقول : " اعلم ان التفكير يدعو الى الخير والعمل به ، والندم على الشيء يدعو الى تركه ، وليس ما يغنى وان كان كثيراً يعدل ما يبقى وان كان طمعه عزيزاً ، واحتمال المؤونة المنقطعة السعي تعقب الراحة الطويلة خير من تسجيل راحة منقطعة تعقب مؤونة باقية (٣) " .

وان كان المخاطبون من أوساط الناس . . كانت مخاطبته الحسن لهم بالامارات

(١) مقدمتان في علوم القرآن — وهما مقدمة كتاب المبانى ، ومقدمه ابن عتبة ، نشرهما من المخطوطان المحفوظة بدار الكتب ببرلين ، ودار الكتب المصرية المستشرق الدكتور آرثر جعفرى — مابعد السنة المحمدية سنة ١٩٥٤ م  
(٢) حلية الاولياء لابن نسيم — ترجمة الحسن البصري .  
(٣) المرجع السابق

الثانية ، والدلائل الاتقانية • أى بالموعظة الحسنة التى تعتبر أساسا من أساس  
الدعوة الى الله تعالى •

هذه الموعظة الحسنة (١) كذلك عبارة عن الكلمة الطيبة التى تخرج من  
القلب لانها من طبيب يداوى حبيبته سواء كانت عن طريق الكتابة أم  
الدرس أم غير ذلك •

ومن امثلة المحسن البصرى فى موعظته الحسنة ما يلى :-  
قال بـ رحمه الله - : " ايها الناس ان الله عز وجل بسط لكم صحيفة ،  
وكل بكل رجل منكم ملكين كريمين أحدهما عن اليمين والآخرو عن اليسار ، وهو يملئ

( ١ ) فى مجال الموعظة الحسنة نسمع هذه الكلمات : وعظ ، ارشاد ، تربية ، تذكير ،  
قصص الخ . . . . . فما نصيب هذه الكلمات فى الدعوة الى الله تعالى ؟ فالاصفهانى يقول  
الوعظ : زجر مقرون بتخويف ، وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يشرق  
له القلب والعظة والموعظة الاسم ( يحفظكم لعلمكم تذكرون ) • والارشاد هو  
نظام تعامى أو عملية تعليمية تهدف الى تعديل سلوك الافراد  
فى مجال معين ، وهو أيضا : الهداية الى الطريق الموصلى الى  
المطلوب ( اولئك هم الراشدون ) والتربية : هى عملية اجتماعية  
تهدف الى مساعدة الافراد على النمو الشامل لشخصياتهم بحيثيت  
يستطيعون القيام بأدوارهم الاجتماعية والعيش فى المجتمع والمشاركة  
فى خبراته ومنه الرب ( ربكم رب آبائكم الاولين . . . ) • والتذكير :  
تعريف الخلق بنعم الله تعالى عليهم وحشهم على شكره • وتحذيرهم من  
مخالفته ، والتذكور يقال على الالفاظ منه ( وما يتذكر الا من ينيب •  
سيدكو من يخشى ، فمالهم عن التذكرة معرضين ، ومثله الادكار ) فهل  
من مذكو ( • والقصص : تتبع القصة الماضية بالحكاية عنها  
والشئ لها . . . . . والقصص من يفصل ذلك قال تعالى ( لقد كان  
فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ما كان حديثا يفترى . . . ) ومن أجل  
هذا سمى : قسم الدعوة والارشاد بكلية اصول الدين ، وإدارة الوعظ  
والارشاد بالازهر ، ووزارة التربية والتعليم الى غير ذلك من المسميات  
التي يقصد معظمها - ظالما - الدعوة الى الله تعالى ( هداية  
المُرشد الى الشيخ على محفوظ ، والفرد اتقى غيب القرآن للاصفهانى ،  
فى التربية والارشاد ( للاستبيان محمد محمد عطية ، مع الله  
دراسات فى الدعوة والدعاة للشيخ محمد النزالى ، المنشورة  
التوجيهية رقم ٢٢ اخراج المكتب الفنى بقسم الوعظ والارشاد بالازهر ،  
وسبيل الحكمة فى الوعظ والخطابة للشيخ على محفوظ . . . . .  
المراجع وغيرها بعد القرآن والسنة ) •

فان شاء قلل ، وان شاء كثر ، وانما يملك كتابا لا يدر منيرة ولا كبيرة الى ان شاء الله  
ووجدوا ما عملوا حاقرا ولا يظلم ربهم احدا واقد روى انه لما نزل على رسول الله صلى  
الله عليه وسلم من رحل سوا لا يميزه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا • قال ابو بكر  
الصديق رضي الله عنه : نزلت والله قاصمة السهول فاذا قال ذلك ابو بكر وقد شهد  
له بالجنة فكيف يجب ان يكون قول من سواه ؟ فاعتبروا يا ايها المؤمنين وتوبوا على  
حذر لعلكم تأنسون من عذاب يوم عظيم • (١)

وقال الحسن : " ان الله عبادا قلوبهم مخزونة ، وشؤونهم مأونة ، وانفسهم  
عفيفة ، وحوائجهم حقيقة ، صبروا الايام القلائل لما ربحوه في الدهر الا طاول • أما  
الليل فقامون على اقدامهم يتضرعون الى ربهم ، ويسعون في فناء رقباتهم ، تجسروا  
الخشية دموعهم ، وتغشى من الشوق قلوبهم ، وأما النهار فحلماء طمأن أفتياء ، أغنياء  
يخسبهم البهاهل اغنياء من التعفف ، تنالهم من الخشية موني ، وطابهم من موشم ،  
وانتهم خدسوا بذكر النار وانوالها لهم • واللمكانوا فيما احل لهم أزهد منكم فيما  
حرم عليهم ، وكانوا ابصر بقلوبهم لدينهم منكم لانيكم بأبصاركم ، وانهم كانوا احسن  
أن ترد عليهم اخوف منكم ان تصذبوا على سيئاتكم ، اولئك حزب الله الا ان حزب  
الله هم المفلحون • (٢)

وقال - رحمه الله - " أيها الناس : ان احذركم يحذره صاحبه فيتيقنه  
ويحذره • فكيف يحزن حذره ربه نفسه وخوفه عقوبته • يقول الله سبحانه : " افأمنوا  
مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون • (٣)

وقال رحمه الله : " أيها الناس : اني اعلمكم وليست بغيركم ولا اصلحكم  
واني لكثير الاسرار على نفسي ، غير محكم لها ، ولا حام لها على الواجب في العفة  
رسها • ولو كان المؤمن لا يخطئ ان شاء الله لبعدها احكام أمر نفسه لعدم الواعظون ، وقل  
المتذكرون ولما وجد من يدعو الى الله جل ثناؤه ، ويرغب في طاعته ، وينهى عن  
معصيته ، ولكن في اجتماع اهل البهاهل ، ومذاكرة المؤمنين بعضهم بعضا حياة  
القلوب المتقين ، واذكار من الغفلة ، وأمن من النسيان ، فالزموا عاقبة الله مجالين

الذكر فربكلمة مسموعة ، ومحتقر نافع ، ماتقوا الله حق تقاته ولا تموتن والا وانتم مسلمون  
وقال : " أيها الناس : انما لاحدكم نفس واحدة ، ان نجت من عذاب الله لم يضربها  
من هلك ، وان هلك لم ينفسها من نجا ، فاعذوا عافاكم الله التسوية فانه اهلك من  
كان قبلكم ، وانكم لاتدرون مني تسيرون ؟ ولا الى اى شىء تصيرون ؟ فرحم الله  
عبدا عمل معاده قبل نفاذ زاده "

وقال : " أيها الناس : ان لله عبادا هم كمن رأوا اهل الجنة في الجنة  
منعمين ، واهل النار معذبين ، فهم يسلمون لما رأى وينتهون عما يخافون من العذاب  
الاليم " (١) الى آخر ما قال في هذا المقام .

وان كان المصاطبون من اهل الجحود والعناد كانت مخاطبة الحسن لهم بالتى  
هى أحسن كما قال تعالى : " وجاهد لهم بالتى احسن " أى بالطريق التى هى  
أحسن الطرق فى المعادلة من الرفق واللين كما فصل الخليل ابراهيم عليه السلام  
بما يوقظ القلوب ، ويحفظ النفوس حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه اينالوا السعادة  
فى الدنيا والاخرة ومن الامثلة على ذلك ما يلى :-

كان الحسن البصرى يقوم : " ابن ادم : انك تموت وحدك ، وتبعث وحدك ،  
وتحاسب وحدك .

ابن آدم : لو أن الناس كلهم اطاعوا الله وعصيت انه لم تنفك طاعتهم ، ولو  
عصوا الله واطعت انت لم تضرهم عصيتهم ، ابن ادم : ذنبك ذنبك فانما هو لحمك  
ودمك فان سلمت من ذنبك سلم لك لحمك ودمك ، وان تكن الاخرى واستعذب الله  
منها - فانما هى نار لاتطفى وجسم لا يلى ونفس لاتموت .

وكان يقول : " ابن آدم - انما انت ضعيف والضعيف مرتحل ومستعمار والصارية  
مؤداه ومردودة ، فما عسى مقام ضعيف ومقارعة لله در اقوام نظروا بعين الحقيقة  
وقدموا الى دار المستقر .

وكان يقول : " ابن آدم - ايا عوا الاغترار فانك لم يأتك من الله امان ، وان الهول  
الاعظم والامر الاكبر امامك ، انك لابد ان تتوسد فى قبرك ما قدمت .

ان خيرا فخيروا وان شرا فشروا ، فاغتنم المبادرة فى المهمل وايا عوا التسوية  
بالعمل فانك مسئول ، فاعذ للمصألة بجوابا (٢)

(١) الحسن البصرى لابن الجوزى ع ٦٠ وما بعدها .

(٢) الحسن البصرى لابن الجوزى ع ٦٠ - ٦٥



### موقف الحسن من الحكماء :-

اما موقف الحسن البصري من حكم الدولة • فقد كان واضحا من عمله على تجنب الفتن خوفا من تفريق كلمة المسلمين • وشدة حفظه على تماسك الدولة حتى قال الشيخ على محفوظ في هذا " لولا لسان الحسن وسيف العجاج لوئدت الدولة المروانية في سهد ها "

ولذا كان - رحمه الله - لا يرى التعرض لسب الولاة بل كان يزرع هيبتهم في قلوب الرعية والرهبا بحكمهم ذاكرا للمدعوين الاثار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم مثل قوله " لا تسبوا الولاة فانهم ان احسنوا كان لهم الاجر وعليكم الشكر وان اساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر • وانما هم نقمة ينتقم الله منهم ممن يشاء فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية والغضب • واستقبلوها بالاستكانة والتضرع <sup>(١)</sup>

معنى هذا ان الحسن البصري لا يرغب في قيام ثورة ضد حاكم الدولة لان ضرر هذا - في اعتقاده - يكون اكثر من نفعه •

ولكنه يرى العودة الى التعاليم والاخلاق الاسلامية حتى يلتئم الشمل وتنحس الفرقة • وعندئذ يكون النصر السياسي امرا محققا •

وفي هذا المعنى يقول تعالى في الحديث القدسي : " انما الله لا اله الا انا مالك الملوك ملوك قلوب الملوك في يدي وان العباد اذا اطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرافة والرحمة وان العباد اذا عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب فلا تشغلوا انفسكم باذعاء على الملوك ولكن اغضوهم بالبذكو والتقرب اليهم ملوككم <sup>(٢)</sup>

وفي ازمة مالية اشتد كرب الناس لها وذهبوا الى الحسن البصري يستفتون فسي حلها • فقال لهم : " فلا السعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الناس : يا رسول الله : ألتسعير لنا ؟ فقال : ان الله هو المسعير ان الله هو القابض • ان الله هو الباسط • واني والله ما اعطيكم شيئا ولا امنعكموه بهذا وغيره كان الحسن - رحمه الله - يحمل على استتباب الامن في الدولة لكن هذا الموقف من الحسن لاول وهلمة يؤخذ عليه في الظاهر • الرضا بالدلة • والمسكنة • وعدم الشعور بالنظم مهما كان •

(١) هداية المرشد بين للشيخ على محفوظ • والدعوة الى الاسلام للذكر ابو بكر كوي

(٢) رواه الطبراني في الاوسط عن ابي الدرداء

والخضوع لطاعة بنى مروان واين هذا من قول عمرو بن الخطاب : " ايها الناس : اقرأوا القرآن تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من اهله . انه لن يبلغ ذوق في حقه أن يتطاع في معصية الله . الا انه لن يبعد من رزق الله ولن يتوب من اجل الله ان يقول المرء حقا ، وان يذكر بعظم .

ألا واني ما وجدت صلاح ما ولا نى الله الا بثلاث : اداء الامانة والاخذ بالقوة والحكم بما انزل الله . . . . الى آخر ما قال عمر . . . . ومع هذا قلوا نظرننا بحقوق روية الى تصرف الحسن وموقفه لوجدناه لم يصدر منه ذلك الا عن حكمة ونور قد فقه الله في قلبه .

ذلك ان الحسن — رحمه الله — جاء في اعقاب احداث جسام كانت سببا في تقسيم الامة الى شيخ واحزاب — ولولا ان الاسلام متين في قلوبهم لما قامت لهم قيامته بعد هذه الفتن ابدا .

وكما قال الشيخ محمد الغزالي ما يدل على حكمة الحسن في ذلك : وان هذه الفتوى في كيان الدولة الاسلامية يخشى — لوبقيت — ان تطيح بالاسلام حكومة وشعبا وان انصرف الناس الى حديشها ومرائها<sup>(١)</sup> ينسيهم روح الايمان ، وشعائر التقوى " لذلك اتجه الوجهل الى جمع السامة على صلاح القلوب ورقابة الاشرة ، مؤثرا ان يطمئن الحاكم من ناحيته بتوك الكلام في سيرته وترك التصرف لسياسته . . . . راجيا — بذلك — ان يدهه الحاكم يعلم الناس الدين ويصوغهم بشرائعه واحكامه . .

كذلك يقول الشيخ الغزالي : ونحن — من التجارب التي أفدناها — نعرف موقف الحسن البصري على حقيقته ، ونعجب ان نصف الرجل . فقد جاء في اعقاب الفتنة الكبرى ، وبدأ نشاطه الديني في ظروف صعبة جاء بعد هزيمة علي بن ابي طالب المؤيد من جمهرة الامة ، وعامل لواء الحق في ذلك المصراع الاسيف .

ولم تكن هزيمة أمير المؤمنين محدودة النتائج — ان آل بعده الامر الى قلة ليست له بأهل ، كما اصبحت القيم الدينية نفسها اصابة جسيمة ، وبدأ للناس ان المثل العليا لا مكان لها في ميادين الحياة وان الالتحاق بالركب السائر لن يستطيعه الا من يفر من مقتضيات الايمان والخلق .

---

(١) مرائها : جدالها .

وعلاج هذه الحالة المنكرة وقع عبثة على أمثال الحسن البصرى من العلماء الذين حرصوا على صبح المجامع العام بالتحاليم الاسلامية وتمسيك الامة بمثلها كلها ، وغرس الوفاء للحق فى حاضرنا ومستقبلها . . . . على ان يتحروا نهجا من التربية المحايدة الدقيقة لا يعرضهم لصدام مع الحكام المتغلبين على الامر ، ولا يدفع هؤلاء المتسلطين على الامة الى فنى تلك المجامع وتعطيل هذه الدروس .

وهنا يبدو وما كان يعائيه الحسن وأمثاله من حرج وما بسروا كلامهم حينما من اضطراب ، فرغتهم فى خدمة الاسلام وصيانة تراثه . يوجب عليهم الكلام الكثير . ومحاولة طمأنة ذوى السلطة — ليتكوههم وما فرغوا أنفسهم له — توجب عليهم الاغضاء ، أو التجاوز ، أو الاحتياال ، لا حرصا على حياتهم الخاصة بل حرصا على منار الاسلام الذى رفعوه .

فمن يدري ربما يعصم الظالم لو ذهبوا وذهب معهم . . . فان تاريخ الرجل فى ميدان الوعظ والارشاد والنصح العام حافل بالخير ، على الصالحات (١)

ولم يكن موقف الحسن البصرى من الثورات مجرد رأى يعتقد به بل كان ايجابيا فى موقفه عاما لا على جمع الشمل . ويظهر ذلك بوضوح فى موقفه من ثورتى ابن الاشعث وابن المهلب .

### الحسن البصرى وثورة ابن الاشعث :-

سبق ان عرفنا موقف الحسن من الحجاج بن يوسف الثقفى وانه مع شدة العججاج ومطشه وخوف الناس منه لم يتقاعص عن اداء الواجب الذى يفرضه عليه دينه كما أن الحسن كان يرجع ظلم الحجاج الى تغيير النفوس وكأنه بذلك يشهر الى قوله تعالى " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " ونزيد هنا أن الحسن لو أراد الفتوى صراحة ضد الحجاج لشبث ثورة عارمة فى البصرة لا يعلم مداها الا الله عز وجل .

ولكن الحسن بمنهجه القويم فى الدعوة الى الله تعالى استدلاخ ان يصل بالمجتمع الى الطريق المستقيم — الى حدم — دون اراقة للدماء ، وازهاق للأرواح .

فقد جمع ابن الاشعث جيوشا وخرج متمودا بها على حكم الامويين وخاصة الحجاج فاجتمع عليه كثير من الناس وابتمد عنه آخرون — فهم ينظرون الى القضية من جانبها — الحجاج وابن الاشعث فايهما يتبعون ، والناس فى كل زمان اتباع القوى .

(١) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة للشيخ محمد الفزالي ص ١٧١-١٧٦ الطبعة الثانية ١٩٦١م — ١٣٨٠ هـ مطبعة السعادة بالقاهرة .

ويضع الحسن البصري في الأمر فيستفتيه الناس فيصمت ويلعنون وما كان يحب أن يخون في الموضوع وإن الحسن جالساً في المسجد ينهى الناس عن الخروج على الدولة ويحذر على جمع كلمة المسلمين فقال بعض هؤلاء : يا أبا سعيد ، ما تقول في قتال هذا الطاغية ( يعني الحجاج ) الذي سفى الدماء واخذ المال العرام ، وفعل وفعل ، فقال الحسن : ارى ان لا تقتلوه . فانها اما ان تكون عقوبة من الله فما انت برادى عقوبته ، ثم قال كلمته المشهورة " يا أيها الناس والله ما سلب الله عايكم الحجاج الا عقوبة ، فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف ولكن عليكم بالسكينة والتضرع

وسمع الحسن رجلاً يدعو على الحجاج فقال : لا تفعل رحمك الله انكم من انفسكم اوتيتم ، انا نكف ان عزل الحجاج او مات ان تليكم القردة والخنازير . فقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( عمالكم كأعمالكم وكما تكونون يولى عليكم ) (١)

وسئل الحسن يوماً عن الولاة فقال للسائل بعد ان سكنت ملياً : ( وما عسى أن اقول فيهم وهم يلون من امورنا خمساً : الجمعة والجماعة والفقير والثغر والعدود . والله لا يستقيم الدين الا بهم وان جاروا وان ظلموا ، والله لما يضل الله بهم اكثر مما يفسدون ، والله ان طاعتهم لنبيطة ، وان فرقتهم لكفر . فقال السائل : يا أبا سعيد والله انى لذو مال كثير وما يسرون ان يكون لى امثاله وانى لم اسمع منه الذى سمعت لجزاك الله عن الدين واهله خيراً (٢)

#### الحسن وثورة يزيد بن المهلب :

توفي الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذى كانت حياته حلماً على المجتمع الاسلامى في وقته . وذلك بسبب ان ما د الفتنة وتحقيق العدل الاجتماعى الذى كان يتمناه افلاطون في جمهوريته . لكن سرعان بعد وفاة هذا الخليفة التقى ان طالت الفتنة برأسها من جديد . واخذت البصرة تستمد بسبب الفيلان والفوران السدى لحق بها لاستقبال ثورة جديدة تشبه ثورة ابن الاشعث .

والسبب في هذه الثورة الجديدة ان يزيد بن المهلب استطاع الهروب من السجن الذى كان يعض فيه مدة العقوبة بسبب ما ارتكبه وذلك بامر من الخليفة الراحل عيسى بن يزيد من السجن خوفاً من قسوة الخليفة الجديد ( يزيد بن عبد الملك )

(١) الحسن البصري لابن الجوزى ص ٥٧ .

(٢) الحسن البصري لابن الجوزى ص ٥٧-٥٨ والبيان والتبيين للجاحظ ص ١٤٧

والإبقات الكبرى لابن ح ٧ ص ١١٣-١١٤ ، ومروج الذهب للمسعودى

### الحسن وثورة يزيد بن المهلب :

توفي الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذي كانت حياته حلا على المجتمع الاسلامي في وقته . وذلك بسبب انعدام الفتنة وتحقيق العدل الاجتماعي الذي كان يتناهى افلاطون في جمهوريته . لكن سرعان بعد وفاة هذا الخليفة التقى أن طلست الفتنة برأسها من جديد . وأخذت البصرة تستمد بسبب الفليان والفوران الذي لحق بها لاستقبال ثورة جديدة . تشبه ثورة ابن الأشعث .

والسبب في هذه الثورة الجديدة أن يزيد بن المهلب استطاع الهروب من السجن الذي كان يحض فيه مدة العقوبة بسبب ما ارتكبه وذلك بأمر من الخليفة الراحل حينئذ هرب يزيد من السجن خوفا من قسوة الخليفة الجديد " يزيد بن عبد الملك " ووصل المهلب الى البصرة والتجأ عند قومه الأزدي وأعلن الثورة على الدولة الأموية . على أثر ذلك اتجه وفد الى المهالبة برئاسة الوالي " عدي بن أرطاة " وفي مقدمة الوفد " الحسن البصري " لاقناعهم بالمدول عن الثورة .

وفي هذه المناسبة تكلم الحسن بكلام بليغ قال عنه أحد أعضاء الوفد : ما تمنيت كلاما قط أحفظ الا كلام الحسن يومئذ . كيف لا . . ونحن نحرف فيما ذكرنا رأى الحسن في " الثورة على الحاكم " وأنها كثيرا ما يكون ضررها أكثر من نفعها .

خاطب عبد الملك بن المهلب الوفد قائلا : " انكم واطام عديا على هلاكنا وليست طاعته بواجبة علينا . فانبرى له الحسن ردا عليه : " كذبت " وعندئذ غضب ابن المهلب وقال سابا الحسن : أنت كذبتني يا ابن اللخفاء ؟ ، وأخذ بقائهم سيفه وقال : والله لولا أن أعير بقتلك في منزلك لضربت عنقك ، فانك عبد غـيـرت أهل مصر يتخاشعوك ، وقد حمقت نفسك ، وعدوت طورك وقدرك . ومضى في ثورته لولا أن هداه المفضل بن المهلب والحسن ساكت .

ولعل الحسن كان ينظر الى ثورة ابن المهلب بقلق شديد خصوصا وأن الخليفة التقى عمر بن عبد العزيز كان قد حبس يزيد بن المهلب لفساده . ولأنه ان تولى أمـوال المسلمين فسيفنقها في ملذاته ومراضاته . لم يكتف الحسن بذلك بل ذهب الى المجتمع الذي جمعه يزيد ليخطب فيهم ويدعوهم الى الثورة على الحاكم حينئذ قال الحسن ليزيد وهو يخطب : " والله لقد رأيناك واليا ومولى عليك فما ينبغي لك ذلك " .

وشب من حوله تلاميذه يأخذون بيده وشمه وأجلسوه .

وكان من خطبة يزيد . الدعوة الى سنة الصميرين مدعيا أنه يحمل بها ورد عليه الحسن أيضا على ذلك : " رجوعا الى سنة الصميرين أن يقاد المهلب الى السجن موضع في جبهه " . (١)

وكان قصه ابن عم يزيد أن يقتل الحسن لأن الحسن رد عليه ما دعاه الى قوله للحسن : يا ابن اللخناء . وثار هذا المهلب ليقتل الحسن لولا أن يزيد منعه وكان قد ذهب لتقريب الحسن فخافا من أن يجر هذا القتل انصراف الانصار من حولهم نظرا لمكانة الحسن بينهم .

وكان الحسن يخطب أهل البصرة أيام هذه الفتنة أو الثورة قائلا : " أيها الناس ، الزموا حالكم وكفوا أيديكم واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل بعضكم بعضا على ديننا زائدة ، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بياق وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براحم . انه ليكن فتنة الا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء ، وأهل التيه والخيلاء . وليس يسلم منها الا المجهول الخفر والمعروف التقى " .

وبعد ذلك كف الحسن البصري عن الحديث ضد ثورة ابن الأشعث وابن المهلب وطالب الناس ببدا السكينة والتضرع . والحق أنه استمد ذلك من روح القرآن الكريم وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ويرى الحسن كما عرفنا سابقا أن وجود الحاكم أمر ضروري وما دام يقيم هذه الأمور الأربعة فعالم الثورة . ألا وهي : الحكم ، والفق ، والجمعة ، والجهاد . وبعد هذا يطلب منه أن يعدل في الرعية ويفرق بينهم . وعلى الرعية أن تقابل ذلك بالصبر لأن أثرا الظلم — في نظره — أقل خطارا من تفريق كلمة المسلمين وتمزيق وحدتهم ما يجعل الخير يطمح فيهم ويستعمرهم . (٢)

فعل الحسن هذا لعدة اعتبارات منها : أخذه العبرة والعظة من مقتل سيدنا عثمان وتفريق كلمة المسلمين بعده فخشي أن تعود هذه الروح المتهبة مرة أخرى فعمل على تهدئتها والعمل على الأخذ بيد الأمة من الحديث عن الأشخاص الى الحديث عن المبادئ ، كما أن القاعين على الثورة — في نظر الحسن — لم يكونوا على دين قويم وليست بثورتهم لله (٣) ، الى غير هذا من الاعتبارات الكثيرة المعقولة .

(١) ، (٢) ، (٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٥ ص ٣٢٥ وما بعدها ، وتفسير القرآن للطبري ج ٦ ص ٢ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٣ ص ٢٨٠ وما بعدها ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٦٣ — ٢٦٦ ، ١٢٢٥ ، والحسن البصري لابن الجوزي ص ٥٧ ، والبيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٢٧٧ ، والحسن البصري للدكتور احسان عباس ، وبحث عن الحسن البصري للشيخ باس أعيان بمجلة العربي الممدد ١٤٧ ، وتاريخ الذهبي ج ٤ ص ١١٩ .

موعظة الحسن للحكام :

بعد أن عرفنا موقف الحسن من الثورات الداخلية ضد حكام الدولة نذكر طرفاً من موعظة الحسن لهؤلاء الحكام لئلا يتبادر إلى الأذهان أنه كان يناقش الأحداث جنوحاً إلى السلامة كما يفعل الكثير من العلماء في كل زمان .

ومن هذه الموعظ التي كان لها فعل السحر في القلوب لأنها تصدر عن قلب مفعم بالحب والاخلاص لدينه ومجتمعه ما يلي :

لما تولى خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز أمر الخليفة أرسل إلى الداعية المخلص الحسن البصري يطلب منه أن يصف له الامام العادل حتى يسير عليها فكسب إليه الحسن يقول :

صفة الامام العادل : " اعلم يا أمير المؤمنين : أن الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصالح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفرج كل ملهوف . والامام العادل يا أمير المؤمنين : كالراعي الشفيق على ابله ، الرقيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى ، ويذودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ويكتنفها من أذى الحر والقر . والامام العادل يا أمير المؤمنين : كالأب الحاني على ولده ، يسعى لهم صفاراً ويحلمهم كباراً ، يكتسب لهم في حياته ، ويدخر لهم بماتته .

والامام العادل يا أمير المؤمنين : كالأم الشفيقة ، البرة الرفيعة بولدها ، حمله كرها ووضعت كرها ، ورنته طفلاً ، تسهر بسهره وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة وتقطعه أخرى ، وتفرج بحافيته ، وتختم بشكايته . والامام العادل يا أمير المؤمنين : وصي اليتامى ، وخازن المساكين يربى صفارهم ، ويمون كبيرهم .

والامام العادل يا أمير المؤمنين : كالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوانح بصلاحه ، وتفسد بفساده .

والامام العادل يا أمير المؤمنين : هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلامه ويسمعهم وينظر إلى الله ويرىهم ، وينقاد إلى الله ويقوده .

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحقاقه ماله  
وعياله ، فبدد المال وشرد الحيال ، فأفقر أهله وقرى عياله . واذكر يا أمير  
المؤمنين : الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه فتزود له ولما يصده  
من الفزع الأكبر .

واعلم يا أمير المؤمنين : أن لك منزلا غير منزلك الذى أنت فيه يطول فيه  
ثوابك ، ويفارقك أجبائك ، ويسلمونك فى قعره فريدا وحيدا ، فتزود له ما يصحبك :  
" يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه " . واذكر يا أمير المؤمنين :  
إذا بخر من فى القبور ، وحصل ما فى الصدور ، فالأسرار ظاهرة ، والكتاب لا يفاد  
صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

فالآن يا أمير المؤمنين : وأنت فى مهل ، قبل حلول الأجل ، وانقطاع الأمل ،  
لا تحكم فى عباد الله بحكم الجاهلية ، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ، ولا تسلط  
المستكبرين على المستضعفين ، فانهم لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا زممه ، فقبضوا  
بأوزارك . وأوزار مع أوزارك ، وتحمل أثقالك وأثقال مع أثقالك ، ولا يفرك الذى ين  
ينصمون بما فيه بؤسك ، ويأكلون الطيبات فى دنياهم يذهب طيباتك فى آخرتك .  
لا تنظر الى قدرتك اليوم ، ولكن انظر الى قدرتك غدا ، وأنت ما سورت فى حبال  
الموت ، وموقوف بين يدي الله فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين ، وقد غشت  
الوجوه للحق القيوم . انى يا أمير المؤمنين ، وان لم أبلغ بعظمتى ما بلغه أولو النهى  
من قبلى ، فلم آلك شفقة ونصحا ، فأنزل كتابى اليك كمدادى حبيبى . يسقيه الأدوية  
الكهرسبية . لما يرجوله فى ذلك من الحافية والصحة ، والسلام عليك يا أمير  
المؤمنين ورحمة الله وبركاته " (١) .

فهذه الرسالة من قلب الحسن لا شك أنها تصل فوراً وبدون استئذان الى  
قلب الخليفة التقي عمر بن عبد العزيز وإلى كل قلب مؤمن . ولم تكن مجرد موعظة  
ألقيت للاستهلاك المحلى كشأن آلاف المواعظ التى تلقى وينتهى مفعولها عقب الانتها  
من سماعها . ولكن رسم الحسن — رحمه الله — فى هذه الموعظة الخطوط المريضة  
لما يجب أن يكون عليه حاكم الدولة نحو الرعية . بما جعل الموعظة باقية الى اليوم  
والى أن يرث الله الأرض ومن عليها .



وكما يقول الدكتور عبد الرازق حميد في وصف هذه الرسالة أو الميعظة •  
( ولو أن فيلسوفا أخلاقيا تخير حاكما لمدينة فاضلة ما اختار إلا ما وصفه الحسن  
البصري حاكما ، يصلح حياتها وجعلها نعيمًا ) • (١)

من أجل هذا يقتضينا المقام أن نلقى نظرية غريبة على أهم محتويات هذه  
الرسالة وحينما نفصل ذلك نجد أنها بينت فكرة في الخلافة لم تألفها منذ عهد  
الخلفاء الراشدين • فالخليفة ملجأ للناس ، وقد مثله الحسن البصري في هذه الرسالة  
بأنه الراعي الشفيق أو الأب الحاني ، أو الأم الرفيقة ، وهو أيضا وصي اليتامى  
والخازن للمساكين ، وبين بأنه فيهم بمنزلة القلب من الجسد يصلح بصلاحه ويفسد  
بفساده • وهو أولى الناس باتباع أوامر الله وحمل غيره عليها ، على هذا فليكن  
أحرص الناس على الحدود ، وعلى تذكر الموت قبل حلول الأجل ، وليعمل عملا صالحا  
يرجوه ثواب الله في الدار الآخرة • معنى هذا أن الخليفة خادم للأمة متحمل  
لأعبائها حتى أن الشعراء في عهد عمر بن عبد العزيز لم يستطيعوا بسبب نصيحة العالم  
للراعي واستجابة الأخير للنصيحة أن يخرجوا عن هذا الإطار • • • • • والدليل على  
هذا ما يقوله أحد هم وهو كثير :

وليت فلم تهنم عليا ولم تخف • • • • • تبريا ، ولم تقبل إشارة مجرم  
وصدقت بالفمل العقل مع الذي • • • • • أتيت ، فأمسى راضيا كل مسلم

ويقول جرير :

أنت المبارك والمهدي سيرته • • • • • تعصى الهوى وتقوم الليل بالسور (٢)

ولم من تأثر الخليفة التقى — عمر بن عبد العزيز — بواعظ الداعية إلى الله  
الحسن البصري أنه أرسل ذات يوم إلى عامله بالبصرة عدي بن أرطاة هذه الرسالة  
يقول فيها : ( وأيم الله لحسبك بالحسن " البصري " فإذا أناك كتابي هذا  
فسل الحسن لي ولك ولل مسلمين • • • فرحم الله الحسن ، فإنه من الاسلام بمنزل  
ومكان ، ولا تقرئنه كتابي هذا • • • ) (٣)

وليست رسائل الحسن إلى الخليفة على وتيرة واحدة بل من رسائله أو مواعظه  
ما هو متوسط كالذي ذكرناها سابقا ومنها ما هو قصير كرسالته إليه يوما يقول :

(١) أدب الخلفاء الأمويين للدكتور عبد الرازق حميد ص ٢٣٠ ، مكتبة الانجلو

المصرية — ١٩٤٩ •

(٢) المرجع السابق ص ٢٣١ •

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٠١ •

( أما بعد : فكانت باله نيا لم تكن وما الآخرة لم تنل والسلام ) ، وأخرى يقول فيها :  
( ان فيما أمرك الله به شغلا عما نهاك عنه . والسلام ، وكتب اليه مرة يعزيه فسى  
ابنه عبد الملك ببيت من الشعر وهو :

وعرضت أمرا من فقيده فلم يكن . . فقيده لا يأتي وأجرك يذهب . . (١)

ومن رسائله الى عمر ما هو طويل مثل هذه الرسالة التي سنجتري بعضها منها :  
( اعلم ان التفكير يدعو الى الخير والمعمل به ، والندم على الشر يدعو الى تركه ، وليس  
ما يغني وان كان كثيرا يعدل ما يبقى وان كان طلبة عزيزا ، واحتمال المؤنة المنقطعة  
التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤنة باقية ، فاحذر  
هذه الدار الصارعة الخادعة الخائلة التي قد تزينت بخدعها ، وغرت بفرورها ، وقتلت  
أهلها بألمها ، وتشوقت لخطابها ، فأصبحت كالمرورس المجلوة . العيون اليها ناظرة ،  
والنفوس اليها عاشقة ، والقلوب اليها والهبة ، ولألبابها دافعة ، وهي لأزواجهم كلهم  
قاتلة . فلا الباقي بالماضي معتبر ، ولا الآخر بما رأى من الأول مزدر ، ولا اللبيب  
بكثرة التجارب منتفع ، ولا الحارث بالله والمصدق له حين أخبر عنها مذكر . فأبست  
القلوب لها حبا ، وأبت النفوس لها الاضنا ، الى آخر هذه الرسالة (٢) . هذه  
هي الموعظة الحسنة كما يراها وطاشها الحسن البصري في دعوته الى الله تعالى وتبليغ  
رسالة نبيه عليه الصلاة والسلام .

أرسل اليه الحجاج بن يوسف الثقفي — وكان واليا على البصرة — يوما قائلا له :  
" ما تقول في علي وعثمان ، وهو يريد النيل من علي ، فأجابه الحسن : " أقول قول  
من هو خير مني عند من هو شر منك " . قال فرعون لموسى : ( ما بال القرون الأولى قال عليها  
عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ) وقد بلغ من تعريض الحسن بالحجاج مبلغا  
وصل من التلميح الى التصريح دون أن يخاف بطشه . فقال يوما — رحمه الله — والحجاج  
يبنى مدينة واسط التي مات فيها : " يعمد أحدهم الى قصر فيشيد ، والى فرش  
فينجده والى ملابس ومراكب فيحسب منها ، ثم يحف به ذباب طمع ، وفراش نار ، وأصحاب  
سوء فيقول : " انظروا ماذا صنعت . . ؟ فقد رأيتموها أيها المضرور ، فكان  
ماذا يا أفسق القاسقين . الى آخر ما قال . . (٣) .

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ص ٩٦ — ٩٨ ، وأما المرتضى — القسم الاول —  
ص ١٢٢ وما بعده .

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ج ٢ ص ١٣١ — ١٤٥ ،  
الطبعة الأولى : ( ١٣٥١ هـ — ١٩٣٣ م ) .

(٣) الحسن البصري لابن الجوزي ص ٥٣ وما بعده .

وروى ابن خلكان في وفيات الأعيان قال : " لما ولى عمر ابن هبيرة الفزاري  
 البصري ، وأضيفت اليه خراسان ، وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك ، استدعى الحسن  
 البصري ، ومحمد بن سيرين ، والشعبي ، وذلك في سنة ثلاثة ومائة فقال لهم : ان  
 يزيد خليفة الله استخلفه على عبادته ، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته ، وأخذ عهدنا بالسمع  
 والطاعة ، وقد ولاني ما ترون ، فيكتب الي بالأمر من أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الأمر  
 فما ترون ؟ قال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه ثقة ، قال ابن هبيرة : ما تقول يا حسن ؟  
 فقال : يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله ، ان الله يمنحك ممن  
 يزيد ، وان يزيد لا يمنحك من الله ، وأوشك أن يبعث اليك ملكاً فيزيلك عن سريرك ،  
 ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك الا عظمك . يا ابن هبيرة . . ان  
 تمص الله فأنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده ، فلا تركبن دين الله  
 وعباده لسلطان الله ، فان لا طاعة لمخلوق في محصية الخالق " . فأجازهم ابن هبيرة ،  
 وأضعف جائزة الحسن ، فقال الشعبي لابن سيرين فسفنا له فسفسف لنا " .

هذا هو المنهج الذي سار عليه الحسن البصري في دعوته الى الله تعالى ،  
 في ضوء ما جاء به القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وكان — رحمه الله — فوق كل هذا قدوة طيبة لغيره لأن القدوة لها أثر كبير  
 في نشر رسالة الاسلام .

قال تعالى في محكم تنزيله : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . . (١) " .  
 وقال أيضا : " وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه . . (٢) " .

معنى هذا أن يكون القدوة الطيبة للداعية المخلص الرسول صلى الله عليه وسلم .  
 وأن يتفق سلوك الداعي الى الله سبحانه وتعالى الداخلى مع سلوكه الخارجى . اذ أنه  
 تربية والتربية بالفعل أجدى وأنفع على الانسان من التربية بالأقوال وصدق الامام  
 الفزالي في قوله : " على رجل في ألف رجل خير من كلام ألف رجل في رجل " .

(١) سورة الأحزاب آية ٢١

(٢) سورة هود آية رقم ٨٨

والحسن البصرى رحمه الله كان قدوته دائما المصطفى صلى الله عليه وسلم . يظهر لنا هذا بوضوح حينما تحدثنا عن حياته وتكوين شخصيته فى الباب الثانى من الرسالة وعلى سبيل المثال : قهـل ليونس بن عبيد : " هل رأيت رجلا يحمل بمثل الحسن البصرى - قال : رحم الله الحسن والله ما أعلم أحدا يقول بقوله فكيف يحمل بمثله كان والله اذا ذكرت النار عنده كأنها لم تخلق الا له . واذا ذكرت عنده الجنة كأنها لم تخلق الا لغيره " . لهذا كان دائما قلبه حيا ولم يكن ميتا . قال مالك بن دينار : قلت للحسن ما عقوبة العالم اذا أحب الدنيا ؟ قال : موت القلب ، فاذا أحب الدنيا طلبها بمثل الأخيرة ، فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم ويبقى عليه رسمه (١) .

وكتب اليه مرة الخليفة التقي عمر بن عبد العزيز : كيف حبك الدنيا والدرهم قال : لا أحبهما . فكتب اليه : تول فانك تصـدل (٢) .

وهكذا كان الحسن دائما بعيدا عن زخرف الحياة الدنيا وزينتها . ولذا كان أيضا قدوة لغيره من الدعاة الى الله تعالى كما كان الحسن البصرى دائما المقارنة بين عصر الراشدين ، وما آل اليه أمر المسلمين . ولا شك أن هذه المقارنة لها تأثير كبير فى النفوس . وكان - رحمه الله - اذا تكلم فى هذا الموضوع أثار الأشجان وأعاد الى الأذهان حياة الخالفة الراشدة .

فيحمد أن يذكر الناس بأحوالهم التى وصلوا اليها يقودهم بحد هذا الى عهد الصحابة عليهم رضوان الله تعالى فيقول : " انما دين أحدكم لمعة على لسانه اذا سئل أمؤمن أنت بيوم الحساب ؟ قال : نعم كذب وما لك يوم الدين . ان من أخلاق المؤمن قوة فى دين وإيمانا فى يقين وعلم فى حلم وحلم فى علم وكيسا فى رفق وتحملا فى فاقة وقصدا فى غنى ، وشفقة ، ورحمة لمجهود ، وعطاء فى الحقوق ، وانصافا فى الاستقامة لا يحيف على من ييخض ولا يأثم فى مساعدة من يحب ، ولا يهزم ولا يغمز ، ولا يلمز ، ولا يلمهو ، ولا يلغو ، ولا يتجاوز فى القدر ، ولا يسر بالمعصية اذا نزلت بسواه . المؤمن فى الصلاة خاشع والى الركوع مسارع قوله شفاً وصبره تقى وسكونه فكـره ونظره غيره . يخالط العلم ليصل ويسكت بينهم ليسلم ، ويتكلم ليختم . ان أحسن استبشر ، وان أساء استغفر ، وان عتب استعتب وان سفه عليه حلم وان ظلم صبر وان جبر عليه عدل ، ولا يحوذ بخير الله ، ولا يستعmin الا بالله . . . . . وقال الحسن :

(١) البداية والنهاية فى التاريخ لابن كثير ج ٩ ص ٢٦٨ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٧٥ .

أدركت سبعين بدنيا كان لباسهم الصوف لورأيتهم قلتم مجانين ولو رأوا  
أخياركم قالوا : ما لهؤلاء من خلاق • ولورأوا أشراركم قالوا : ما يؤمن هؤلاء  
بيوم الحساب • (١) ، وقال الحسن : والله لقد أدركت أقواما ما طوى لأحدهم في  
بيته ثوب قط ، ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط ، وما جعل بينه وبين الأرض شيئا قط ،  
وان كان أحدهم ليقول : لوددت أنى أكلت أكلة في جو في مثل الآجرة • (٢)  
ويقول : بلغنا أن الآجرة تبقى في الماء ثلاثمائة سنة • ولقد أدركت أقواما ان كان  
أحدهم ليرث المال العظيم قال : وانه لمجهود شديد الجهد ، قال : فيقول لأخيه :  
يا أخى انى قد علمت أن ذا ميراث وهو حلال ولكنى أخاف أن يفسد على قلبى وعلمى  
فهو لك لا حاجة لى فيه ، قال فلا يبرأ منه شيئا أبدا وانه مجهود شديد الجهد •••

### أسلوب الحسن فى الدعوة الى الله تعالى :

أسلوب الحسن البصرى فى الدعوة الى الله تعالى • له مظاهر معينة نجملها  
فيما يلي :

يتميز أسلوب الحسن فى خطبه ، ومواعظه ، ورسائله •• بكثرة الحذف  
والاكتفاء بأقل قدر ممكن من الكلام ، وكثرة الصيغ الاستفهامية ، وقصر الفقرات ، والمزاوجة  
بين الأسلوب الخبرى والانشائى ، وموفرة أدوات التوكيد والتكرار اللفظى ، وعدم  
الربط بين الفقرات غالباً فتبدو كل فقرة موعظة مستقلة بذاتها ، هذا الى كثرة ورود  
التحذير والاغراء فيه ، والقسم • ويتمثل هذا كله فى الموعظة التالية :  
” يا ابن آدم ، بع دنياك بأخرتك تريحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتعسرهما  
جميعاً • يا ابن آدم ، اذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه ، واذا رأيتهم فى  
الشرف فلا تغبطهم به • الشواء هنا قليل ، والبقء هناك طويل ، أمتكم آخر الأمم  
وأنتم آخر أمتكم • وقد أسرع بخياركم ، فماذا تنتظرون ؟ المعاينة ؟ فكان قد  
هيئات ، هيئات ، ذهبت الدنيا بحاليها ، وبقيت الأعطال ثلاث فى أعناق بنى آدم  
فيالها موعظة لو وافقت من القلوب حياة • أما أنه والله لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبي بعد  
نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم ، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ، وانما ينقظ  
بأولكم أن يلحق آخركم • من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غدا رائحا ،

(١) الكواكب الدرية للمناوى — ترجمة الحسن البصرى ، والحسن البصرى لابن

الجوزى ص ١٩ •

(٢) حلية الأولياء لأبى نعيم ج ٢ ترجمة الحسن البصرى •

لم يضع لبننة على لبننة ، ولا قصبية على قصبية . رفع له علم فشمروا اليه . فالوحاء الوحاء ، والنجاء النجاء . علام تخرجون ؟ أتيتهم ورب الكعبة قد أسرع بخياركم وأنتم كل يوم تزدلون ، فماذا تنتظرون ؟ \* (١) .

كما يتميز أسلوب الحسن أيضا : بكثرة الالتفات الجري . الحاد المفاجئ السريع . ويظهر هذا بوضوح في كلمته بعد زيارته لقصر الحجاج بن يوسف الثقفي . وهذه الكلمة عرضناها سابقا في نماذج نجوى منها ما يلي : " ان الطوك ليرون لأنفسهم ، وأنا لنرى كل يوم فيهم عبرا ، يحد أحدهم الى قصر فيشسيده ، والى فرش فينجدده ، والى ملابس ومراكب فيحسنها ، ثم يحفبه ذباب طمع ، وفراش نار ، وأصحاب سوء فيقول : انظروا ما صنعت ؟ فقد رأيناك أيها المفسد ، فكان ماذا يا أفسق الفاسقين ؟ \* (٢) .

ومما يتميز به أسلوب الحسن كذلك في كلامه . كثرة الاقتباس من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وفي بعض الأحيان يتمثل الحسن ببعض الحكم وأقوال الصالحين ، خاصة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال الحسن البصري لثابت البناني في مرضه مرضها : أوصني ، فقال : أوصيك بيوم " ترجمون فيه الى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون " (٣) . قال : فقال الحسن : " انا لله وانا اليه راجعون " (٤) آية من كتاب الله جل وعز ، كأنى ما سمعت بها الا الساعة يستخرج على غفلته ونسيانه . (٥) وقال الحسن : " لا يزال الحبد بخير ما علم ما الذي يفسد عليه عمله " (٦) . وقال : " ان الظافى أساء وتحنى ، وان المؤمن أحسن وأشفق ، ثم قرأ " ولئن رجعت الى ربي ان لى عنده للحسنى " (٧) . وقال الحسن البصري في موعظة له : " لو تكاشفتم ما تدافنتم ، تهادىتم الأطباق ولم تتهادوا النصائح . قال ابن الخطاب : رحم الله من أهدى الينا مساوينا . أعمدوا الجواب فانكم مسئولون . المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكنه أخذ من قبل ربه ، ان هذا الحق قد جهد أهله وحال بينهم وبين شهواتهم ، وما يصبر عليه الا من عرف فضله ، ورجا عاقبته ، فمن حمد الدنيا ذم الآخرة ، وليس يكره لقاء الله الا مقيم على سخطه . \* (٨)

- (١) البيان والتبيين للجاحظ - تحقيق الأستاذ حسن السندوي ج ٣ ص ٧٦ .  
 (٢) الحسن البصري لابن الجوزى ص ٥٣ . (٣) سورة البقرة آية ٢٨١ (٤) سورة البقرة آية ١٥٦  
 (٥) (٦) (٧) الدعاية لحقوق الله للمحاسبي ص ٦١ ١٨٥ - الطبعة الثالثة  
 ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م . والآية من سورة فصلت رقم ٥٠ .  
 (٨) البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ٧٧ .

ويظهر من أسلوب الحسن اهتمامه بالأفكار والمعاني لأنها هي التي تدخل في القلوب ، ومن استئذان • وهذا لا يجعله يهتم كثيرا بالزخرف اللفظي ، ولذا كان الحسن لا يتكلف السجع أبدا • ومع هذا فبسبب قدرته على الكلام أو الكتابة فقد كان اللفظ يجي في صورة بدیحة كأنه تكلف ذلك •

قال الحسن البصري : " أيها الناس انكم لا تتألون ما تحبون الا بترك ما تشتهون ولا تدركون ما تأملون ، الا بالصبر على ما تكرهون • • الصبر كنز من كنوز الجنة ، وانما يدرك الانسان الخير كله بصبر ساعة • • " (١) .

وكان الحسن البصري متأثرا بالسور المكية التي تبرز موقف الناس يوم القيامة • وقد عرفنا كمثال لذلك فيما سبق كيف ألقى الحسن الضوء " الهاكم التكاثر " • وهكذا في معظم السور المكية •

وما يتميز به أسلوب الحسن الحدقة في اللفظ ، والاندفاع في التعبير ، ويجنح أحيانا الى ألفاظ التمنييف والذم مثل : لكع وفاسق ، ومغرور ونحو ، كالذي وجدناه في الأمثلة السابقة • خاصة حينما يدخل قصر الحجاج • • • • • وكقوله أيضا من كلام له : " مؤمن منهم ، وطلح مغتم ، وأعرابي لا فقه له ، وموافق مكذب ، ودينياوى مترف نحمق بهم ناعق فاتهموه ، فرائى نار ، وذببان طمع " (٢) •

ومثل خطبته الرائعة التي كان يثبط بها همم أهل البصرة في عدم المشاركة لقتال أهل الشام مع يزيد بن المهلب حتى تمنى الخطيب المشهور ونحو عبد الله بن عبد الله بن الأهمم أن يحفظ كلامه ومن هذه الخطبة : " والله لقد رأيناك واليا ومولى عليك فما ينبغي لك ذلك • ومنها : " انما كان يزيد بالأمر يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ثم يسرح بها الى بنى مروان يريد بهلاك هؤلاء رضاشم ، فلما غضب غضبة نصب قصباً ثم وضع عليها خرقة ثم قال : انى خانفتهم فخانفوه • قال هؤلاء : نعم • وقال : انى أدعوكم الى سنة المسلمين ، وان من سنة المسلمين أن يوضع قيد فى رجله ثم يرد الى محبس عمر الذي فيه حبسه • الى آخر ما قال • •

(١) الحسن البصري لابن الجوزي ص ٢٣ •

(٢) البيان بالتبيين للجاحظ ج ٣ ص ١٣٦ ، الخطابة العربية في عصرها الذهبي للدكتور احسان انصار ص ٣٧٢ ، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ •

وهذا انعكاس لطبيعة الحسن الحادة الحنيفة بسبب العصر الذي عاش فيه —  
وقد عرفنا في الباب الأول من الرسالة ماذا كانت طبيعة هذا العصر • وذكر الدكتور  
النص أن الحسن البصري استطاع من طريق الأفكار التي كانت تشتمل عليها مواعظه ،  
ومن طريق الأسلوب الشيق الذي كان يتخذ أداة لعرض أفكاره هذه • وبفضل طريقته  
الحماسة الخاصة في الظاهر مواعظه وسعته المهيبة ، استطاع من طريق هذا كله أن ينفذ  
إلى قلوب سامعيه وأن يبلغ من نفوسهم كل مبلغ • فما كانوا ينصرفون من حلقته إلا بقلوب  
واجفة وعيون دامعة •

وكانت مواعظه تبحث في نفوسهم النفرة من الدنيا ، والزهد في حطامها فيخرجون  
من مجلسه ولا يحدون الدنيا شيئاً • ولم يكن أثر هذه المواعظ مقصوراً على عامة الناس  
وحدهم ، بل كان يشاركهم في ذلك كبار الفقهاء والعلماء والوعاظ •

وقد أقر فقهاء مكة حين سمعوا كلامه أنهم لم يروا مثل الحسن قط • وكان إذا ذكر  
عند محمد بن علي بن الحسين قال : " ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء " (١)

### الموضوعات التي تناولها الحسن في دعوته إلى الله :

بعد أن عرفنا منهج الحسن البصري في دعوته إلى الله تعالى • نتعرف على  
الموضوعات التي كان يتناولها في تبليغ هذه الرسالة العالمية وهذه الموضوعات  
كثيرة ومتنوعة • لأن الحسن — رحمه الله — كما أوضحنا سابقاً كان يسخر كل إمكانياته  
لأجل هذه الدعوة المباركة ولكننا مع تشعب هذه الموضوعات المختلفة نضع بين يدي  
الباحثين نماذج من هذه الموضوعات حتى يتضح لنا اهتمام الحسن في أداء هذه  
الأمانة التي حملها على عاتقه •

### منها : تركيزه على حقيقة الموت والتزود للآخرة :

جعل الحسن البصري بؤرة دعوته تقوم على تذكير الناس بحقيقة الموت الرهيب  
وتجليته أمام الأنظار • ولهذا كانت دعوته كثيراً ما تجنح إلى ذم الدنيا  
ومشغلاتها وما فعل الحسن ذلك إلا ليحول بين الفرد والانحراف في تيسار  
مسح الحياة كما جعل الحسن الآخرة بؤرة دعوته والتي يوصل إليها الموت •

(١) الخطابة المصيرية في عصرها الذهبي للدكتور احسان النص ٣٧٣ ، حلية الأولياء  
لأبي نعيم ج ٢ ص ١٥٨ ، ١٤٧ ، طبقات ابن سعد ج ٧ — ترجمة الحسن  
البصري •



ومما قاله في ذلك في رسالة طويلة أرسلها الى عمر بن عبد العزيز : ( . . ) والله لو كانت الدنيا من أراد منها شيئا وجده الى جنبه من غير طلب ولا نصب غير أنه اذا أخذ منها شيئا لزمته حقوق الله فيه وسأله عنه ووقفه على حسابه لكان ينبغي للماعل أن لا يأخذ منها الا قدر قوته وما يلقي ، حذر السؤال وكراهية لشدة الحساب . وانما الدنيا اذا فكرت فيها ثلاثة أيام ، يوم مضى لا ترجوه ، ويوم أنت فيه ينبغي لك أن تفتتسه ، ويوم يأتي لا تدري أنت من أهله أم لا ؟ ولا تدري لمهلك تموت قبله . فأما أمس فحكيم مؤدب ، وان كنت قد أضفته فقد جاءك خلف منه وقد كان عنك طويل الميمنة وهو الآن عنك سريع الرحلة ، وغدا أيضا في يدك منه أمله . فخذ الثقة بالعمل ، واترك الضرر بالأمل قبل حلول الأجل ، وإياك أن تدخل على اليوم هم غد أو هم ما بعده . زدت في حزنك وتمبك وأردت أن تجمع في يومك ما يكفيك أيامك ، هيهات كثر الشغل وزاد الحزن وعظم التعب وأضاع المجد المحلل بالأمل . ولو أن الأمل في غبك خرج من قلبك أحسنت اليوم في عملك ، واقتصرت لهم يومك ، غير أن الأمل منك في الغد دعاك الى التفريط ، ودعاك الى المزيد في الطلب ولئن شئت واقتصرت لأصفن لك الدنيا ساعة بين ساعتين ساعة ماضية ، وساعة آتية ، وساعة أنت فيها . فأما الساعة الماضية والباقية فليس تجد لراحتهما لذة ، ولا لبلاهما ألما . وانما الدنيا ساعة أنت فيها فخذتلك تلك الساعة من الجنة وصيرتك الى النار ، وانما اليوم ان عقلت ضيف نزل بك وهو من تحل عنك فان أحسنت نزله وقراء سهرلك وأثنى عليك بذلك وصدق فيك ، وان أسأت ضيافته ولم تحسن قراء جال في عينيك ( . . ) (١) .

هذه هي حقيقة الدنيا في نظر الحسن البصري — رحمه الله — وأن الموت آت لا ريب فيه . . . ولذلك كان يقول : " ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من يقينا بالموت وعملنا لغيره " . من أجل هذا كان الحسن — رحمه الله — يركز على عدم الاغترار بالدنيا كما يركز على التزود بالآخرة . . . " وان الدار الآخرة لى الحيوان لو كانوا يعلمون " . وفي هذا المعنى يقول الحسن البصري : " يا ابن آدم . . . بئس دنياك بأخوتك ترحمها جميعا ، ولا تبع أخوتك بدنياك فتخسرهما جميعا ، يا ابن آدم . . . اذا رأيت الناس في الخير فتأفهم فيه ، واذا رأيتهم في الشر فلا تفبطهم عليه " . (٢) .

- (١) حاشية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج ٢ ص ١٤٤ — ١٤٥ .  
(٢) الفبطة : حسن الحال ومغناه أن تمنى ما لغيرك دون أن ترد زواله وفي الحديث : أقوم مقام ما يغبطني فيه الأولون والآخرون .

(١) الثواب هنا قليل ، والبقاء هناك طويل ، ذهبت الدنيا بحا ليها (٢) ومقيت الأعمال قلادة في أعناق بني آدم ، فيالها (٣) موعظة لو وافقت من القلوب حياة .. أتيتهم ، ورب الكعبة ، قد أسرع بخياركم ، وأنتم كل يوم تزدلون (٤) . فماذا تنتظرون ؟ يا ابن آدم طمأ الأرض بقدمك فانها عما قليل قبرك ، واعلم أنك لم تنزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك .

لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم الا قرة العين (٥) ، وجلال الصدر ، ولقد رأيت أقواما كانوا من حسناتهم أشفق من أن ترد عليهم ، منكم من سيئاتكم أن تحذبوا عليها ، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أرهق منكم فيما حرم عليكم منها . لو تكاشفتهم (٦) ما تدافنتم ، تهاديتهم الأطباق ولم تتهادوا والنصائح .

في هذا النص للحسن البصري الذي دعا فيه الى التزود للآخرة نلمح ما يأتي :  
حضى الحسن — رحمه الله — على ايثار الآخرة على الأولى — الدنيا — فان من ترك الأولى رغبته في الآخرة ، فازبالأولى والآخرة ، ومن أكل بدينه وجعله مطية لنيل الدنياسا خسر الدين لأنه تعدى حدوده ، وخسر الدنيا لأنها فانية لا بقاء لها . وحضى على التنافس في الخير ، فعلى المؤمن اذا رأى أحدا يعمل الخير أن يتخذة أسوة وينافسه فيه ، كما نهى عن الانزلاق في الشر مهما كان أصحابه في سعادة ، ورفاهية عيش ، لأن عاقبة الشر وخيمة .

ولم يترك الحسن هذا الكلام على علته . بل علل ذلك بأن الدنيا دار مسر ، والآخرة دار مقر وأن كل ما في هذه الحياة الفانية التي لا بقاء لها سوا كان خيرا أم شرا ذاهب ، ولا يبقى للإنسان الا عمله الصالح يطوقه يوم القيامة فيكون له قلادة جميلة أو غلا قاتلا والحياد بالله . ثم نظر الحسن الى الناس نظرة فاحصة . ونبههم الى أن الشر جاءهم ، فقد ذهب الخيار ، وهم كل يوم في نقصان ، وإذا كان الأمر كذلك ، فعلى الانسان أن يكده ويكدح للوصول الى السعادة الحقيقية في الآخرة ، وعليه أيضا أن يسرع بذلك لأنه لم يبق وقت للانتظار والتعمل ، كذلك لم يبق شيء ، للإنسان ينتظر منه السرور .

(١) الثواب : الاقامة . ويريد " بهنا " الدنيا ، و " بهناك " الآخرة . وفي معنى

الثواب يقول تعالى : " وما كنت ثابثا في أهل مدين " .

(٢) أي حال الخير والشر . (٣) يا لها : كلمة تعجب .

(٤) تزدلون : هذه المادة تدل على الردى . من كل شيء .

(٥) قرة العين : يريد بهذه الكلمة أنهم كانوا يسرون النفوس . وفي الحديث : وجعلت

قرة عين في الصلاة . (٦) تكاشفتهم : أي علم بعضهم سر بعضهم .

ولما كان فكر الانسان دائما في الآخرة فانه يرى أن هذه الأرض التي يعيش عليها  
ستكون له قبرا بعده مدة وجيزة • وكل ساعة تمر ، بل كل لحظة تعضي هي جزء من عمر  
الانسان يذهب ، فالانسان دائماً في هدم عمره ••

وهذا يوافق ما قاله الحسن أيضا : \* ابن آدم انما أت عددا فإذا مضى يوم  
فقد مضى بعضك •

ثم يبدأ الحسن في مقارنته بين السلف الصالح وبين غيرهم ، فقال : ان الناس  
الذين صحبهم فيما مضى كانوا قرة العين ، وشفاء لما في الصدور ، وكانوا يخافون  
أن ترد عليهم حسناتهم فلا تقبل منهم أكثر مما يخاف هؤلاء الذين يعيشون بيننا أن  
يحبوا على سيئاتهم • فهؤلاء يلحسون فسى الرجاء أن تغفر لهم السيئات •  
وأولئك يخشون ألا تقبل منهم الحسنات • وشتان ما بين الصنفين • كما كان السلف  
والخلف من شدة ورعهم أنهم كانوا يزهون فيما أحل الله لهم من طيبات الحياة الدنيا  
أكثر مما يزهو الذين يعيشون في عصره فيما حرم عليهم من الخبائث وفي أواخر النص  
الذي نحن بصدده أطلق الحسن - رحمه الله - جملة بليغة • لو نظر الانسان فيها  
بتدبر لمعجب من حكمته وبلاغته ، وهي : لو تكاشفتم ما تدافقتم •

حقا انها لجملة بالغة • • فكل منا يستطيع أن يفهم فيها فهما جديدا ومن  
هذه المعاني التي وردت في فهم هذه الجملة ما يلي :

منها : \* لو علم كل منكم بما يضمه الآخرون له لاستقل كل واحد منكم أن يسعى لتشيع  
جنازة أخيه أو أحد معارفه •

ومنها : لو تكاشف كل منكم عما في نفسه لأخيه ما تدافقتم الأحقاد والأغلال  
ونتيجة لذلك يصوح كل منكم سليم الصدر في حياته •

ومنها : معنى ثالث وهو الأستاذ الدكتور مصطفى التازي : لو علم كل منكم  
مصير أخيه وما يلقاه في قبره من السؤال والأهوال لما رضى أن يدفنه هفوة عليه •

ثم تأتي الجملة الأخيرة في كلام الحسن يتمجج بها من هؤلاء الذين بلغ  
بهم التفاني في الحب للدنيا وخبرفها أن يتهاوا فيما بينهم الطيبات من الحياة

فرحين مسرورين • وبلغ بهم البعد عن الآخرة والزهد فيها ألا يتهادوا  
النصائح التي تنبههم اليها " تهاديتم الأتباع ولم تتهادوا النصائح " (١) •

وهكذا نرى في هذا النص للحسن من الصور البلاغية والاتقان في الأسلوب  
حتى يمكننا أن نسميه بالسهل الممتنع •

ومنها : — أى من الموضوعات التي تناولها الحسن في دعوته — تقوية الوازع الدينى فى الفرد :

هذا الوازع الدينى الذى يقول به الحسن البصرى • هو كذلك الذى يقول  
به علماء فلاسفة الأخلاق فى عصر العلوم والمعارف المختلفة • ومطلقون عليه "الضمير" •  
واضطروا الى المناداة به بعد أن أقلمت علومهم ومعارفهم أن تهيم السعادة للانسان •  
هذا الضمير — الذى يشبه الى حد بعيد ما قاله الحسن — يكون له من السلطان مما  
يجعل منه مصدرا للمسئولية وقيما على الفعل ، ثم شيئا أو معاقبا عليه • • ومنظرة  
فاحصة فى فعل الانسان نحوه يمر بمراحل أو أدوار ثلاثة :

(١) دور تشريح الفعل •

(٢) دور تنفيذ — — — — — •

(٣) دور المحاسبة للثأب أو العقاب عليه •

وكل دور من هذه الأدوار له سلطة ترطاه • • وجميعها تتركز فى هذه القوة  
الكامنة فى الانسان ألا وهى " الضمير " (٢) فى تسميتهم •

وموضح هذا المعنى ما روى عن وابصة بن معبد أنه قال : رأيت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وأنا أريد ألا أدمع شيئا من البر والاثم الا سألت عنه ، فقال لى :  
ادن يا وابصة • فدنوت منه حتى مست ركبتي ركبته فقال : يا وابصة ، أخبرك ما جئت  
تسأل عنه ؟ قلت يا رسول الله أخبرنى قال : جئت تسأل عن البر والاثم • قلت :  
نعم ، فجمع أصابعه الثلاثة ينكت بها فى صدرى ويدق : يا وابصة ، استفت قلبك ،  
البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك فى القلب وتردد فى الصدر

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ٧٦ ، الأدب وتاريخه فى العصور الأمامية

والمعاصى للدكتور طه العطار ، والأستاذ زكى سويم •

(٢) العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع للدكتور محمد عبد الرحمن بيسار  
ص ٢٠٦ — ٢٠٤

وإن أفتاك الناس وأفتوك . (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : " من سزته حسنته وسأئته سيئته فهو مؤمن " (٢)  
هذا الوازع الديني أو الضمير كما يقولون لابد وأن يتربى في ضوء الكتاب والسنة والا  
فسيضل صاحبه مهما بلغ من الأخلاق . لأن القائمين بالضمير إنما يريدون أن يستعينوا  
به عن الدين . حقدا منهم وحسدا . وهيهات هيهات لما يعكرون . نعوذ السي  
الحسن فنرى الفرد في دعوته هو الأساس لتغيير كل الأوضاع والمفاسد نظرا لسوء الحكام  
وتغيير الأحوال ومع هذا كان الحسن يؤمن بأن القوة الفاسدة يمكنها أن تغير الأفراد  
الصالحين إلى الفساد (٣) .

ومن أجل هذا نرى الحسن - رحمه الله - كان يركز دائما على الفرد وتربيته  
الوازع الديني فيه حتى يكون سويا . فبصلاحه تصلح الأسرة وينسده تفسد الأسرة . كذلك  
الأسرة بصلاحها يصلح المجتمع وفسادها يفسد المجتمع .

وعلى سبيل المثال يقول - رحمه الله - في تربية الفرد : رحمه الله امرأ عرف ثم  
صبر ، ثم أبصر فبصر ، فإن أقواما عرفوا فانتزع أبصارهم . فلاحهم أدركوا ما طلبوا ، ولا هم  
رجعوا إلى ما تركوا . اتقوا هذه الأهواء المضلة البعيدة من الله التي جماعها الضلالة  
وميمادها النار لهم محنة ، من أصابها أضلته ، ومن أصابته قتلته . يا ابن آدم دينك  
دينك فانه هو لحملك ودمك ( ان يسلم لك دينك يسلم لك لحملك ودمك ) وإن تكلن  
الأخرى فتموت بالله فانها نار لا تطفى ، وجرح لا يبرأ وعذاب لا ينقذ أبدا ، ونفس  
لا تموت .

يا ابن آدم انك موقوف بين يدي ربك وموتهن بعملك ، فخذ مما في يديك ( لما  
بين يديك ) . عند الموت يأتيك الخبر ، انك مسئول ولا تجد جوابا ، ان العبد لا يزال  
بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه (٤) .

كذلك بين الحسن البصري الفرق بين المؤمن الذي يحاسب نفسه ويلومها وبين الفاجر  
الذي لا يهتم بذلك . فيقول عند تفسير قوله تعالى : " ولا أقسم بالنفس اللوامة " .

- (١) رواه الامامان أحمد بن حنبل والدارقطني في مسنديهم . ان شاء الله حسن . ( جامع  
العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٢١٩ ) . مطبعة مصطفى الطبع .
- (٢) حديث حسن عن أبي موسى ( طب ) . من الجامع الصغير للسيوطي .
- (٣) مذكرة الحسن البصري للأستاذ البيهقي الخولي .
- (٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ترجمة الحسن البصري .

ان المؤمن والله ما نراه الا يلوم نفسه ما أردت بكلمتي ، ما أردت بأكلتي ، ما أردت  
بحديث نفسي ، وان الفاجر يمتنى قد ما قد ما ما يحاتب نفسه .

وقال جوير : بلغنا عن الحسن — البصري — أنه قال في قوله : " ولا أقسم  
بالنفس اللوامة " قال : ليس أحد من أهل السموات والأرضين الا يلوم نفسه  
يوم القيامة . . الى آخر ما قيل في ذلك . . (١) .

وكان رضى الله عنه يضرب المثل للمؤمن الذى يرى يحاسب نفسه . ويقول :  
روى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كان يوقد النار ثم يدنى منها يده ويقول :  
أنظريا ابن الخطاب كيف صبرك على النار ؟ وهل لك قدرة على سخط الجبار ؟  
ثم يستعيز بالله من النار ومن عمل أهل النار . ثم يقول الحسن : اذا كان هذا  
خوف عمر رضوان الله عليه ، وهو ممن شهد له بالجنة ، فكيف أيها الناس تأمنون (٢) ، وقد  
روى المختار بن فلفل عن الحسن — البصري — فى تفسير المحاسبة — وثرية الوازع الدينى —  
فى مستقبل الأعمال ومستدبرها أنه قال : " ان المؤمن قوام على نفسه يحاسبها الله  
عز وجل ، وانما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا ، وانما  
شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة . ثم فسر المحاسبة  
فقال : ان المؤمن يفجؤه الشئ يعجبه ، فيقول : والله انك لتعجبنى ، وانك لمن  
حاجتى ، ولكن هيهات هيهات ، جعل بينى وبينك . فهذا فى مستقبل العمل .

ثم قال : ويفرط منه الشئ " فيرجع الى نفسه ، فيقول لها : ماذا أردت  
بهذا ؟ والله لا أعذر بهذا ، والله لا أعوه لهذا ان شاء الله أبدا فهذا فى مستدبر  
الأعمال . .

ومنها : الحث على مكارم الأخلاق :

من المواضع التى تناولها الحسن البصري فى دعوته الى الله تعالى " الحث  
على مكارم الأخلاق " وفى هذا المعنى يقول رحمه الله : " قضاء حاجته

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٨ .

(٢) الحسن البصري لابن الجوزى ص ٦٣ ، الرطبة لحقوق الله للمحاسبى المتوفى

سنة ٢٤٣ هـ ص ٥٨ — ٥٩ — الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ .

أن مسلم أحب إلى من اعتكف شهر \* . وسأله رجل عن حسن الخلق فقال : " البذل ،  
والعفو ، والاحتفال \* . ويقول : " مروءة الرجل صدق لسانه ، واحتمال مؤونة اخوانه ،  
ومذل المعروف لأهل زمانه ، وكفه الأذى عن جيرانه \* . ويقول : " لو شاء الله عز وجل  
لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ، ولو شاء لجعلكم فقراء لا غنى فيكم ، ولكن ابتلى بعضكم ببعض  
لينظر كيف تعملون \* ثم دل عباده على مكارم الأخلاق فقال سبحانه وتعالى : " ويؤثرون  
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون \* (١) .

ويقول : " عدة الكريم \* فعل وتعجيل ، وعدة اللئيم \* تسويف وتطويل \* .  
ويقول : " كما نعد البخيل فينا الذي يقرض أخاه الدراهم \* . إذ كنا نتعامل  
بالمشاركة والايثار \* . والله لقد كان أحد من رأيت وصحبت يشق إزاره فيؤثر أخاه بنصفه  
ويبقى له ما بقي ، ولقد كان الرجل ممن كان قبلكم يصوم فإذا كان عند فطره مر على بعض  
أخوانه فيقول : انى صمت هذا اليوم لله وأردت أن تقبله الله منى أن يكون لك فيه  
حظ فلهم شيئا من عشاءك فيأتيه الآخر بما تيسر من ماء وتمر \* فيفطر عنده \* . ويتغنى  
إن يكسبه أجرا وإن كان غنيا عن الذي عنده \* . ويقول : " احذر من نقل اليك  
حديث غيرك ، فانه سينقل الى غيرك حديثك \* .

ويقول : " إن لأهل الخير علامة يعرفون بها \* . صدق الحديث ، وأداء الأمانة ،  
والوفاء بالمهد ، وقلة الفخر والخيل \* ، وصلة الرحم ، ورحمة الضعفاء ، ومذل المعروف ،  
وحسن الخلق ، وسعة الطم ، ومث الطم ، وقلة منافقة النساء \* (٢) .

ويقول : " ابن آدم عفا عن محارم الله تكمن عابدا ، وأرض بما قسم الله  
تكن غنيا ، وأحسن جوار من جاورك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن عدلا ،  
وأقلل الضحك فانه يميت القلب \* . كما يموت البدن \* .

ويقول : " ابن آدم انك لن تجمع ايمانا وخيانة ، كيف تكون مؤمنا ولا يأمنك  
جارك ؟ أو تكون مسلما ولا يسلم الناس منك ، أليس قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الحشر آية رقم ٩

(٢) منافقة النساء : مجالسهم

(٣) الحسن البصري لابن الجوزي ص ٢٢ — ٢٣

أنه قال ( لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ) • وكان صلى الله عليه وسلم يقول : ( ليس بمؤمن من خاف جاره بوائقه ) •

ابن آدم أنك لا تستحق حقيقة الإيمان ، حتى لا تعيب الناس بعيب هـ فيك ، فأصلح عيب نفسك قبل نظرك في عيوب الناس ، فإنك لن تصلح من نفسك عيباً ، إلا وجدت عيباً آخر أنت أولى بإصلاحه ، ابن آدم إن تكن عدلاً فاجعل لك من عيوب الناس شغلاً ، فإن أحب العباد إلى الله من كان كذلك •

ابن آدم ما أوهنك وأكثر غفلتك ، تعيب الناس بالذنوب ، وتتساهل من نفسك ، وتبصر القذى في عين أخيك وتمسح عن الجذع معترضاً في عينك ، ما أقل انصافك ، وأكثر حيفك " •

ويقول رحمه الله : " العلم خير تراث ، والأدب أزين خدين ، والتقوى خير زاد ، والعبادة أرسح بضاعة ، والعقل خير وافر ، وحسن الخلق خير قرين ، والحلم خير وزير ، والقناعة أفضل غنى ، والتوفيق خير معين ، وذكر الموت أعظم واعظ " •

ويقول : " أيها الناس ما بالنا نتقارب في العافية وإذا نزل البلاء تباينا ، ما هكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نعوذ بالله من خلاف عليهم " •

وقيل له يا أبا سعيد : " إن قوماً يحضرون مجلسك يحفظون سقطات كلامك ليمسيوك بذلك • فقال : يا ابن أخي لا يكن في ذلك عليك شيء " فأنى طعمت نفس في دخول الجنان ، ومجاورة الرحمن ، ومرافقة الأنبياء عليهم السلام ، ولم أطمعها في السلامة من الناس (١) •

ومنها : الحض على التمسك بكتاب الله والعمل به :

قال الحسن البصري — رحمه الله — : " رحم الله رجلاً خلا بكتاب الله وعرض عليه نفسه ، فإن وافقه حمد به وسأله المزيد من فضله ، وإن خالفه تاب وأناب ورجع من قريب " •

(١) الحسن البصري لابن الجوزي ص ٢٤ — ٢٩ ، والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير ج ٩ ص ٢٦٨ — ٢٧٤ •



وقال : " أيها الناس ان هذا القرآن شفاء للمؤمنين وإمام للمؤمنين فمن اهتدى به هدى ، ومن صرف عنه شقى وابتلئ . ان من شر الناس أقواما قرأوا هذا القرآن لا يعملون بسنته ولا يتبعون لطريقته ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون .

لقد كان من تقدم يقرأ القرآن ويقوم بالسورة منه طول ليلته فاذا أصبح عرف ذلك في وجهه . وان أحدكم يقرأ اليوم القرآن لا يتجاوز لمهواته وأنه سبحانه وتعالى يقول : " كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته " أما والله ما هو حفظ حروفه واضاعة حدوده ، وان أحدكم ليقول : قرأت القرآن كله ما أسقطت فيه حرفا ، كذب لعمرك الله لقد أسقط كله ، والله ما هؤلاء بالقراء ولا الملماء ولا الحكماء ؟ متى كانت القراءة تقول مثل هذا ، أن الله سبحانه وتعالى يقول : " سنلقى عليك قولا ثقيلا " (١) يريد جل ثناؤه الصلابة به ، وقال تعالى : " فاذا قرأناه فاتبع قرآنه " (٢) أى حلل حلاله وحرم حرامه .

لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استكمل حفظ القرآن من أصحابه رضوان الله تعالى عليهم الا نفر القليل استعظما له ومتابعة أنفسهم كحفظ تأويله والعمل به بمحكمه ومتشابهه .

وقال رحمه الله : " قراء القرآن ثلاثة نفر ، قوم اتخذوه بضاعة يطلبون به ما عند الناس ، وقوم أجادوا حروفه وضيعوا حدوده استدبروا به أموال الولاة واستطالوا به على الناس — وقد كثر هذا الجنس من حملة القرآن — فلا كثر الله جمعهم ولا أبعد غيرهم ، وقوم قرأوا القرآن فتدبروا آياته وتداووا به " .

وكان — رحمه الله — اذا قرأ القرآن الكريم قرأه بتدبر وتمعن ووقف عند كل آيتين آياته . ومن أمثلة ذلك :

قرأ يوما قوله تعالى : " وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا " ثم قال : سبحانه الله ما أوسع رحمته وأعم فضله ، وألطف صنعته ، جعل لمن عجز فى النهار خلقا فى الليل ، ولمن قصر فى الليل خلقا فى النهار " .  
وقرأ يوما قوله تعالى : " وتحت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ، ووددنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون " . ثم قال : يا عجباً لمن يخاف

ملكا ، أويبقى ظالما بعد ايمانه بهذه الآية ؟ أما والله لو أن الناس اذا ابتلوا صبروا لأمر ربهم ، لفج الله عنهم كرمهم ولكبرهم جزعوا من السيف فوكلوا الى الخوف ونحوذ بالله من شر البلاء " .

وقرأ قوله تعالى : " اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " . ثم قال : ان العبد اذا قال قولا حسنا ، وعمل عملا صالحا ، رفع الله تعالى عمله ، وان قال قولا حسنا وعمل عملا سيئا ، رده الله سبحانه القول على العمل " .

وقرأ قوله تعالى : " والذين لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما " . ثم قال : عبدا كسب من طيب ، وأنفق قصدا ، وقدم ليوم فقره وشدة حاجته فضلا ثم يقول : وجهوا — رحمكم الله — فضول أموالكم حيث وجهها الله ورسوله ، وضعوها حيث وضعها ، فان الذين كانوا من قبلكم كانوا يأخذون قليلا ويتعاضون من الله جل ثناؤه أنفسهم بالفضل .

وقرأ قوله تعالى : " يوم ينظر المرء ما قدمت يداه " . ثم قال : " ذلك المؤمن الحذر الفطن الكيس ، الذي علم أن له معادا فقدم اليه عملا صالحا ثم قدم عليه فسره وقرأ قوله تعالى : " والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة " . ثم قال : يعملون ما يعملون من بر ، ويقدمون ما يقدمون من خير وهم خائفون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله (١) . الى آخر هذه الموضوعات الكثيرة التي تحدث فيها الحسن البصري رحمه الله في دعوته الى الله تعالى والتي يطول البقا من ذكرها مثل : أهمية العمل الصالح في المجتمع ، وأثر القناعة في حياة الفرد ، وكلامه عن السلف الصالح من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وحثه على الاهتمام بالعلم ، والحلم سيد الأخلاق ، وحديثه عن الحسد وأثره . الخ .

(١) الحسن البصري لابن الجوزي ص ٤٥ — ٤٩ ، والبيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ٧٦ وما بعدها تحقيق الأستاذ حسن السندوي .

## الخاتمة

فى ختام هذه الرسالة نستخلص النتائج التى انتهت اليها ، مع بيان تأثيره فى عصره والمصور التالية • وامكان الانتفاع بأفكاره وآرائه فى نهضتنا الحديثة :

شهد الحسن البصرى فى حياته عصرين متباينين • عصر الخلفاء الراشدين بما فيه من التقرب الى الله سبحانه وتعالى وعدم الانغماس الكامل فى دنيا الناس وزخرف الحياة ، وعصر دولة بنى أمية الذى كثرت فيه الفتوحات الاسلامية ، فأدى هذا الى التحول الحضارى فى المجتمع الاسلامى • ويظهر هذا التحول يوضح فى الأحوال الاجتماعية ، والسياسية ، والفكرية • فمن الناحية الاجتماعية أخذ الكثير من المسلمين يقلدون أهل البلاد التى فتحوها • وما ساعدهم على أخذ هذه العادات - كما عرفنا سابقا - اقتداء بعض خلفاء بنى أمية بحكام الفرس والروم من حيث الأخذ بمظاهر الحضارة الأجنبية ، والتمتع بمباهج الحياة والاقبال على ألوان اللهو والترفيه الى غير ذلك من زينة الدنيا ...

وعلى سبيل المثال كان المسكن ، والملبس ، والطعام ، والشراب •• فى عهد الراشدين على حد البساطة ، وعدم التعقيد ولم يكن هذا عن فقر وشدة فقط كما يدعى البعض وإنما كان عن زهد وتقشف • عملا بقوله تعالى : لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم •• \* وتأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم •

ولكن فى عهد بنى أمية أخذ الكثير يعنى بهذه المظاهر المختلفة • خاصة بعد الفتوحات الاسلامية التى تسبب عنها كثرة الأموال فى البلاد ، وظهور كثير من العادات والتقاليد التى لم تكن موجودة من قبل ...

أما من الناحية السياسية فقد كان حكم الدولة فى عهد الخلفاء الراشدين يسير فى ضوء الكتاب والسنة • شبرا بشبر ، وذراعا بذراع •

والفتنة الكبرى التى اشتعلت نيرانها فى عهد الراشدين لو لم يكن المجتمع فى هذا الوقت تأصلت فيه تعاليم الاسلام الحنيف • لما قام للاسلام قائمة بمد هـا أبدا • ولكن قوة الاسلام فى النفوس جعلت الجميع يذعن للحق مهما صال الباطل وجال •



هذا الى موقفه من الولاة ونصحهم وارشادهم الى ما فيه الخير للعباد والبلاد بالحكمة والموعظة الحسنة كالحجاج بن يوسف الثقفي وغيره \* ولا ننسى موقفه من شورتى ابن الأشعث وبنيد بن المهلب وهو بهذا يعمل على وحدة المسلمين وعدم تفريق كلمتهم ، والمضى على حقن دماء المسلمين وحفظها من الضياع لكي تكون على استعداد دائما للدفاع عن الاسلام ، وازالة القوى المعادية من أمامه حتى يدخل الى القلوب في أمن واطمئنان \*

كما نجد أن المؤهلات المختلفة التي كونت منه هذه الشخصية السوية من صفات حميدة ، وشيوخ أجلاء \* \* جديرة حقا بأن تخلق لنا هذا الداعية الموفق \*

وقد ظهر لنا فكره الناضج الذي تغذى بالكتاب والسنة وآثار السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم ، في الباب الثالث من الرسالة \* سواء كان هذا الفكر في القراءات \* فقد اعتبره الملماء من القراء الأربعة عشر \* كما أن من تلاميذه مثل : أبو عمرو بن العلاء من السبعة \* وصدق فيه قول الامام الشافعي : " لو أشاء أن أقول : ان القرآن نزل بلغة الحصن لقلت لفصاحته " (١) \*

ومن هنا نأديت في هذه الرسالة بالاهتمام بالقراءات ، وذلك بانصاف ، راسات عليا حتى يحصل الطالب فيها على أرقى الشبهات بأبحاثه العميقة في هذا الموضوع \* وحتى لا ندع أي فرصة للمشركين والمستشرقين يهدمون في الاسلام باسم المنهج العلمي الحديث \*

ولم يظهر فكر الحسن في القراءات فقط ، بل هناك فكره في التفسير وقد عرفنا نماذج متعددة فيما سبق \*

وفكره في السنة : عرفنا قيمة مروياته واهتمامه بذلك ، وأن إرساله وتدليسه لا يؤثران في كونه من رواة أهل الحديث الذين يعتمد عليهم في رواياتهم \*

وفكره في الفقه الاسلامي الذي يحتاج اليه الناس في حياتهم الدنيوية ، ضربنا لذلك ببعض الأمثال \*

وفكره في العقيدة : تبين لنا كيف كانت نظرتة الى الايمان ومتركب  
الكبيرة كل حررتنا موضوع القدر المنسوب اليه وغير ذلك .

وفكره في الزهد : ظهر لنا أن زهده لم يكن كاعتقاد عامة الناس هو البعد  
عن الدنيا والجلوس في " صومعة " للتعبه فقط . ولكن عرفنا أن زهد الحسن كان  
في ضوء الآية الكريمة : " لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم " (١)  
وعرفنا صلة الحسن بالتصوف ، وأن ارتباطه برابطة العبدية لم يصح .  
وفكره في الدعوة الى الله تعالى : كان في ضوء الآية الكريمة : " ادع  
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن " (٢) . كذلك  
في ضوء أقوال وأفعال النبي عليه الصلاة والسلام ، وآثار السلف الصالح رضوان  
الله تعالى عليهم .

أما تأثيره في عصره والمصور التالية فيظهر في هذا التراث الذي تركه  
الحسن البصري والذي تناقلته الأجيال حتى وصل بعضه الينا ، وهذا البعض  
جزء منه في هذا البحث وهو دليل واضح على مدى الاهتمام بهذه الشخصية  
الفذة التي كانت في يوم من الأيام في القرن الرابع الهجري كأسطورة من شدة التنافس  
عليها . ذلك لأن الحسن — رحمه الله — كان يميل دائما الى اصلاح الفرد ، والأسرة ،  
والمجتمع . كما أنه كان يساهم كذلك في الحفاظ على الدولة وكيانها (٣) . مما  
حبب فيه الجميع ويريد كل واحد منهم أن يخطب وده (٤) . وهكذا يكون الداعية  
المخلص لله تعالى يعمل على تجميع الكلمة لا على تفريقها . حتى يرى بعض العلويين  
لما سمعوا بهذه الآراء من الحسن البصري — التي عرفناها في الرسالة — غرسيوا  
منه لأنهم يريدون الثورة لتتقل القيادة الى آل البيت ولقوة شخصيته وتأثيره ففسى  
المجتمع الذي يعيش فيه لم يستطيعوا أن يصلوا الى مرادهم . كما ارتفع شأن الحسن  
بسبب أحد قضاه الدولة العباسية في عهد المعتصم لأن هذا القاضي كان من نسله  
ومتجيباً أحمد بن أبي له واه (٥) .

(١) سورة الحديد، آية رقم ٢٣ .

(٢) سورة النحل آية رقم ١٢٥ .

(٣) شذرات الذهب لابن الا مام ج ١ ص ١٣٧ ، والحسن البصري للدكتور احسان  
عيسى .

(٤) تاريخ بغداد للخطيب ج ١٣ ص ٢١٤ .

(٥) التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٣٥٦ .

وأخذ تأثير الحسن البصرى يمتد من حياته الى أن وصل الى المبرد ، والجاحظ وغيرهما من شهد لهم بالفضل والعرفان بعد وفاته .

وأصبح البصريون يضربون به الأمثلة . كما كانوا يستشونهم من كل تعميم وهذا يرجع الى لون العصبية التي كانت بين البصرة وغيرها (١) . وتفخر البصرة بأنها تمتاز عن غيرها بفضائل أهمها ثلاث : .

(١) الحسن البصرى (٢) العثمانية (٣) الرطب

وسبب تأثير الحسن في العصور التالية لعصره ، نجد أن الجاحظ مثلاً ألف كتاباً تحت عنوان : " نواذر الحسن " (٢) . ولم أعثر عليه .

كذلك اهتم به أيضاً الحافظ بن عبد الواحد المقدسى . فقد جمع مصنفاً فيمن لقيه الحسن من الصحابة . ولم أعثر عليه أيضاً .

مع مراسلى الكثيرة والاتصال فى كثير من المكتبات التى تعنى بهذه الناحية . ولعل الأيام القادمة — ان شاء الله — تساعدنى على مواصلة البحث والتنقيب للحصول على مثل هذه المراجع الهامة للاستفادة منها .

وقد أعجبتنى كلمة للأستاذ الندوى لخص فيها تأثير الحسن وأسبابه فى المجتمع فقال : " وكان من أعظم أسباب تأثير الحسن البصرى فى المجتمع ، ونفوذه فى القلوب والمقل ، أنه ضرب على الوتر الحساس ، ونزل فى أعماق المجتمع . ووصف أمراضه . وانتقده انتقاد الحكيم الرفيق . والناصح الشفيق . لقد كان عصره يفس بالذعابة والوعاظ ، ولكن المجتمع لم يخضع لأحد خضوعه للحسن ، لأنه كان يمس قلبه وينزل فى صميم الحياة . ومعارض التيار . أنه كان يذم النفاق والمنافقين . ويصفهم وصفاً دقيقاً . والمنافقون فى المجتمع كثير انه كان ينمى على المجتمع الاخلاق الى الحياة والانهماك فى الشهوات .

وقد انتشر هذا المرض فى الحياة . انه كان يذكر بالموت . ويستحض — الآخرة . والمتوفون يتناسون ذلك ويعللون نفوسهم بالأمانى الكاذبة والأحلام اللذيذة

(١) طبعات الشعراء لابن قتيبة ص ٥٧ ٥٥٣ (ط) أوربية .

(٢) أدب الجاحظ للأستاذ حسن السعدوى ص ١٤٤ ، معجم الأدباء لياقوت ج ١٦ ص ١٠٠

ويتضايقون بذكر ما يكره عليهم الحياة ويمكر صفوحهم ، فكان دأبهم في صراع مع الجاهلية ، والجاهلية لا تخضع إلا لمن صارعها • ولا تعترف إلا بوجود الرجل الذي يحاربها • وكان الحسن البصري هو ذلك الرجل • فمظم تأثيره وكثر التائبون والمقلمون عن المعاصي والحياة الجاهلية التي كانوا يعيشونها • وانطلقت موجة الإصلاح قوية مؤثرة ، لأن الحسن لم يقتصر على مواعظ وخطب كان يلقيها ، بل كان يعنى بتربية من يتصل به ويجالس • فكان جامعا بين الدعوة والارشاد • وبين التربية العملية والتركيبية الخلقية والروحية • فاهتدى به خلائق لا يحصيه إلا الله • وذاقوا حلاوة الايمان وتحلوا بحقيقة الاسلام (١) •

ويؤيد كلام الندوي هذا عن تأثير الحسن في المجتمع وأسبابه ما قاله عوام ابن حوشب في الحسن : " ما أشبه الحسن إلا بنبي أقام في قومه ستين سنة يدعوهم الى الله تعالى " (٢) •

والحق أقول : ان الحسن البصري شغل الأمة بأفكاره وآثاره في مختلف العصور والأجيال سواء كان ذلك في الجامعات والمعاهد العلمية أم في القرى والبلد غاية ما في الأمر أنه كان يحتاج الى جملح لهذه الآثار والأفكار حتى تبرز شخصيته كاملة أمام كل الأنظار • وقد كان لى شرف المساهمة في هذا العمل الكبير راجيا من المولى سبحانه أن يوفقنا لاتمامه ، إنه سميع مجيب •

ومن هنا يجىء هذا السؤال : هل من الممكن أن ننتفع بأفكار وآراء الحسن البصري في نهضتنا الحديثة ؟ والجواب على ذلك نقول :

تمتاز الأمة الاسلامية عن غيرها من الأمم بوجود عدد غير قليل من رجال الدين والإصلاح فيها • يعملون على تجديد هذا الدين ، وتنقيته من الشوائب والخرافات والبدع ، في صورة صادقة مبهنية تشجع على النظر في هذا الدين واعتناقه والعمل بما فيه • كما تترك هذه الصورة الصادقة — أيضا — الشاردين عنه بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجاهدة بالتي هي أحسن • ومن هؤلاء الأعلام البارزين المصلحين صاحب هذه الترجمة " الحسن البصري " •

(١) رجال الفكر والدعوة في الاسلام لأبي الحسن علي الحسن الندوي ص ٦٥ — ٦٦ •

(٢) دائرة المعارف للبستانى ج ٧ ص ٤٤ •



وقد وجدنا الكثير من أفكار الحسن وآرائه في هذه الرسالة المتواضعة ، تصلح للمشاركة في نهضتنا الحديثة • خاصة في هذه الظروف الحاسمة من تاريخ أمتنا العربية والاسلامية •

ونذكر فيما يلي أهم هذه الأفكار والآراء التي تسهم في الحفاظ على تماسك الكلمة في أمتنا ، كما أنها تعطي على صد المعتدين ماديا ومعنويا :

### أولا : العمل على تقوية الوازع الديني في الفرد :

ما ابتليت به أمتنا العربية والاسلامية • فقدان الوازع الديني - أو كما يسمى فقهاء النعمان - عند كثير من أفراد هذه الأمة • ويظهر هذا بجلالة ووضوح في كثير من المصالح المختلفة • فالكل يشكو - مثلا - من الجمعيات التجارية المختلفة ومشقة المواصلات ، وتعثر انجاز أى عمل - من الأعمال في جهاز الدولة إلا بالتفاهم باللغة المعروفة بين الناس الى غير هذا من الأمور المتعددة • فإذا ما بحثنا عن السبب وجدناه فقدان الوازع الديني في نفوس الأفراد •

لذا يركز الحسن البصري جل اهتمامه على تربية الفرد وتقوية الوازع الديني فيه • فبصلاح الفرد يصلح المجتمع كله وفساده يفسد المجتمع كله •

ومما قاله في هذا المعنى : " رحم الله امرأ عرف ثم صبر ، ثم أبصر فبصر ، فان أقواما عرفوا فانتزع أبصارهم ، فلاحهم أدركوا ما طلبوا ، ولا هم رجعوا الى ما تركوا ... "

وقال أيضا : " يا ابن آدم دينك دينك فانه لحملك ودمك ( ان يسلم لك دينك يسلم لك لحملك ودمك ) وان تكن الأخرى فتعوز بالله فانهم نار لا تطفى - وجرح لا يبرأ - وعذاب لا ينقذ أبدا ، ونفس لا تموت (١) ... الخ الى غير هذا مما هو مبسوط في الرسالة •

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج ٢ ترجمة الحسن البصري •

## ثانيا : العطل على تقوية وحدة الأمة ؛

ما ابتليت به أمتنا وجود بعض الشرخ في جدار بنيانها • وكما التأم شرخ وتماسك رأينا شرخا آخر يظهر على السطح • وهذا شأن الأمم التي يقف في طريق نهضتها العدو في الداخل والخارج • وذلك مثل ما حدث في أمتنا بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ من ثورات لبعض طلاب الجامعات ، وأحياء للنمرات الطائفية التي تآد العدو وبسببها يعتقد بقرب نهايتها هذه الأمة ..

حينئذ نجد أن الحسن البصري بأفكاره وآرائه الطيبة يقضى على كل هذه الفتن حتى قيل : " لولا الحسن - البصري - وسيف الحجاج لوعدت الدولة المروانية في مهدها " • ومن أجل هذه الأفكار والآراء للحسن نجد أن المسلم والمسيحي يجلس في حلقة ليستفيد وقد يسلم الكافر قلبه لله تعالى •

كذلك لم يعطف رحمه الله على أي ثورة من الثورات التي تحمل على تمزيق الأمة وتصدع كيانها • وقد عرفنا فيما مضى كيف كان موقفه من ثورتى ابن الأشعث ، ويزيد بن المهلب •

ومن أفكاره حينما سئل عن الولاية قوله : " وماذا عسى أن أقول فيهم وهم يلون من أمورنا خمسا : الجمعة ، والجماعة ، والقي ، والثغور والحدود • والله لا يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وظلموا ، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون ، والله إن طاعتهم لفبطة ، وإن فرقتهم لكفر • فقال السائل : يا أبا سعيد والله إنى لذو مال كثير وما يسرنى أن يكون في أمثاله وإنى لم أسمع منك الذى سمعت فجزاك الله عن الدين وأهله خيرا " •

---

(١) الحسن البصري لابن الجوزي ص ٥٧ - ٥٨ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١١٣ - ١١٤ ، والبيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ١٤٣ ، ومرجع الذهب للمسعودي ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥٣ •

ثالثا : العمل على النصح للحاكم حتى يستقيم الأمر :

نسمع في الحكم : " الناس على دين ملوكهم " . ولا شك أن الحاكم أو المسئول  
كبر أم صغرا إذا كان قدوة طيبة لبقية أفراد المجتمع كان ذلك سببا في اصلاح  
الكثير من أفراد الأمة .

على هذا فالحاكم أو المسئول في حاجة ماسة الى من يوجه اليه النصح ،  
والارشاد لذا كان الحسن البصري مثالا لهذا الناصح والمرشد . والدليل على  
هذا موقفه من الحجاج بن يوسف الثقفي ، والخليفة عمر بن عبد العزيز ، وابن أبي  
هبيبة وغيرهم . وقد ضربنا لهذا أمثلة متعددة فيما مضى ولوشئنا الحصر لما  
وسعتنا هذه الرسالة .

رابعا : العمل على الاعتقاد باليوم الآخر :

ان ما نراه في أمتنا من الانهماك في طلب الدنيا بشغى الطرق والوسائل  
ومصورة غير كريمة دليل على ضعف الاعتقاد باليوم الآخر . هذا اليوم العظيم  
الذي لو وضعه الانسان أمام عينيه وقلبه لما ضل الطريق أبدا .

لذا كان الحسن البصري رحمه الله يركز الكثير من اهتمامه في الدعوة لتزود الناس  
بأهمية هذا اليوم الخطير " يوم يقوم الناس لرب العالمين " وقد عرضنا فيما  
مضى نصوصا للحسن البصري الدالة على هذا مع تحليل لبعض هذه النصوص .

وعلى سبيل المثال : " هيهات هيهات .. أهلك الناس الأمانى : قول  
بلا عمل ، ومعرفة بغير صبر ، وإيمان بلا يقين ، طامى أرى رجالا ولا أرى عقولا ..  
.. وأسمع حسيسا ولا أرى أنيسا .. دخل القوم والله ثم خرجوا وعرفوا ثم أنكروا ،  
وحرروا ثم استحلوا ، انما دين أحدكم لقمة على لسانه ، اذا سئل أمؤمن أنت بيوم  
الحساب ؟ قال .. نعم : كذب ومالك يوم الدين ، ان من أخلاق المؤمنين  
قوة في دين ، وإيماننا في يقين ، وعلمنا في حلم ، وحلمنا يعلم الخ .. (١)

خامسا : دلالة الحسن البصري على النفاق والمنافقين :

من أخطر ما تصاب به أمة من الأمم وجود المنافقين فيها . ذلك لأن المنافق كما عرفنا سابقا يعلن خلاف ما يبطن . ويطلق على أمثال هؤلاء في العصر الحديث ما يسمى بالطابور الخامس . وهم ابتليت أمتنا بأمثال هؤلاء المفسدين الذين صوروا الحق باطلا والباطل حقا . مما كان سببا في ضياع الكثير من مصالح هذا المجتمع . فمن الممكن أن نتعرف على هؤلاء بصفاتهم التي ذكرها القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية الشريفة مثل : الكذب ، والخيانة ، والخلف في الوعد ، والغدر . . .

كما أنه من الممكن أيضا أن نستفيد من نظرة الحسن البصري إليهم حتى نحذره . قال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد . . أليس نفاق ؟ قال : لو خرجوا من أزقة البصرة لاستوحشتم فيها . وهو بهذا يبين وجود النفاق والمنافقين في الأمة . ثم يعمل بطريقة الخاصة على فضح أسلوبيهم ، وفساد خططهم . فلو علمنا بتخطيط الحسن في إصلاح الأمة لنجحنا كثيرا بحون الله تعالى .

وهكذا نجد الكثير من أفكار الحسن وآرائه في الفرد والأسرة والمجتمع ما لو علمنا به لا نضل أبدا . لأن ما قام به كان في ضوء الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح عليهم رضوان الله تعالى . فما أحوجنا إليه وما أحرصنا أن نتأسى به في سر تكالبت علينا فيه قوى الشر والبغى . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يستمر نوره ولو كره الكافرون . . فإذا أردنا حظ الاستفادة من أفكار الحسن البصري وآرائه فملينا أن نبحث وننقب عن كل ما قاله الحسن أو عظه فيما يتعلق بالدين والحياة . ثم نطبق هذه التعاليم الفاضلة على أنفسنا ومجتمعنا الذي نعيش فيه حتى نصل إلى سعادة الدارين .

وهذا ما وهبنا له حياتنا — ان شاء الله — من البحث والتقيب في آثار الحسن العلمية والعلمية . ان أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

أهم المراجع والمصادر

(أ)

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - أنساب الأشراف . تصنيف أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذرى - الجزء الأول - تحقيق الدكتور محمد حميد الله . يخرجه معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف سنة ١٩٦٠ م
- ٣ - الأدب المفرد لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ - تحقيق الأستاذ محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية بالظاهرة سنة ١٣٧٩ هـ .
- ٤ - الأخبار الطوال . لأبي حنيفة الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، اخراج وزارة الثقافة .
- ٥ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير - تحقيق الدكتور محمد البنا ، والأستاذ محمد عاشور . مطابع الشعب بالظاهرة ( ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ) .
- ٦ - أمالى المرتضى - غرر الفوائد ودرر القلائد . للشريف المرتضى على ابن الحسين موسى العلوى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ - تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل . القسم الأول - طبعة عيسى الحلبي ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤ .
- ٧ - الاصابة فى تمييز الصحابة لشهاب الدين ابن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٣ هـ - طبع بمصر سنة ١٣٢٣ هـ
- ٨ - اعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ - طبع شركة الطباعة الفنية عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

- ٩ — الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى الشافعى ، نشر المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة عام ١٣٦٨ هـ .
- ١٠ — الأعلام للزركلى — الطبعة الثانية .
- ١١ — أحوال البصرة — تأليف العلامة فصيح بن السيد صبغة الله بن الحيدرى البغدادى — سنة ١٢٨٦ هـ .  
الناشر : منشورات البصرى ( ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م ) .
- ١٢ — الاسلام فى الواقع الايدولوجى المعاصر للدكتور محمد البهى —  
طبعة دار الفكر ببيروت ١٩٧٠ .
- ١٣ — أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ . للدكتور ابراهيم شعوط — الطبعة الثالثة .
- ١٤ — الأشعرى أبو الحسن . للدكتور حموده غرايه — الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣ م .
- ١٥ — الأحكام السلطانية لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى .  
مطبعة الوطن مصر ١٢٩٨ هـ .
- ١٦ — أساس البلاغة للزمخشرى — طبع دار الشعب بالقاهرة .
- ١٧ — أوهب السياسة فى العصر الأموى للدكتور أحمد الحوفى — الطبعة الثالثة .
- ١٨ — الانسان والاسلام للشيخ محمد الطاهر الحامدى .
- ١٩ — أدب الخلفاء الأمويين للدكتور عبد الرازق حيمده — الانجلو المصرية .
- ٢٠ — أثر القراءات فى الدراسات النحوية للدكتور عبد الحامد سالم .  
طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

٢١ — اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة ، للدمياطى الشافعى  
المثوفى سنة ١١١٢ هـ .

٢٢ — أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان — بغداد سنة ١٣٨٨ هـ

٢٣ — احياء علوم الدين ، للغزالي — طبعة المكتبة التجارية .

( ب )

٢٤ — البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ . تحقيق  
وشرح الأستاذ حسن السندوى .

الطبعة الثانية من مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة  
عام ١٩٦١ م — نشر المكتبة التجارية الكبرى .

٢٥ — البداية والنهاية في التاريخ للحافظ عطاء الدين ابن كثير المثوفى سنة ٧٧٤ هـ  
مطبعة السعادة بمصر .

٢٦ — الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير .  
تأليف الأستاذ أحمد شاکر .

( ت )

٢٧ — تاريخ الأمم والملوك ، لأبى جعفر بن جرير الطبرى المثوفى سنة ٣١٠ هـ —  
المطبعة الحسينية بالقاهرة .

٢٨ — تفسير الطبرى — جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق وتعليق  
محمد محمد شاکر وخرج أحاديثه أحمد شاکر .  
طبعة دار المعارف بالقاهرة .

٢٩ — تفسير القرآن الكريم لسفيان الثوري — رواية أبى جعفر محمد عن أبى حذيفة  
النهدى ، تصحيح وتعليق الأستاذ على عرشى مدير مكتبة  
رضا ( رامبور ) بالهند .

- ٣٠ — تفسير غريب القرآن لابن قتيبة — تحقيق الأستاذ السيد صقر •
- ٣١ — تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة — تصحيح وضبط الأستاذ محمد زهرى النجار  
الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية ( ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م ) •
- ٣٢ — تفسير القرآن العظيم لابن كثير — طبعة عيسى البابى الحلبي بالقاهرة •
- ٣٣ — تذكرة الحفاظ ، للحافظ الذهبي — مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية  
بجيدرآباد — الهند ( ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م ) •  
تحقيق وتصحيح عبد الرحمن يحيى العلى •
- ٣٤ — تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير للذهبي •  
نشر مكتبة القدسي بدرب سعادة بالقاهرة ١٣٦٩ هـ •
- ٣٥ — تقريب التهذيب لابن حجر المسقلاني •  
تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف •
- ٣٦ — تهذيب التهذيب لابن حجر المسقلاني •  
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند •  
الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ •
- ٣٧ — التاريخ الكبير للحافظ ابن عساكر الشافعى على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله  
ابن الحسين بن عساكر الشافعى —  
مطبعة روضة الشام عام ١٣٢٩ هـ المجلد الثانى •
- ٣٨ — التعرف لمذهب أهل التصوف • لأبى بكر محمد الكلاباذى •  
تحقيق الأستاذ محمود أمين النواوى — الطبعة الأولى ( ١٣٨٩ هـ —  
١٩٦٩ م ) دار الاتحاد العربى للطباعة والنشر •
- ٣٩ — تاريخ التصوف فى الاسلام — ترجمه عن الفارسية : صادق نشأت — مراجعة  
الدكتور أحمد ناجى ، والدكتور محمد مصطفى حلمى •



- ٤٠ — التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكة • لأبي المظفر  
الاسفرايينى المتوفى سنة ٤٧١ هـ •  
تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى •  
الناشر : مكتبة الخانجى بمصر ( ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م ) •
- ٤١ — تاريخ الخلفاء لعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ  
إدارة المطبعة النىوية بالقاهرة عام ١٣٥١ هـ
- ٤٢ — التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى •  
الطبعة الأولى لعبد الرحمن محمد ، والطبعة الأخرى •
- ٤٣ — تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث •  
للشيخ عبد الرحمن بن على بن الديبغ الشيبانى الشافعى  
الأثرى المتوفى سنة ٩٤٤ هـ — مطبعة صبيح بالقاهرة •
- ٤٤ — تاريخ الأدب العربى — تأليف بروكلمان — ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار —  
مطبعة دار المعارف لحساب جامعة الدول العربية •
- ٤٥ — تذكرة الدعاة للأستاذ البهى الخولى •  
الطبعة الثالثة — دار الكتاب العربى بمصر •
- ٤٦ — تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى للدكتور حسن ابراهيم •  
مكتبة النهضة المصرية •
- ٤٧ — تاريخ الفرق الاسلامية للدكتور على مصطفى الفراى ، الطبعة الأولى  
سنة ١٩٤٨ م — الناشر : المكتبة الحسينية بالقاهرة —  
مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر •
- ٤٨ — التسك الاسلامى • • للدكتور محمد غالب •  
طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية •

٤٩ — تاريخ التراث العربى لفؤاد سركيسين • المجلد الأول — مترجم  
الى العربية بالقاهرة عام ١٩٧١ م •

٥٠ — كتاب التاريخ الكبير للإمام البخارى — الجزء الأول — القسم الثانى  
الطبعة الأولى بالهند •

٥١ — تدوين الدستور الاسلامى لأبى الأعلى المودودى •

٥٢ — التفكير الفلسفى فى الاسلام للدكتور عبد الحليم محمود •  
مكتبة الانجلو المصرية — الطبعة الأولى

( ج )

٥٣ — جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحطه •  
لأبى عمرو يوسف عبد البر النمرى القرطبى الأندلسى المتوفى عام  
٤٦٣ هـ — تصحيح ومراجعة الأستاذ عبد الرحمن عثمان •  
الناشر : المكتبة السلفية لصاحبها محمد عبد المحسن الكتبى بالمدينة  
المنورة — باب الرحمة — الطبعة الثانية (١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) •

٥٤ — جمهرة رسائل العرب فى عصور العربية الزاهر ، للأستاذ أحمد زكى صفوت  
الجزء الثانى الطبعة الأولى : ( ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م ) •

٥٥ — جوانب التفكير فى العقيدة الاسلامية ، للأستاذ يحيى هاشم حسن فرغل •  
من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية — الكتاب الأول والثانى ( ١٣٩٢ هـ  
— ١٩٧٢ م ) •

٥٦ — كتاب الجرح والتعديل للحافظ أبى محمد عبد الرحمن بن حاتم الرازى المتوفى  
سنة ٣٢٧ هـ — القسم الثانى من المجلد الأول • الطبعة الأولى  
بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، بحيدرآباد الركن  
بالهند ( ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م ) •

٥٧ — الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبى — طبع دار الكتب المصرية ، الطبعة

٥٨ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، تأليف الحافظ أبي عبد الله محمد بن الشيخ المصروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ .  
تصحيح وتعليق الأستاذ محمود عبد الوهاب فايد - مكتبة صبيح  
١٣٧٧ هـ .

٥٩ - الجاحظ ، للدكتور أحمد كمال زكي ، سلسلة أعلام العرب .

( ح )

٦٠ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء .  
للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .  
الطبعة الأولى على نفقة مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة ( ١٣٥١ هـ  
١٩٣٣ م ) .

٦١ - الحسن البصري لابن الجوزي . تقديم الأستاذ حسن السندوي -  
الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ( ١٣٥٠ - ١٩٣١ م ) .  
تحت عنوان : الرسائل النادرة .

٦٢ - الحسن البصري ، للدكتور احسان عباس .  
الطبعة الأولى - دار الفكر العربي سنة ١٩٥٢ م

٦٣ - من تاريخ الجدل حسن البصري ، للشيخ محمد أبوزهر -  
مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة .

٦٤ - الحياة الأدبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري  
للدكتور أحمد كمال زكي - رسالة دكتوراه - دار الفكر بدمشق .  
الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ .

٦٥ - الحيوان للجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون .

٦٦ - الحديث المرسل - حجتيه وأثره في الفقه الاسلامي .  
للأستاذ محمد حسن هيتو - دار الفكر ببلبنان - الطبعة الأولى

٦٧ - الخراج - للإمام أبي يوسف ( يعقوب بن ابراهيم ) .  
الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٥٢ م ، المطبعة السلفية .

- ٦٨ — الخطابة العربية في عصرها الذهبي ، للدكتور احسان النصص .  
الطبعة الثانية ١٩٦٣ م — طبع دار المعارف — القاهرة .
- ٦٩ — الخطابة في صدر الاسلام ، للدكتور محمد طاهر دويش — الجزء الثانى  
طبعة دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٧ م .
- ٧٠ — خلاصة تذهيب الكمال للخزرجى .

( د )

- ٧١ — كتاب دول الاسلام للذهبي — الطبعة الثانية — جمعية دار المعارف  
العثمانية بعاصمة الدول الآصفية حيدرآباد الركن سنة ١٣٦٤ هـ .
- ٧٢ — دائرة المعارف للبستاني — المجلد الخامس والسابع .
- ٧٣ — الدعوة الى الاسلام للمستشرق توماس أرنولد — ترجمة حسن ابراهيم وآخرين  
الطبعة الثانية ١٩٥٧ م .
- ٧٤ — دائرة المعارف الاسلامية ، لمجموعة من المستشرقين  
ومترجمة من الانجليزية الى العربية .
- ٧٥ — الدين الخالص ، للشيخ محمود خطاب السبكي .
- ٧٦ — الدعوة الى الاسلام ، للدكتور أبوبكر ذكري ( ١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م ) .
- ٧٧ — الدين العالى ومفهم الدعوة اليه للشيخ عطيه صقر .  
سلسلة البحوث الاسلامية .
- ٧٨ — دراسات فى العربية وتاريخها للشيخ محمد الخضر حسين .  
الناشر : المكتب الاسلامى بدمشق ، الطبعة الثانية  
( ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م ) .
- ٧٩ — الدعوة الى الاصلاح — للشيخ محمد الخضر حسين .
- ٨٠ — الدولة الأموية — للدكتور محمود زباد .
- ٨١ — الدولة الأموية — للدكتور محمد الطيب النجار .
- ٨٢ — الدولة العباسية — للدكتور نظير احسان .

( ر )

- ٨٣ — الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى ٩٨٦ هـ  
الطبعة الأولى ( ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٦ م ) •
- ٨٤ — الدعاية لحقوق الله لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي المتوفى  
سنة ٢٤٣ هـ • تحقيق الأستاذ عبد القادر عطا وتقديم الدكتور  
عبد الحليم محمود ، الطبعة الثالثة — مطبعة السعادة بالقاهرة  
( ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م ) •
- ٨٥ — رجال الفكر والدعوة في الاسلام لأبي الحسن الندوي ، مكتبة الفتح بدمشق
- ٨٦ — رسائل المدل والتوحيد — تحقيق محمد عمارة — طبع دار الهلال بالقاهرة  
الجزء الأول •
- ٨٧ — رسالة الحسن البصري أجاب على رسالة أرسلها اليه أمير المؤمنين عبد الملك  
ابن مروان يسأله عن رأيه في القدر •  
نسخة مصورة بدار الكتب المصرية ( ٥٢٢١ — ٣٠ ق ١٧ × ٢٥ سم )  
وهي مأخوذة عن مخطوطة أبا صوفيا المنسوخة في القرن التاسع  
الهجري سنة ٨٨٢ هـ • ومنها نسخة بمكتبة جامعة الدول العربية  
( ف ١٩٧٢ ، ٧٩٢٥ ) •
- ٨٨ — رسالة في فضل مكة منسوبة الى الحسن البصري بقسم المخطوطات  
بدار الكتب تحت رقم ( ٣٦٠٢ ح ) مكتوبة بخط الشيخ البتوني •
- ٨٩ — الرض الفائق في المواعظ والرقائق للشيخ شعيب الحريفيش •  
مطبعة مصطفى الحلبي ( ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م ) •
- ٩٠ — ربانية لا رهبانية لأبي الحسن الندوي — دار الفتح ببيروت •

( ز )

- ٩٢ — زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية •  
طبع ابن الخطيب بالمطبعة المصرية ومكتبتها •

( س )

- ٩٣ — سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي  
تحقيق محب الدين الخطيب — مطبعة المياد بالقاهرة ١٣٣١ هـ

- ٩٤ — السنة قبل التدوين للأستاذ محمد عجاج الخطيب •  
مكتبة وهبة بالقاهرة — الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ •
- ٩٥ — السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة • للدكتور محمد أبوشهبة  
طبع دار الأنوار بالقاهرة •
- ٩٦ — السبيل إلى دعوة الحق والقائم بأمرها • للدكتور محمد البهسي  
سلسلة البحوث الإسلامية
- ٩٧ — سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي عبد الله بن عبد الحكم تحقيق أحمد عبيد  
الطبعة الخامسة — دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٧ م
- ٩٨ — سير أعلام النبلاء للذهبي •
- ( ش )
- ٩٩ — شرح الأصول الخمسة لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد •  
تعليق الامام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم  
تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان — الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة •
- ١٠٠ — شرح مطالع الأنظار لأبي عبد الرحمن الأصفهاني المتوفى سنة ٧٤٩ هـ —  
على متن طوابع الأنوار للبيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ —  
الطبعة الأولى — المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٣ هـ •
- ١٠١ — شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي •
- ١٠٢ — شهيدة المشق الإلهي رابعة العدوية للدكتور عبد الرحمن بدوي —  
الطبعة الثانية ١٩٦٢ م — مكتبة النهضة المصرية
- ١٠٣ — شرح غيون المسائل للامام الحاكم أبو سعد المحسن بن كرامة الجشعي البيهقي  
( ٤٣١ — ٤٩٤ هـ ) • الجزء الأول •  
اللوحات ٧٢ — ٧٤ من مصورة دار الكتب المصرية ( ٢٧٦٢٣ ب ) •
- ١٠٤ — الشخصية • للأستاذ محمد عطيه الابراشي • الطبعة الثالثة ١٩٣٨ م

- ١٠٥ — صفة الصفوة لابن الجوزي • جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي  
ابن محمد بن الجوزي ، أربعة أجزاء ، حيدرآباد ، دائرة  
المعارف العثمانية بالهند ( ١٣٥٥ هـ - ١٣٥٦ هـ )
- ١٠٦ — الصلة بين التشيع والتصوف ، للدكتور مصطفى الشبيبي — الجزء الأول  
الطبعة الثانية — مراجعة ومزودة — طبعة دار المعارف بالقاهرة
- ( ط )
- ١٠٧ — الطبقات للامام المحدث أبي عمرو خليفة بن خياط شهاب المصفرى المتوفى  
سنة ٢٤٠ هـ — رواية أبي عمران موسى بن زكريا التستري •  
حققه وقدم له (أكرم ضياء الدين العمري)
- ١٠٨ — الطبقات الكبرى لعبد السوهاب الشمراني ، المسماه بلوائح الأنوار ففى  
طبقات الأخبار • المطبوع سنة ١٣٠٥ هـ وأواخر شهر جمادى  
الآخرة — المطبعة العثمانية — الجزء الأول •
- ١٠٩ — الطبقات الكبرى لابن سعد ( محمد بن سعد كاتب الواقدي ) •  
ثمانية أجزاء — بيروت ١٩٥٧ م •
- ١١٠ — طبقات الفقهاء لأبى اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازى المتوفى ببغداد  
سنة ١٣٥٦ هـ • تحقيق الدكتور احسان عباس •
- ١١١ — طبقات المفسرين لابن أحمد الداودى المتوفى سنة ٩٤٥ هـ الجزء الأول  
مكتبة وهبة بالقاهرة •

( ع )

- ١١٢ — عيون الأخبار لابن قتيبة — طبع دار الكتب وبيروت •
- ١١٣ — المقدم الفريد لابن عبد ربه • تحقيق محمد سعيد العربيان — ثمانية أجزاء •
- ١١٤ — المقيدة والأخلاق وأثرها فى الفرد والمجتمع للدكتور محمد بيضاس •  
مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨ م •

( غ )

- ١١٥ — غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ •  
عنى بنشره ( براجستراير ) — مكتبة الخانجى — الطبعة الأولى  
الجزء الأول ( ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م ) •

( ف )

- ١١٦ — فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى — تقديم السيد صقر  
مطابع جريدة الأهرام ، الجزء الأول •
- ١١٧ — الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى الاسفرايينى  
التميمى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ •  
تحقيق وتعليق محمد محى الدين عبد الحميد —  
مكتبة ومطبعة صبيح بالأزهر •
- ١١٨ — الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية لابن طباطبا — محمد  
ابن على المعروف بابن الطقطقى — القاهرة ١٣١٩ هـ •
- ١١٩ — فى التصوف الاسلامى وتاريخه — للمستشرق نيكلسون — ترجمة الدكتور أبو العلا  
عفيفى — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة —  
( ١٣٢٥ هـ — ١٩٥٦ م ) •
- ١٢٠ — فى الثورة للدكتور محمد عبد المعز نصر ، طبعة جامعة الاسكندرية ١٩٦٤ م
- ١٢١ — فجر الاسلام للدكتور أحمد أمين — الطبعة السابعة ١٩٥٩ م •
- ١٢٢ — الفقه الاسلامى • مدخل لدراسته ونظام المعاملات فيه ،  
للدكتور محمد يوسف موسى •
- ١٢٣ — فتوح البلدان لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى ، تحقيق صلاح الدين المنجد  
مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٦ م
- ١٢٤ — الفهرست لابن النديم — طبعة بيروت •
- ١٢٥ — الفتحة الكبرى — عثمان ، للدكتور طه حسين ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م



- ١٢٦ — فن الخطابة وتطوره عند العرب ، للأستاذ ايليا حاي — دار الثقافة ببيروت .  
 ١٢٧ — فقه السنة — للشيخ السيد سابق ، طبع دار الكتاب العربي .  
 ١٢٨ — فقه الزكاة ، للأستاذ يوسف القرضاوي — مجلدان / طبع بيروت لبنان

( ق )

- ١٢٩ — قوت القلوب في معاملة المحبوب ، لأبي طالب المكي المتوفى سنة ٣٨٦ هـ .  
 • طبعة مصطفى الحلبي ( ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م )  
 ١٣٠ — قانون الرواية عند المحدثين للدكتور سيد ندا ، والدكتور السيد الحكيم —  
 الطبعة الأولى .  
 ١٣١ — القراءة الشاذة وتوجيهها عند العرب ، للشيخ عبد الفتاح القاضي  
 ١٣٢ — القراءات القرآنية في علم اللغة الحديث ، للدكتور عبد الصبور شاهين ،  
 دار القلم طم ١٩٦٦ م .  
 ١٣٣ — القراءات في نظر المستشرقين والملحدون ، للشيخ عبد الفتاح القاضي  
 مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ( ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م ) .  
 ١٣٤ — القاموس المحيط لفيروز آباد — طبعة مصطفى الحلبي  
 ١٣٥ — ابن القيم وموقفه من التفكير الاسلامي للدكتور عوض الله حجازي .  
 • من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ( ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م )

( ك )

- ١٣٦ — كتاب الوزراء والكتاب — تصنيف أبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهمشاري  
 المتوفى سنة ٣٣١ هـ . الطبعة الأولى — طبعة مصطفى الحلبي  
 بالقاهرة ( ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م ) .  
 ١٣٧ — الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، تأليف الشيخ عبد الرؤوف المناوي  
 الطبعة الأولى ، تصحيح وتعليق الشيخ محمود حسن ربيع .  
 ١٣٨ — الكافي في التاريخ لابن الأثير على بن أحمد بن أبي الكرم المتوفى سنة ٦٣٠ هـ  
 طبعة بولاق ١٢٧٤ هـ .

( ل )

- ١٣٩ — لسان العرب لابن منظور — طبعة بيروت .
- ١٤٠ — لطائف الاشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الدين القسطلاني المتوفى ٩٢٣ هـ  
الجزء الأول — تحقيق وتعليق الشيخ عامر السيد عثمان  
والدكتور عبد الصبور شاهين . طبع المجلس الأعلى للدراسات  
الإسلامية بالقاهرة ( ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م )
- ١٤١ — اللوح لأبي نصر السراج الطوسي — تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود  
والأستاذ طه عبد الباقي سرور — طبعة السعادة سنة ١٩٦٠ م  
الطبعة الأولى .

( م )

- ١٤٢ — المراسيل لأبي داود سليمان بن أحمد السجستاني المتوفى سنة ٢٤٣ هـ .
- ١٤٣ — المعارف لابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم المتوفى سنة ٢٧٦ هـ .  
تحقيق وتقديم ثروت عكاشة — طبعة دار الكتب ١٩٦٠ م .
- ١٤٤ — مروج الذهب ومعادن الجوهر . لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي  
المسعودي — الطبعة الثانية ١٩٤٨ م ،  
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- ١٤٥ — معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي البغدادي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ —  
بيروت ( ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م ) .
- ١٤٦ — ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .  
تحقيق علي محمد البجاوي — الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣ م ،  
مطبعة عيسى البابي الحلبي .
- ١٤٧ — معجم الأدباء لياقوت — الطبعة الأخيرة .
- ١٤٨ — مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن جابر البستي ، عن تصحيحه م . فلايشهر  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ( ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م )
- ١٤٩ — المنقذ من الضلال لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي ، مع أبحاث في التصوف  
للدكتور عبد الحليم محمود — الطبعة السادسة ( ١٣٨٨ هـ —  
١٩٦٨ م ) . دار النصر للطباعة بالقاهرة .

- ١٥٠ - مختصر شرح الجامع الصغير للمناوى ، تحقيق الأستاذ مصطفى عماره  
الطبعة الأولى ( ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م )  
دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .
- ١٥١ - الملل والنحل للشهرستاني - طبعة الانجلو - تخريج الدكتور محمد  
ابن فتح الله بدران - وطبعة الحلبي تخريج الدكتور  
محمد سيد الكيلاني .
- ١٥٢ - مذاهب الاسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوى - الجزء الأول -  
نشر دار العلم للملايين - بيروت .
- ١٥٣ - مقدمة كتاب الانتصار لأبى الحسين الخياط تحقيق الدكتور نبيج .  
طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ م
- ١٥٤ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمى .  
طبع القدسى بالقاهرة سنة ١٩٥٣ هـ
- ١٥٥ - كتاب المصاحف للحافظ أبى بكر عبد الله بن أبى داود سليمان بن الأشعث  
السجستاني المتوفى سنة ٣١٦ هـ .  
صححه ووقف على طبعه الدكتور أثر جفرى - الطبعة الأولى  
( ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م ) ، المطبعة الرحمانية بمصر .
- ١٥٦ - المختار من صحيح مسلم - المقدمة .  
شرح وتحقيق الدكتور مصطفى أمين التارى ، طبع بالقاهرة ١٩٦١ م
- ١٥٧ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزرى .
- ١٥٨ - مقدمتان فى علوم القرآن ، وهما مقدمة المبانى ومقدمة ابن عطية .  
نشر وتصحيح المستشرق الدكتور أثر جفرى .  
مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٥٢ م
- ١٥٩ - المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني .  
مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة .
- ١٦٠ - المصباح المنير ، للفيروزى .

- ١٦١ — محاضرات في علوم الحديث للدكتور مصطفى أمين التازي ، الطبعة الثانية  
مطبعة التأليف ( ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م ) الجزء الأول
- ١٦٢ — مسجد جامع البصرة الكبير للشيخ عبد القادر باشر أعيان المباسي  
منشورات البصري ( ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م )
- ١٦٣ — مذكرة عن الحسن البصري للأستاذ البيه الخولي
- ١٦٤ — مع الله • دراسات في الدعوة والدعاة ، للشيخ محمد الغزالي ، الطبعة  
الثانية ، طبعة دار السعادة بمصر ١٣٨٠ هـ
- ١٦٥ — محاضرات في الفرق والدعوة الاسلامية ، للشيخ محمد عبد التواب
- ١٦٦ — ملاحم الانقلاب الاسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز للدكتور عماد الدين خليل  
طبع بيروت
- ١٦٧ — موضوعات من القرآن الكريم للدكتور سيد أحمد المسير
- ١٦٨ — مدخل الى القرآن الكريم • عرض تاريخي وتحليلي مقارن للدكتور محمد عبد الله  
دراز — ترجمه لأول مرة عن الفرنسية الأستاذ محمد عبد العظيم علي  
وراجعه الدكتور السيد محمد بدوي — طبع دار القرآن بالكويت  
الطبعة الأولى ( ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م )
- ١٦٩ — مبادئ علم الأخلاق للدكتور محمد عبد الله دراز
- ١٧٠ — المؤتمر الأول لمجمع البحوث الاسلامية — بحث للشيخ علي عبد الرحمن  
عن انتشار الاسلام
- ١٧١ — المعاصرة للأستاذ زهدي حسن جاد الله  
منشورات النادي العربي ، بيانا سنة ١٩٤٧ م
- ١٧٢ — محاضرات البحوث الاجتماعية للشيخ عطية صقر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩ هـ  
نشر مكتبة الكليات الأزهرية
- ١٧٣ — المختار من التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ، لزين الدين الزبيدي  
المتوفى سنة ٨٩٣ هـ ، وشرحه المسمى فتح المبدى بشرح مختصر  
الزبيدي للشرقاوي المتوفى سنة ١٢٢٦ هـ  
تحقيق وتعليق الدكتور مصطفى أمين التازي

- ١٧٤ — الموالى فى العصر الأُموى للدكتور محمد الطيب النجار .  
الطبعة الأولى — دار النيل للطباعة .
- ١٧٥ — المنية والأمل للمرتضى — صورة دار الكتب المصرية ( ٢٧٧٩٨ ب )  
اللوحة ( ٤٧ ، ٤٨ ) .
- ١٧٦ — مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان  
تأليف الامام أبو محمد عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان  
الياقضى اليمنى المكي المتوفى ٧٦٨ هـ — الجزء الأول —  
الطبعة الثانية — منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات/بيروت
- ١٧٧ — مالك . حياته وعصره — آراؤه وفقهه ، للشيخ محمد أبو زهره  
الطبعة الثانية ، طبع ونشر دار الفكر العربى ١٩٦٣ — ١٩٦٤ م
- ١٧٨ — منهاج السنة لابن تيمية الجزء الثانى .  
( ن )
- ١٧٩ — نزهة الألبا فى طبقات الأدباء ، لابن الانبارى .
- ١٨٠ — نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ، للدكتور على سالى النشار .  
الجزء الأول : الطبعة الرابعة عام ١٩٦٦ م  
الجزء الثالث : الطبعة الأولى عام ١٩٦٩ م  
طبع دار المعارف بالقاهرة
- ١٨١ — نشأة التصوف الاسلامى ، للدكتور ابراهيم يسوينى .  
الجزء الأول — دار المعارف بالقاهرة .
- ١٨٢ — النفاق والمنافقون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
للأستاذ ابراهيم على سالم .
- ١٨٣ — نشأة الفقه الاجتهادى وأطواره ، للشيخ محمد على السائس .  
طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

( ه )

- ١٨٤ - هداية المرشدين الى طرق الوعظ والخطابة ، للشيخ على محفوظ  
الطبعة الخامسة - طبعة دار السعادة بمصر ١٣٨٠ هـ

( و )

- ١٨٥ - ولاية البصرة ومتسلموها لابن الغملاس - دار منشورات البصري •  
١٨٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ،  
تحقيق الشيخ محي الدين عبد الحميد •  
مكتبة النهضة المصرية •

( ي )

- ١٨٧ - ينابيع الفكر الاسلامي وعوامل تطوره • بيدكتور محمد غلاب •  
طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية •

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١
<u>الباب الأول : عصر الحسن البصري — تمهيد :</u>	٣
<u>الفصل الأول : الأحوال الاجتماعية في عهد</u>	
الخلفاء الراشدين	٥
اهتمام الاسلام بالفرد	٧
الأسرة في ضوء الاسلام	٨
نظرة الاسلام الى الرقيق	٩
تمهيد الاسلام للسلوك الاجتماعي	١٠
التحول الحضاري في المجتمع الاسلامي	
بعد عصر الراشدين	١١
بعض مظاهر الحياة الاجتماعية	١٢
تطور هذه المظاهر في العهد الأموي	١٤
<u>الفصل الثاني : الحالة السياسية — معنى السياسة</u>	١٩
سياسة الحكم في الاسلام	٢٠
نشأة الخلافة الاسلامية	٢١
الحكم في عهد الخلفاء الراشدين	٢٢
نماذج من الحكم في عهد الراشدين	٢٥
فترة الفتنة الكبرى	٢٩
أسباب قيام دولة بني أمية	٣٣
الحكم في عهد بني أمية	٣٥
خلفاء بني أمية الذين عاصروا الحسن	٤٠
<u>الفصل الثالث : الحياة الفكرية — تمهيد :</u>	٤٤
الفتوحات ودخول الموالى في الاسلام	٤٧
أسباب ظهور الأحزاب والفرق الدينية	٤٧
نشأة الأحزاب والفرق الدينية	٤٧

الموضوع	رقم الصفحة
الشيعة - نشأة الشيعة	٥٠
أهم مركز لانتشار المذهب الشيعي وأسباب	
ذلك	٥٢
الثروات الشيعية	٥٢
أشهر فرق الشيعة	٥٣
المبادئ العامة لفرق الشيعة	٥٤
الخوارج - نشأة الخوارج	٥٦
بين الاطاع على والخوارج	٥٧
أهم فرق الخوارج :	٥٩
أ - الأزارقة	٥٩
ب - النجدات	٦٠
ج - الصفرية	٦١
د - الاباضية - بين الشيعة والخوارج	٦٢
المرجئة	٦٣
مبادئ المرجئة	٦٤
فرق المرجئة	٦٥
كلمة أخيرة عن المرجئة	٦٦
المعتزلة - تسميتها	٦٧
تسمية المعتزلة والسبب فيها	٧١
أشهر مبادئ المعتزلة	٧٢
الصبغة العامة لعصر الحسن الفكري	٧٤
<u>الباب الثاني : الحسن البصري - حياته</u> * تكوين شخصيته	٧٦
تمهيد - أضواء على المدينة المنورة	٧٧
البصرة	٨٠
<u>الفصل الأول : حياته</u>	٨٩
بيئته	٩١



الموضوع	رقم الصفحة
بيئته الخاصة وتأثيرها فيه	٩٢
بيئته العامة وتأثيرها فيه	٩٣
انتقال الحسن وأسرتة الى البصرة	٩٦
حياته الأسرية واليومية	٩٨
اشتراكه في الفتوحات ورجوعه الى البصرة	١٠٣
موقف الحسن من اشتراكه في الفتوحات	
والعودة الى حلقة المسجد	١٠٤
موقف الحسن من الحجاج	١٠٩
علاقة الحسن بالخليفة العادل عمه	
ابن عبد العزيز	١١١
رحلته الى بيت الله الحرام	١١٦
موقفه من ثورتي ابن الأشعث ، ويزيد ابن	
المهلب	١١٧
الأيام الأخيرة في حيات الحسن ووفاته	١١٨
<u>الفصل الثاني : مؤهلات الحسن البصري</u>	
وتكوين شخصيته ، صفاته الظاهرية	١٢٢
صفاته المعنوية	١٢٥
شيوخه	١٣٥
أنس بن مالك	١٣٥
عبد الله بن عباس	١٣٧
عامر بن عبد القيس	١٣٨
صلة بن أشيم	١٤٠
هرم بن حبان العبدي	١٤١
حطان الرقاشي وأبو العالية	١٤٢
قرناء الحسن من العلماء — ابن سيرين	١٤٦
موازنة بين الحسن وابن سيرين — عامر الشعبي	١٤٨



— (( (تابع الفهرست) )) —

الموضوع	رقم الصفحة
ج - في السنة - تمهيد	١٩٧
علاقة الحسن بالسنة	١٩٩
أشهر المذاهب في حجية المرسل	٢٠١
المدلس	٢٠٥
التدليس لغة واصطلاحاً	٢٠٦
د - في الفقه - تمهيد	٢٠٨
دور النشأة - دور الشباب	٢١٠
فقه التابعين	٢١٢
الحرية الدينية في فكر الحسن	٢١٣
هل الكلام يبطل الصلاة ؟	٢١٥
حكم من مات بدون حج مع القدرة عليه	٢١٦
حكم الزكاة في مال الصبي والمجنون	
ومن في حكمهما	٢١٨
خلاصة لفكر الحسن في الفقه والتشريع	
الاسلامى	٢٢١
ه - في الحقيقة - تمهيد	٢٢٣
القدر ورأى الحسن فيه	٢٢٦
كتاب عبد الملك بن مروان الى الحسن	
البصيرى	٢٣٠
تعليق على هذا الكتاب	٢٣١
رسالة الحسن الى عبد الملك	٢٣١
تحقيق الرسالة والتعليق عليها	٢٣٥
خلاصة المعانى التى تهدف اليها	
الرسالة	٢٤٠
الايمان في نظر الحسن	٢٤٢
مرتكب الكبيرة ورأى الحسن فيه	٢٤٤
و - في الزهد ، والدعوة الى الله تعالى	٢٤٥

(((تابع الفهرست)))

رقم الصفحة	الموضوع
٢٤٦	الفصل الثاني : زهد - تهذيب
٢٤٧	معنى الزهد ودليله
٢٥٠	علامات الزهد
٢٥١	زهد الحسن
٢٥٣	تحليل ما سبق من أقوال الحسن
٢٥٧	مظاهر الزهد عند الحسن
٢٥٩	التصوف والاسلام - أصل كلمة التصوف
٢٦١	تعريف التصوف
٢٦٣	التصوف في صدر الاسلام
٢٦٤	الفرق بين الزهد والتصوف
٢٦٥	هل كان الحسن متصوفا
٢٦٩	صلة الحسن البصري برابعة المدوية
٢٧٠	بعض الروايات التي تثبت صلة الحسن برابعة
٢٧٢	نقد الروايات وتمحيصها
٢٧٦	التصوف والصوفية في الميزان
٢٨٠	الفصل الثالث : دعوته الى الله تعالى
٢٨٠	تهذيب
٢٨١	معنى الدعوة في اللغة وفي الاصلاح
٢٨٣	أهمية الدعوة الى الله تعالى
٢٩٣	أصل الدعوة - موضوع الدعوة الى الله
٣٠٠	الداعية الى الله تعالى
	اختلاف أساليب الدعوة الى الله حسب اختلاف
٣٠٣	المدعوين
٣٠٥	وسائل الدعوة الى الله تعالى
٣٠٨	أهداف الدعوة الى الله تعالى

— (( تابع الفهرست )) —

رقم الصفحة	الموضوع
٣١١	اهتمام الحسن بالدعوة الى الله تعالى وسبب ذلك ... ..
٣١٣	مفهوم الحسن البصري وطريقته في الدعوة الى الله تعالى ... ..
٣١٩	موقف الحسن من الحكام ... ..
٣٢١	الحسن البصري وثورة ابن الأشعث ... ..
٣٢٢	الحسن البصري وثورة يزيد بن المهلب ... ..
٣٢٥	موقف الحسن للحكام ... ..
٣٣١	أسلوب الحسن في الدعوة الى الله تعالى الموضوعات التي تناولها الحسن في دعواته الى الله ... ..
٣٣٤	تركيزه على حقيقة الموت والنزول للآخرة ... ..
٣٣٨	تقوية الوازع الديني في الفرد ... ..
٣٤٠	الحث على مكارم الأخلاق ... ..
٣٤٢	الحض على التمسك بكتاب الله والعمل به .. ..
٣٤٥	الخاتمة ... ..
٣٥٥	أهم المراجع والمصادر ... ..